

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

كلية أصول الدين

قسم الدعوة والإعلام و الاتصال

الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية في ظل العولمة
دراسة تحليلية.

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

الطالبة

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الله بوجلال

سامية جفال

الصفة	الجامعة	الرتبة العلمية	أعضاء لجنة المناقشة
رئيسا	الأمير عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	عمر لعويوة
عضوا مناقشا	الجزائر العاصمة	أستاذ التعليم العالي	محمد لعقاب
عضوا مناقشا	قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	حسين خريف
عضوا مناقشا	الأمير عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	عمار طسطاس
عضوا مناقشا	باتنة	أستاذ محاضر	أحمد عيساوي
مشرفا ومقررا	الأمير عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	عبد الله بوجلال

مقدمة الدراسة

رغم محاولات قوى العولمة تسريب الظاهرة إلى المجتمعات بما تختاره من عبارات وصور الإيحاء، وتصويرها على أنها نتيجة حتمية لتطور تكنولوجي واقتصادي ليس بوسعنا إلا الإذعان له. إلا أن هذا ليس في الواقع إلا ثثرة، فالجميع يدرك أن النظام الديني والنظام الثقافي المحوري لكل الأجناس يتعرض اليوم لمواجهة شرسة من قبل العولمة النظرية والتطبيقية. وهذا ما صارت كل الأديان وكل الثقافات تدركه اليوم أكثر من أي وقت مضى. بل تدرك ديناميكية العولمة ومنطقها التفكيكي والصارم للقيم والقواعد الكبرى للدين بفعل الاحتكاك المباشر مع تكنولوجيا الإعلام وتقنيات الاتصال؛ إذ لم تعد تكنولوجيا الاتصال في ظل العولمة تشغل موقعا مركزيا فحسب في شبكة الإنتاج الصناعي، بل تحولت لتشغل موقع القلب في إستراتيجية إعادة تشكيل وبناء المجتمعات، سواء في دول الشمال أو الجنوب. وبدأت تبرز الأدوار الجديدة للإعلام والاتصال المعاصر، بالترويج لمفهوم العولمة وخلق ثقافة عالمية موحدة. كما أن هذا التطور التقني للوسيلة الإعلامية وقدرتها على تخطي حدود الزمان والمكان قد أسفر بدوره عن العديد من المفاهيم الإعلامية التي ربما لم نسمع عنها من قبل؛ كعصر المعلومات وعصر الاتصالات وعصر التقنيات، وتحول الجمهور من متلق إلى مستخدم ومنتج للرسالة الإعلامية.

أما على المستوى العربي فقد أصبحت ظاهرة العولمة وإشكالاتها وانعكاساتها والظواهر المنبثقة عنها والآثار المترتبة عنها الشغل الشاغل للمفكرين العرب في السنوات القليلة الماضية. وإذا استعرضنا مقاربات أغلب الباحثين العرب من ظاهرة العولمة نلاحظ أنها تتناول هذه الظاهرة بمظاهر ذات تركيبة متشابهة ومتطابقة أحيانا، رغم المنطلقات النظرية والعقائدية المتباينة والمتناقضة لهذه التحليلات. حيث يحاول بعض هؤلاء المفكرين وضع قيم وطنية وقومية سائدة ومؤثرة داخل العالم العربي في حالة تقارب مطلق ونهائي مع كل ما تطرحه العولمة من قيم جديدة، بينما البعض الآخر يضع العولمة في مواقع من شأنها أن تهدد في جميع الأحوال معتقدات دينية وقيما أخلاقية متأصلة في الضمير الجمعي للشعوب العربية. اختلفت الخطابات إذا في استعمال الكلمة بين رافض ومدافع عن التراث في مواجهة هذه العولمة، وخائف يرصد التحديات التي تأتي بها رياحها، وداع إلى الدخول في عواملها والمشاركة الفعالة في تجلياتها، وباحث يستجلي غموض الكلمة ويرصد معانيها المختلفة.

و يتناول هذا البحث في سياق العولمة موضوع الثقافة الإسلامية بمفهومها الشمولي في الصحافة العربية المكتوبة بالدراسة التحليلية، إذ صار يشمل مدلول الثقافة في عصر المعلوماتية والعولمة العقيدة والفلسفة والعلم

والأدب والفن. ولم يعد محصوراً في الآداب والفنون الرفيعة المستوى، بل الثقافة اليوم هي نظرة الناس إلى الكون والحياة، وسلوكهم في حياتهم اليومية الخاصة والعامة، وهي المعيار الذي يقومون به الصواب والخطأ، وهي التراث الذي يصلونه إلى أجيال تأتي من بعدهم. فثقافة الأمة هي تنظيم جميع السمات المميزة لها من مادية وروحية وفكرية ووجدانية. وما العمليات الذهنية والمعتقدات والمعلومات إلا جوانب من الثقافة.

واختزت في هذه الدراسة الصحافة المكتوبة دون غيرها من الوسائل الإعلامية الأخرى، للصلة الشديدة أولاً التي تربط عالم الثقافة بالصحافة المكتوبة منذ نشأتها إلى يومنا، فالصحافة هي أمثل وسيلة للملاحظة والتحليل المتريث والكشف عن واقعها وترتيبها لقضاياها في أجنحة صفحات الجرائد ضمن منظومة وعناصر الثقافة.

ثم إن طبيعة الوسائل الإعلامية الأخرى، كالإذاعة والتلفزيون بفضائياته المتعددة يحكمها عامل الوقت وضغط البرامج وسرعة البث للصورة والموضوع. مما يوجب على الباحث العودة إلى عينات لن تتوفر إلا عبر المسجلات الصوتية والأشرطة الفيلمية واستخدام أجهزة التسجيل عبر مسافة زمنية ليست بالقليلة. وليس هذا الأمر بمستطاع أو في متناول كل الباحثين ولا سيما في موضوعنا حول الثقافة الإسلامية المتربع على أطراف منظومة ثقافة المجتمع العربي. بل لا يمكن أن نحقق نتائج ذات قيمة هنا إلا إذا كانت الدراسة تقوم بما فرق البحثية، أو يشدها العمل الجماعي. فلأجل كل هذه العوامل كانت الصحافة العربية المكتوبة مجالاً إعلامياً للبحث حول ما إذ تزال الصحافة ساحة لحوض المعارك الثقافية في ضوء ظاهرة العولمة بخصائصها المتلونة السريعة.

وترتكز هذه الدراسة - الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية في ظل العولمة - على ستة فصول، وقد شمل الإطار النظري والمنهجي للدراسة أربعة فصول من أجل الخروج بتحديدات ومفاهيم واضحة تقوم على أساسها دراسة تحليل مضمون الصحيفتين، وهو موضوع القسم الثاني من هذه الأطروحة. حيث يتحدد الهدف الرئيس للدراسة في رصد وتحليل الموضوعات الصحفية التي تقدمها الصحف المدروسة من خلال تحليل

المواد المنشورة: المقال الافتتاحي، والمقال التحليلي، والعمود الصحفي وغيرها بالنسبة لصحف العينة التي تناولت قضايا الثقافة الإسلامية في ضوء العولمة.

أما **الفصل الأول** فقد اهتمت الدراسة بالإطار النظري وشرح الإستراتيجية المنهجية، على اعتبار أنها دراسة وصفية تحليلية. ففي البداية عرض لأهم نتائج الدراسات السابقة وما توصلت إليه من نتائج بشيء من التفصيل. وقد تمكنا من خلال هذه الدراسات حصر زاوية المعالجة بتحديد دقيق لإشكالية الموضوع. ثم توضيح المناهج المتبعة والمستخدمه وضرورتها وأهميتها وطرق البحث المختارة التي تلائم هذه الدراسة. ثم الأدوات التي ستستخدم في جمع البيانات وتحليلها وأساليب قياسها واختيار العينة.

وفي **الفصل الثاني** المعنون بالعمولة والعمولة الثقافية، نتولى فيه بداية عرض مفهوم وجوهر العمولة. فبعدما قمت بجولة في أدبيات هذه الظاهرة، وجدتها في أجوبتها تتشابه أو تتقارب، وربما تتعارض في الآراء والأفكار التي تتناول العمولة وأخطارها وفوائدها. ولكي أتخاشى البداية من الصفر لم أقدم على عرض تاريخ العمولة وظروف نشأتها إلا بما يساعد على التصور الجيد لباقي العناصر الأساسية للإشكالية. إذ ليس بوسعنا أن نتجاهل تماما جوهر مفهوم هذه الظاهرة في تحليلاتنا.

ثم سرعان ما أخذت في الحديث عن العمولة في الأدبيات الأجنبية والعربية. وبدأت عملية التحليل حينها موسعة ولاسيما في المنظور العربي لتساعد في الوقوف على عناصر المشكلة لهذه الظاهرة، وكيف تعامل معها المنظرون العرب، وما أمدتهم بما النخب الفكرية. ونلاحظ بعد العرض والتحليل أن الأدبيات العربية التي تتناول العمولة تزخر بمفردات يغلب عليها طرح التحفظ والتوجس والإدانة والتهويل للظاهرة. ثم عرضت أهم تجليات العمولة ومظاهرها، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

كما اقتضى التحليل لنتائج العمولة الثقافية العروج على أهم نتائجها على المستوى الفكري التنظيري حيث الحديث عن طبيعة العلاقة بين الثقافات المختلفة في عصر العمولة، كمنظريات نهاية التاريخ وصدام الحضارات. وحقيقة مقولة حوار الثقافات البديلة عن فكرة الصدام وموقع الفكر العربي من كل تلك القضايا.

وتناولت في **الفصل الثالث** الصحافة العربية المكتوبة بين العمولة الإعلامية والهيمنة الثقافية. حيث عرضت أولا إلى العمولة الإعلامية وتفجر المعلومات وما صاحب ذلك من الهيمنة الثقافية. حيث نجمت عن الثورة الاتصالية المعلوماتية تغيرات جوهرية في دور الإعلام، جعلت منه محورا أساسيا في منظومة المجتمع. فهو اليوم محور اقتصاد الكبار، وشرط أساسي لتنمية الصغار. ومما يؤكد محورية الإعلام في حياتنا المعاصرة ذلك الاهتمام الشديد الذي تحظى به قضاياها في الفكر الفلسفي والتنظير الثقافي المعاصر.

أما العنصر الثاني فتناولت الإعلام والثقافة وجدلية العلاقة في ظل العمولة وتأثيرات وسائل الإعلام في ضوء مجتمع المعلومات والهيمنة الثقافية. وإن أشد ما ميز العلاقة بين الإعلام والثقافة في عصر عمولة الإعلام، وفي ضوء هذا التطور التكنولوجي، طغيان وهيمنة ثقافة الصورة التي حلت محل الثقافة المكتوبة في أداء وظيفة الاختراق الثقافي بفعل عملية التأثير الإعلامي. إن مؤسسة الإعلام الحديث ما هي إلا أداة للسيطرة الاجتماعية وإعادة إنتاج المجتمع بأنماطه السائدة.

وينتهي هذا الفصل بتحديد الدور الوظيفي للصحافة العربية المكتوبة بين الخصوصية وآثار العمولة الثقافية. حيث تقوم الصحافة الورقية المكتوبة بدور أساسي في بناء ثقافة المجتمع من خلال الدور المستمر الذي تؤديه بنشرها للمفاهيم المستجدة عن الثقافة. أما عن الخصوصية وصلتها بالعمولة الثقافية في الصحافة العربية المكتوبة فيجب أن تنبع من منطلقات الأمة الحضارية، ويجب أن تراعى فيها قيمها وخصائص شخصيتها.

ويتناول **الفصل الرابع** الثقافة العربية والثقافة الإسلامية في الصحافة العربية في ظل العولمة. ويعالج هذا الفصل ثلاثة محاور أساسية. ففي المحور الأول تعرضت إلى واقع الثقافة العربية والثقافة الإسلامية في المنظومة الفكرية المعاصرة. والوضع الراهن للثقافتين في ظل العولمة، ولاسيما عناصر منظومة الثقافة وهي تجابه تيار العولمة ومدتها. إن هذا النهج من التأصيل والتنظير يدفع الباحث إلى الدخول في عالم من الجدل الفكري الصاحب والمثير بشأن عناصر منظومة الثقافة وهي عناصر المحور الثاني. وهي أيضا النقاط الأساسية التي يتشكل منها الفصل. وستكون بمثابة قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة. وهذه القضايا عبارة عن عناصر الثقافة الكبرى وقد رتبت في البحث على الشكل التالي: الهوية الثقافية والخصوصية، الدين ونظام القيم في الثقافة الإسلامية، القيم في منظومة الثقافة الإسلامية، اللغة في منظومة الثقافة، التربية والإعلام المكتوب ومحاوريتها في منظومة الثقافة، التراث ومركزيته في الثقافة الإسلامية.

وفي المحور الأخير تناولت بالنقاش الثقافة الإسلامية والصحافة العربية المكتوبة، التحديات والمستقبل في ظل العولمة. إذ كيف نقرأ نحن في العالم العربي والإسلامي هذه القضايا من داخل الثقافة الإسلامية بعدما قدم الغرب رؤيته للعولمة، وهو الأكثر استعدادا لها، والأكثر توظيفاً لثورة المعلومات. فأين نتفق؟ وأين نختلف؟ ماذا نأخذ من العولمة؟ وماذا نرفض؟ وما هي العولمة التي نبدعها نحن من داخل منظومة الثقافة الإسلامية؟

الفصلان الخامس والسادس وهي خطوة تطبيق الإطار النظري والمنهجي في تحليل مادة هذا البحث. ويتعلق هذان الفصلان بنتائج الدراسة التحليلية حيث قمت بالتحليل الصحفي للقضايا ذات العلاقة بالثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة، وموقع الثقافة الإسلامية من كل ذلك.

أما الصعاب التي واجهت الباحثة فهي كثيرة؛ فمنها ما يتعلق بمادة البحث العلمية، كعدم توفر الأبحاث المتصلة بواقع الثقافة الإسلامية في الإعلام المقروء (الصحافة المكتوبة). أو الدراسات التي تعالج الثقافة الإسلامية وقضاياها وخصوصا في عصر العولمة، وتأثيرات هذه الظاهرة على بنية هذه الثقافة وطبيعتها الإسلامية. مما صعب من السير في هذا المسلك وعسر تخطي عقباته. كما واجهتني صعوبات خاصة بالظروف التي أجزت في ظلها البحث والمتعلقة بعملية التدريس في الجامعة، وأدائي الواجبات الأسرية خصوصا رعاية صغاري، وهذا ما أثر على نوعا ما على القيام بالبحث الذي يتطلب التفرغ والتركيز والاستمرار .

شكر وعرافان

أعبر عن امتناني الشديد لأصحاب الفضل ممن ساهموا في صنع هذه الأطروحة، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور المشرف على الرسالة **عبد الله بوجلال** على ما امتن به علي من فضل ونصيحة وعلى ما بذله من جهد مضم وقراءة مستمرة وتقييم لاعوجاج حتى استقامت هذه الرسالة ، فله مني ثانية الشكر الجميل والثناء المحمود.

كما لا يفوت الباحثة هنا أن تعبر عن شكرها لكل من مدني بعون أو نصيحة. كما يعجز القلم عن التعبير عن عظيم امتنان الباحثة إلى شريك حياتها وأبي أبنائها لإسهامه المتواصل في بناء البحث. كما أهديه ثمرة هذا العمل وأسوق اعتذاري له لصبره معي ومساعدته لي في إنجاز هذا الدراسة.

وإلى **أبي وأمي** بالطبع... وإلى كل من توقدت في فؤاده محبة البحث في الوطن العربي والإسلامي. والله الموفق وهو يهدي سواء السبيل.

ويشمل هذا القسم الفصول التالية:

الفصل الأول: مشكلة البحث والإطار المنهجي.

الفصل الثاني: العولمة والعولمة الثقافية

الفصل الثالث: الصحافة العربية المكتوبة بين العولمة الإعلامية والهيمنة الثقافية

الفصل الرابع: الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية وجدل العولمة الثقافية

القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

مشكلة البحث والإطار المنهجي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاً: مشكلة البحث

أصبح اصطلاح العولمة والعولمة الثقافية شائعا في الصحافة العربية، ولا نعرف على وجه التحديد حجم تأثير هذه العولمة على صحافتنا المكتوبة أثناء معالجتها لمحور الثقافة الإسلامية بقضاياها الحضارية.

لذا كان اختيار موضوع البحث في حقيقة الأمر مهمة شاقة أمام الباحثة حيث أن المشكلة جديدة ولم يتطرق إلى دراستها. في حدود اطلاعي. باحثون سابقون. وقد أمكن للباحثة صياغة مشكلة البحث في ضوء افتراض نظرية تحليل الإطار الإعلامي على النحو التالي:

ما طبيعة المعالجة الصحفية لموقع الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية من خلال تناول الصحافة لقضايا الثقافة الإسلامية بمفهومها الشمولي وبعدها الحضاري، في ظل التحديات التي يشهدها عصر العولمة الجديد. وذلك باختيار دراسة عينة من الصحف العربية: (الشروق اليومي والخبر الجزائريتان، والأهرام المصرية، وتشرين السورية، والرأي العام الكويتية)، خلال الفترة الممتدة من: مارس 2001 إلى مارس 2002 م؟.

ثانياً: تساؤلات الدراسة

يرى بعض العلماء أن البحث العلمي لا بد أن يبدأ من خطوة فرض فروض أساسية محددة بحيث تؤدي إلى تحديد نوع المعلومات التي يجب على الباحث أن يجمعها دون سواها ومن ثم التحقق في نهاية الدراسة من مدى صحة تلك الفروض. ورغم أهمية الفروض في البحوث العلمية إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بوجود صياغة فروض في البحوث والدراسات الإعلامية التي تعد في المرحلة الإرتيادية.¹ ومن ثم يمكن استبدال خطوة صياغة الفروض العلمية في بعض الدراسات. كالدراسات الاستطلاعية والتمهيدية وبعض البحوث الوصفية. بخطوة بديلة هي طرح مجموعة من التساؤلات التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها، باعتبار أن مشكلات هذا النوع من البحوث لم تتناولها البحوث السابقة ولم تتحدد معالمها بعد تحديدا دقيقا.² وانطلاقا من تحديد المشكلة البحثية التي تسعى الدراسة للإجابة عليها لمعرفة مدى معالجة صحف الدراسة لقضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، فقد تم توزيع التساؤلات الفرعية في قسمين هما:

القسم الأول: تساؤلات تتعلق بمحتوى الاتصال (ماذا قيل) ويدور هذا النوع من الأسئلة حول مضمون مادة الاتصال أو المعاني التي تنقلها هذه المادة³ وتشمل الأسئلة التالية:

1. محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام. ط: بلا. جدة: دار الشروق، 1983. ص 81.

2. سمير محمد حسين، بحوث الإعلام (تطبيقات في مناهج البحث العلمي). ط: 2. القاهرة: عالم الكتب، 1991. ص 112.

3. رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته. القاهرة: دار الفكر العربي، 1987. ص 63.

1- ما قضايا الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية التي أثارها صحف العينة: (الشروق اليومي، الخبر، الأهرام، تشرين، الرأي العام) ؟

2- ما الفئات المختلفة المؤثرة لقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها في ظل العولمة في صحف الدراسة؟

3. ما دلالات عملية المقارنة بين نتائج صحف العينة؟

القسم الثاني: تساؤلات تتعلق بشكل الاتصال (كيف قيل) ويدور هذا النوع من التساؤلات حول الشكل الذي قدم فيه مضمون الاتصال وانتقلت من خلاله معانيه¹ ويشمل الأسئلة التالية:

1. ما حجم اهتمام الصحف العربية بقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها في ظل العولمة في الصحف العربية محل الدراسة، وما مقدار تواجدها وتوجيهها لمسار الصحافة العربية في زمن العولمة، وذلك من خلال :

أ. التكرار الكمي لعرض الموضوعات.

ب. الموقع المختار للموضوعات في الصحف.

ج. العنوان في صحف الدراسة.

د. مساحة النشر لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

2. ما الخصائص المميزة لأسلوب المعالجة الصحفية لقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها في ظل العولمة في صحف الدراسة. وذلك من خلال :

أ. نمط التحرير أو شكل الاتصال.

ب. وسائل الإبراز المستخدمة.

ثالثا: أهمية الدراسة

لقد تم الاستدلال على أهمية المشكلة البحثية من خلال كثرة الجدل المثار حول مفهوم العولمة وانعكاساتها في الصحافة العربية. مما يجعل من الضروري ومن المفيد جدا أن نعالج موضوع الثقافة الإسلامية وقضاياها في الصحافة العربية ضمن إطار تحليلي، يربطها أولا بسقف الوعي المعرفي والحضاري القائم، وثانيا بقيمنا وأصالتنا وتراثنا، وثالثا بظروفنا الإعلامية الراهنة. ومن جهة أخرى ينبغي لنا أن نعالج موضوعنا وفق منظور منهجي متكامل، لا نغفل فيه مجموع العناصر والعوامل التي لها تأثير في دراستنا، ونريد بها تلك الظاهرة الكونية المسماة بالعولمة. وكذلك تم الاستدلال على أهمية البحث من خلال الدراسة الاستطلاعية التي سبق عرض نتائجها. وأيضا من خلال القيام بمسح الدراسات السابقة. كما ترجع أهمية هذه الدراسة إلى اعتبارات أخرى نجملها فيما يلي:

1. رأت الباحثة إعطاء هذا الجانب من الدراسات الإعلامية اهتماما خاصا من البحث والتحليل من منطلق

القيمة المعرفية والإعلامية الذي تكتسبها هذه الموضوعات داخل حقولنا الدراسية، وما لها من تأثيرات في عمق

¹ . نفس المرجع الآنف الذكر.

مجتمعاتنا العربية والإسلامية. و لاسيما أن دراسة هذه الموضوعات ما يزال حديثا في (جامعاتنا العربية والجزائرية على وجه الخصوص، مما يجعل مجال البحث خصبا يتطلب أكاديمية وعلمية دقيقة.

2 . تستمد أهمية هذه الدراسة النظرية والتحليلية من سعيها إلى استكمال جانب هام من جوانب علمية الثقافة الإسلامية في عصر ثورة المعلومات. ومدى إسهام صحافتنا العربية في ذلك التشكل، والابتعاد عن عموميات قد تجاوزتها الألفية الثالثة.

3 . حق المجتمع في حماية هويته وخصوصيته الإسلامية، والحفاظ على مقومات وجوده وشخصيته في زمن التسارع المعلوماتي والغزو المعرفي الذي تحمله العولمة الثقافية. وذلك من خلال تشكيل جبهة من الوعي الصحفي الذاتي تقف أمام إغراء الصورة في الإعلام المرئي. فالدراسة تعد استجابة لنمط مهم من أنماط التحديات التي تواجه الأمة العربية والإسلامية، وخصوصا تحديات الثقافة العالمية ومجتمع المعلومات.

4 . ترشيد الثقافة بعناصرها من خلال دور الصحافة المكتوبة في عرضها لحياة ثقافية حقة وللبحوث الجادة. وفي تثبيت القيم داخل المجتمع من خلال إثرائها لمنظومة الثقافة الإسلامية.

رابعاً: أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف هي:

1 . التعرف إلى الأشكال الصحفية التي تستخدم في معالجة قضايا الثقافة الإسلامية. وتحديد طريقة المعالجة والتفاعل السريع أو البطيء مع قضايا الثقافة الإسلامية المستجدة في ظل العولمة. وإبراز القيم التي تتضمنها للاستدلال على حقيقة واقع هذه الثقافة في صحافتنا العربية المكتوبة (الجرائد).

2 . مدى استيعاب الصحافة العربية لموضوع الدراسة وفهمها له بأبعاده ومؤثراته ومفاهيمه. ومدى إحساس الصحافة بضرورة تناول قضايا الثقافة، واهتمامها باحتياجات ومتطلبات الجمهور القارئ لهذه القضايا في زمن العولمة الذي يشهد حدة. وكذا الدور التكاملي الذي تقوم به هذه الثقافة كعامل وعي داخل المجتمع المعولم. وذلك من خلال دراسة مفهوم الثقافة الإسلامية الذي ما يزال السجال فيه قائماً من خلال ما تنقله الصحافة المكتوبة.

3 . العمل على تقويم فعاليات الأداء الاتصالي للصحافة المكتوبة استعداداً لهذا القرن الحادي والعشرين في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة، و تعدد وسائل الحصول عليها. الأمر الذي يستوجب على الصحافة العربية والوطنية الالتزام بمسؤولياتها تجاه القارئ العربي من حيث تفعيل وتنشيط دورها التثقيفي خلال هذا القرن. ولهذا فالأطروحة تعرض مجالا أساسيا من مجالات الدراسة والدور الوظيفي لوسيلة الصحافة المكتوبة في هذا المجال، وكيف تتغير بتغير الجمهور وتطوره الثقافي والعلمي وبتعدد اتجاهاته ومطالبه وبتطور المجتمعات.

خامساً: الإطار النظري للدراسة

وسيتم الاعتماد في هذه الدراسة على نظرية تحليل الإطار الإعلامي. وتعد نظرية تحليل الإطار الإعلامي واحدة من الروافد الحديثة في دراسات الاتصال. حيث تسمح للباحث بقياس المحتوى الضمني للرسائل الإعلامية التي تعكسها وسائل الإعلام. وتقدم هذه النظرية تفسيراً منتظماً لدور وسائل الإعلام في تشكيل الأفكار والاتجاهات حيال القضايا البارزة، وعلاقة ذلك باستجابات الجمهور المعرفية والوجدانية لتلك القضايا... والإطار الإعلامي لقضية ما يعني انتقاء متعمد لبعض جوانب الحدث أو القضية وجعلها أكثر بروزاً في النص الإعلامي، واستخدام أسلوب محدد في توصيف المشكلة وتحديد أسبابها وتقييم أبعادها وطرح حلول مقترحة بشأنها.¹

وتتحكم في تحديد الإطار الإعلامي خمسة عوامل وهي:²

1. مدى الاستقلال السياسي لوسائل الإعلام.
2. نوع مصادر الأخبار.
3. أنماط الممارسة الإعلامية.
4. المعتقدات الأيديولوجية.
5. طبيعة الأحداث ذاتها.

وكانت فكرة الأطر التي قدمها جوفمان Gofman عام 1974 فكرة مثيرة للدهشة آنذاك في أوساط الباحثين المهتمين بدراسات الإعلام، ربما قدمت تفسيراً أساسياً للفكرة التي تشير إلى أن وسائل الإعلام تقدم تفسيراً أو ربما واقعا رمزياً للمجتمع بدلاً من نقله كما هو بصورة مباشرة.

وعلى الرغم من أن معظم الباحثين قد اختبروا الأطر الإعلامية التي توظفها وسائل الإعلام على المستوى الكلي (كالتركيز على المقال ككل مثلاً كوحدة للتحليل). إلا أن المفهوم الذي طرحه جوفمان كان وسيلة

أخرى لدراسة المضامين الإعلامية عبر مستويات مختلفة من التحليل، بما فيها التحليل اللغوي على المستوى الجزئي المصغر.³

ويأتي المثال الذي ساقه جامسون Gamson 1992 تطبيقاً على الحرب الباردة. فالإطار الذي استخدمته وسائل الإعلام الإخبارية الأمريكية في تغطيتها للأخبار الخارجية حتى وقت قريب، حيث أبرز الإطار الخبري المستخدم بعض الأحداث الخارجية كالحروب الأهلية باعتبارها مشكلات، وحدد لها المصدر للشوار الشيوعيين.

¹ . حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد. الاتصال ونظرياته المعاصرة.. ط: 4. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003. ص 348.

² . الطاهر بصيص، « اتجاهات الخطاب الصحفي الجزائري إزاء انتفاضة الأقصى الثانية. دراسة تحليلية مقارنة بين الصحف الحكومية والصحف المستقلة من

2000/09/28 إلى 2003 /04/30 ». (رسالة ماجستير، قسم الصحافة كلية الإعلام جامعة القاهرة، 2007). ص 18.

³ . حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد. مرجع سابق. ص 349.

وقدمت مجموعة من التقييمات الأخلاقية لوصف القوى الفاعلة فيها (العدوان الكفر والإلحاد). ثم قدمت مجموعة من الحلول منها تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح الجانب الآخر. ويقصد بالإطار أو التأطير اصطلاحاً « الاختيار والتركيز واستخدام عناصر بعينها في النص الإعلامي لبناء حجة، أو برهان على المشكلات ومسبباتها وتقييمها وحلها ». ¹ وأيضاً « لكي توظف موضوعاً لا بد من اختيار بعض أوجه الحقيقة المدركة وإبرازها عبر آلية الاختيار، السكوت أو الحضور، الغياب لكلمات أو عبارات، أو صور نمطية، أو مصادر للمعلومات لتقديم مجموعة من الحقائق أو الأحكام عن موضوع يتم تناوله». ²

كما يقصد بالإطار أيضاً اختيار بعض جوانب الواقع وجعلها أكثر بروزاً في النص الإعلامي، وبذلك يمكن إتباع مسار معين يتم من خلال تحديد المشكلة أو القضية، وتقديم تفسير سببي لها وكذلك تقييم أخلاقي لأبعادها وجوانبها المختلفة، فضلاً عن طرح حلول وتوصيات بشأنها. ³ ويعرف الإطار من خلال المنظور الاتصالي بأنه الحديث عن موضوع أو قضية ما، بطرق تحدد أو تبرز مجالاً معيناً في هذا الموضوع، وفي الوقت ذاته تتجاهل مجالات أخرى.

ويشير البروفيسور **انتمان Entman** إلى إمكانية تناول الأطر الإعلامية وفق مستويين أساسيين، يتعلق المستوى الأول بتحديد مرجعية تساعد في عملية تمثيل المعلومات واسترجاعها من الذاكرة، مثل استخدام إطار " الحرب الباردة " في المجتمع الأمريكي للتمييز بين الأصدقاء والأعداء في الشؤون الخارجية. ويتعلق المستوى الثاني بوصف السمات التي تمثل محور الاهتمام في النص الإعلامي. ومن خلال التكرار والتدعيم يتم إبراز إطار بعينه ينطوي على تفسيرات محددة تصبح بدورها أكثر قابلية للإدراك والتذكر من جانب الجمهور الذي يتعرض باستمرار لتلك الوسيلة الإعلامية. ⁴

ويحدد **انتمان Entman** وظائف الأطر الإعلامية على النحو التالي: ⁵

- 1 . تعرف الأطر المشكلات وتحدد ماهية العامل السببي التي تمارس تأثيره وحجم المكاسب والخسائر، والتي غالباً ما تحدد وتقاس وفقاً للقيم الثقافية السائدة.
- 2 . تقوم الأطر بتشخيص الأسباب من خلال تحديد القوى الفعلية والعوامل التي تخلق هذه المشكلات.
- 3 . تشير الأطر إلى التقييمات الأخلاقية لتلك العوامل السببية وتأثيراتها.

¹ . إيمان نعمان جمعة، « أثر الخطاب الصحفي الأمريكي على تناول الصحافة المصرية لقضايا الهوية القومية، دراسة تطبيقية على مشروع الشرق الأوسط الكبير ». المؤتمر العلمي العاشر، الإعلام المعاصر و الهوية العربية . كلية الإعلام. ج. 1. 04 / 06 / 2004. ص 152.

² . الطاهر بصيص، مرجع سابق، ص 20.

³ . نفس المرجع الآنف الذكر.

⁴ . نفس المرجع الآنف الذكر.

⁵ . الطاهر بصيص، مرجع سابق، ص 20.

4 . كما تقترح الأطر سبل العلاج حيث تحدد كيفية معالجة المشكلات، وتتنبأ أيضا بالنتائج المتوقعة. والإطار في كل تلك المواقع الأربعة ذاتها من حيث الاختيار واستخدام عناصر أو جوانب معينة، وإبرازها بهدف إقامة حجج عن المشكلات ومسبباتها وتقييمها واقتراح الحلول الممكنة لها.

كما يشير جوفمان Gofman إلى أن الأطر تعد بمثابة المبادئ والأسس التي نستخدمها لتنظيم الأحداث في الحياة اليومية. حيث تساعد على تصنيف وتفسير وإقامة الحجج والبراهين حول الأحداث، كما تتوافق مع عملية تشكيل المعلومات حيث تحاول أن تقوم بالتوفيق بين المعلومات الجديدة والمعلومات المتضمنة في الأطر القائمة بالفعل. وفي هذه الحالة ينظر للأطر باعتبارها نوع من البنى المعرفية أو النماذج حيث تتيح فهم القضايا بطرق معينة، وترشد العمل الإخباري واستجابات الجمهور حول المحتوى الإعلامي.¹

ويذكر حسن عماد مكاوي² أن تحليل الإطار الإعلامي يتضمن ثلاثة مكونات أساسية هي:

- . البناء التركيبي (الشكلي) للقصة الإخبارية.
- . الفكرة المحورية.
- . الاستنتاجات الضمنية.

كما ذكر مكاوي³ وجوب التفريق بين نمطين أساسيين للأطر الإعلامية هما:

أ . الإطار المحدد المرتبط بوقائع ملموسة: وهو يركز على شرح القضايا المثارة من خلال طرح نماذج ملموسة ووقائع محددة، مثل حادث اغتيال . انفجار مبنى.

ب . الإطار العام: وهو على العكس من السابق يعالج القضايا المثارة في سياق مجرد أو يتسم بالعمومية، مثل إرجاع الأسباب إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة، أو بسبب التغيرات الاجتماعية أو المتغيرات الدولية.

وبعد العرض الموجز لنظرية تحليل الإطار الإعلامي، وما يندرج فيها من المتغيرات التي تقوم عليها، رأيت الباحثة أنها يمكن الاعتماد عليها في الإطار النظري لموضوع الدراسة. ذلك أن بعض المتغيرات كالتوجهات الأيديولوجية للصحفيين والمؤسسات الإعلامية (الصحفية)، ومن خلال ما يترجم من أنماط الممارسة الإعلامية، تعد عوامل تؤثر في طبيعة المعالجة الصحفية للصحف العربية محل الدراسة. وما قد يظهر عليها من درجة تموقع موضوع الثقافة الإسلامية في عصر العولمة ضمن مساحات المعالجة. إذ أن المعالجة الصحفية لقضايا الثقافة الإسلامية وما

1 . نفس المرجع الآنف الذكر.

2 . حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد. مرجع سابق. ص350.

3 . نفس المرجع الآنف الذكر.

يرتبط بها من معلومات ومن ثمة وجودها ضمن النسق الموضوعي العام للجريدة، إنما يتحدد من خلال الخلفيات السياسية والاجتماعية والفكرية التي تنطلق منها الجريدة، وبالتالي تصاغ قناعات الصحيفة وفقا لهذه المنطلقات.

فالبينة الاجتماعية لها تأثيرها البارز على عملية التمكين لموضوع الثقافة الإسلامية داخل المؤسسة الإعلامية، وتؤدي طبيعة العلاقة بين المؤسسة الإعلامية والنظام السياسي العربي دورا فعالا في تشكيل ملامح المعالجة الثقافية بطبيعتها الإسلامية. فاستقلالية المؤسسة عن النظام تنعكس إيجابا على حرية التعبير كوجود معالجة ما أو عدمها في الصحيفة. وفي المقابل تلتزم المؤسسة الإعلامية الموالية للنظام السياسي بالطرح الإعلامي الصادر عنه أو إهمال معالجات محددة على أساس مساسها بالاستقرار السياسي العام بالنسبة لهذا النظام. كما أن الانتماء الأيديولوجي باعتباره الموجه الحقيقي لدرجة المعالجة ككل، يشكل الإطار العام الذي تصاغ في إطاره تفاصيل وحيثيات الموضوعات والقضايا مما ينتج تفاوتات متباينة في وجود موضوعات الثقافة الإسلامية داخل الصحيفة.

سادسا: الدراسات السابقة

من خلال اطلاع الباحثة على بحوث ودراسات أجريت حول واقع الثقافة في الإعلام المقروء، فإنها لم تجد ما له علاقة يبحثها حول الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية المكتوبة (الجرائد) بصورة مباشرة، أو حتى دراسات جادة حول الثقافة الإسلامية منفردة دون الصحافة إلا النزر القليل، كي تبرزها الباحثة كدراسة سابقة . وبالمقابل فإنني وجدت أيضا من الدراسات التي تناولت العولمة ومظاهرها وعلاقتها بالثقافة عموما. وبحوثا ومقالات عن الثقافة العربية في عصر العولمة، وكتابات عما آلت إليه تكنولوجيا الاتصال في عصرنا، وتأثير ذلك على حياتنا. وقد حاولت الإشارة إلى مصادر جميع المواد التي أفدت منها، عدا تلك الأفكار التي استوعبتها بصورة لا يمكن فصل أفكارها الخاصة بها.

إن النظر في مجموع هذه الدراسات، يفضي إلى أصناف ونماذج من الدراسات التي تنطوي تحت موضوعنا، وقد وزعت على ثلاثة محاور:

المحور الأول: الدراسات التي تناولت مظاهر العولمة على كافة المستويات.

المحور الثاني: الدراسات التي تناولت الثقافة والثقافة الإسلامية.

المحور الثالث: الدراسات التي تناولت الثقافة الإسلامية و الصحافة العربية في عصر العولمة.

المحور الأول: الدراسات التي تناولت مظاهر العولمة على كافة المستويات.

1 . دراسة كريم أبو حلاوة¹ وركز الكاتب في هذه الدراسة على الأهمية القصوى التي تتبؤها ثقافة الصورة والبت المتلفز الذي أضعف العمل بنظام المخاطبة الثقافية التقليدية عبر الكتب والصحف والمجلات، وصولاً إلى المدارس والجامعات. فالمشروع الثقافي الغربي في عصر العولمة قد أصبح في عهدة الإمبراطوريات السمعية . البصرية، بما تملكه من نفوذ وإمكانات وسلطة تمكنها من تقديم مادتها الإعلامية للمتلقي في قالب مشوق يجذب الانتباه عبر " تكنولوجيا الإثارة والتشويق"، ويقارب عتبة المتعة ومعها يبلغ خطابه الأيديولوجي وأهدافه الاستهلاكية. ويسهم في وأد حاسة النقد لدى المتلقي، الذي يجد نفسه في نهاية المطاف قابلاً لتدمير وتقبل جميع القيم والمواقف السلوكية دون اعتراض عقلي أو ممانعة نفسية، في وضعية شديدة الشبه بوضع السم في العسل.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

أ . أنه بسبب كثافة وخطورة الاحتراق الثقافي الذي يتعرض له نسق القيم ونظام إنتاج الرموز في المجتمع العربي، فإن مؤسسات الاجتماع والثقافة التقليدية وهما الأسرة والمدرسة لم تعودا قادرتين وفق صيغ أدائهما الحالية على حماية الأمن الثقافي للمجتمع، والإيفاء بحاجات أفراد من القيم والرموز والمعايير والمرجعيات التي أصبحت تصاغ خارج حدود الجغرافيا والاجتماع والثقافة الوطنية.

ب . ظهور استحقاقات إضافية تمس الأمن الثقافي ومكونات الهوية لا تستطيع المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية مواجهتها ما لم تتخل عن نظم عملها العتيقة. وتحرر من الذهنية الرقابية على الإنتاج الرمزي. لأنها لم تعد مجدية من جهة، ولأنها عاجزة عن إشباع حاجات الناس الثقافية والجمالية عبر الفيلم الجيد والبرنامج الثقافي المتمتع والخير الهام وبمواصفات إعلامية راقية من جهة أخرى.

ج . أصبح الإعلام صناعة تتطلب الكثير من الجهد والمال والمصادقية. وتحتاج قبل كل ذلك الشفافية كي تتمكن من المنافسة في عالم مفتوح على خيارات لا تنتهي من البرامج وقنوات البث وعلى مدار الليل والنهار.

د . لا يجب أن تقتصر مواجهة العولمة الثقافية على مؤسسات الدولة الرسمية فقط، بل إن نجاعتها تشترط امتدادها لتطال المثقفين والمهتمين بالشأن العام ومنظمات المجتمع المدني المعنية بشؤون الثقافة والمجتمع.

¹ . كريم أبو حلاوة «الآثار الثقافية للعولمة، حظوظ الخصوصية الثقافية في بناء عولمة بديلة». عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، العدد 03، 2001.

2 . دراسة عبد الخالق عبد الله¹ يرى الكاتب أن لحظة العولمة هي لحظة مليئة بكل الاحتمالات المقلقة. فالعولمة مقلقة إذا كانت تعني المزيد من التطورات في الهندسة الوراثية وهندسة الجينات، وتوظيف كل ذلك توظيفا تجاريا وعنصريا وعسكريا. الأمر الذي يستفز القيم الإنسانية العميقة التي تبدو مهددة الآن في ظل غياب القيود الأخلاقية على المستجدات في تكنولوجيا الهندسة الوراثية. كذلك تبدو العولمة مقلقة إذا كانت تعني زيادة توظيف الشركات الاحتكارية لقدراتها المالية والتنظيمية من أجل استغلال ثروات الشعوب، وزيادة تغلغلها في اقتصاديات الدول النامية التي عانت ما فيه الكفاية من الاستغلال والنهب الاستعماري والامبريالي.

والعولمة مقلقة إذا كانت تتضمن زيادة الفجوة الاقتصادية والحضارية القائمة حاليا في العالم، بين الدول الغنية التي تزداد غنى والدول الفقيرة التي تزداد فقرا. والعولمة أيضا مقلقة إذا كانت تتضمن هيمنة ثقافة واحدة ووحيدة مهما كانت مغربية ومسنودة بالنجاحات المادية والمعنوية، وقيامها بتهميش الثقافات الأخرى في العالم. والعولمة مقلقة إذا كانت تتضمن أيضا احتمال صدام الحضارات وصراع المناطق الحضارية ودخولها في حروب عنيفة ودامية، وربما كانت أكثر دموية من كل الحروب التي شهدتها التاريخ البشري.

والعولمة مقلقة أيضا إذا كانت تعني الأمركة واستفراد الولايات الأمريكية المتحدة بالشأن العالمي ونشر نموذجها الحياتي وتعميمها على الصعيد العالمي. كذلك فإن العولمة مقلقة إذا كانت تعني المزيد من اغتراب الإنسان المعاصر الذي بدأ يفقد السيطرة على التحولات الحياتية والفكرية السريعة حتى بمعايير عصر السرعة، ويظهر جهازه الذهني والنفسي العجز على مجاراة المستجدات العلمية والتكنولوجية التي تأسس حاليا للحظة حضارية جديدة ولعصر مختلف كل الاختلاف عما كان سائدا حتى الآن. إذا كانت العولمة توحى بكل هذه الإيجاعات المقلقة فهذه هي العولمة المتوحشة والتي ستجد الرفض كل الرفض من سائر الشعوب.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن العولمة تتضمن الكثير من الفرص والمخاطر المتداخلة. ولا شك أن تداخل الفرص والمخاطر هي التي تؤدي إلى تفاوت المشاعر والأحاسيس والموقف تجاه العولمة أشد التفاوت. فالبعض يظهر كل التفهم للعولمة ويرحب بفرصها المعرفية والاستثمارية الواضحة كل الوضوح، ويدعو

بالتالي للانغماس في لحظة العولمة للاستفادة منها ومن معطياتها. والبعض يبدي التخوف من مخاطر العولمة الكثيرة ويرفض دلالتها الاستغلالية ومضامينها الاستهلاكية ويدعو بالتالي للانكماش من أجل حماية الذاتية الحضارية والهوية الثقافية التي تبدو مهددة من قبل العولمة. والبعض الآخر يشعر بمزيج من المشاعر الإيجابية والسلبية ويحاول أن يوف

¹ . عبد الخالق عبد الله، «العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها». عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، المجلد 28،

بين الانغماس من ناحية والانكماش من ناحية أخرى، وهو موقف " الإنغماس " والذي يمثل القليل من الانكماش والقليل من الانغماس.

3 . دراسة الحبيب الجنحاني¹ تم التركيز في هذا النص على تحليلات ظاهرة العولمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. وأكد الكاتب على شمولية العولمة وتحليلاتها في مجال خطير الشأن، ويعني به المجال الحضاري بأبعاده الثلاثة: البعد التربوي والبعد الثقافي والاتصالي. حيث إنه مجال يحتاج إلى دراسة قائمة بذاتها، وبخاصة تأثير التطور المذهل لصناعة الاتصال خلال العقدين الماضيين في تبلور سمات العولمة.

وتوصلت نتائج الكاتب إلى جملة من النقاط:

أ . تتمثل مظاهر القوة في المجتمع البشري المعولم في السيطرة على الفضاء، ويتطلب ذلك صناعة متفوقة في مجال وسائل الطيران والقاذفات والأقمار الصناعية. وليست قادرة على ذلك إلا بعض الدول في العالم، فصارت قوى تملك الأوراق السامحة لها بالسيطرة على هذه التقنيات لتنضم إلى طبيعة القوى المسيطرة على الألفية الجديدة.

ب . يتحول المجتمع الصناعي في نهاية القرن العشرين إلى مجتمع المعلومات، فليس من الصدفة إذا أن يمثل إصلاح النظام التربوي في المجتمعات المتطورة الرهان الأكبر لمسيرة هذا التحول.

ج . الإنتاج الثقافي بمفهومه الواسع أصبح بأيدي التجار أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، فلا غرابة أن ينزلق النموذج الثقافي نحو الأسفل فتطغى مظاهر الرداءة والإثارة والسطحية.

د . إن هذا الضرب من الإعلام المتختم ذكر معه كثير من المفكرين صيحة الفرع التي أطلقها جورج أورويل George Orwell وألدولس هكسلي Aldous Huxley ، محذرين من التقدم الزائف لعالم تتحكم فيه شرطة الفكر. فقد أصبح من الواضح أن أرباب وسائل الاتصال العابرة للقارات قادرين على توجيه الرأي العام العالمي، بل قادرين على تغيير الذهنيات في مستوى الكوكب الأرضي.

4 . دراسة عبد العزيز بن عثمان التويجري² وتهدف الدراسة إلى الكشف عن واقع العولمة، فهي جزء من نظام عالمي تخضع له الشعوب والحكومات ولا يملك أحد منها أن يقف بمنأى عنه. ويذهب الكاتب إلى أن العامل النفسي هو الذي يجعلنا نتردد ونرتاب ونرتعب أيضا ونقف أمامه مشدوهين مبهورين. فإذا عاجلنا الآثار

النفسية المترتبة على الموقف الذي نتخذه إزاء ما يعج به عالمنا اليوم بمنتهى الحكمة، وبقدر كبير من الرشد الحضاري والوعي الإنساني، أمكننا أن نواجه الوقع كما هو في حقيقته وبطبيعته، لا كما نتوقعه ونتوهمه. وذهب الكاتب إلى أن

¹ . الحبيب الجنحاني، « ظاهرة العولمة، الواقع والآفاق ». مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، مج28، العدد02، أكتوبر . ديسمبر، 1999.

² . عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. دار الشروق. 2004 .

الأمة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية لا تمتلك القدرات الكافية لكسر موجات العولمة، والتحكم في اتجاهات الرياح التي تهب. ولكنه أيضا يهب بأفراد الأمة أن لا يقعدهم حال المسلمين عن القيام بما يتعين القيام به من عمل دؤوب للتخفيف من وطأة آثار العولمة.

أما أبرز ما توصلت إليه الدراسة هو تحليل عناصر المقاومة بالبحث في المحاور التالية:

- . ماهية العولمة حتى نقف على حقيقتها.
- . الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلاميتين في ظل العولمة.
- . صياغة المشروع الثقافي الإسلامي في عصر العولمة.
- . معرفة العالم الإسلامي الشديدة بتحديات القرن الجديد.
- . قدرة الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري.

5 . دراسة برهان غليون وسمير أمين.¹ ذهبت دراسة الكاتبين إلى تقديم رؤية عميقة وشاملة عن مخاطر العولمة ومكاسبها، وعن المشروع الثقافي الاجتماعي الحضاري. وحول هذه المسألة الكبيرة أثارت الدراسة أربعة تساؤلات رئيسة كانت محور البحث والتنقيب وهي:

- أ . هل العولمة حركة موضوعية وبالتالي حتمية لا خيار لنا فيها، أم هي سياسات ذاتية من الممكن تجنبها؟
- ب . هل تعني الهيمنة العالمية أو هل هي مرتبطة بهيمنة بعض الدول الأخرى، أو هي دينامية جديدة تتيح الخروج من الهيمنة؟
- ج . هل تعني العولمة الأمركة الاقتصادية والثقافية، أم أن الانفتاح المتبادل للفضاءات الاقتصادية والثقافية والإعلامية يساعد بالعكس على تطوير وتعميق التعددية الحضارية والثقافية والسياسية؟
- د . هل لدى مجتمعاتنا الضعيفة الطاقة الكافية لمعالجة الضغوط التي تحدثها العولمة، وما هي شروط بلورة إستراتيجية مجابهة أو معالجة فعالة وناجعة بديلة؟

أما النتائج التي انتهى لها الكتاب فهي محاولة نقد "ثقافة العولمة" المطروحة من قبل القوى المهيمنة الرأسمالية الحالية. ونقد استراتيجيات "الرفض" السلبية. والدعوة إلى المساهمة مع جميع القوى التقدمية على صعيد عالمي من أجل تطوير جميع الثقافات في الاتجاه المطلوب، لإقامة حضارة إنسانية عالمية صحيحة قائمة على مبدأ الديمقراطية واحترام التباين. ولا مانع من تسمية عملية هذه الثقافة الجديدة بعد ذلك بـ "عولمة الثقافة".

6 . دراسة مؤيد عبد الجبار الحديشي.² وخلاصتها أن النظم العربية لم تتوصل لإيجاد نظام أممي إعلامي واضح، وأن كافة الدراسات والندوات التي عقدت بهذا الخصوص لم تتبلور وترتق لتكون مفهوما عمليا خاصا بها. أما نتائج الدراسة فخلصت إلى ذكر أسباب إخفاق الأنظمة العربية في تأمين نظام أممي لها في عصر العولمة والمعلوماتية -

¹ . برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة (حوارات لقرن جديد). ط:2. دمشق، بيروت: در الفكر المعاصر، 2002.

² . مؤيد عبد الجبار الحديشي، العولمة الإعلامية. ط:1. الأردن، عمان: الهلبة للنشر والتوزيع، 2002.

الاتصالية. لأن نظمها الحالية أضحت غير فاعلة في أدواتها المعنوية الاتصالية، وأن أغلب دول المنطقة أصبحت غير قادرة على السيطرة التامة على نوع وكم المعلومات التي تصل إلى عقول مواطنيها لوفرة المعلوماتية. إن تحديات الإعلام المعوم في رأي الكاتب لم تكن في أنه ينقل الفرد العربي إلى اللاوطن، بل يتم نقله إلى المؤسسات والشركات العالمية، عالم (فاعلين) وعالم (ومفعول فيهم). مستهلكون للسلع والصور والمعلومات. إنهم خاضعون لحركات وسكنات مفروضة عليهم. فهل العالم العربي يمتلك القدرة لإيجاد مفهوم موحد للأمن الإعلامي

7. أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون حول العولمة.

وذهب المشاركون في المؤتمر إلى أن العولمة تمثل أحدث مظاهر الهيمنة الغربية في عالم أحادي القطب. وإن هذه الهيمنة تتبدى عبر السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية وامتلاك وسائل الاتصال والإعلام واحتكار المعلومات.

أما نتائج المؤتمر فخلصت إلى أنه ينبغي تأكيد مخاطر العولمة على العالم العربي من حيث تهديد الهوية الثقافية. على الرغم مما تتيحه العولمة من ميزات الاتصال وتبادل المنافع. وقد دعا المشاركون إلى تعزيز آليات حماية الخصوصية الثقافية من خلال الاعتناء باللغة العربية، وتحديث وسائل ومضامين تدريسها، وتعميق ملامح الثقافة العربية الإسلامية، والعمل على إيجاد صيغة إعلامية مشتركة تصون الخصوصية وتواكب العصر في مواجهة وسائل الإعلام الأجنبية.

المحور الثاني: الدراسات التي تناولت منظومة الثقافة العربية والإسلامية في ظل العولمة.

1. دراسة نبيل علي¹ وهي من أهم الدراسات التي اعتمدها في بحثي لحدائث الطرح وتميزه من طرف الكاتب. إذ أوحى إلي الكتاب جوانب من البحث ما كنت لأتنبه إلى قيمتها المعرفية والعلمية لولا طريقة الدراسة وأسلوبها. فالكاتب تناول واحدة من أدق إشكاليات العصر وأكثرها مدعاة للجدل والحوار، ألا وهي ثقافة عصر المعلومات، وذلك على أساس من المعرفة النظرية والخبرة العملية في مجال صناعة الثقافة. ويطرح الكتاب الثقافة من منظور هندسي كمنظومة شاملة مكونة من منظومات فرعية عدة يتشكل منها الفكر الثقافي؛ وهي اللغة والتربية

والإعلام والقيم والمعتقدات. وتتطرق الدراسة إلى علاقة الثقافة بالمنظومات المعرفية الأخرى وآليات شروطها الاجتماعية وطرائق أغنائها بصيغ جديدة تكشف عن قلقها الوجودي الخصب ومحتواها العلمي. التكنولوجي.

أما أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فذكر الكاتب أن علمنا المعاصر قد شهد ثورات كبيرة على جميع الصعد، أسهمت لا شك في تبديل خرائطه وتوسيع دلالاته وتغيير أنساقه ونظمه. الأمر الذي يفتح الباب أمام مقترح

¹ . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، العدد: 276، 2001.

يسعى إلى تقديم نظرة مغايرة لطبيعة الثقافة وتعدد مستويات خطابها، ويؤسس من ثم لتوجه نقدي يهدف إلى تغيير الكثير من المفاهيم التي سادت خطابنا الثقافي الراهن.

كما انتهى إلى أن الثقافة هي "محور" عملية التنمية الاجتماعية الشاملة. في حين أصبحت تكنولوجيا المعلومات هي "محور" التنمية العلمية التكنولوجية. والحوار بين هذين "المحورين" هو محور تداخل الثقافة مع تكنولوجيا المعلومات. ومن هذه النظرة جاء ترتيب نتائج موضوع الدراسة تبعاً للمحاور التالية:

- . منظومة ثقافة المعلومات.
- . منظومة الفكر الثقافي . منظور عربي معلوماتي.
- . ثقافة اللغة . منظور عربي معلوماتي.
- . ثقافة التربية . منظور عربي معلوماتي.
- . ثقافة الإعلام . منظور عربي معلوماتي.
- . منظومة القيم والمعتقدات . منظور عربي معلوماتي.
- . ثقافة الإبداع الفني . منظور عربي معلوماتي.

2 . دراسة مصدق حسن¹ وبحث الكاتب فيها حول أبعاد سؤال متأجج: هل الثقافة الإسلامية قادرة على مواجهة التحديات والمعضلات الكبرى التي تواجهها الشعوب العربية والإسلامية ؟ ومن خلال السؤال طرح الكاتب إشكالية مشروع المستقبل الثقافي الإسلامي، والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها التنمية الثقافية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة؛ إبراز أهمية الثقافة الإسلامية بوصفها هوية الحضارة العربية الإسلامية، وأهمية أدبياتها في إثراء شخصية الفرد المسلم، وقدرتها على العطاء الحضاري والتحسين الثقافي ومواكبة العصرنة، واستيعاب الحداثة بل والمشاركة فيها. فهي ما تزال بالرغم من الضربات الموجهة ثروة معرفية وروحية وجمالية ليس فقط للعالم الإسلامي، بل للعالم أجمع في إبداعاتها وروحانياتها وقيمها الإنسانية وموروثها العظيم. كما انتهى الكاتب إلى أن جماع ذلك كله بالإيمان الحق بالله وبتسيخ الثقافة العقدية الإسلامية وتمكنها من النفوس. فهي عامل التوحيد الوحيد بين الشعوب الإسلامية، ومبعث للإبداع والعطاء والانفتاح والتحرر من التبعية والاستلاب الثقافي.

3 . دراسة أحمد مجدي حجازي² والكتاب عبارة عن مجموعة من الدراسات والبحوث الأكاديمية والثقافية التي تدور حول إشكاليات الثقافة العربية في زمن "العولمة"، أو بالأحرى في عصر "العملقة" حسب تعبير الكاتب. وقد رأى المؤلف مناقشة الإشكاليات المطروحة في ست دراسات. تعد كل دراسة بدورها نتيجة محورية لفكرة الكتاب. وهذه الدراسات هي ما يلي:

¹ . مصدق حسن، مدخل إلى الثقافة الإسلامية. ط:1. دمشق: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

² . أحمد مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

- . البحث في العولمة وإشكالية تهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث.
- . تحليل أزمة الإبداع السوسولوجي وغياب أو تغييب " الخيال الاجتماعي".
- . المثقف العربي والالتزام الأيديولوجي وأسباب أزمة المجتمع العربي.
- . تحليل أزمة النقد الذاتي، حيث يصب المثقف العربي نقده على الآخر متغافلا نقد الذات.
- . دراسة إشكالية التناقض في العلاقة بين الباحث ومجتمعه، من خلال طرح تناقضات واغتراب الفكر في المنطقة العربية.
- . قيام الكاتب بدراسة ميدانية حول فقراء مصر في عصر العولمة وهي دراسة في غاية الأهمية خاصة بالنسبة لدول الجنوب الأقل نمواً.

4. دراسة السيد ياسين¹. سعت الدراسة إلى تحليل عنصريين أساسيين:

- العنصر الأول: الديمقراطية وحوار الحضارات وتتناول أبحاثه أبعاداً متعددة للأزمة، وطرحاً لرؤية عربية لحوار الثقافات.
- أما العنصر الثاني المعنون بقياس الديمقراطية العربية، فيتناول بأبحاثه تجربة عربية رائدة لتأسيس مرصد لقياس الإصلاح العربي بجوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى قياس التقدم في نمو المجتمع المدني. ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة تحليل عناصر المقاومة بالبحث في المحاور التالية:
- أ. ضرورة رسم خرائط معرفية للاتجاهات الأيديولوجية الفاعلة في الوطن العربي. وأهمية هذه الخرائط المعرفية أنها تساعد على معرفة الواقع العربي الذي نريد تغييره، وكذلك على معرفة ملامح التغيير واتجاهاته. ومن ناحية أخرى من شأن هذه الخرائط المعرفية أن تقضي على التعميمات الجارفة عن العرب والمسلمين التي تصوغها الدوائر الغربية السياسية والثقافية والإعلامية.
- ب. تبنى موقف رشيد من ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك باصطناع منهج علمي ونقدي في دراسة الحاضر العربي. وهذا المنهج لا بد أن يكون تكاملياً لا يفصل بين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة. بل لا بد أن يكون منهجاً نقدياً يركز على السلبيات ويسمي الظواهر باسمها.
- ج. ضرورة استشراف المستقبل العربي في ضوء قراءة دقيقة لتغيرات بنية المجتمع العالمي. وفي هذا المجال لا بد من ترشيد الخطاب الثقافي العربي إزاء ظاهرة العولمة والتي هي أبرز الظواهر ونحن في بداية الألفية الثالثة.

- #### 5. دراسة محمد صالح الهرماسي². ويعالج الكتاب موضوعاً هاماً أصبح يتصدر النقاشات السياسية والفكرية في الوطن العربي، ألا وهو موضوع الهوية. ذلك أن العولمة بما تحملها من مضامين تهدف إلى تدجين الشعوب وتدمير مناعتها الثقافية. وقد التقت هذه العولمة في أطروحاتها مع أهداف الأنظمة القطرية الضليعة في تفكيك الهوية العربية الإسلامية، ومحاولة تغييبها والسعي لفرض هويات قطرية وشرق أوسطية ومتوسطة، فضلاً عن الهويات الطائفية والعشائرية. الأمر الذي يؤدي إلى القيام بحاجات الاستبداد الداخلي والهيمنة العالمية على المنطقة. والعجيب في رأي

¹ السيد ياسين، الديمقراطية وحوار الثقافات، تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2007.

² محمد صالح الهرماسي، مقارنة في إشكالية الهوية. المغرب العربي المعاصر. ط: 1. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 2001.

الكتاب أن ما كان يعد في زمن الاستعمار انتهاكا للهوية ولاسيما ما يتعلق بالدين واللغة، غدا في زمن الاستقلال أمرا عاديا يلقي التشجيع من السلطة السياسية ذاتها؟ فكيف غيرت الأيديولوجيات الوطنية لبوسها وهي التي كانت تتصدى للاستعمار.

أما النتائج التي انتهى إليها الكتاب فخلصت إلى محاور قراءة الأوضاع الحالية في الأقطار المغربية بالذات، في محاولة لفك اللغز المحيط بأزمتهما. والوقوف على الخلفية الكامنة وراء الأسباب التي تطفو على السطح من عنف وتناوب ورفض. كما يحاول الكتاب التعرف على طبيعة العلاقة بين الهوية العربية الإسلامية والخصوصية المغاربية، وهي علاقة تكامل أم تنافر. كما ينتهي الكتاب إلى أن نخب المغاربة لم تعترف بالهوية على أنها أساس الوجود، وأنها تمتلك طاقة الإبداع والتجديد، وإنما اعتبرتها شكلا ثقافيا تقليديا. وتغاضت هذه النخب عن حقيقة أن الهوية في أبعادها الإسلامية ليست رفضا للأخر بقدر ما هي تأكيد للذات.

6 . دراسة حسن عبد الله العايد¹. تناول الكاتب في مؤلفه الجانب الثقافي وتأثره بالعمولة من عدة نواح ومن عدة مداخل تربطها علاقة مباشرة بهذه الجوانب. مثل صراع الحضارات وحوار الثقافات والثقافة الوطنية والعمولة، وكذلك الثقافة العربية القومية والعمولة من خلال تتبع آثار العمولة في مجالات الثقافة الشمولية. والتي تحدد أنماط العيش وأسلوب الحياة المعنية بخلق عادات وتقاليد جديدة من خلال ضخ العمولة لها، لتشكيل قيم جديدة تفرض ثقافة مغتربة تعريية "مؤمركة" لتسهيل تسويق الثقافة الاستهلاكية. والعمولة الثقافية ليست ضد العرب والمسلمين وحدهم، وإنما هي موجهة ضد جميع الثقافات والحضارات الحية كالصينية والهندية والأفريقية والفرنسية. وقد يسر هذه الأمور وجود التكنولوجيا الاتصالية وتقدمها وتطورها حيث أصبحت الثقافة محمولة عبرها.

أما النتائج التي انتهى إليها الكتاب؛ فيرى أن الثقافة العربية تتعرض لخطر كبير بفعل ظاهرة العمولة، إذ تمثل العمولة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة للثقافة العربية. وهذه الخطورة لا تأتي من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العمولة فحسب، وإنما من الآليات والأدوات التي تستخدم لغرضها. فالعمولة ظاهرة تقفز على الدولة والوطن والأمة، وتعمل على إضعاف الدولة والتخفيف من حضورها مما يقود إلى استنهاض الأطر التقليدية السابقة على الدولة، كالانتماء للقبيلة والطائفة والتعصب المذهبي بقصد تمزيق المجتمع والقضاء على الهوية القومية والوطنية.

7 . دراسة تركي الحمد². يرى الكتاب بأن وسائلنا الثقافية التقليدية لم تعد ناجعة ولا نسبيا كما كان الحال سابقا، فثقافة ثورة الاتصالات والمعلومات لا تعترف بالحواجر أو القيود مهما كانت محكمة. كما أن ثقافتنا الذاتية في شكلها النموذجي المتعال التي نحاول حمايتها من عبث هذا العفرير الجديد، ليست شيئا واضحا ومحددا بدقة كما الثقافة التقنية لهذا العصر، فهي أي ثقافتنا الذاتية المتصورة، هلامية الشكل زئبقية المضمون نخبوية الإنتاج والاستهلاك، بنية لفظية بيانية لا تتواءم مع عملية وعلمية ومحسوسة الثقافة العالمية المعاصرة. وحتى ولو كانت

¹ - حسن عبد الله العايد، أثر العمولة في الثقافة العربية. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية، 2004.

² - تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العمولة. ط: 1. بيروت: دار الساقى، 1999.

واضحة المعالم والحدود فإن ثقافتنا كما هي متصورة نموذجيا ونخبويا غير قادرة بصريح العبارة على منافسة الثقافة التقنية المعاصرة. إذ كيف يمكن لمفاهيم قائمة على سحر البيان أن تنافس مفاهيم قائمة على دقة المعلومات، في عالم تحول على شبكة من التقنية في كل تفاصيلها.

وأما النتائج التي خلص إليها الكتاب فقول الكاتب: أنه إن كان هناك مفاتيح نتلمس من خلالها حلولاً " لمعضلتنا الحضارية " إن كانت معضلة واحدة فقط ، فقد يكون أحد هذه المفاتيح هو رفع الوصاية النخبوية المتعالية عن ثقافتنا الذاتية. وتحقيق نوع من القطيعة المعرفية مع تلك الآليات الفكرية التي لا تنتج لنا إلا نماذج ثقافية أفلاطونية مفارقة على حساب المتغيرات الفاعلة. نحن بحاجة . يقول الكاتب . إلى أشبه ما يكون بثورة " كوبرنيكوسية" ثقافية تعيد تعديل المعادلة الثقافية بين النص النظري والفعل الاجتماعي.

8 . أعمال المؤتمر الدولي " الأمة و أزمة الثقافة والتنمية".¹ وكان موضوع المؤتمر أحد أهم مجالات

الدراسات الحضارية. وتتأسس فكرته الأساسية على ما للحضارة الإسلامية من طبيعة ثقافية خاصة متميزة، تستمد جذورها من الإسلام وتاريخ الأمة الإسلامية وتراثها. فالثقافة كقيم وتقاليد وقدرات شخصية تؤثر وتتأثر بالبيئة وطبيعتها وإمكاناتها وتحدياتها. كما أن طبيعة الأهداف والقيم والمبادئ والتقاليد لأي ثقافة هي التي تشكل طبيعة الحضارة وتسبغها بصبغتها وتعطيها شخصيتها المتميزة؛ ولذلك فإن أي فهم للأمم وحضارتها وما تشهده من إيجابيات وسلبيات وما تحققه من تقدم أو تنتهي إليه من تحلف أو انحيار لا يكون إلا بفهم ثقافة الأمة وما تمثله جذورها من قيم ومبادئ وتقاليد وتراث وذاكرة وتجربة.

وإذا أردنا فهم الحضارة الإسلامية في ماضيها الزاهر أو حاضرها المتدهور، لا بد لنا من دراسة متعمقة لشخصية الأمة وجذورها الثقافية. وفي صدّد البحث عن الأسباب فإن من المهم أن نميز بين الإسلام ومساهمته

الإيجابية في بناء الأمة ومقاومة عوامل التدهور في أوضاعها، وبين ثقافة الأمة وما تحمله من عوامل تفكيك بدلا من أن تكون عوامل توحيد. وعلى هذا الأساس إنبتت فكرة المؤتمر الدولي " الأمة وأزمة الثقافة والتنمية".

وانقسمت بحوث أعمال المؤتمر بين محورين: الأول نظري يتناول إشكالية المفاهيم والتحديات والمعايير والقيم. والمحور الثاني تطبيقي يتناول خبرات وتجارب تنمية في العالم الإسلامي.

9 . أعمال الملتقى الدولي في الجزائر "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية": وذلك في إطار الملتقيات

الدورية التي ينظمها المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر بمشاركة نخبة من أساتذة الجامعات والمفكرين والباحثين في العلوم

¹ . أعمال المؤتمر الدولي " الأمة و أزمة الثقافة والتنمية " ط:1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة، 2007. والذي عقد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 06. 09 ديسمبر، 2004.

الإسلامية والإنسانية. وكان موضوع المؤتمر حول ظاهرة العولمة والثقافة الإسلامية، وتأثيرات العولمة في مجالات: التاريخ الإسلامي، واللغة العربية، والشريعة الإسلامية، والتربية والتعليم والإعلام.

أما النتائج التي انتهت إليها المؤتمر فالدعوة إلى التفتح على الثقافات واللغات الحية المختلفة، إثراء للثقافة الإسلامية وتجسيدها للميزة العلمية للحضارة الإسلامية. كما انتهى المؤتمر إلى دعوة الجامعات العربية والإسلامية ومراكز البحوث العلمية إلى دراسة اتجاهات العولمة وآثارها المختلفة في شتى المجالات الحيوية، والتدقيق المستمر للمفاهيم والمناهج التحليلية، والانتفاع بالدراسات التخصصية في مجال تبادل الخبرات العلمية والتحليل التي تكشف الجوانب السلبية للعولمة.

المحور الثالث: الدراسات التي تناولت الثقافة والإعلام ومنه الصحافة العربية في عصر العولمة.

وتم فيه الاهتمام بدراسة وسائل الإعلام و دورها في عملية العولمة، انطلاقاً من أهمية دور وسائل الإعلام في ترويج وخلق التفاهم الدولي ونشر الثقافات المختلفة. ولذا تتم تناول العلاقة بين العولمة ووسائل الإعلام من نوعين من الدراسات؛ الكتب والدوريات.

1 . دراسة منال أبو الحسن.¹ تعرضت الكاتبة في بحثها للعديد من الدراسات الإعلامية التي توضح مدى تأثير وسائل الإعلام على المجتمع في فئات متعددة، منها الأطفال، والأسرة والشباب، والمرأة. والكتاب يتناسب مع المستجدات الحديثة لوسائل الإعلام والاتصال وما تضمنها من ظهور نظريات حديثة لاستخدامات هذه التكنولوجيا وأثارها على المجتمع.

أما النتائج التي انتهت لها الكاتبة من خلال دراستها للموضوع، أن الإعلام يحمل عناصر أساسية للاتصال، ولا يمكن أن يتم بدون مجتمع يوجه إليه رسالة من خلال استخدام وسائل إعلامية عديدة تتطور بتطور تقنياتها، وإنما يستخدمها جمهور معين فلأن هذا المجال لا يمكن أن ينفك عن المجال الاجتماعي وعلم الاجتماع. كما انتهت الكاتبة إلى تطور وسائل الاتصال الحديثة يحدث معه تغيرات في النسق الاجتماعي، وتغير في طريقة إرسال الرسالة واستقبالها وطرق التأثير على الجمهور. وتطور كذلك الرؤية النظرية لهذه الأنساق الحديثة، وهذا التطور لا تنفصل عن أصولها أو عناصر الاتصال الأساسية. وربما دعا ذلك إلى تسمية المجتمعات بخصائص هذه التقنيات الاتصالية، حيث يذهب البعض إلى تسمية المجتمعات الحديثة بالمجتمعات الرقمية.

2 . دراسة محمد شومان ضمن كتاب " التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة في الوطن العربي"²: إذ يذهب الكاتب إلى أن الاهتمام بتحليل عملية عولمة الإعلام قليلة في حقل الدراسات الإعلامية. كما

¹ . منال أبو الحسن، أساسيات علم الاجتماع الإعلامي. النظرية والوظائف والتأثيرات. ط:1. القاهرة: دار النشر للجامعات، 2007.

² . محمد شومان، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والمخاطر ». ورقة ضمن كتاب: التكامل بين أجهزة الإعلام و أجهزة الثقافة في الوطن العربي. تأليف نخبة من الباحثين العرب. تونس: إدارة الإعلام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1984.

يجب الاهتمام بالنقاش وإعادة النظر في بعض المقولات والمسلمات التي سادت بشأن فرص أو مخاطر عولمة الإعلام على الهوية الثقافية العربية. وسعى الكاتب أيضا إلى تحليل عملية عولمة الإعلام بالتركيز على أهم الأبعاد المكونة لها، ثم مناقشة مجموعة من الإشكاليات الخاصة بآثار ونتائج عولمة الإعلام. وأخيرا النظر في الفرص والتحديات التي تطرحها عملية التفاعل مع عولمة الإعلام على الهوية الثقافية العربية وسبل مواجهتها.

أما النتائج التي انتهى لها الكاتب من خلال دراسته؛ اقتراحه فتح حوار جاد تشارك فيه كل فعاليات المجتمع العربي، خاصة قوى المجتمع المدني. والاتفاق على أسس وضوابط ثقافية لعملية التفاعل بين الثقافة العربية وعملية العولمة في الإعلام. وقد اقترح المؤلف الأسس التالية:

- أ . دعم الهوية الثقافية العربية وتنميتها من خلال تعميم الديمقراطية وتطوير النظم التعليمية واحترام حقوق الإنسان العربي. واحترام ودعم التنوع الثقافي العربي في إطار وحدة الثقافة العربية.
- ب . تعظيم المشاركة الايجابية للثقافة العربية في استخدام تكنولوجيا الاتصال وإعلام والمعلوماتية. ويتطلب ذلك تطوير القدرات الاتصالية والإعلامية والمعلوماتية العربية.
- ج . قيام المثقفين العرب بدورهم في التوعية بمخاطر عولمة الإعلام، والسعي في الوقت نفسه للاستفادة من الفرص التي تتيحها و تعظيم مشاركتهم فيها.
- د . قيام المثقفين العرب بدورهم بالتوعية بمخاطر عولمة الإعلام، والسعي في الوقت نفسه بالاستفادة من الفرص التي تتيحها، وتعظيم مشاركتهم فيها.
- هـ . العمل على المستوى الدولي من أجل ترسيخ مبدأ التعددية الثقافية واحترام كل الثقافات.
- و - اتخاذ إجراءات حمائية على غرار ما فعلته الدول الأوروبية.

3 . دراسة صالح خليل أبو الأصبع¹ انتهجت دراسة الكاتب الخطوات التالية:

- . تحديد المفاهيم موضع الدراسة.
- . تحديد ثوابت الثقافة ومتغيراتها.
- . تحديد ثوابت الإعلام ومتغيراته.
- . دراسة العلاقة بين الثقافة والإعلام.

أما النتائج فقد انتهى الكاتب إلى أن الالتزام بالثوابت في مجال الثقافة والإعلام، والنضال من أجل الالتزام بهذه الثوابت الممثلة في الحرية والصدق والأصالة وحق الاتصال، إنما تمثل شرطا أساسيا للنهوض القومي. وعلى الرغم

¹ . صالح خليل أبو الأصبع، تحديات الإعلام العربي. المصادقية، الحرية، التنمية، الهيمنة الثقافية. دراسة في الإعلام. ط:1. عمات . الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع، 1999.

مما نراه من قنّامة الواقع، إلا أن المؤلف يرى بأن المستقبل هو ، وأن أصالة الثقافة العربية تجعلها قادرة على تجاوز المحن في القرن الحادي والعشرين. ودعا الكاتب الأمة العربية إلى قيام تنسيق وتكامل بين وسائل الإعلام ووسائل الثقافة في كل قطر وعلى نطاق الوطن العربي، بحيث تكمل وسائل الإعلام المهمات الثقافية المطروحة. وأن يراعى تخطيط مركزي لهذا التكامل، تجنباً لازدواجية العمل، ووصولاً إلى تعزيز الذاتية الثقافية وتعميقها وشموليتها.

4. دراسة حسن مدن¹: وعنوان الكتاب ينطوي على بعض الالتباسات جمعها المؤلف فيما يلي:

أ. هل يجوز التعاطي مع الإعلام بوصفه مجرد حامل أو ناقل أو موصل للثقافة فقط؟ وتعبير آخر هل الثقافة هي الغاية، والإعلام ليس أكثر من وسيلة لهذه الغاية بين المنتج والمتلقي؟ أليس من الإجحاف بحق الإعلام أن نقلص دوره إلى هذه الحدود ليصبح مجرد وسيط بين الثقافة والجمهور، وأن نتجاهل المهام والوظائف التي يؤديها الإعلام وهي كثيرة كما نعلم.

ب. عنوان الورقة يتضمن سلفاً وبصورة قبلية اتهام الإعلام حين يفترض أن الإعلام في مواجهة مع الثقافة، أو أنه بأقل تقدير لا يؤدي وظائفه كما يجب في إيصال الثقافة إلى الجمهور.

ج. إذا كان قد حددنا للإعلام مهمة الوسيط أو الناقل للثقافة، ألا نكون ضمناً قد برأناه من تهمة التقصير، فهو ليس سوى وسيط وما على الوسيط إلا البلاغ. فإذا كان هناك خلل في المادة التي يقدمها هذا الوسيط فليس هو الذي يتحمل مسؤولية ذلك طالما أن دوره لا يتجاوز إيصال ما ينته المبدعون والمثقفون إلى الجمهور.

د. السؤال أعلاه يقودنا. يقول الكاتب. إلى سؤال أكثر عمقا فيما نراه وهو: ألن يكون الانحياز للثقافة في هذه الحالة انحياز أعمى، حين نفترض بأن كل ما ينطوي تحت عنوان الثقافة أمر جيد وخير؟ أليس من الخطأ تجاهل أن الثقافة هي في حقيقة الأمر مجموعة ثقافات بينها الغث وبينها السمين. بينها المنتصر للمستقبل وللجمال والنبل والحق، وبينها المبشر بالعنف والتبجح والظلم والرديلة. إن مجموعة هذه الأسئلة وربما أسئلة أخرى تفصيلية تدرج في ذات السياق ساعدت الكاتب على تحديد موضوع الورقة المقدمة.

أما النتائج التي انتهى لها الكاتب فهي العلاقة غير السوية بين المثقف والإعلامي وبين الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الثقافية. فالإعلامي يريد من المثقف أن يخضع لشروطه كما أن المثقف يريد أن يكون الإعلامي تابعا له. ولعل أبلغ تشبيه للفرق بين الاثنين هو ذلك الذي أورده **مصطفى المصمودي** قائلاً: «إذا كانت أجهزة الثقافة بمنزلة الحرفي التقليدي كالنجار والحديد والنقاش يسعى إلى الكيف أكثر من الكم، فإن أجهزة الإعلام تكون أشبه بالآلة الصانعة التي لا تعتبر إلا الكم انطلاقاً من نموذج قياس موحد. ولأن التوفيق بين الأمرين مستعص فإنه إما يجري

¹ حسن مدن، «الإعلام كحامل للثقافة». ورقة ضمن كتاب: ثقافة الإعلام و إعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام،

ترويض المثقف، وكم خسرت الثقافة من المبدعين الذين ابتلعتهم المؤسسات الإعلامية وصيرتهم (برغيا) في ترسها الذي لا يتوقف عن الدوران. وإما أن يتفاهم الخصام وتزداد الفجوة بين الطرفين»¹.

5 . دراسة عبد المجيد البدوي² والذي يرى أن الإعلام صار يمثل رهانا من أهم رهانات العولمة وآلياتها في تعميم الثقافة الغربية ونشرها. وأن عولمة الثقافة في مكوناتها الإعلامي والاتصالي قد شغلت حيزا هاما من الجدل الفكري والسياسي. ويرى الكاتب أن عولمة الثقافة ستصطدم بمحازر قوي هو الإنسان. وهذا المحازر الجبار يجعل من قابلية الثقافة للعولمة ضعيفة محدودة.

وخلاصة ما ذهب إليه الكاتب من نتائج أن عولمة الثقافة باعتبارها أيديولوجية التجانس الكلي إن صح قول ذلك، فإن طريق العولمة الثقافية إلى الانتشار وعرة رغم كل المؤشرات الدالة على تمكن بوادرها من الإنسانية عامة. لأنها تصطدم بالإنسان الفرد في أعماق محددات كيانه وهويته رغم المغريات وعالم الأوهام. بالإضافة إلى أن أكبر عائق يحول دون عولمة فعلية للثقافة إلى جانب الإنسان هو ثبات الثنائية الثقافية القائمة على طريقي العلم والدين والتي نجد لها حضورا هاما عند بعض الشعوب الشرقية؛ هذا الثبات يساهم إلى حد كبير في تغييب التنازل عن الموقع والتسامح في التعامل والتشارك في الفعل لأسباب عليقة بتصور كل طرف.

6 . دراسة عواطف عبد الرحمن³ حيث تتمحور الدراسة حول إعادة النظر في المفاهيم والنظريات والسياسات التي سادت في مجتمعات العالم الثالث في مجال التنمية والاتصال. كذلك تبرز الدراسة ومن الناحية الواقعية أن التدفق التكنولوجي يمارس في اتجاه رأسي أحادي الجانب، ويتجه من الشمال إلى الجنوب لصالح الدول الصناعية المتطورة. كذلك تبرز مشكلة الدول النامية في عدم اختيار التكنولوجيا الملائمة لاحتياجاتها ومواردها وخلفيتها الحضارية. وهذا يدفع إلى اكتشاف حقيقة أخرى هامة، وهي أن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على المؤسسات العلمية التي تسهم في صنع القرار الخاص باستيراد التكنولوجيا. وهذا يؤدي بالتالي إلى تبعية أغلب العلماء والأبحاث العلمية في العالم الثالث لمراكز البحوث الأجنبية.

أما النتائج التي انتهت لها الكاتبة فهي محاولتها تقديم رؤية بديلة للنظريات التي أدت إلى تكريس التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، وقد ركزت فيها على ثلاثة محاور رئيسية كالتالي:

أ . محور التبعية الثقافية والإعلامية من جانب العالم الثالث للعالم الرأسمالي الصناعي المتقدم.
ب . محور الاستقلال الإعلامي الذي برزت ملامحه على المستوى الدولي فيما عرف بمشروع النظام العالمي الجديد.

ج . محور الصحافة مع عدم تجاهل وسائل الإعلام الأخرى سواء المسموعة أو المرئية.

¹ - مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد. سلسلة عالم المعرفة. ط: بلا. الكويت: مطابع الرسالة، 1985. ص 201.

² . عبد المجيد البدوي، «العولمة الثقافية و وسائل الاتصال الجماهيري». مجلة الإذاعات العربية. العدد 03، 2001.

³ . عواطف عبد الرحمن، « قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث ». عالم الفكر (الكويت)، مطابع الرسالة، 1984.

7. أعمال مؤتمر الإعلام العربي وتحديات المستقبل¹ حيث عقد المؤتمر في القاهرة في مبنى الأمانة

العامة لجامعة الدول العربية. وتم فيه مناقشة عدة أوراق بحثية تدور حول العلاقة بين العولمة ووسائل الإعلام في الوطن العربي. فعلى سبيل المثال قدمت دراسة حول أبعاد العولمة وإعادة هيكلة وسائل الإعلام، ودراسة أخرى حول "عولمة مصادر الإعلام وانعكاساتها على تدفق الأخبار الأجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية ومصر". ولقد أكدت كل هذه الدراسات في نتائجها على العلاقة الوثيقة بين وسائل الإعلام والعولمة بمظاهرها المتعددة. وأن تأثير العولمة امتد إلى كل جوانب العمليات والممارسات الإعلامية.

أهم مؤشرات الدراسات السابقة

إذا نظرنا من خلال هذا الاستعراض السردى الشامل للعديد من الدراسات والأبحاث السابقة التي تناولت هذا الموضوع، ومدى إحاطتها لمضمون المحاور السابقة وصفا وتحليلا وتطبيقا. فإننا يمكن تلخيص أهم المؤشرات فيما يلي:

1. إن للعولمة تأثيرات على مختلف المستويات كما اتضح من الدراسات السابقة، و لاسيما انعكاساتها في مجال الإعلام والثقافة. وهذا يدفعنا إلى ضرورة دراسة طبيعة تناول وسائل الإعلام لمفهوم العولمة و مظاهرها وأبعادها وآثارها وخصوصا الثقافية.

2. يظهر لنا فيض الدراسات التي تحلل ظاهرة العولمة بأبعادها و لاسيما الثقافية والإعلامية. إذ نلاحظ أن هذه الظاهرة قد استقطبت العديد من مفكرينا بشتى تخصصاتهم واهتماماتهم. وقد أخذت هذه البحوث بغزارتها تتعدى صفة الوصف والتحليل لعناصر العولمة إلى طرح الحلول والافتراحات، ليس لمجابهة هذه الظاهرة الكونية ومصارعتها، وإنما للمشاركة معها في صنع خيوطها المستقبلية. لما تمتلكه الأمة العربية الإسلامية من رصيد ثقافي تاريخي ضخم يمكنها من تحقيق الندية لتلك الأمم المتطورة.

3. أكدت الدراسات السابقة ما للعولمة الثقافية من آثار سلبية شديدة الأثر على مستوى الثقافة العربية الإسلامية ومنظومتنا الفكرية المعاصرة. إذ خدشت قداسة القيم عندنا وجزأت هويتنا وأخرت اللغة العربية واحتقرت منظومة التربية العربية الإسلامية وشككت في التراث. وذلك كله في ظل العولمة الإعلامية الجديدة المتفوقة في آلياتها وأساليبها.

4. أجمعت الدراسات السابقة على وجوب تطوير الإعلام العربي وفق سياسة إعلامية عربية موحدة، تشرف عليها هيئات فكرية واعية قادرة على تشخيص الواقع الإيديولوجي للقوى العالمية، وما يواكب ذلك من تطور تكنولوجي مذهل قادر ببريقه جر الثقافة العربية إلى الهاوية.

¹ . أعمال مؤتمر الإعلام العربي وتحديات المستقبل يوم 11/أبريل/ 1999 نظمته معهد البحوث والدراسات العربية. ونشرت أوراقه في مجلة البحوث

5 . ذهبت الدراسات إلى ضرورة إعادة صياغة دور الإعلام العربي في تعامله مع قضايا الثقافة الإسلامية، وتحسين الإنسان العربي ثقافيا باعتبار أن لوسائل الإعلام كمصادر للمعلومات دورا واضحا في التأثير المعرفي على المتلقين. فالإعلام عموما بوسائله خط الدفاع الأول أمام التيارات المتلاطمة التي تحاول زعزعة قيمه وشخصيته وهويته.

6 . قلة الدراسات الإعلامية وحتى الفكرية بل ندرتها حول معالجة الصحافة العربية المكتوبة لموضوع الثقافة الإسلامية في ضوء العولمة الثقافية. فرغم تنقل الباحثة الواسع عبر المكتبات الوطنية والعربية، وفي فترة ليست بالقصيرة، فإنني لم أعثر على دراسة واحد تمكيني من اعتمادها كأساس لأطروحتي. وكل ما حصدته من مطالعتي للدراسات السابقة، كان تسجيلي لكثير من البحوث التي كتبت حول وسائل الاتصال الأخرى ولاسيما التلفزيون. وآثار العولمة على خصوصياتنا الثقافية العربية من خلال هذه الوسائل. مما جعل الباحثة تسجل على الدراسات العربية الإعلامية الراهنة إهمالها الشديد لمثل هذه الموضوعات التي تعالج قضاياها في الثقافة الإسلامية عبر وسيلة الصحافة المكتوبة. وذلك لما للصحافة المكتوبة من سلطة تحكيمية توجيهية على ذهنية القارئ وسلوكه. أو ما لموضوع الثقافة الإسلامية من محورية ومركزية في قضية الثقافة العربية، لشدة التلازم بين المنظومتين العربية والإسلامية. إن لهذا الوضع التأليفي المتردي عواقبه الشديدة الأثر إن على مستوى الطرح لمشكلة الثقافة العربية في هذا العصر، أو على مستوى المعالجة واقتراح الحلول لمستقبل أفضل لمنظومتنا الثقافية العربية الإسلامية.

7 . عدم وجود دراسات تحليلية حول مضمون المواد الإعلامية المرتبطة بموضوع الدراسة في وسيلة الصحافة المكتوبة، مما عسر من مهمة الباحثة أشد العسر. فقد غلب في عموم الدراسات الإعلامية الطابع النظري التفكيكي دون دخول مغامرة التجربة التحليلية أو الميدانية مما دفعني إلى استبعاد ذكر كثيرا من الدراسات تفصيلا واكتفيت باستعراض سريع لها.

سابعا: الدراسة الاستطلاعية

ترجع أهمية الدراسة الاستطلاعية كما يقول محمد زيان عمر إلى أنها: « تساعد على الوصول على معرفة شاملة تبصر الباحث لمتغيرات جديدة، كما تعينه على استبصار المتغيرات المتداخلة في الموقف».¹

ونظرا للحدثة النسبية لموضوع الدراسة، وعدم وجود مصادر علمية كافية لإجراء الدراسة التحليلية. فقد تم تعميق التعرف على أبعاد مشكلة الدراسة من خلال دراسة استطلاعية على عينة من المواد التحريرية التي نشرت في صحف الدراسة (صحيفة الشروق اليومي والخبر الجزائريتان، وصحيفة الأهرام المصرية، وصحيفة تشرين السورية، وصحيفة الرأي العام الكويتية)، عن الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في الفترة الممتدة من: مارس 2001 إلى مارس 2002 م.

¹ . محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002. ص 131 . 132.

ثامنا: منهج الدراسة

تندرج هذه الدراسة تحت فئة **البحوث الوصفية**. وقد ناسب ذلك الأطر العامة الأساسية التي اخترتها لهذا البحث. إذ حدد السياق الزمني كما ذكرنا بالحقبة المعاصرة لاعتبارات واقعية كشف عنها في صفحات الإشكالية، وتكشف عنها بدقة هذه الدراسة. وحددت الثقافة الإسلامية العربية الحالية والثقافة العالمية الوافدة في إطارها الإعلامي ثمرة هذه الحقبة الزمنية بالبيئة التي تكون محل التحليل والوصف. فالبحث الإعلامي بهذا المنهج وفي هذا الموضوع سيكون بحثا عرضيا لا طويلا، نصف ما فيه من ظواهر إعلامية مختلفة، وندرس ونسجل الواقع الإعلامي المقروء فيما يرتبط بمستوى الثقافة العالمية وتأثيراتها على الثقافة الإسلامية تسجيلا أميناً.

كذلك تهدف الدراسات الوصفية إلى تصوير خصائص مجموعة معينة أو مواقف معينة يغلب عليها صفة التحديد. وتعمل على تقويمها أو دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة الظواهر وخصائصها أو الأحداث، وذلك بهدف الحصول على المعلومات الدقيقة والكافية حولها دون التدخل في أسبابها أو التحكم فيها.¹

و في هذا الإطار يستخدم **منهج المسح** الذي يعد من أهم المناهج المستخدمة في مجال دراستنا، وهو شكل من أشكال التجميع المنظم للبيانات بغرض الوصف أو التنبؤ بفعل معين أو بغرض تحليل العلاقات بين المتغيرات والوصول إلى النتائج التفسيرية.²

وفي إطار منهج المسح تستخدم هذه الدراسة أسلوب **تحليل المضمون** وهو وصف المضمون الظاهر للرسالة الإعلامية وصفا موضوعيا كميًا منتظماً.³ ويستخدم تحليل المضمون لتحليل المواد التحريرية المنشورة عن موضوعات العولمة والثقافة الإسلامية وقضاياها في عصر المعلوماتية في جرائد الدراسة وذلك بهدف كشف وفحص المتغيرات التي تتضمنها الدراسة.

كذلك من مرامي هذا البحث عند تحليل مضمون الصحف العربية أن نجري في الأخير تحليل المحتوى المقارن أي المقارنة بين نتائج كل من الصحف من حيث طبيعة البحث.⁴

تاسعا: أداة الدراسة (أداة جمع البيانات).

¹ . أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه. ط: 9. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1995. ص13.

² . السيد أحمد مصطفى، البحث الإعلامي مفهومه وإجراءاته و مناهجه. ط: 1. بنغازي: منشورات جامعة قارونوس، 1994. ص 237.

³ . محمد الوفاي، منهج البحث في الدراسات الاجتماعية و الإعلامية . ط: بلا. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1989. ص149.

⁴ . انظر يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين و الطلبة الجامعيين. ط: 1. الجزائر: السيج كوم، 2007. ص78.

تتطلب الدراسة استخدام استمارة تحليل المضمون¹ كأداة يقوم الباحث من خلالها برصد معدلات تكرار البيانات التي يحصل عليها من تحليل مضمون المواد الإعلامية التي تعرضها الصحف العربية حول الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صفحاتها الثقافية المتخصصة أثناء فترة الدراسة وذلك بهدف التعرف على الصورة العامة التي تعكسها هذه الصحف عن الثقافة الإسلامية من خلال الإجابات على تساؤلات الدراسة.

وحتى يمكن التأكد أن هذه الأداة تقيس ما هو مطلوب قياسه فعلا، ومن أنها تفي بأهداف الدراسة وتتمكن من الإجابة على تساؤلاتها بشكل دقيق وكامل، فقد قامت الباحثة أولا بدراسة استكشافية على عينة من المادة الصحفية للاستعانة بها في تصميم استمارة التحليل، ومن ثم سيتم اللجوء إلى السادة المتخصصين والخبراء في مجال الدراسة وعرض الاستمارة عليهم. ومن ثم الحكم على مدى ملاءمتها والأخذ بتوجيهاتهم حتى يتم الاستقرار على تصميم الاستمارة بشكلها النهائي.

وعلى ضوء تساؤلات الدراسة تشمل استمارة التحليل على البيانات التالية:

. اسم الصحيفة الخاضعة للتحليل.

. مكان صدور الصحيفة.

. تاريخ صدور العدد.

. رقم العدد.

. عدد الصفحات.

. الرقم المسلسل للموضوعات.

. فئات التحليل: وتشمل الفئات التالية:

أ. فئات المضمون:

. فئة موضوع الاتصال وتحليل المحتوى.

1 . موضوع الدين الإسلامي والعولمة.

2 . موضوع الفكر الإسلامي .

3 . موضوع قضية الهوية الثقافية والخصوصية.

4 . موضوع قضية نظام القيم في الثقافة الإسلامية.

5 . موضوع العولمة وقضية اللغة العربية في منظومة الثقافة الإسلامية.

¹ . اعتمدت الباحثة في تصميم صحيفة تحليل المضمون على المراجع الآتية:

. سمير محمد حسين، مرجع سابق. ص 108.

. محمد الوفايي، مرجع سابق. ص 158 . 160.

. يوسف تمار، مرجع سابق. ص 57.

- 6 . موضوع قضية التربية ومحورتها.
- 7 . موضوع قضية موضوع التراث ومركزيتها.
- 8 . موضوع قضايا البعد الثقافي للعملة.
- 9 . موضوع تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها
- 10 . سياق المضمون.
- 11 . المفهوم والتعريف.
- 12 . التوازن في التغطية.
- 13 . الاتجاه نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها.
- 14 . الفاعلون.
- 15 . المصادر الإعلامية.
- 16 . المجال الجغرافي في التغطية.

ب . فئات الشكل:

- 1 . فئة الشكل الصحفي للمادة التحريرية.
- 2 . فئة عوامل الإبراز.
- 3 . فئات مشيرات قيمة المحتوى:
 - أ . موقع المادة التحريرية من الصفحة.
 - ب . نوع العنوان واتساعه.
 - ج . مساحة النشر.

عاشرا: إجراءات الدراسة التحليلية

مجتمع الدراسة واختيار العينات:

قامت الباحثة بتحليل الموضوعات المتعلقة بالعملة ومظاهرها وانعكاساتها على قضايا الثقافة الإسلامية المشكلة لمنظومة الثقافة، ومدى موقع هذه القضايا من وسيلة الصحافة العربية المكتوبة في ظل نتائج العملة. ومن هنا تم تحديد مجتمع الدراسة في الجرائد العربية على النحو التالي: صحيفتا الشروق اليومي والخبر الجزائريتان، وجريدة الأهرام المصرية، وجريدة تشرين السورية، وجريدة الرأي العام الكويتية. أي جميع المواد التحريرية المنشورة حول قضايا الثقافة الإسلامية في صفحة " الثقافة " المتخصصة وموقع ذلك من الصحف في ظل العملة ومظاهرها.

وأما الفترة الزمنية فقد تم تحديد العينة المناسبة من مجتمع الدراسة في الفترة من: مارس 2001م إلى مارس 2002م. وهذه الفترة تعد بدايات التحول الفعلي المعلن نحو تطبيق آليات العولمة على شعوب العالم، ومؤشر لتطبيق النظام العالمي الجديد حيث برزت العولمة على السطح بالدعوة إليها وتطبيق آلياتها على شعوب العالم وخصوصا المنطقة العربية.

وقد كان اختيارنا لهذه الفترة الزمنية مقصودا إذ جعلنا فترة أحداث 11 سبتمبر 2001م في وسط زمن الدراسة، لأن مؤشر الكتابة الصحفية والاهتمام بأحداث العولمة عند الكتاب والصحفيين و أثرها في الثقافة الإسلامية قد يكون مرتفعا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م والإعلان عن تطبيق النظام العالمي الجديد. لذلك خصصت نصف فترة الدراسة لبحث موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة وذلك قبل أحداث أيلول 2001م لتمكين من رصد كل التغيرات في مفهوم عناصر الثقافة الإسلامية وقضاياها. فجاءت الدراسة لتشمل الصفحات الثقافية للجرائد الخمس في الفترة المذكورة.

. أسباب الاختيار:

أخذت الباحثة حين اختيارها مجتمع البحث وعينته في الاعتبار عدة عوامل:

- . مراعاة التقسيم الجغرافي لمناطق الوطن العربي، حيث المنطقة مستهدفة من القوى الكبرى الغربية. فجاءت العينة ممثلة للصحف العربية.
- . إمكانية اطلاع الباحثة على تلك الصحف من خلال تواجدها في كل من سوريا ومصر، واستعانتهما بأرشفة تلك الصحف بالمكتبة الوطنية بدمشق.
- . قامت الباحثة بمراعاة حجم توزيع الصحيفة في كل دولة وسعة انتشارها وأهميتها فيها.

وأما مبررات اختيار كل صحيفة على حدة فهي كما يلي:

1 . مبررات اختيار صحيفة الخبر الجزائرية:

هي يومية وطنية إخبارية تأسست قانونيا في الفاتح من شهر سبتمبر عام 1990م. صدر أول عدد لها في الفاتح من شهر نوفمبر من عام 1990م برأس مال قدر بثلاثين مليون وستمائة ألف سنتيما. والجريدة ذات أسهم تضم 18 سهما كلها لصحفيين مهنيين تقريبا، وجميعا متساوون في النسب. ولصحيفة الخبر مكاتب تغطي ولايات

الوطن جميعا. وتعد صحيفة الخبر من الجرائد الرائدة في الوطن، وسجلت في الآونة الأخيرة نسبة مرتفعة في عدد توزيعها وعدت من ضمن الصحف العربية الأكثر انتشارا وتوزيعا.¹

2. مبررات اختيار صحيفة الشروق اليومية الجزائرية:

تأسست جريدة الشروق الجزائرية المستقلة يوم 1 نوفمبر 2000 بعد تأسيس جريدة الخبر بعشر سنوات على يد 12 إعلاميا من القطاع العام. ومقرها الرئيسي بالجزائر العاصمة، ولا تلق الجريدة دعما ومساعدات من الدولة، وتعتمد على أداء الخدمات الإشهارية والمبيعات كمصدر مادي لها. وتتكون الجريدة من ثلاثة أقسام وهي:

1. الصفحة الأولى: وتتكون من العنوان والافتتاحية والأركان الثابتة في الصفحة الأولى.
2. الصفحات الداخلية: وتحتوي على أقسام الجريدة؛ قسم وطني، قسم دولي، قسم اجتماعي، ثقافي وغيرها.
3. الصفحة الخلفية: وتشمل خصوصا الصورة الكريكاتورية ومقاطع إخبارية مصغرة جامعة بين النقد والترفيه من أجل التعبير الجزئي حول أية قضية أو موضوع (ثقافية، رياضية، اجتماعية، سياسية..).

وقد خطت جريدة الشروق اليومية الجزائرية في سنوات قليلة خطوات عملاقة. وحققت سبقا صحافيا متميزا مقارنة بزميلاتها من جهة التوزيع والانتشار والتغطية والمقروئية لجميع طبقات الجمهور الجزائري (النخب، أصحاب المستويات الجامعية، كواد، موظفين، و العوام من القراء). كما تعتمد على العديد من المكاتب والممثلات في مختلف ولايات الوطن ومكاتب في الخارج. كما أوضحت الدراسة الاستطلاعية أنها تهتم بالشؤون والقضايا الثقافية الجادة بوجه خاص. ولعل سبب ذلك أنها محسوبة على التيار العروبي في الجزائر، حيث اتسعت الجبهة العربية الإسلامية في الجزائر منذ التسعينات من القرن الماضي، فناسب ذلك نشر الصحيفة مواد تحريرية حول قضايا الثقافة والثقافة الإسلامية لتكون أنسب نموذج يعالج موضوع الدراسة.

أما سبب اختياري لجرائد جزائرية فلأنني أردت في هذه الدراسة عينة وطنية أولا، وأيضا لأن الجريدتين تنتميان إلى منطقة المغرب العربي القريبة من أوروبا، حيث التدفق السريع لثقافة العولمة المؤثرة على قضايا الثقافة الإسلامية. وربما لأن شعوب المغرب العربي مُتَهَمَة في شعورها وانتمائها للثقافة العربية. فناسب كل ذلك أن خصصت جريدة الشروق اليومية والخبر الجزائريتين لبحث الفئات المرتبطة بالثقافة الإسلامية وقضاياها الفرعية.

3. مبررات اختيار صحيفة الأهرام المصرية:

صدرت جريدة الأهرام عام 1876م والتي تعد من أقدم الجرائد المصرية وأشهرها، وهي أول جريدة عربية تستمر بالصدور منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا. أسس جريدة الأهرام الأخوان اللبنانيان سليم¹ وبشارة² بعد حصولهما على موافقة الإصدار من الخديوي إسماعيل في 12/27/1875م.

¹ - <http://www.elkhabar.com>

واختلفت الروايات حول التاريخ الحقيقي لإصدار أول عدد من الأهرام عند تأسيسها. وتحولت بعد ذلك إلى صحيفة قومية حكومية رسمية بعد أن تحولت مع الصحف المصرية الأخرى إلى الملكية العامة بعد قيام ثورة 23 تموز 1952. وفي عام 1960 صدر قرار جمهوري بتحويل ارتباط الصحافة المصرية ومنها الأهرام بالإتحاد القومي.³ وامتازت صحيفة الأهرام عن غيرها من الصحف العربية بعدة خصائص:

. تعد صحيفة الأهرام شبه رسمية للدولة، وتأخذ على عاتقها تنفيذ توجهات صانعي القرار في السياسة المصرية، سواء كان على الصعيد الداخلي أم على الصعيد الخارجي. ولذا فهي تعكس الموقف الرسمي لمصر.
. تعد صحيفة الأهرام من أكثر الصحف المصرية توجهها إلى النخبة، وتعنى بتقديم خدمات صحفية متميزة تغطي إلى جانب الشؤون المحلية الشؤون الإقليمية والدولية.

. تستأثر الأهرام بنخبة من كبار الكتاب والمفكرين المصريين، إلى جانب كبار الصحفيين الذين يتزايد نفوذهم لدى الرأي العام من خلال ما يقدمونه من معالجة صحفية معمقة للأحداث في القضايا الهامة، وعلى رأسها العولمة.
. وبجانب كون جريدة الأهرام هي الصحيفة العربية الأكثر انتشارا تغطية ووصولاً لجمهور القراء في منطقة الشرق الأوسط وفي الوطن العربي، فهي تغطي اهتماما خاصا بموضوع العولمة ومظاهرها وقضاياها وتأثيراتها على الثقافة العربية والإسلامية على صفحاتها الثقافية، فكان ذلك أنسب من غيرها من الصحف العربية.

4. مبررات اختيار صحيفة تشرين السورية:

بمناسبة ذكرى حرب تشرين التحريرية أصدر الرئيس حافظ الأسد مرسوما تشريعا رقم 68 لعام 1975م يقضي بإصدار صحيفة سياسية بدمشق. ويمنح المرسوم المؤسسة " تشرين " صلاحية إصدار صحف ومجلات، ونشر الكتب السياسية والاجتماعية والثقافية.

وقد صدر العدد الأول من جريدة تشرين في 6 تشرين الأول أكتوبر 1975م في أربع صفحات وتوزيع يزيد عن 4500 نسخة يوميا وفقا لإحصاء عام 1978. ولكن سرعان ما ارتفع هذا الرقم في التوزيع ليصل إلى 25000 يوميا بعد مرور سنتين فقط من تاريخ إنشاء الصحيفة. وتعتبر تشرين من أحدث الصحف السورية متخذتا لنفسها شعار " حرية العرب في قوتهم ".⁴ ويمكن تلخيص أهم ما يتصل بالجريدة كما يلي:

¹. ولد سليم تقلا سنة 1849م في قرية " كفر شيما " ببلبنان، ... وقرر السفر إلى مصر خاصة بعد سماعه أنباء الثورة الفكرية والأدبية والعلمية التي بدأها الخديوي إسماعيل. توفي سنة 1892م (محمود أدهم، جريدة الأهرام وفن التحقيق الصحفي. القاهرة: دار الكتب للطباعة والنشر. 1985. ص 50).

². بشارة تقلا: ولد تقلا سنة 1852م في كفر شيما ببلبنان، درس في مدرسة عينطور الفرنسية. سافر إلى مصر والتحق بأخيه سليم عام 1876م لتأسيس جريدة الأهرام. وتوفي بشارة تقلا سنة 1901م (عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر منذ النشأة إلى منتصف القرن العشرين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002. ص 76).

³. محمد جمال عرفة، تاريخ الممارسات الصحفية في مصر. القاهرة: دار الهلال للتوزيع والنشر، 2001. ص 37.

⁴. محمد خليل الرفاعي، « العوامل المؤثرة على إخراج الصحافة السورية: دراسة تطبيقية مقارنة على الجرائد اليومية السورية؛ البحث، الثورة، تشرين » (رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2010). ص 31.

- . صحيفة تشرين صحيفة حكومية رسمية تعكس وجهة النظر الرسمية واتجاهات صناع القرار في سورية.
- . تعد صحيفة تشرين من أهم الصحف السورية وأوسعها انتشارا فهي توزع 55515 عددا.
- . تهتم صحيفة تشرين بشتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- . تهتم صحيفة تشرين بحكم توجهاته القومية بتقديم تفسيرات شاملة للأحداث والمواقف العربية والدولية.
- . تشغل قضية العولمة والثقافة حيزا كبيرا في جريدة تشرين، حيث عالج الكتاب والنخبة السورية آثار ذلك على الثقافة الإسلامية.

5. مبررات اختيار صحيفة الرأي العام الكويتية:

- . سعة الانتشار والتداول بين القراء الكويتيين.
- . الجرأة في طرح الجريدة لموضوعات العولمة والثقافة وما لهما من صلة بالواقع الإسلامي وثقافته.
- . الاتجاه الحرّ في المعالجة الصحفية لقضايا العولمة والثقافة مما يجعلها ميوأة لمكانة تحليلية عالية ضمن الفكر العربي الإسلامي المعاصر.

عينة الأيام المختارة:

تم اختيار عينة عشوائية دائرية بنائية شهرية (على طريقة الأسبوع الصناعي)، لتمثل الأيام التي ستجرى عليها الدراسة بين مارس 2001 إلى مارس 2002م. وهي تمثل 13 دورة خلال فترة الدراسة (عام) بحيث يمكن تمثيل جميع أيام الأسبوع وكل الأسابيع في السنة بما يضمن عدم تكرار التواريخ والأيام على النحو التالي:

بداية تم تحديد اليوم الأول في العينة بطريقة عشوائية (القرعة)، فكان يوم 2001/03/02 ووافق يوم الجمعة. وبناء على ذلك كانت أيام العينة وتواريخها كما يلي:

1. الجمعة 2001/03/02 ومن ثم نأخذ يوم السبت من الأسبوع الأول من الشهر التالي ليكون:
2. السبت 2001/04/07 ومن ثم نأخذ يوم الأحد من الأسبوع الأول من الشهر التالي ليكون:
3. الأحد 2001/05/13 ومن ثم نأخذ يوم اثنين من الأسبوع الأول من الشهر التالي ليكون:
4. الاثنين 2001/06/11 ومن ثم نأخذ يوم الثلاثاء من الأسبوع الأول من الشهر التالي ليكون:

5. الثلاثاء 2001/07/10 ومن ثم نأخذ يوم الأربعاء من الأسبوع الأول من الشهر التالي ليكون:
6. الأربعاء 2001/08/08 ومن ثم نأخذ يوم الخميس من الأسبوع الأول من الشهر التالي ليكون:
7. الخميس 2001/09/13.....

وهكذا اختيرت باقي مفردات العينة بأسلوب الدورة فكانت كما بينها الجدول التالي:

جدول رقم (01)

توزيع أيام العينة

اليوم	التاريخ	التاريخ
الجمعة	2001/03/02	2001/10/12
السبت	2001/04/07	2001/11/10
الأحد	2001/05/13	2001/12/16
الاثنين	2001/06/11	2002/01/21
الثلاثاء	2001/07/10	2002/02/19
الأربعاء	2001/08/08	2002/03/20
الخميس	2001/09/13	

. إجراءات تحليل المضمون (خطوات تحليل المضمون) : اتبعت الدراسة إجراءات وخطوات تحليل المضمون

الآتية:

أ . **فئات التحليل**: وقد حرصت الباحثة على أن تكون فئات التحليل انعكاساً صادقاً لتساؤلات الدراسة، في الوقت الذي استعانت فيه بالدراسة الاستكشافية لتحديد الفئات الفرعية والثانوية، بحيث يكون لكل مادة في المحتوى الصحفي فئة تصنف في إطارها وبدون إغفال الفروق بين كل فئة وأخرى لعدم الوقوع في شرك تصنيف مادة ما تحت فئتين مختلفتين في وقت واحد، وذلك بإجراء تعريفات واضحة ومحددة لكل فئة. وخدمة لأهداف الدراسة تم تقسيم الفئات إلى قسمين رئيسيين هما:

1 . فئة المضمون (ماذا قيل؟) ويضم فئة موضوع الاتصال واتجاه المحتوى، وموضوع الدين الإسلامي والعملة، وموضوع الفكر الإسلامي، وموضوع قضية الهوية الثقافية والخصوصية، وموضوع قضية نظام القيم في الثقافة الإسلامية، وموضوع العملة وقضية اللغة العربية في منظومة الثقافة الإسلامية، وموضوع قضية التربية ومحورتها، وموضوع قضية موضوع التراث ومركزيتها، وموضوع قضايا البعد الثقافي للعملة، وموضوع تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها، وسياق المضمون، والمفهوم والتعريف، والتوازن في التغطية والاتجاه نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها والفاعلون، والمصادر الإعلامية، والمجال الجغرافي في التغطية.

2 . فئة الشكل (كيف قيل؟) وتشمل الفئات التالية: فئة الشكل الصحفي للمادة التحريرية. وفئة عوامل الإبراز (الصورة المصاحبة). وفئات مشيرات قيمة المحتوى التي تشمل بدورها (موقع المادة التحريرية من الصفحة، ونوع العنوان واتساعه، وساحة النشر)

ب . **وحدات التحليل**: يهدف تحليل المضمون إلى وصف عناصر المضمون وصفاً كمياً. وعليه فمن الضروري أن يتم تقسيم هذا المضمون إلى وحدات أو عناصر تمكن من القيام بدراسة كل عنصر وحساب العدد الكمي له. فوحدة التحليل هي المقياس الذي يخصص به الباحث عناصر الرسالة، وهي التي تقرر ما الذي يتم حسابه. وعلى الرغم من تفاوت وحدات تحليل المضمون في حجمها ودرجة تعقيدها، إلا أنها لا بد أن تتسم بالوضوح لتسهيل مهمة الباحث.

وتورد دراسات تحليل المضمون خمس وحدات للتحليل¹ وقد اخترت منها في هذه الدراسة وحدة المفردة وهي **الوحدة الطبيعية لمادة الاتصال** المتمثلة في المادة الإعلامية في الصحف المدرسية.

ج . **وحدات العد والقياس**: تعتبر مرحلة العد والقياس هي الغاية النهائية في عملية الترميز أو إعداد استمارة التحليل. وهي التي تمهد عرض البيانات التي تم الحصول عليها إحصائياً ومن ثم دراسة الارتباطات والعلاقات على أساس ذلك، ومن هنا فإن نظام العد والقياس يرتبط بنوع الدراسة إذا ما كانت وصفية تعتمد فقط على التحليل الكمي أو تتعداه إلى التحليل الكيفي وتلجأ إلى الاستدلال والتفسير تتطلب أكثر من وحدة للقياس علاوة على استخدام العد. ولما كانت هذه الدراسة من هذا النوع فإنها تطلبت أكثر من وحدة للقياس كما يلي:

¹ . انظر محمد عبد الحميد، مرجع سابق. ص 138 . 148.

1 . وحدة العدّ: حيث نعتبر في الدراسة فئات التحليل ذاتها وحدات التحليل يقوم عليها العد، وذلك برصد كل فئة من فئات التحليل حسب ظهورها داخل المفردة (الوحدة الطبيعية للمادة الإعلامية)، ثم عد تكرار الرصد من كل فئة وبالتالي ظهور كل فئة بعدد معين تبعاً لمستويات الاهتمام بها من الصحيفة.

2 . وحدات القياس: تحقيقاً لأهداف الدراسة تلجأ الباحثة لاستخدام مشيرات قيمة المحتوى.¹ للاستدلال على درجات الاهتمام والاتجاهات المتضمنة في المحتوى، وهذه المؤشرات هي مقاييس المساحة وموقع الموضوع من الصفحة والصحيفة واتساع العنوان.

د . **التعريفات الإجرائية لفئات التحليل:** كلما كانت فئات التحليل محددة بصورة واضحة ودقيقة من خلال تعريفات جامعة ومحكمة كانت نتائج التحليل على درجة كبيرة من الوضوح والدقة. وفي ضوء ذلك تم تحديد فئات التحليل ومن ثم وضع تعريفات دقيقة ومحددة لكل فئة² وستحرص الباحثة من خلالها على توفير الشروط التي اتفق عليها الباحثون عند توصيف تلك الفئات وأهمها الاستقلالية والشمول وأن تفي بأهداف الدراسة.

هـ . إجراءات الصدق والثبات

وقد قمت بعد إعداد استمارة تحليل المضمون بإجراء اختباري الصدق والثبات، حتى نتأكد من صلاحيتها للتطبيق وذلك على النحو التالي:

أ . **صدق التحليل:** وصدق التحليل أو صحته يعني هل أسلوب القياس يقيس ما يفترض أن يقيسه؟ وهل يوفر هذا الأسلوب بالفعل المعلومات المطلوبة؟³

ولتحقيق صدق التحليل حددت فئات التحليل ووحداته، ووضعت تعريفات دقيقة لكل فئة ولكل وحدة. كما قمت بعرض مقياس التحليل على مجموعة من المحكمين للتعرف على صحة ومنطقية أسلوب القياس. ومدى ملائمة المقياس لجميع البيانات المراد جمعها.

ب . **ثبات التحليل:** إن مقياس البحث لا بد أن يكون ثابتاً، وذلك للتأكد من صلاحية استخدامه بين محللين مختلفين أو على فترات زمنية مختلفة. والثبات يهدف إلى التأكد من درجة الاتساق العالية لأداة جمع المعلومات للحصول على نتائج متطابقة أو متشابهة إذا تكرر استخدامها أكثر من مرة.¹

¹ . للاطلاع على استخدامات سابقة لهذه الوحدات انظر:

. محمد عبد الحميد، مرجع سابق. ص 190 . 199.

. مختار التهامي، تحليل مضمون الدعاية بين النظرية والتطبيق. ط: 2. القاهرة: دار المعارف، 1985. ص 39 . 41.

. محمود اسماعيل، مناهج البحث في إعلام الطفل. ط: 1. القاهرة: دار النشر للجامعات، 1417 . 1976، ص 127 . 129.

² . انظر التعريفات الإجرائية المرفق للاستمارة.

³ . محمد الوفاي. مرجع سابق، ص 111.

وللتحقق من ثبات التحليل قامت الباحثة بالآتي:

أجرت اختبار الثبات مع أربعة محكمين لمعرفة معامل ثبات التحليل بينهم على مستوى الكلي للقياس.² وقد تم إجراء الثبات على عينة تمثل 10% تقريبا من المواد التحريرية المنشورة في كل صحف الدراسة، حيث بلغ عددها 47 مادة من 477 مادة.

ولقياس نسبة الثبات قامت الباحثة بشرح فئات التحليل لكل باحث. كما زود كل باحث بالتعريفات الإجرائية لفئات التحليل، وتم تحديد معامل الثبات بين المحللين وفقا لمعادلة ثبات هولستي Holsti التي تُنصّ على أن:³

$$\text{معامل الثبات} = \frac{ن}{م} = 1 + 2ن$$

حيث: ن = عدد المرّزين أو المحكمين.

م = عدد الفئات التي اتفق حولها المرّزان.

1 ن = عدد الفئات التي قام بتحليلها المرّز الأول.

2 ن = عدد الفئات التي قام بتحليلها المرّز الثاني.⁴

ولقد تم الحصول على النتيجة التالية:

. معامل الثبات لاستمارة تحليل المضمون للصحف: 90,91% .

وهي نسبة عالية تدل على صلاحية الاستمارة . على الرغم من تعدد الفئات التي تضمنتها استمارة تحليل مضمون الصحف . بسبب وجود بعض الفئات التي لا تخضع لرأي المحلل مثل فئات الموقع وعوامل الإبراز ونوع الموضوع وما شابه في صحف .

¹ . سمير محمد حسين. مرجع سابق، ص 268.

² . استعانت الطالبة بالباحثين التاليين لتطبيق اختبار الثبات:

. الأستاذ الدكتور فضيل دليو باحث في الاتصال الاجتماعي . جامعة قسنطينة.

. الأستاذ الدكتور حسين خريف. باحث في الإعلام الاجتماعي . جامعة منتوري ، قسنطينة.

. الأستاذ الدكتور أحمد عيساوي. باحث في الدعوة والإعلام . جامعة باتنة.

. الأستاذ الدكتور بوبكر عواطي. باحث في علم الاجتماع. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

³ . محمد عبد الحميد. مرجع سابق، ص 218 . 222.

⁴ . محمد الوفاي. مرجع سابق، ص 156.

هوامش الفصل الأول
المراجع التي ذكرت لأول مرة
مصحة نهائيا

1. عبد العزيز برغوث، نحو منظور حضاري في دراسة دور الدين في تشكيل القيم الثقافية.....
1. راسم محمد الجمال، قضايا في الفكر المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
1. مارتن هانس و هارالد شومان، فخ العولمة: اعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ترجمة: عدنان عباس علي ورمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت)، العدد 238، 1990.
1. أحمد زايد، «عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية». عالم الفكر، العدد 1، المجلد 32، يوليو/ سبتمبر، 2003.
1. نوال محمد عمر، العلاقة بين الثقافة والإعلام المرئي: في الثقافة والإعلام بين الواقع والطموح، دراسات و بحوث مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، الدورة الثانية عشر، الإسكندرية، 1997. إعداد و تقدم عبد العزيز موافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1997.
1. محمود علم الدين، مدخل إلى الفن الصحفي. ط: 3. القاهرة: بلا مطبعة، 2002.
1. دينا أحمد عرابي، « دور وسائل الإعلام المحلية و الدولية في تشكيل المعرفة لدى الجمهور في ظل العولمة». رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف: راسم الجمال. قسم العلاقات العامة و الإعلان، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2002.
1. كريم أبو حلاوة، «الأثار الثقافية للعولمة، حظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة». عالم الفكر، (الكويت)، العدد 03، 2001.
1. عبد الخالق عبد الله، «العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها». عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب(الكويت)، المجلد 28، العدد 02، أكتوبر/ديسمبر، 1999.
1. لحبيب الجنحاني، «ظاهرة العولمة، الواقع والآفاق». مجلة عالم الفكر، مج 28، العدد 02، أكتوبر. ديسمبر، 1999.
1. عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. دار الشروق.
1. برهان غليون و سمير أمين، ثقافة العولمة و عولمة الثقافة (حوارات لقرن جديد). ط: 2. دمشق، بيروت: در الفكر المعاصر، 2002.
1. مؤيد عبد الجبار الحديشي، العولمة الإعلامية. ط: 1. الأردن، عمان: الهلية للنشر والتوزيع، 2002.
1. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، العدد: 276، 2001.
1. مصدق حسن، مدخل إلى الثقافة الإسلامية. ط: 1. دمشق: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
1. أحمد مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
1. السيد ياسين، الديمقراطية وحوار الثقافات، تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2007.
1. محمد صالح المرساوي، مقاربة في إشكالية الهوية. المغرب العربي المعاصر. ط: 1. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 2001.
1. حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في الثقافة العربية. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية، 2004.
1. تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة. ط: 1. بيروت: دار الساقى، 1999.
1. أعمال المؤتمر الدولي « الأمة و أزمة الثقافة و التنمية» ط: 1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة، 2007. والذي عقد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 06. 09 ديسمبر، 2004.
1. منال أبو الحسن، أساسيات علم الاجتماع الإعلامي. النظرية والوظائف والتأثيرات. ط: 1. القاهرة: دار النشر للجامعات، 2007.
1. محمد شومان، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والحدود». التكامل بين أجهزة الإعلام و أجهزة الثقافة في الوطن العربي. تأليف نخبة من الباحثين العرب. تونس: إدارة الإعلام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1984.
1. صالح خليل أبو الأصعب، تحديات الإعلام العربي العربي. المصداقية، الحرية، التنمية، الهيمنة الثقافية. دراسة في الإعلام. ط: 1. عمان. الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع، 1999.

¹ . حسن مدن، الإعلام كحامل للثقافة. ورقة ضمن كتاب: ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 1995.

¹ . عبد المجيد البدوي، «العولمة الثقافية و وسائل الاتصال الجماهيري». مجلة الإذاعات العربية. العدد 03، 2001.

¹ . عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية و الثقافية في العالم الثالث. عالم المعرفة (الكويت)، مطابع الرسالة، 1984.

¹ . أعمال مؤتمر «الإعلام العربي و تحديات المستقبل» يوم 11/أبريل / 1999 ولقد نظمتها معهد البحوث والدراسات العربية. ونشرت أوراقه في مجلة البحوث والدراسات العربية. العدد: 32/31 يوليو. ديسمبر، 1999.

¹ . محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.

¹ . حسن عماد مكراوي، ليلي حسين السيد. الاتصال و نظرياته المعاصرة. ط: 4. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003.

¹ . . 118 – 115 PP. Media protest and Political Violence. Gadiwolfsfeld . نقلا عن الطاهر بصيص، «اتجاهات

الخطاب الصحفي الجزائري إزاء انتفاضة الأقصى الثانية . دراسة تحليلية مقارنة بين الصحف الحكومية والصحف المستقلة من 2000/09/28 إلى

04/30 / 2003 .» رسالة ماجستير، قسم الصحافة كلية الإعلام جامعة القاهرة. إشراف : عواطف عبد الرحمن، 2007.

¹ . إيمان نعمان جمعة، «الخطاب الصحفي الأمريكي على تناول الصحافة المصرية لقضايا الهوية القومية، دراسة تطبيقية على مشروع الشرق

الأوسط الكبير». المؤتمر العلمي العاشر، الإعلام المعاصر و الهوية العربية. كلية الإعلام. ج 1. 06 / 04 / ماي، 2004.

1 . Robert M Entman . Framing Toward Clarification of Fractured Paradigm .

¹ . أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه. ط: 9. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1995.

¹ . السيد أحمد مصطفى، البحث الإعلامي مفهومه و إجراءاته و مناهجه. ط: 1. بنغازي: منشورات جامعة قارونس، 1994.

¹ . محمد الوفاي، منهج البحث في الدراسات الاجتماعية و الإعلامية. ط: بلا. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1989.

¹ . روجر ويمر وجوزيف دومينيك، مقدمة في أسس البحث العلمي: مناهج البحث الإعلامي. ط: 2. ترجمة: صالح خليل أبو الأصبع. دار:

أرام للدراسات والنشر والتوزيع، 1998.

¹ . سمير محمد حسين، بحوث الإعلام (تطبيقات في مناهج البحث العلمي). ط: 2. القاهرة: عالم الكتب، 1991.

¹ . يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعي. ط: 1. الجزائر: السيج كوم، 2007.

¹ . محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام. ط: بلا. جدة: دار الشروق، 1983.

¹ . مختار التهامي، تحليل مضمون الدعاية بين النظرية والتطبيق. ط: 2. القاهرة: دار المعارف. 1985.

¹ . محمود اسماعيل، مناهج البحث في إعلام الطفل. ط: 1. القاهرة: دار النشر للجامعات، 1417 . 1976.

¹ . رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه ، أسسه ، استخداماته. القاهرة: دار الفكر العربي، 1987.

¹ . عاطف عدلي العبد، صورة المعلم في وسائل الإعلام. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي، 1417 هـ. 1997 م.

الفصل الثاني

العولمة والعولمة الثقافية

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

تؤكد جل الدراسات الحديثة أن ما نشر عن العولمة خلال السنوات الأخيرة يفوق ما كتب عن المذاهب والنظم والإيديولوجيات والقوالب الفكرية التي عرفتها الإنسانية في العقود الخمسة الماضية. واهتمام الفكر العالمي بدراسة هذه الظاهرة كان بالغاً، تعريفاً وتقديماً لمعانيها ودلالاتها، وتحليلاً وتفسيراً لمضامينها، لأنها اليوم الأكثر حدة وإثارة، فأصبح لموضوع العولمة حضور فكري دائم وصل إلى درجة الازدحام حين يحدث التكرار وعدم الابتكار.

ولأجل أن يتضح موضوع العولمة وهو على هذه الصورة من الكثافة وزعت الباحثة محاور هذا الفصل إلى ثلاثة محاور رئيسة تعالج من خلالها ظاهرة العولمة والعولمة الثقافية لتكون تمهيداً وأساساً لعملية التحليل، وهذه المحاور هي:

المبحث الأول: العولمة في الأدبيات العربية والأجنبية بين العمومية والضبائية

المبحث الثاني: أبعاد العولمة

المبحث الثالث: العولمة في بعدها الثقافي (العولمة الثقافية)

المركز للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

العولمة في الأدبيات الأجنبية والعربية بين العمومية والضبابية

1 - العولمة تاريخية المفهوم وجوهره

لا يزال مفهوم العولمة غامضاً عند كثير من الدارسين والباحثين وبالرغم من ذبوع كلمة العولمة وانتشارها، و سيادة مفهومها و تداوله بين المثقفين في العالم. وقد ساعد هذا الغموض على تعدد تعاريفها وكان المعبر عن السّجالات التي تدور حولها. فبرغم الكم الهائل من الكتابات والمقالات والندوات والمؤتمرات التي تتناول هذا المفهوم في الخطاب الثقافي المعاصر، إلا أنه من الصعب وضع تعريف حدي لمصطلح (العولمة). لأنه يحمل عدداً من الدلالات المتداخلة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإيديولوجية والفكرية.

إن مفهوم العولمة اليوم يتسم بعمومية مفرطة وضبابية قائمة. وأثار كثيراً من الجدل والمراجعات النظرية والفكرية بين الأوساط المعنية، وأصبحت العولمة أو الكوكبة أو الكونية¹ في طليعة مشاغل النخبة المثقفة. فلم تزل العولمة مصطلحاً ومضموناً في طور الغرابة، و لم تزل لا تعرف الاستقرار و نحن في الألفية الثالثة سواء في الأدبيات الإنجليزية التي وجد المصطلح فيها، أو العربية التي لم يزل يضطرب المعنى الحقيقي للمصطلح فيها.

ولقد بات مصطلح (العولمة) *Globalization* أكثر المصطلحات شيوعاً في مؤسسات الأعمال والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والإعلامية والاقتصادية. حيث استعمل المصطلح لأول مرة في « مؤسسات إدارة الأعمال وفي المؤسسات الصحافية والاقتصادية الأمريكية وكان يعنى بالحركة المعقدة بانتقال السلع وانفتاح الحريات الاقتصادية وليونة التشريعات المشجعة لنشاط الاقتصاد الرأسمالي بما يشمل المعمورة بكاملها ».²

¹ - يذهب بعض الكتاب أن العولمة ليست الكونية، لأن الكونية تفترض قبول الآخر والتعامل معه بنية الحوار معه دونما هيمنة أو رغبة في الإذلال والسيطرة. فالكونية إغناء للخصوصيات الثقافية والتمايزات الحضارية. في حين أن العولمة إقصاء للخصوصية واختراق منظم للثقافة، بحجة الديمقراطية أو ما يسمى بالمدنية الكونية أو المواطن الكوني. (المنصف وناس، « مضامين العولمة الاتصالية والثقافية ». الإذاعات العربية، مجلة يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية(تونس)، العدد2، 1998. ص 13).

² . غسان العربي، « جذور العولمة وإشكالياتها ». منبر الحوار. (بيروت)، العدد37، 1999. وانظر محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997. ص 136.

ثم دخل مفهوم العولمة في أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة.¹ ولم يعد مصطلحا اقتصاديا محضاً، فالعولمة الآن يجري الحديث عنها بوصفها نسقا ذا أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد. فهي نظام عالمي يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال وميادين أخرى كالفكر والسياسة والأيدولوجيا.

ذهب الجابري² إلى أن: كلمة العولمة ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. إذا فالأمر يتعلق بالدعوة إلى توسيع النموذج الأمريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله، اقتصاديا وأيدولوجيا.

وليس هنا مجال لاستعراض تاريخية مدلول العولمة التي أخذت تستفحل منذ نهاية الألفية الثانية ولكننا سنذهب إلى ما ذهب إليه جيمس روزنאו Gémis Rosnaw من أنه « يجب الكشف عن جوهر العولمة قبل الإقدام على تعريفها ». ³ من أجل البحث في الدلالة الاصطلاحية التقريبية، سواء بين النخب الأجنبية أو العربية، والذي نقصره في المرحلة التي اكتسب فيه هذا اللفظ القوة الإستراتيجية في عالم وسم بما بعد الحداثة أو ما بعد المجتمع الصناعي، أو مجتمع المعلومات، وكل هذه المفاهيم تستخدم لتوصيف عملية انبعاث عهد جديد يجب أن تستجيب له العلوم الاجتماعية.⁴

و يعد العالم الكندي مارشال ماك لوهان Marchall Mcluhan أستاذ الإعلام السوسولوجي في جامعة تورنتو، أول من أطلق مفهوم «العولمة» معرفيا عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم "القرية الكونية" في كتابه: **الحرب والسلام في القرية الكونية**.⁵ وعندما صدر الكتاب في أواسط السبعينات انطلق من الدور الذي أداه التلفزيون في أثناء حرب الفتنام، واستنتج الكاتب أن الشاشة الصغيرة حولت المواطنين من مجرد مشاهدين إلى مشاركين في لعبة الحرب. الأمر الذي أدى إلى اختفاء الحدود بين المدنيين والعسكريين وأصبح الإعلام الالكتروني وقت السلم محركا للتغيير الاجتماعي.

¹ السيد ياسين، « في مفهوم العولمة ». المستقبل العربي، السنة 20، العدد 228، شباط 1998. وهذه الدراسة هي في الأصل ورقة قدمت إلى: **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية**، تحرير أسامة أمين الخولي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998). ص 6.

² محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص 137.

³ جيمس روزنאו، ديناميكية العولمة: نحو صياغة جديدة علمية، قراءات استراتيجية. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، 1996. نقلا عن محمد إبراهيم منصور، « العولمة ومستقبل الدولة القطرية ». مجلة المستقبل العربي، العدد 282. ص 514.

⁴ - السيد ياسين، حوار الحضارات في عالم متغير، التقرير الاستراتيجي العربي. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام 1992. ص 12.

⁵ بدرية البشر، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض أنموذجا. ط: 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008. ص 35.

وتبنى هذه الفكرة بعده زيغنيو بريجنسكي Zbigniew Bzezinski الذي أصبح فيما بعد مستشار الرئيس الأمريكي في عهد كارتر (1977 . 1980) وعمل على « تقديم أمريكا رائدا (التي تمتلك 75% من مجموع الاتصالات العالمية) طالما هي الموزع الرئيس للثورة الإلكترونية ما بعد الصناعية. استخدم بريجنسكي مصطلح " المدينة الكونية " وفصله على مصطلح العولمة الذي استخدمه ماك لوهان McLuhan لأن مفهوم العودة إلى الجماعة والحياة المرتبطة بالقرية لم يعد مناسباً في دلالاته على الشبكات الدولية في عصر التكنولوجيا الإلكترونية».¹

لقد شاع الاعتقاد ب بروز العولمة مع بروز الحداثة. ولقد اقترح رونالد روبرتسون Ronald Robertson جدولاً زمنياً يؤرخ لولادة العولمة ويتضمن خمس مراحل؛² تبدأ منذ بدايات القرن الخامس عشر، وتنتهي بالمرحلة الخامسة والأخيرة التي امتدت من بداية السبعينات إلى بداية التسعينات، حيث شهدت هذه المرحلة تزايداً في إدراك الأفراد بعالمية العالم، وذلك على إثر انتهاء الحرب الباردة وبروز المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لإدارة القضايا العالمية المعاصرة، مع زيادة واضحة في القلق العالمي على مصير البشرية، وهو القلق الذي بدأ يروج عبر وسائل الإعلام التي استعانت بالأقمار الفضائية لتتخطى الدول وتصل إلى كل زاوية من زوايا الكرة الأرضية.

لقد مرت الرأسمالية بمراحل متعددة قبل أن تصبح ما هي عليه الآن.³ ونذكر في هذا السياق « مرحلة التشكل الصناعي والتجاري وتوسع رأس المال، في إطار ما يمكن أن يسمى بالتدويل؛ أي الانتشار بحثاً عن الأسواق والمواد الأولية. وتلت ذلك مرحلة رأس المال متعدد الجنسيات، أي مرحلة ما بعد التدويل وصولاً إلى المرحلة الحالية المسماة بالعولمة».⁴

ويؤكد الباحث جلال أمين⁵ أن ظاهرة العولمة قد رافقتها عوامل في السنوات الثلاثين الأخيرة ساهمت في بروزها. ولعل أهمها الزيادة الكبيرة في درجة تنوع السلع والخدمات التي يجري تبادلها بين الأمم، وتحول العلاقات بين الدول التي صار يحكمها التبادل في المعلومات والأفكار بدل السلع ورؤوس الأموال.

فالعولمة أسبابها السياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي أدت إلى ظهورها. فالثورة العلمية في ميادين الاتصالات والمعلومات والهندسة الجينية والالكترونيات الدقيقة والذكاء الصناعي، هي ما يميز عصر العولمة عن كل العصور السالفة في التاريخ الإنساني. إلى جانب تدويل رؤوس الأموال وانتشار الخصخصة المنتشرة في أيامنا، فهذه

¹ . باسم علي خريسان، العولمة والتحدي الثقافي. بيروت: دار الفكر العربي، 2001. ص 17.

² . ذكرت هذه المراحل في المراجع التالية:

. عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 58 . 59.

. أسامة أمين الخولي، العرب والعولمة. مرجع سابق. ص 189.

³ . منذ مرحلة الكشوف الجغرافية مرت الرأسمالية بمراحل عدة وصولاً إلى العولمة أهمها: مرحلة تطور الرأسمالية التجارية، والرأسمالية الصناعية، والرأسمالية المالية، ومرحلة الثورة التكنولوجية. (بدرية البشر، مرجع سابق. ص 37).

⁴ . المنصف وناس، مرجع سابق. ص 7.

⁵ . جلال أمين، العولمة. القاهرة: دار المعارف، 1998. ص 14 . 16.

مجتمعة من صفات مراحل توسع الرأسمال السابقة على العولمة. لتصل إلى ولادة لاعبين فاعلين سياسيين واجتماعيين جدد على الساحة العالمية. وفي طليعة تلك المؤسسات العالمية؛ الشركات المتعددة الجنسيات التي سيطرت على انتقال السلع ورؤوس الأموال والمعلومات والأفكار، وصندوق النقد والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة العالمية، إلى جانب هيئات وتنظيمات المجتمع المدني على الصعيد العالمي، مع تزاوج ثورتي الاتصال والمعلومات مع ذلك كله بما أضاف للسوق العالمية قدرات هائلة غير مسبوقة في الانتشار والترويج والدعاية.

وعلى رغم انقسام الآراء إزاء العولمة، إلا أنها استقطبت اهتمام شرائح فكرية وفئات اجتماعية متعددة المشارب والتخصصات؛ من اقتصاديين وساسة وعلماء اجتماع ومثقفين وإعلاميين. لا يرتبط بينهم سوى الاهتمام بجملة التغيرات النوعية المتلاحقة التي يشهدها العالم في مستوياته المتعددة، ولاسيما الإعلامية والثقافية على وجه الخصوص. والتي تعدت نطاق القوميات وتجاوزت حدود الدول والأقاليم، وأخذت تؤثر في حياة الناس بنسب ودرجات متفاوتة، بغض النظر عن الجغرافيا أو العرق أو اللغة.¹ أما نخب المجتمعات النامية وبينها النخبة العربية، فهي في هذا المجال تابعة تجتر في جل الحالات ما ينشر في الغرب، صانع العولمة. و كل ما يستطيع المجددون في صفوفها أن يسهموا به هو التنبؤ بنتائج الظاهرة في المستوى العربي.

ومن هذه المقدمات التعريفية لتاريخية جوهر العولمة، يمكننا تلمس اجتهادات عديدة انتهت إلى تعريفات مختلفة لمفهوم هذه الظاهرة، سواء في الغرب أو في الشرق. وكل تعريف يخضع لثقافة صاحبه وميوله ومشاركه.

2 - مفهوم العولمة في الأدبيات الأجنبية والسياقات الغربية

يتلخص مفهوم العولمة على مستوى الخطاب الغربي والأمريكي خاصة، سواء في وجهه الإعلامي أو السياسي وحتى الأكاديمي، في رفع أو إزالة الحواجز الجغرافية والقطرية والوطنية، وفسح المجال أمام انسياب البضائع والأفكار والقيم بصورة حرة. ووجوب التعامل مع ظاهرة العولمة بطريقة عقلانية، مع مراعاة الاستفادة بمزاياها الممكنة، وفي الوقت نفسه العمل على تقليص مساوئها الموروثة.

يرى رُونَالِد زُوبَرْتسون² Ronald Robertson أن العولمة أساسا هي « ضغط العلم وتصغيره من ناحية وتركيز الوعي به ككل من ناحية أخرى». ويذهب أيضا أن العولمة « مكونة من مجموعة من العمليات الناشئة عن ديناميكية الحداثة. وأنها مفهوم مركزي لتحليل الناتج لا يتناقض بالضرورة مع الأصالة أو المحلية ».

¹ . كريم أبو حلاوة، مرجع سابق. ص 171.

² . رُونَالِد زُوبَرْتسون، العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية. ترجمة: أحمد محمد و نورة أمين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998. ص 27.

أما أولريش بك Ulrich Beke فتعني العولمة له « تجربة انعدام الحدود في العمل اليومي، ضمن الأبعاد المختلفة للاقتصاد والإعلام والبيئة والخبرة الفنية والنزعات الثقافية العابرة للحدود والمجتمع المدني».¹

ويذهب جان ندرفين بيترس Jan N P إلى تعريف العولمة بأنها كل العمليات التي تؤدي إلى إدماج مواطني العالم في مجتمع عالمي موحد، والذي يطلق عليه المجتمع الكوني، أي أنها تشير إلى الموجة التي ستساعد على الازدهار ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في كل أنحاء المعمورة.²

أما نعوم تشومسكي³ Chomsky Noam فيرى « أن العولمة هي النظام العالمي، وأنه لا شيء جديد في النظام العالمي، حيث أن القواعد الأساسية لا زالت كما هي قواعد القانون للضعفاء و سطوة القوة للأقوياء، وكل ما يتغير هو تغيير في الأشكال أي في شكل القوة وأسلوب تطبيقها، وفي شكل القانون وقواعد ممارسته، و كذلك في نوعية المصالح و كيفية حمايتها».

وعرف المعجم العالمي الشهير "ويبسترز WEBSTER'S" العولمة بأنها⁴: « اكتساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا». لكن هذا المعنى شديد البراءة بالغ الحيدة لا ينسجم في عمقه مع دلالة اللفظ ومفهوم المصطلح كما يشاع ويتردد في العالم اليوم. ولذلك فإن المفهوم السياسي والثقافي والاقتصادي لا يتحدد بالقدر اللازم إلا إذا نظرنا إليه من خلال رؤية عامة تدخل في نطاقها جميع المتغيرات السياسية والثقافية والاقتصادية التي يعيشها العالم من مطلع تسعينيات القرن العشرين.⁵

إذا نظرنا على مستوى التحديد العام إلى مفهوم العولمة في الأدبيات الأجنبية فإن الغربيين يرونه غامضا إلى حد ما، متعدد المعاني لدى المختصين. فكثرة الجدل حول هذه الظاهرة يرجع إلى غموض الدلالة والمعنى الاصطلاحي لمفهوم العولمة، حيث يتناوله كثير من الدارسين في كتاباتهم دون أن يدركوا معناه وفق تعريف دقيق محدد. ولكن تلتقي تعريفات العولمة في مستواها العام عند الباحثين الأجانب عند جملة من النقاط، أهمها أن العولمة مفهوم مركب ذو أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، يحمل في طياته الكثير من الجوانب الايجابية وبعض الجوانب السلبية ونظرتهم تجاه العولمة يسودها الحياد.

¹ . أولريش بك، ما هي العولمة. ترجمة: أبو العيد دودو. كولونيا، ألمانيا: منشورات الجمل، 1999. ص 39.

² PieterseK Jan Nederveen, **Globalisation as Hybridization**

International Sociolog vol.8.no.2 Jun1994.P 161.

³ Chomsky Noam. **World orders Old and New USA.**

Columbia University Press. 1994.

⁴ **WEBSTER'S NEW COLLEGIATE DICTIONARY.** P521.

1991.

⁵ . عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الحوار من أجل التعايش.** القاهرة: دار الشروق، 1998. ص 61.

الموقف العام من العولمة في البحوث الأجنبية

مثلما كان تعريف العولمة موضع تباين بين الباحثين الغربيين، فإن الموقف من طبيعة العولمة وآثارها هو كذلك موقف تباين وتعارض. فيمكن القول بأن العولمة إذا قيص لها أن تنجح في نظر المتحمسين لها من الغربيين، هي قادرة على أن تغير مستقبل الإنسانية. وأن تفتح آفاقا جديدة لم تعهدها البشرية من قبل. ولعل ذلك ما يفسر جزءا كبيرا من حيرة النخب الغربية إزاء العولمة، وخاصة إزاء التعامل معها من الناحية التحليلية، فهي التي ترصد ضغوطها وإفرازاتها اليومية، ومطلعة على خطط الماسكين بزمامها بفضل حرية الإعلام وحق الوصول إلى المعلومة.

ففي مقالة مركزة للأمم العام للأمم المتحدة كوفي عنان بعنوان " تنمية بغير حدود: العولمة في القرن

الواحد والعشرين " يلخص الأمين العام أهم أفكار العولمة، وهي¹:

1 . منافع العولمة واضحة: نمو أسرع، مستويات أعلى، فرص جديدة.

2 . مشكلة منافع العولمة: غير متساوية للجميع، وتزايد فرص الأغنياء، وقد تتركز الثروة العالمية في مجموعة محدودة منهم.

3 . أمام العولمة تحديات: أهمها تحسين الإدارة والفرص على المستويات المحلية والوطنية والدولية. وتنسيق النشاطات من أجل تقاسم عادل للمنافع، وهذه التحديات تتجاوز مقدرة كل دولة وحدها.

4 . هذا لا يعني قيام حكومة عالمية أو ضعف الدولة القومية، إنما تعني تعاون الدول والمؤسسات الكبرى في العالم.

5 . أفضل الأفكار تأتي من المصادر غير الحكومية مثل الباحثين والأكاديميين والمنظمات غير الربحية، وميادين العمل التجاري، والإعلام و الفنون.

6 .. على الأقطار الغنية مسؤولية كبرى تجاه البلدان الفقيرة، ولكن هذه أيضا عليها أن تبذل الجهود المناسبة.

ويستغرب فرانسيس فوكوياما Fukuyama Francis ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة مازون

وصاحب الكتاب الشهير نهاية التاريخ، رأي الذين يعارضون العولمة، ويرى أن « العولمة واعدة بالتحديث وبقدر كبير من الشفافية والانفتاح وتعليم أفضل وبدافع هو التقدم في التقنية المعلوماتية الذي لا يمكن مقاومته والأمم التي ترفضها محكوم عليها بأن تكون مختلفة²».

أما جيمس روزناو Gémis Rosnaw فيرى أن العولمة « تقيم علاقة بين مستويات متعددة للتحليل:

الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيدولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود، وانتشار

¹ . انظر حسام الخطيب، « العالمية و العولمة من منظور مقارني ». عالم الفكر، المجلد 34، العدد1، يوليو. سبتمبر2005. ص 11.

² . بدرية البشر، مرجع سابق. ص 62.

أسواق التمويل، وتمائل السلع المستهلكة لمختلف الدول». ¹ وهنا يسجل روزناو أنه في ظل العولمة ستتنظم العملية الإنتاجية، ويحدث تفاعل حواري مع بروز دور تكنولوجيا الاتصال.

وفي مقابل هذه الحماسة المندفعة نحو العولمة، أحس بخطر الهيمنة كثير من القوى الفكرية والحضارية في الغرب، واجتمعت كلمة تيارات متنافرة على الإحساس بخطر العولمة على الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والحضارية للمجتمعات. فقد تبني كثير من الفرنسيين والأوروبيين عموماً فكرة التنصل من العولمة والدعوة إلى مواجهتها. نظراً لشدة تأثير الثقافة الأمريكية وقيمها ورؤاها على عملية عولمة الإعلام خاصة. لقد تنبّهت عدة دول أوروبية إلى خطورة هذا التأثير، وحاولت مقاومته وأن تكون طرفاً ثانياً في عملية العولمة، مثل فرنسا على سبيل المثال التي «تخشى على ميراثها الثقافي من أمركة القارة الأوروبية، نتيجة عولمة صناعة التلفزيون وحجة الأمريكيين لتلبية احتياجات الجمهور المحلي في الدول المختلفة».²

واشتكى المفكر الفرنسي جاك لاند Jack Waland من هيمنة ما أطلق عليه "الإمبريالية الثقافية". وقصد بهذه الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية. ودعا إلى مقاومة هذه الهيمنة التي ترتدي رداء العولمة المزعومة من أجل إثبات الذات، وقيام الثقافة الوطنية الأصيلة التي تستطيع أن تكون في موقع المقاومة ضد غزو هذه العولمة البشعة.³

ويشير الباحث الفرنسي مارك أوجيه O.Mark في كتابه "حرب السلام"⁴ إلى غزو الصور الذي صار يغطي الأرض كلها، بأنه «غزو يشبه نمط جديد من الخيال الذي يعصف بالحياة الاجتماعية يصيبها بالعدوى ويخترقها إلى حد أنه يجعلنا نشك فيها في واقعها وفي معناها وفي المقولات الخاصة بالذات والآخر التي تتولى تكوينها وتعريفها».

وعلى صعيد البحث النظري ثم اعتراضات عديدة ووجيهة على العولمة. يرى شارل ألبير ميشاليه . Albir M أن العولمة ما هي «إلا مرحلة تمر بها الرأسمالية، التي تغيرت في كل مرحلة من مراحلها استجابة لصعوبات واجهتها، لكن وإن تغلبت على صعوبات فإنها ستواجه صعوبات. ويرى أن العولمة تمزق الدول الوطنية وتقيم على أنقاضها مناطق صناعية اقتصادية».⁵

1 . السيد ياسين، «في مفهوم العولمة»، مرجع سابق، ص 26-27.

2 . حمدي حسن، «التأثير الاجتماعي لعولمة التلفزيون». المؤتمر الدولي حول "آفاق الإعلام الإذاعي والتلفزيوني في القرن الحادي والعشرين" المنعقد في كلية الإعلام من 18-20 ديسمبر 1996. ص 10.

3 . انظر عبد المالك مرتاض، «أثر العولمة في مقاومة العولمة». أعمال الملتقى الدولي في الجزائر "العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، . ماي 2004 .. الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى. ص 169.

4 . أحمد ثابت، «العولمة حدود الاندماج وعوامل الاستبعاد»، شؤون الأوساط، العدد 76، تشرين الأول، 1998. ص 77.

5 . رجب بودبوس، العولمة بين الأنصار والخصوم. بيروت: دار الانتشار العربي، 2002. ص 34.

ويرى الصحافي والكاتب فريدريك لوميتير Frederick Iometer ، أن العولمة في أزمة، وأن بعض الشركات بدأت تقلق، وما كان مجرد إحساس صار أمراً مؤكداً. عولمة الاقتصاد. و« هذه الشركات هي رأس الحربة».¹

ويذهب كارل باسكو Carl Pasco إلى أن العولمة ليست قدراً، ويستشهد على فشل فكرة العولمة بالتظاهرات التي تصاحب المؤتمرات الخاصة بالعولمة، فيقول:² «إن المظاهرات العارمة في سياتل، والتي لا مثيل لها منذ حرب الفيتنام، وأكثر من ذلك التصميم القوي عند كل الوفود على رفض العجلة الطاحنة المتمثلة في جعل العالم سلعة تجارية، النافية للشعور والثقافات والمصالح الوطنية، لقد ثبت أنها ليست إلا أشكالاً من الأيديولوجية الليبرالية المتطرفة، التي تقوم على فرضية عجز الدول، والتي يراد فرضها على الشعوب باعتبارها أمراً واقعاً».

وعلى الرغم من وجود نقد ذاتي داخلي للعولمة من قبل المفكرين الغربيين، إلا أنه من الأهمية القول أن العولمة في أحد أبعادها ومضامينها الأساسية هي محاولة ليس فقط إلغاء الحدود والحواجز الجغرافية والاتصالية بين المجتمعات الإنسانية. وليس فقط لتسهيل نقل الأشخاص والسلع والقيم فيما بين المجتمعات. ولكنها بالدرجة الأولى محاولة لإخضاع الوجود الإنساني كله لمنطق الواقع الحضاري الغربي النسبي، وللنموذج الحضاري الرأسمالي القائم. مما يستتبع ضرورة إرغام الدين والثقافة على تقديم التنازلات للنسبي والواقع على حسب المطلق والثابت، ثم التنازل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لصالح قيم النموذج الحضاري الفعال الآن.³

3 - العولمة في الأدبيات العربية

لم يخف الدارسون العرب منذ البداية الحيرة القائمة إزاء العولمة، بل تحديداً الحيرة إزاء الإمكانات النظرية لمقاربتها. ولعل هذا ما يفسر اختلاف المقاربات وتضادها وتباينها بين الأمل والقلق، بين التفاؤل والريبة، وبين الإقدام والإحجام.

إن للعولمة في الأدبيات العربية وقعا أشد مما هو عليه في الغرب، ولعل كثرة الاتجاهات والرؤى والنظريات عند الدارسين العرب في تحديد تعريف هذه الظاهرة الكونية ينبئ بعمق المأزق العربي والدّهش تجاهها. كما أن الباحثين والمثقفين العرب ما زالوا في مرحلة فهم ظاهرة العولمة واستكشاف القوانين التي تحكم مسيرتها، والتي تسهم في الوقت الراهن في تشكيلها. فهي في الحقيقة ظاهرة غير مكتملة الملامح والقسمات. بل إننا نستطيع القول إن العولمة عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة. أما أهم تعريفات المنظرين العرب،⁴

1 . بدرية البشر، مرجع سابق. ص 63.

2 . رجب بودبوس، مرجع سابق. ص 34.

3 . عبد العزيز برغوث، الأبعاد الإشكالية لمفهوم العالمية في الوعي الحضاري المعاصر. ط: 1. كوالالمبور: الشروق، 2001. ص 20.

4 . للتعرف على مزيد من التعريفات الخاصة بالعولمة عند المنظرين العرب يمكن الرجوع إلى:

فيصف علي حرب عبارة "العولمة" بأنها «مقولة راهنة من مقولات ما بعد الصناعة وما بعد الحداثة، ارتبطت بانفجار تقنيات الاتصال على نحو ذاقت معه الأمكنة وتقلصت معه المسافات، إلى حد جعل الأرض قرية تسبح في هذا العالم العددي الذي يتشكل من الفضاء السوبراني. ومن هنا ما يسمونه بالاقتصاد الناعم ونقل المعطيات شبه المادية التي هي علامات وإشارات مسجلة على ألواح إلكترونية. إذا ثمة منطق جديد يشتغل مع الفضاء الإلكتروني لا تعود معه الأشياء، نحن إزاء عالم افتراضي أثيري لا يتألف من أشياء عينية ولا من مفاهيم ذهنية، بل يتركب من وحدات لا لون لها ولا وزن ولا حجم، بل هي عبارة عن فيض متواصل من العمليات عبر الشبكات والقنوات. لأنها الكائنات التعددية تحل محل الأشياء المصنوعة بعد أن حلت هذه محل الأشياء الطبيعية، شاهدة على طور تقني جديد يتجاوز العصر الصناعي إلى العصر السوبراني. وهذه الكائنات أو الوحدات التي تسكن في العقول الإلكترونية، وتسافر بسرعة الضوء، على أساسها يتوحد العالم اليوم وبواسطتها يجري الاتصال بين البشر».¹

ولاحظ أحمد مصطفى عمر،² أن اتساع فضاء الإنتاج والتجارة ليشمل السوق العالمية بأجمعها، كانت النظرة إليها آنذاك بوصفها من خبرات المرحلة الراهنة من تطور الرأسمالية، يقودها فاعلون اقتصاديون عبر مؤسسات متعددة الجنسيات تحاول القفز على حدود ثروات الدول و الشعوب، ومن هنا جاء ارتباط الاقتصاد بالاتصال والإعلان. وفي هذا الثالث تشكلت طلائع العولمة ومنها كتب صفاته كنظام اقتصادي ثقافي إعلامي.

بينما يرى حسين كامل بهاء الدين « أن العولمة في الواقع مفهوم تجريدي، وهو مفهوم مركب ذو أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية. وفي إطاره يصبح البعد الجغرافي أقل تأثيراً في إقامة واستمرار العلاقات السياسية والاجتماعية عبر الحدود والمسافات. والعالم لا ينكشف حقيقة ولكن المسافات تصبح عملياً أقل استهلاكاً للوقت. وفي إطار العولمة تنسلخ الناس والرموز والسلع من البعد الجغرافي، وينتزعون في كثير من الأحيان من جذورهم الوطنية، وتفقد كثير من المجتمعات الحماية التي كانت تكفلها لها حدودها».³

. مجلة المستقبل العربي، العدد 228، شباط 1998.

. راسم الجمال، « كيف يمكن تقديم الصورة الحضارية العربية للمشاهد الأجنبي عبر القنوات الفضائية العربية ». المجلة العربية للثقافة، السنة 16، العدد 33، سبتمبر 1997. ص 209.

. فريال مهنا، « الإعلام الفضائي العربي ووقائع العولمة. دراسة نظرية تطبيقية على الشركات الوطنية بمدينة الرياض ». المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 7، يناير. يوليو 2000. ص 53-79.

. هشام البعاج، « سيناريو ابستمولوجي حول العولمة. أطروحات أساسية ». مجلة المستقبل العربي. السنة 22، العدد 247، سبتمبر 1999. ص 39.

1. علي حرب، « الثقافة والعولمة »، مجلة الشاهد (بيروت)، العدد 159، تشرين الثاني. نوفمبر 1998. ص 83.

2. أحمد مصطفى عمر، « أعلام العولمة و تأثيره على المستهلك ». المستقبل العربي، العدد 256، جوان 2000. ص 71-79.

3. حسين كامل بهاء الدين، الوطنية في عالم بلا هوية. تحديات العولمة. القاهرة: دار المعارف، 2000. ص 62.

أما **حسن عماد مكاوي** فيشير إلى « أن العولمة عملية متشابكة الأبعاد السياسية والثقافية والتكنولوجية، تستهدف دمج كافة المجتمعات والثقافات والأفراد في بوتقة واحدة، يحكمها النظام الرأسمالي الحر والسوق العالمية الموحدة¹».

والعولمة عند **محمد عبد الشفيق عيسى**² « اتجاه جديد لصبغ الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالصبغة العالمية، فأى مجتمع قومي حي يستطيع الانكفاء على ذاته اليوم، وإنما لا بد من أن يدخل في علاقات مفتوحة يسمونها متعددة الأطراف مع بقية دول العالم، وحتما يدخل المجتمع القومي في تعاون مفتوح مع كافة الأطراف، فإنه بهذا المعنى يجسد هذه الظاهرة العالمية الجديدة».

ويذهب **عبد العزيز التويجري** إلى القول بأن العولمة قد أصبحت « ظاهرة كونية شئنا أم أبينا. والمسألة هنا تخرج عن نطاق إرادة الدول والشعوب. مما يستوجب التعامل مع هذه الظاهرة في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والمعلوماتية بمصفاة عقل ورجاحة فكر وسداد رأي وشمول رؤية. ذلك أن الرفض لا يجدي فتىلا، وهو ليس إلا تفويتا للفرص³».

وعلى عكس هذا الاتجاه يذهب طائفة من الباحثين إلى أن انعكاسات العولمة أبعد مما يثار في الكتابات، ولكن أصحابها لا يستطيعون تحديدها بدقة⁴. فهي عند **محمد عابد الجابري** تمثل أعلى مراحل الرأسمالية الجديدة التي أفرزتها ثورة المعلومات، وما يرافقها في مجال الاتصالات والإعلام⁵.

واعتبرها **عبد الإله بلقزيز**⁶ « اسما حركيا للأمركة، وهي في حقيقة أمرها ليست أسطورة من أساطيرنا السياسية... بل هي حقيقة مادية تعايشها أوروبا نفسها، وتحتج عليها وتنظم مقاومتها ضدها، وتعتبرها خطرا استراتيجيا يهدد استقرارها الاقتصادي والسياسي وهويته الثقافية».

وعرفها بعضهم بقوله « العولمة هي تداخل الشأن الوطني بالشأن العالمي أو الدولي، سياسيا واقتصاديا وعلميا وثقافيا، وأسلوب حياة بحيث تتلاشى معه الهوية الثقافية والوطنية⁷». ومنهم من عرفها بقوله «إنها ظاهرة تتدخل فيها

1. حسن عماد مكاوي، « أبعاد العولمة وإعادة هيكلة وسائل الإعلام». مجلة البحوث و الدراسات العربية، العدد 31. 32، يوليو - ديسمبر. ص 11.

2. محمد عبد الشفيق عيسى، « التنمية و أوهام خمسة»، السياسة الدولية، السنة 24، العدد 133، تموز / يوليو 1998. ص 18.

3. عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. مرجع سابق. ج 1 ص 38.

4. عبد الهادي أحمد الجوهري، « دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة». مجلة المستقبل العربي، السنة 22، العدد 247، سبتمبر 1992. ص 164. 167.

5. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص 137.

6. عبد الإله بلقزيز، « عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة». مجلة المستقبل العربي، العدد 5، 1998/231. ص 99.

7. محمد حمادة، « العرب قطار العولمة السريع». مجلة المنتدى. (عمان)، العدد 156. 1998.

أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها إلى العالم كله عبر الحدود السياسية الدولية
1. «.

وبالإضافة إلى هذا حاول البعض تقديم تعريف شامل للعولمة رغم صعوبة هذا المسلك، يقول عبد الستار الراوي بأنها «القوة بمفهومها الشامل الاقتصادي والسياسي والعسكري والتقني والإعلامي والثقافي هي الأساس الذي سوف تصنع أو تكون شكل النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين»².

أما السيد يسين فيرى أنه عند الدراسة الدقيقة لتعريفات العولمة التي يشيع استخدامها لدى الباحثين الأكاديميين ولدى السياسيين في الوقت نفسه، يتضح أنها تنقسم إلى أربع فئات: العولمة باعتبارها؛ مرحلة تاريخية، و تجليات لظواهر اقتصادية، وانتصاراً للقيم الأمريكية، وثورة اجتماعية وتكنولوجية.³ فالعولمة عند السيد ياسين عملية كلية، مندجحة الأبعاد والآليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، ومن الصعب تناولها عنده من منظور تاريخي أو اقتصادي فقط فتم ترابط بين كل هذه الأبعاد.

- وإذا أمعنا النظر في تعريفات العولمة حسب تصانيف النص العربي أمكننا توزيعها على الشكل التالي⁴:
- أ . تعريف ليبرالي: يركز على تطور درجة التداخل بين الأسواق والأنساق، ويرى العولمة غير قابلة للارتداد.
 - ب . تعريف ماركسي: العولمة هي مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي العالمي، لها مواصفات غير مسبوقه، ولكنها كظاهرة تاريخية قابلة للتعتيل أو الارتداد بسبب تناقضاتها وبفعل المقاومة التي لا بد أن تواجهها.
 - ج . تعريف توفيقى: ويعني المبدأ الإجرائي الذي يجب أن يتحكم في التعامل مع العولمة.
 - د . تعريف قومي: تقلصت فيه المطالب الكبرى للأمة العربية، وبالتالي تقلص فيه العمل وبرز فيه البعد الجيوسياسي مع بعض التركيز على الأمركة.
 - هـ . تعريف ثقافي: وهو بوجه عام يركز على الهوية الحضارية أو الثقافية المهددة.

4 - لماذا التعدد في مفهوم العولمة في الكتابات العربية؟

يذهب جمهور الباحثين⁵ إلى أنه لم يتم التوصل إلى تحديد إطار مرجعي ذي مضمون معرفي واضح يمكن الاستناد إليه عند استخدام مصطلح العولمة. فأمكننا ذلك من رصد أسباب التعدد في التعريف العربي كالتالي:

1 . أحمد صدقي الدجاني " العرب والعولمة" مداخلة على بحث السيد ياسين: « في مفهوم العولمة »، ورقة بحثية قدمت للمناقشة بالندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة أمين الخولي. مرجع سابق. ص 62.

2 . عبد الستار الراوي، « العولمة: الفردوس الموعود وجحيم الواقع ». « الموقف الثقافي. (بغداد)، السنة 2، العدد 10، 1997. ص 33.

3 . السيد يسين، العالمية والعولمة. القاهرة: نخضة مصر، 2000. ص 38. 39.

4 . انظر طاهر لبيب، تعريف المثقف العربي للعولمة. سلسلة كتاب قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999. ص 187. 188.

5 . انظر عواطف عبد الرحمان، الإعلام العربي و قضايا العولمة. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1999. ص 12. 14.

1 . التبعية للمعتقد وأيديولوجية كل فريق من الباحثين؛ حيث يرى بعضهم العولمة مرادفة لسيادة منطلق الربح والبقاء للأقوى، من خلال تجارة السوق وسيطرت الشركات المتعددة الجنسية على مسيرات الأمور والمعلومات. وينظر إليها آخرون على أنها صورة للإمبريالية والهيمنة في ظل سيطرت القطب الواحد. وتذهب طائفة إلى اعتبار العولمة بمثابة تبادل شامل بين مختلف أطراف الكون، يتحول العالم في ظلها إلى محطة تتفاعل معها الإنسانية جمعاء حيث تلغى المسافات وتتدفق المعلومات وحركة التجارة والسلع والخدمات دون حواجز جمركية.

2 . مصطلح "العولمة" من الناحية المنهجية ليس منضبطاً أو محددًا بطريقة توافقية. ويلاحظ بعض الكتاب أن هناك تحديات مختلفة لهذا المصطلح، وهذا الاختلاف لا يعود فقط للغموض الحاصل أو الالتباس في مفهوم العولمة، ولكن يعود بوجه من الوجوه إلى أن هذا المفهوم قد خضع إلى رهانات، وربما إلى استراتيجيات ومصالح معينة تقف خلف تحييد الأسماء؛ فإطلاق النعوت والأسماء في نهاية المطاف ليس أمراً بريئاً ومحايداً. ومثال ذلك أن نطلق مصطلح الأصولية على الظاهرة الإسلامية، فهذا تعبير ضمني عن موقف معين، وربما عن رهانات

وحتى مصالح معينة. كذلك الأمر بالنسبة لمصطلح العولمة. لذلك من الناحية المنهجية هناك حاجة إلى تدقيق أو إعادة بناء هذا المصطلح من منظور عربي وإسلامي بالدرجة الأولى.¹

3 . مصطلح "العولمة" ذاته الذي يحمل داخله قدراً من التناقضات والالتباسات؛ التناقضات المتأصلة داخل الواقع الاجتماعي نفسه، والتي يختلف إدراكنا لها تبعاً لاختلاف إدراكنا للواقع. وتناقضات الفكرة ذاتها، أي التناقضات المتواجدة داخل محاولات التنظير العلمي للواقع الاجتماعي. وتختلف هذه المحاولات فيما بينها من حيث الأفكار التي تستخدمها والتناؤلات التي تتجها.²

4 . طبيعة المفهوم ليس سبباً لاختلاف الدلالة. وإنما هو نتيجة منطقية للتعامل والتفاعل سلبي أو إيجاباً مع مكتشفات الثورة العلمية الثالثة في مجالات المعلوماتية والاتصالات والتطورات البيولوجية.³

5 . تركيز البحث في مظاهر مصطلح العولمة مما زاد من غموضه. كما أنه تم استخدامه من قبل الكثيرين دون وعي بمدلولاته أو الغرض منه.¹

1 . رفيق عبد السلام « كيف يرتقي الخطاب الإسلامي إلى العالمية؟ » الكلمة، مجلة فكرية ثقافية إسلامية تصدر فصلياً عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث (بيروت)، بلا عدد ولا سنة. ص 115.

2 . دينا أحمد عرابي، مرجع سابق. ص 54.

3 . محمود أمين العالم، العولمة وخيارات المستقبل. سلسلة كتاب قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999. ص 9.

5 - خصائص التعريف العربي

1 . في رسمهم لحدود العولمة عند أغلب الباحثين العرب، يعين الهدف النهائي لها في السيطرة على الإدراك والوعي، وتعطيل فاعلية العقل وتكريسه لتقبل نوع معين من الاستهلاك، وتقبل ثقافة الاختراق.² كما ينظرون إلى العولمة في شكلها الحالي سياسيا واقتصاديا وثقافيا على أنها ليست في الحقيقة سوى مظهرا جديدا من مظاهر السيطرة والهيمنة. إلى درجة أن كلمة استعمار صارت تلازم تلك التعاريف كظلمها، مثل استعمار الصورة.³ ومهما تعددت السياقات التي ترد فيها العولمة، فإن المفهوم الذي يعبر عنه الجميع في جميع اللغات، هو الاتجاه نحو السيطرة على العالم وجعله في نسق واحد. ومن هنا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة⁴ بإجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالميا.

2 . هناك اتجاه عام نحو الاتفاق يتبناه المفهوم العربي، على أن العولمة هي مجموعة واسعة شاملة ومعقدة من عمليات التغيير الاجتماعي على المستقبل المايكرو. المجتمعي. ويبدو كذلك أن هناك اتفاقا، ولكن بدرجة أقل على أن عمليات العولمة لها سياق تاريخي وثيق الصلة بالحدثة التي مثلتها الرأسمالية الصناعية الغربية.⁵ ومن ثمة تسود شكوك لدى معظم الباحثين حول أهداف هذه الظاهرة، ويجب الاستعداد لها في نظرهم بكل الأسلحة الممكنة لمواجهةها. فالنظام الجديد بآلياته المختلفة والفعالة، يعمل على تهميش شعوب وبلدان الجنوب وإقصاء ثقافات ودورها السياسي، مع جعل اقتصادياتها تابعة⁶ ومنها المنطقة العربية. ولكن من منظور معرفي يرى **تركلي الحمد** أن « العولمة وكأي ظاهرة اجتماعية وتاريخية، لها جوانب سلبية كما أن لها جوانب إيجابية، منظورا إلى ذلك وفق أحكام أخلاقية. فالرأسمالية والتصنيع كان لهما تكاليفهما الاجتماعية الباهظة، على مستوى الإنسان أو البيئة أو المجتمعات التي نشأت أو انتقلت إليها. ولكن وفي الوقت ذاته، ما كان من الممكن الوصول إلى المنجزات الإنسانية المعاصرة بدون تلك التكاليف التاريخية المشار إليها».⁷

¹ . تادى أكيناينا، العولمة والسياسة الاجتماعية في إفريقيا، قضايا واتجاهات. ترجمة: صلاح أبو نار. القاهرة: مركز البحوث العربية، 1999. ص 10.

² . انظر: محمد عابد الجابري، مرجع سابق. ص 145.

محمد فهمي يونس، « حقوق الإنسان في ضوء التجليات السياسية للعولمة: عولمة حقوق الإنسان أم عولمة الفهم الغربي لحقوق الإنسان»،

مجلة المستقبل العربي، السنة 21، العدد 235، سبتمبر 1998. ص 67.

³ . ماهر الشريف، « ماذا يعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة ». مجلة النهج، السنة 94، العدد 50، ربيع 1998. ص 40.

⁴ - محمود فهمي حجازي، مجلة الهلال، القاهرة، عدد مارس 2001. ص 87.

⁵ . خلدون حسن النقيب، « حوار الثقافات و صراعتها: العولمة و الوشائج الجديدة ». مجلة النهج، السنة 15، العدد 50، 1998. ص 50.

⁶ . عروس الزبير، « العولمة و ثقافة السلطة. الجزائر نموذجاً ». قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999. ص 185 - 186.

⁷ . تركلي الحمد، مرجع سابق. ص 20 - 21.

- 3 . امتد تضارب الآراء العربية حول مفهوم العولمة أيضا إلى الآفاق المستقبلية للظاهرة. فصارت ملامح المستقبل غير جلية. وبلغ التشاؤم ببعض التعريفات إلى التساؤل هل العالم يسير نحو حضارة الفوضى؟¹ وهل سيشهد المستقبل نهاية دور الدولة بوصفها محمدا للهوية ومصدرا للسلطة القانونية؟ أي أن العولمة هي نهاية السياسة.²
- 4 . الإسهاب واتساع التعريفات التي تصف العولمة قد ضيق الرؤية الحقيقية لها، فلا أحد يذكر أكثر مما يكتبه الآخرون. وقد يكون عدم الاتفاق وتعددية المفاهيم هي نفسها انعكاسات لتأثير العولمة على التفكير والإدراك.³

6 - التيارات الفكرية والفلسفية الموجهة للكتاب والدارسين العرب نحو العولمة

ظهرت بسبب طبيعة ظاهرة العولمة والآثار التي تركتها، وتحديدًا العولمة الثقافية، مواقف منددة أو مؤيدة، وتصورات متباينة، وارتباك معرفي بين طرف مؤيد منسجم وطرف مندّد ورافض، إذ وجدت تيارات عدة تسم توجهات الكتاب العرب نحو العولمة⁴ والتي يمكن توزيعها كالتالي:

التيار الأول: يتحيز للعولمة ويعتبرها قدرا حتميا لا مفر من قبوله بغير تحفظ، بناء على زعم مضمونه أن العولمة هي تطور من أجل صالح الإنسانية. ويرى أنصار هذا التيار إنه الآن أصبحت هناك مراكز سلطة بديلة تتمثل خصوصا في عالم الشركات الدولية. بل ويذهب المتحمسون للعولمة من **المفكرين العرب** مذهبًا آخر، فلا يرون في طبيعة الخطر الناجم عن العولمة إلا خطرا عارضا؛ فالخطر الذي يتحدث عنه هؤلاء المتكلمون في العولمة ليس إلا تهديد الامتيازات التي تتمتع بها هذه الفئات، وليس أمرا يتعلق بالإنسانية والكونية. فالنخب العربية قد استسلمت للعولمة الحالية منذ قرنين، وهي لا تريد إلا أن تجد مخرجا من المأزق الذي يهدد مصالحها. فهي وضعت نفسها في وضعية المنهزم منذ البداية بحكم تسميتها بالعولمة في شكلها الحالي ومحاولة حماية مصالحها فقط، لا تتجاوز المأزق.

1 . لحبيب الجنتاني، مرجع سابق. ص 11.

2 . محمد عابد الجابري، مرجع سابق. ص 149 . 150.

3 . حيدر ابراهيم، « العولمة وجدل الهوية الثقافية ». مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2، أكتوبر. سبتمبر 1999. ص 96.

4 . تم الرجوع في هذه الجزئية إلى المرجع التالية: =

= . السيد يسين، العالمية والعولمة. مرجع سابق. ص 34 . 35.

. عبد الله عبد الدائم، « في سبيل ثقافة عربية مستقبلية، العالم ومستقبل الثقافة العربية ». شؤون عربية، العدد 89، آذار /

مارس 1997. ص 183.

. محسن أحمد الخضير، العولمة . مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة. القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000. ص 111.

. نايف علي عبيد، « العولمة والعرب »، مجلة المستقبل العربي، العدد 71، مارس 1997. ص 31.

إن إشكالية العولمة عند هؤلاء وفي الأقطار العربية هي إشكالية تابعة، التبعية المباشرة للنخب السياسية والاقتصادية والثقافية العربية لزملائهم الأوروبيين. فالخوف من العولمة يضيف إلى الخوف الناتج عن الارتباط بالاقتصاد والثقافة خوفين آخرين عند هؤلاء:¹

. خوف من العولمة علتها تهديدها الطبقة السياسية نظاماً وأحزاباً ومعارضة. إذ العولمة قد تعمم الحريات، أو على الأقل الطموح إليهما؛ والحجة المستعملة هي حجة الخوف على السيادة الوطنية.
. خوف من العولمة علتها تهديدها النخب بأنواعها الاقتصادية والفكرية والإبداعية والروحية بحجة المصلحة الوطنية والهوية.

التيار الثاني: يرفض العولمة تماماً. على أساس أنها ليست في حقيقتها سوى إعادة لنظام الهيمنة الرأسمالي القديم، وتحقيق الأهداف الرأسمالية، وتحقيق أعلى معدلات الربح ولو على حساب شعوب العالم الثالث. وليست في حقيقتها إلا شبكات اقتصادية عملاقة تضع اعتبار التوسع فوق الاعتبارات الإنسانية والثقافية. وهو ما يؤدي إلى الاصطدام بالقيم والثقافات والتراث الحضاري للشعوب الأخرى، إذ ستؤدي العولمة إلى إذابة الفوارق والتميزات الوطنية من خلال فرض ضوابط ومعايير وقيم عالمية متجانسة لها تكون ثقافة العالم كله.² بل يجزم بعضهم من طريق الوقائع والشواهد بسعي العولمة الحثيث صوب إلغاء السيادة على المكان أو إضعافها، مستعينة بوسائلها وآلياتها من تحطيم الحدود والقفز من فوقها، والتعدي على خصوصيات المكان وسكانه واختراقه، وغزو ثقافة شعبه وحضارته، وفرض ثقافة أخرى عليه مما قد يضعف من انتمائه الوطني والقومي، ويساهم في تفكيك عناصر هويته ومكوناتها، ليصبح شعباً بلا هوية تميزه عن هوية غيره من الأمم والشعوب.³

التيار الثالث يمثل الكتابات الوصفية التي ترصد الظاهرة وتصنفها في جوانبها المختلفة، بدون إصدار أحكام قيميّة عليها. وإن كان يرى أغلب باحثيه أن العولمة حقيقة واقعة يجب التعامل مع كل ملامحها بطريقة انتقائية. فهي تتضمن الكثير من الفرص والمخاطر المتداخلة، ولا شك أن تداخل الفرص والمخاطر هي التي تؤدي إلى تفاوت المشاعر والأحاسيس والمواقف تجاه العولمة أشد التفاوت. فالبعض يظهر كل التفهم للعولمة، ويرحب بفرصها المعرفية والاستثمارية ويدعو بالتالي للانغماس في لحظة العولمة. والبعض يبدي التخوف من مخاطر العولمة الكثيرة، ويرفض دلالاتها الاستغلالية ومضامينها الاستهلاكية، ويدعو للانكماش من أجل حماية الذاتية الحضارية والهوية والثقافة التي تبدو مهددة من قبل العولمة. والبعض يشعر بمزيج من المشاعر الإيجابية والسلبية،⁴ ويحاول أن يوفق بين الموقفين.

¹ - انظر أبو يعرب المرزوقي، «العولمة و الكونية». مجلة النجديد (الجامعة العالمية ماليزيا)، السنة الثانية، العدد 4، 1998، ص 15.

² - راسم الجمال، مرجع سابق. ص 209.

³ - محمد علي الفراء، «العولمة والحدود». عالم الفكر، المجلد 32، العدد 4، أبريل / يوليو 2004، ص 61.

⁴ - عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 89 - 90.

وخلاصة الحديث عن هذه الظاهرة في توجهات الكتاب العرب، القول بأن «الأهم في قضية العولمة هي أنها عملية تاريخية جارية، أي أنها حتم معاش، وبالتالي فالقضية ليست قضية اختيار أيديولوجي أو سياسي في أن نقبلها أو لا نقبلها، بقدر ما هي سؤال حول كيفية التعامل معها واستيعابها. فالرافضون للعولمة رفضا مطلقا، باسم حماية الخصوصية الثقافية والهوية، مصيرهم الاندثار. والتاركون أنفسهم للموج يحملهم كيف شاء وأنى شاء، مصيرهم الاندثار أيضا. الحل يكمن في "الوعي" بمعنى العولمة وجوهرها، والاندماج فيها يمثل هذا الوعي دون الغرق في جدل حول فرعيات سلوكية لا تمس الجوهر».¹

7 - المفاهيم المشابهة للعولمة

إن تعريف العولمة إحدى عناصر موضوعنا، يجزنا حتما إلى الحديث عن كلمات أو مصطلحات بينها قرابة في الاشتقاق اللفظي أحيانا، وفي الدلالة والاستعمال أحيانا أخرى. ولاسيما ونحن نعيش في خضم التطورات المتسارعة، وفي الغرب وأمريكا خصوصا حيث القطب الأحادي أين تتركز معظم الإبداعات، وتصنع معظم المفاهيم والمصطلحات قبل أن تصدر إلى أنحاء العالم، خاصة المتخلفة منه، ومنه علمنا العربي الإسلامي. ومثل هذه المصطلحات لفظة الاستعمار والرأسمالية والامبريالية، والعالمية والعلمانية والاشتراكية والديمقراطية. وكلها يمكن أن تستعمل العولمة مرادفة لها أو تحل محلها في رأي فريق من الباحثين.² فنزعة التوسع والهيمنة والاحتواء والاستيلاء والاستحواذ موجودة في العولمة وفي كل لفظة من أخواتها، ولكن الوسائل تختلف في المظاهر، وقد يختلف بعضها عن بعض في المعاني وطريقة الاستعمال.

فليست العولمة وقريناتها من تلك المسميات المترادفة سوى قمة الاستعمار والرأسمالية، وهي الليبرالية المتوحشة، وهي الديمقراطية في المفهوم الغربي الأمريكي، وهي الشركات المتعددة الجنسيات، وهي السوق المالية المتوحدة المفتوحة، وهي رأس المال الطليق الذي لا يضبطه دين ولا يرشده شرع، وهي التجارة الحرة، وهي شبكات الاتصال وتدفق المعلومات وتبادلها، وهي السهم الذي يخترق السياسة ويخترق الهياكل الاقتصادية الوطنية والقومية، وهي إزالة الحواجز والحدود، والتجرد من قيود القيم والأخلاق، وهي التوسع المتزايد المطرد في تدويل الإنتاج الذي تقوم به الشركات المتعددة الجنسيات.³

لكن يرى طرف آخر من المفكرين الغربيين والعرب على السواء، وجوب الابتعاد عن هذه العمومية في المعالجة، والعمل على التمييز بين مفاهيم عديدة قد تعطى صورها اللفظية القريبة من لفظة (العولمة) معنى ودلالة مصطلح العولمة. ليساعد ذلك على تحليل ظاهرة العولمة من خلال تلك المقارنات، ولنأخذ الآتي من الألفاظ:

¹ . تركي الحمد، مرجع سابق. ص 22، 23.

² . انظر برهان غليون، سمير أمين، مرجع سابق. ص 54.

³ . نفس المرجع الآنف الذكر.

«العالمية»، «الأممية»، «التدويل»، «الأمركة»، أكثر المصطلحات شيوعاً واستعمالاً اليوم بجانب لفظة العولمة، كنموذج تحليلي لذلك التقارب الموهوم، وأثره على الحياة المعاصرة في ظل العولمة.

فالعالمية ليست العولمة في مفهومها الضمني ومدلولاتها الاصطلاحية، فالمصطلحان العربيان (عالمية وعولمة) متقاربان لفظاً ومشتقان من كلمة «العالم». ويلاحظ فيهما الفرق بين المصدر الصناعي "العالمية"، الذي يفيد حالة مأخوذة من الصفة، على نمط كلمات مثل: الاتباعية والابتداعية والرمزية وغيرها. وبين مصدر "عولمة" الذي يفرض نفسه ويفترض أنه مشتق من فعل "عَوَّلَمَ"، وهو فعل افتراضي غير مستخدم في العربية أصلاً، ولكن ينتظر أن يدخل الاستعمال بفعل قوة المصدر، وبدأت بوادر بعض الكتابات تتضمنه. وقد يوحي هذا المصدر بالافتعال والقصدية. والمصطلحان "كلاهما" اكتسبا الصيرورة عفوية ويعتبران من المصطلحات الناجحة في أداء الدلالة المقصودة.¹

من المؤكد اليوم وجود فرق بين العولمة والعالمية؛ فالعالمية تعني في عمومها انتشار الثقافة والفكر ومنتجات المادة، وخروجها من الحدود القومية والمحلية إلى آفاق عالمية أكثر اتساعاً. والعولمة والعالمية معاً أن كلا منهما يتسم بالخروج بالفضاء المحلي إلى فضاءات أرحب، إلا أن العولمة تلتصق بتعميم التقنية والسلع والأموال والسياحة والمعلوماتية. على حين تنحُو العالمية نحو القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافات.² والعولمة تنفس في محيط علماني، وتنشر الفكر العلماني وتؤسس لأرضيات وخلفيات عالمية.³

وللتمييز بين العولمة والأممية نجد أن الأخيرة هي النزعة العالمية التي تتخطى حدود النزعة القومية. وهي مفهوم يراد منه تكسير الأطر القومية، خدمة للجهة المستفيدة من الفكرة الأممية. في حين نجد العولمة، وإن كانت تتخطى حدود الدولة القومية، لكنها لا تمثل أيديولوجية دولة معينة، وإنما هي انعكاسات لمجموعة متغيرات سياسية واقتصادية وتقنية.

أما فيما يتعلق بالعولمة والتدويل؛ ذلك أن التدويل هو النظام الدولي الذي تضعه الدول لتحديد أشكال علاقاتها، أما العولمة حسب ما يمكن أن يتبين لنا سواء في الشرق أو في مناطق أخرى فهي تناوئ المجال الجغرافي السياسي القائم، سواء على مستوى المجال الجغرافي السياسي العالمي أو على مستوى كل بلد من البلدان.⁴

1 . انظر حسام الخطيب، مرجع سابق. ص 8.

2 . بكار عبد الكرم، العولمة: طبيعتها ووسائلها وتحدياتها والتعامل معها. ط:2. الأردن، عمان: دار الإعلام للنشر والتوزيع. ص 50.

3 . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 51.

4 . جوسطاف ماسايا، «صراع الحضارات أم حوار الحضارات». ورقة قدمت إلى المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات". القاهرة:

وأخيراً نأتي للتمييز بين أكثر المصطلحات جدلاً، **العولمة والأمركة**، حيث يذهب العديد من المفكرين إلى وصف العولمة بالأمركة من جهة، وسعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى توظيف العولمة لمصلحتها من جهة أخرى. وقد مكنت الولايات المتحدة الأمريكية، وهي القطب الأوحده والقوة الأعظم في العالم من فرض سلطانها ونفوذها على العالم، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وأمنياً وثقافياً. ولذلك يرى الكثيرون أن العولمة هي (أمركة) هدفها تطبيق النموذج الأمريكي على العالم.¹

إن العولمة التي يراد لها أن تسيطر على العالم هي مرادفة لمعنى أمركة العالم. وهي لا تعني فقط اقتصاد السوق وآلية الإنتاج الليبرالي والمضاربات المالية، وإنما أيضاً:²

- . الهيمنة على الثقافات الأخرى وإلغائها .
- . إذابة الثقافات الصغرى وإلغاء الخصوصيات والهويات .
- . خلق عالم اللاتقافات .

إن العولمة كما تحدث وتمارس اليوم ليست إلا محاولة لنشر وتعميم القيم والثقافة الأمريكية وجعلها ثقافة عالمية كما يرى بعض الدارسين. وذلك عبر الضخ المتزايد لمعطيات الصوت والصورة عبر أحدث وسائل الإعلام والاتصال، إلى كل بيت في العالم بشكل فوري ومباشر. ولا تقتصر محاولات الأمركة على مضامين الرسائل الإعلامية الدائمة التدفق، بل تتعداها إلى التبشير بانتصار القيم المسماة أمريكية، وبأساليب وطراز الحياة الأمريكية، بدءاً بأنماط السلوك والملابس واللغة، وصولاً إلى التبشير بالانتصار النهائي للقيم الليبرالية على سواها. والحديث عن نهاية التاريخ بوصفه النتيجة النهائية التي أعقبت الحرب الباردة، بما تحتويه من تفوق للقدرات التكنولوجية الأمريكية، ومن أفضلية للنظم والمؤسسات العالمية على الطراز الأمريكي، وبما تنطوي عليه من تحديث وديمقراطية لا بد أن تعم، حسب منظري الليبرالية الجديدة، جميع دول العالم، من خلال التمسك بمبادئ الرأسمالية التي تشكل غاية التطور العالمي وقدر جميع الشعوب والدول الأخرى.³

لا بد من القول من جانب آخر أن العولمة ليست الأمركة كما يذهب إلى ذلك بعضهم أيضاً. لكون العولمة ليست وليدة اليوم. والولايات الأمريكية كغيرها من الأمم « رسالتها وحلمها الذي تعبر عنه أسطورة. ومن ذلك يمكن القول إن الأمركة هي أيديولوجية أمريكية تدعو إلى تبني النموذج الأمريكي في الاقتصاد والسياسة، وفي طريقة الحياة بشكل عام، وإذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق ذلك، فإنها دون شك ستواجه مقاومة أقل لتربعها على كرسي قيادة العالم، وإن الآخرين يتبعونها بمحض إرادتهم».⁴

¹ محمد علي الفراء، مرجع سابق. ص 61.

² . انظر المنصف وناس، مرجع سابق. ص 10.

³ . كريم أبو حلاوة، مرجع سابق. ص 176-177.

⁴ . هالة مصطفى، « العولمة دور جديد للدولة ». السياسة الدولية، العدد 134، تشرين الأول أكتوبر 1998. ص 34.

واليوم وفي ضوء المتغيرات التي تشهدها الساحة الدولية بعد نهاية الحرب الباردة، ودخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى الثورة الصناعية الثالثة، نرى أنها تسعى للتفرد بالعالم من أجل توظيف العولمة لصالحها وذلك من خلال أمركة العولمة، وليس لأن العولمة هي ظاهرة أمريكية. فالولايات المتحدة الأمريكية امتلكت من القدرات ما أعانها على صياغة مسار العولمة حتى الآن، بما أكسبها وصفا مميزا، أي أنها تؤثر في التكوُّب من ناحيتين: التعامل مع الظاهرة الموضوعية، واستحداث عوامل ذاتية لدى الآخرين الأقل قدرة تدفعهم إلى تقبل ناتج هذا التعامل.

ولذا يصبح من الخطأ القول إن العولمة والأمركة شيء واحد. فالأمركة أيديولوجية أمريكية تهدف إلى قبولية العالم وفقا للنمط الأمريكي للحياة. أما العولمة فهي تعبر عن مجموعة من المتغيرات السياسية والفكرية والعلمية والاقتصادية والثقافية التي ساهمت في ازدياد الترابط بين شعوب العالم.

المبحث الثاني

أبعاد العولمة وتجلياتها

كثيرا ما ينظر الآن إلى العولمة كظاهرة "متعددة الأبعاد" وهذا وصف يسير في الظاهر، لكنه إذا أخذ بما يكفي من الجدية قد نحقق نتائج مرضية نحو الغاية من هذا البحث. إن دراستنا للظاهرة الثقافية كمفهوم وككيان متعلق بالعولمة يتعين علينا النظر إليها وهي في صورتها المتداخلة المتصلة المتشابكة، فلا تستطيع الانفراد بمجال دون الخوض في المجالات الأخرى، فتأثيرها يكاد لا يكون بينها فواصل مرئية. فالعولمة اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول. و سنحاول هنا تفسير العولمة بتعبيرات "أحادية البعد".

لكن حدود تعريفاتنا لهذه الأبعاد ستكون خجولة جدا، لأننا لا يمكننا إدراك طبيعة الصلة الثقافية بين أبعاد العولمة إلا بالنفاذ إليها بطرق مختلفة. وليس هذا من مرامي البحث. غير أننا سنصف الخطاب الاقتصادي

والسياسي و الاجتماعي للعولمة ومن ثم محاولة التوصل إلى فهم العولمة الثقافية كأولوية مقدمة على الأبعاد الأخرى لأنها الغاية من كل بعد.

إن مصطلح العولمة ظهر في البداية كمفهوم اقتصادي، يشير إلى توحيد الأسواق المالية ورفع كافة الحواجز والقيود التجارية أمام تدفق الأموال والسلع والبضائع من مكان لآخر حول العالم. كما يشير هذا المصطلح إلى التغيرات العميقة في أساليب الإنتاج وسوق العمل، وبروز التكتلات الكبرى والعلاقة، وتعاضم نفوذ الشركات التجارية المتعددة الجنسية. ولكن العولمة كمصطلح ومفهوم وممارسة لم يعد يقتصر على الشق الاقتصادي، بل تعداه إلى كافة الأبعاد كالسياسة والاجتماع والثقافة والبيئة. يقول محمد عابد الجابري « تطرح أيديولوجيا العولمة حدودا أخرى غير مرئية، ترسمها شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأذواق والثقافة». ¹ فالعولمة هي لحظة تاريخية تتضمن كل الأبعاد الحياتية المختلفة بما في ذلك الاقتصاد والسياسة والثقافة والتي تتداخل مع بعضها البعض وتشكل عالما بلا حدود اقتصادية أو سياسية أو ثقافية والذي هو قيد التأسيس. ومنه فأبعاد العولمة الرئيسية أربعة، هي: البعد الاقتصادي، والبعد السياسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الثقافي.

1 - البعد الاقتصادي

إن التغيرات والتطورات الاقتصادية هي أكثر تجليات العولمة ظهورا وبروزا من غيرها. وإن أبعادها وتجلياتها الأخرى. كالثقافة مثلا. جاءت متأخرة أو كانت تابعة. فالعولمة هي أساسا مفهوم اقتصادي قبل أن تكون مفهوما علميا أو سياسيا أو ثقافيا أو اجتماعيا. كما أن أكثر ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العولمة هو العولمة الاقتصادية، ويعود هذا الارتباط العميق والعضوي بين العولمة من ناحية والعولمة الاقتصادية من ناحية أخرى إلى أن المظاهر والتجليات الاقتصادية للعولمة هي الأكثر وضوحا في هذه المرحلة من مراحل بروز وتطور العولمة كالحظة تاريخية جديدة. فكل المؤشرات الموضوعية تشير إلى أن العولمة الاقتصادية هي الأكثر اكتمالا وهي الأكثر تحققا على أرض الواقع من العولمة الثقافية أو السياسية. ويبدو العالم اليوم مُعولمًا اقتصاديا أكثر مما هو مُعولم ثقافيا أو سياسيا. من هنا جاء التلازم بين العولمة والاقتصادية، ومن هنا هيمن الفهم الاقتصادي على ظاهرة العولمة التي هي حتما ليست بالظاهرة الاقتصادية وليست مقتصرة على الاقتصاد. ² يقول هيرست وتومسون Thomson & Hearst: « نحن نعتقد أنه من دون فكرة وجود اقتصاد مُعولم بحق، فإن كثيرا من النتائج الأخرى المطروحة كأدلة في مجالات الثقافة والسياسة إما تتوقف عن أن تكون مستدامة و إما أن تصبح أقل تهديدا». ³

¹ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص 146.

² عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 67.

³ جون ثوملينسون، العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان. ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة

ويعد مبدأ حرية التجارة الدولية أهم ركائز البعد الاقتصادي للعولمة، ويعني الانسياب للسلع والخدمات وانتقال رؤوس الأموال بين الدول دون عوائق. ولا شك أن العولمة بمظاهرها الاقتصادية تفضي إلى تغيير في أنماط العلاقات الاقتصادية بين الدول، كذلك بين المؤسسات العالمية والإقليمية المعنية.

كما أن انتقال مركز الثقل الاقتصادي العالمي من الوطني إلى العالمي، ومن الدولة إلى الشركات والمؤسسات والتكتلات الاقتصادية، هو جوهر العولمة الاقتصادية أيضاً؛ فالاقتصاد العالمي ونموه - وليست الاقتصاديات المحلية - هو محور الاهتمام العالمي. كما أن الأولوية الاقتصادية في ظل العولمة هي لحركة رأس المال والاستثمارات والموارد والسياسات والقرارات على الصعيد العالمي، وليس على الصعيد المحلي. والعولمة الاقتصادية تستجيب لقرارات المؤسسات العالمية ولاحتياجات التكتلات التجارية ومتطلبات الشركات العابرة للقارات أكثر من استجابتها لمتطلبات الاقتصاديات الوطنية التي أخذت تذوب في الاقتصاد العالمي. كذلك تصبح كيفية إدارة الاقتصاد العالمي أكثر أهمية من كيفية إدارة الاقتصاديات المحلية.

إذن في نظام العولمة ارتبط تحرير الأسواق بمبدأ تقليص دور الدولة في الاقتصاد، من خلال عدة أدوات كتخصيص وتقليص العبء الضريبي على رأس المال لتشجيع الاستثمار والانتقال عبر الحدود. إن التغيير في دور الدولة الاقتصادي، من شأنه أن يحد من دورها الراعي للاقتصاد، ويؤدي إلى تغيير علائقها بالقطاع الخاص، والتوسع في الحريات السياسية داخل الدولة، وتعديل علاقة الدولة ومؤسساتها بالمجتمع. كما أن مظاهر العولمة تؤثر في مفهوم السيادة الوطنية وفي دور وظائف الدولة القومية، على أساس أن آليات وأنظمة العولمة تحد من مرونة القرار الاقتصادي الوطني الذي يجب في ظل العولمة أن يتفق مع مبادئ الحرية التجارية وفتح الأسواق وعالمية رأس المال، مما يؤثر سلباً في مجالات التنمية في الدول النامية. بالإضافة إلى أن آليات العولمة التي تقلص دور الدولة ستؤثر في الإنفاق العام وبخاصة الإنفاق الاجتماعي، وذلك يؤدي إلى الحد من فاعلية وظائف الدولة الاجتماعية.¹

لا شك أن ظهور المنظمات الاقتصادية العالمية وتزايد دورها وإثبات وجودها على المسرح الدولي، كان عاملاً قوياً في بروز ظاهرة العولمة، وأداة رئيسية في تجاوز الحدود وإضعاف مكانة الدولة القطرية أو القومية. وكانت الحاجة هي التي دعت إلى قيام هذه المنظمات الاقتصادية كآلية دولية تساهم في الحيلولة دون تعرض الاقتصاد العالمي إلى أزمات دولية مماثلة، كصندوق النقد الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية. وقد أصبحت هذه المؤسسات بمنزلة سلطات دولية تملك حق وضع الأسس والضوابط والإجراءات ضد من يخل أو لا يلتزم بها.² ولذلك أصبحت تقوم بدور فعال ومهم ومؤثر في حركة الاقتصاد العالمي.

¹ - بدرية البشر، مرجع سابق. ص 46 . 47.

² - باسم علي خريسان، مرجع سابق. ص 67 . 70.

فصندوق النقد الدولي أنشأ من أجل تأمين نظام اقتصادي دولي يقوم على ثبات الصرف وتحويل العملات. ومع وضوح أزمة التنمية الاقتصادية وبخاصة بعد زيادة أعباء المديونية الخارجية على الدول النامية، اتجه الصندوق ليصبح مع البنك الدولي للإنشاء والتعمير، المؤسسة الاقتصادية الدولية الأكثر اهتماماً بقضايا التنمية والإصلاح الاقتصادي. وزاد في هذا الاتجاه مع تحول عدد من دول الكتلة الاشتراكية في السابق إلى اقتصاد السوق.

أما منظمة التجارة العالمية، فتقوم بدور كبير في عولمة الاقتصاد وإلغاء الحدود الاقتصادية بين الدول، وقد كانت البداية بإنشاء ما يسمى الاتفاق العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات) G.A.T، والتي تضمنت

مزيداً من تحرير التجارة بالتعهد بعدم فرض قيود تجارية دون تحريك السلع التجارية والخدمات والاستثمار... الخ. وتتولى منظمة التجارة العالمية مجموعة من المهام.¹

وأما الشركات المتعددة الجنسيات فهي من أهم آليات العولمة وأبرزها، وهي الأدوات المسؤولة عن الاستثمار الأجنبي المباشر. وقد عدد هذه الشركات في منتصف التسعينيات بنحو 45 ألف شركة، تسيطر على حوالي 280 ألف شركة تابعة. ومنشأ معظم هذه الشركات نحو 82% في 14 بلداً متطوراً من بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية. وأن 90% من مقار إدارتها تقع في العالم المتقدم. وتهيمن الشركات المتعددة الجنسية على ثلثي التجارة العالمية، وينجز حوالي نصف هذه التجارة في داخل شبكة المصانع التابعة إلى الشركات القابضة. ولذلك فإن هذه الشركات أصبحت محور العولمة والقوة الدافعة لها دون انقطاع.²

لذلك تشكل العولمة الاقتصادية نقلة نوعية جديدة في التاريخ الاقتصادي العالمي، ليس على صعيد ربط الاقتصاديات المختلفة والتي هي الآن أكثر ارتباطاً، أو على صعيد حجم التجارة العالمية الذي تجاوز كل الأرقام القياسية، أو على نطاق الاستثمارات الخارجية التي بلغت مستويات غير معهودة، بل على صعيد إعادة تأسيس قواعد ومؤسسات وبنية هذا النظام.³

وعلى الرغم من كل الإيجابيات الإيجابية للعولمة الاقتصادية، بزيادة الرفاهية والنمو، وبخلق النظام الاقتصادي الواحد القائم على الربط الإلكتروني، وحرية التجارة، والتدفق غير المقيد للاستثمارات، فإنها في حقيقتها ليست

¹ . حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة. (عالم المعرفة) الكويت: المجلس الوطني

للثقافة و الفنون والآداب، 2000. ص 201. 208.

² . مارتين هانس بيتر و هارالد شومان، مرجع سابق. ص 206.

³ . عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 67. 68.

منفصلة عن النظام الرأسمالي بكل سلبياته الاحتكارية التي تزيد من غنى الدول الغنية وتضاعف من فقر الدول الفقيرة. فالعولمة الاقتصادية هي الرأسمالية، وهي الشكل المتقدم لرسملة العالم، أي التعميم الكوني للرأسمالية. وبالتالي سيطرت الاقتصاد وإدخال الحياة في دائرة التجارة الحرة ومنطق الاستثمار الضيق.

إن هدف العولمة الاقتصادية هو تحويل العالم إلى عالم يهتم بالاقتصاد أكثر من اهتمامه بأي أمر حياتي آخر، بما في ذلك الأخلاق والقيم الإنسانية التي تتراجع تدريجياً، وتستبدل بالعلاقات السلعية والربحية النفعية. فهدف العولمة الاقتصادية هو سَلْعنة العالم وتحويل أفرادها إلى مجرد مستهلكين للسلع والخدمات التي تروج على نطاق العالم. ويستند التراكم الرأسمالي المعولم على أساس الاحتكار التكنولوجي والمالي والمعلوماتي والخدمات من

قبل عدد قليل من الشركات العابرة للحدود. لقد أصبحت الرأسمالية في ظل العولمة ونتيجة لتوظيفها للمستجدات العلمية والمعلوماتية أكثر حيوية وأكثر إغراء وجاذبية من أي وقت آخر.

وما تزال العولمة الاقتصادية تأخذ طريقها نحو التعمق والرسوخ، وقد اتخذت لنفسها خصائص من أبرزها:¹ النمو السريع للتجارة العالمية وتزايد سيطرة الشركات متعددة الجنسيات وتعاضد دور المؤسسات العالمية. وفي ظل مقولة العولمة الاقتصادية وأهدافها إذن يصبح من الضروري ربط تدويل الاقتصاد بتدويل الثقافة.

2 - البعد السياسي

تعد السياسة من أبرز اختصاصات الدولة القومية. وقد ظلت محصورة ضمن النطاق المحلي ومعزولة عن التطورات والتأثيرات الخارجية، فهي في حقيقتها نقيض العولمة. ونتيجة لطبيعتها المحلية ستكون أكثر مقاومة للعولمة التي تدعو إلى انكماش العالم وإلغاء الحدود الجغرافية وربط الاقتصاديات والثقافات والمجتمعات والأفراد بروابط تتخطى الدول.

لكن رغم المقاومة الطبيعية التي تبديها السياسة ومعها الدولة القومية للعولمة، « فإن الاتجاه العالمي المتزايد نحو بروز عالم بلا حدود اقتصادية، وهو الأمر الذي قطع شوطاً مهماً من الانجاز على أرض الواقع. وظل الاتجاه المتزايد نحو عالم بلا حدود ثقافية، والذي يبدو أنه في طور الانجاز السريع، فإن كل ذلك ربما سيخلق معطيات مادية ومعنوية مستقبلية لقيام عالم بلا حدود سياسية، والذي هو جوهر العولمة السياسية. إن العولمة السياسية هو مشروع مستقبلي،

¹ . عراقي عبد العزيز الشربيني، « ندوة: العولمة: ظاهرة العولمة، بعض الأبعاد الاقتصادية ». جمعية الدعوة الإسلامية. ليبيا، طرابلس، 1998. ص 76.

كما أن العولمة السياسية هي في جوهرها مرحلة تطويرية لاحقة للعولمة الاقتصادية والثقافية. وإن كان ذلك لن يقوم تلقائياً أو بنفس سرعة أو سهولة قيام عالم بلا حدود اقتصادية أو ثقافية»¹.

إن الانتقال الحر للأفراد والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات عبر المجتمعات والقارات، والذي تم خلال التسعينات، ربما أدى إلى الانحسار النسبي للسيادة المطلقة، وربما خلق الانطباع بأن الدولة لم تعد ضرورية وأنها فقدت دورها وأهميتها. بيد أنه لم ولن يسقط كل مظاهر السيادة، ولن يضع نهاية للدولة. كما أنه لن يؤدي إلى قيام الحكومة العالمية الموعودة التي ستحل محل الدولة القومية²، والتي ستدير العالم وكأنه وحدة اقتصادية واجتماعية وثقافية واجتماعية وسياسية واحدة.

ولما كان الاقتصاد هو المحور الأساسي للتدويل، فإنه قام بدور مؤثر في «إزاحة العملية السياسية. خاصة في المجتمعات التقليدية.. وذلك بناء على قدرتها على توجيه مسارات الإنتاج والمال والتجارة والاستثمار، ومن هنا استطاعت التأثير على عمل ومواقف العملية السياسية وغيرها من عمليات مجتمعية أخرى. ولا جدال في أن ذلك من شأنه تحويل النمط التقليدي الذي يعتمد على العمليات السياسية في الحكم إلى نمط تتحكم فيه مسارات العملية الاقتصادية الموجهة من الخارج»³.

فالشركات الاقتصادية العالمية الكبرى التي يتخطى كثير منها الدول القطرية والقومية، تعد اليوم من أهم وسائل العولمة وآلياتها. فقد تمكنت من إزالة الحواجز الجمركية وجميع القيود التي كانت مفروضة، والمتمثلة في السياسات النقدية والمالية والاستثمارية، وتحركات رؤوس الأموال. وتغلبت على كل العقبات التي تحول دون تدفق المعلومات والبيانات، فسلبت بذلك الكثير من سلطات الدول التي كانت تمارسها ضمن حدودها السياسية، التي هي من أهم مقومات سيادتها الوطنية. فأصبحت هذه الدول اليوم عاجزة عن تطبيق ما كانت تقوم به بالأمس من نفوذ وصلاحيات على أرضها⁴.

وتستعين العولمة في التغلب على الحدود وتخطيها اقتصادياً بمؤسسات وهيئات ومنظمات مالية واستثمارية وتجارية سبق ذكرها، وهي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة التجارة العالمية⁵. وفي المجالات

1 . محمد علي الفراء، مرجع سابق، ص 81 .

2 . عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص 81.

3 . أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص 26 .

4 . محمد علي الفراء، مرجع سابق، ص 80 . 81.

5 . وربما كان من العوامل التي ساعدت العولمة على تخطي الحدود السياسية عن طريق الشركات المتعدية الجنسية، سقوط الأنظمة الشمولية وفشل تطبيق نظام مركزية السوق، ليحل محلهم نظام حرية التجارة أو نظام حرية السوق. وبموجب هذا التحول تخلت الدولة عن شركات القطاع العام ومؤسسات المرافق العامة والخدمات والبنية التحتية، وباعتها إلى القطاع الخاص بحجة أنه أكفأ من الدولة وأكثر قدرة على إدارتها وتشغيلها. وعرف هذا التوجه باسم التخصصية. وقد استعانت الشركات المحلية الوطنية بالشركات العالمية وخاصة المتعدية الجنسية، وهذا ما حدث في كثير من الدول العربية. ففي الأردن على سبيل المثال باعت الحكومة الأردنية لشركات القطاع الخاص كثيراً من الصناعات، مثل صناعة الأسمت وقطاع الخدمات، مثل البريد

الأخرى كالفكر والثقافة والأمن، تستعين العولمة بأجهزة ومؤسسات وهيئات عالمية مثل اليونسكو ومنظمات حقوق الإنسان، والدفاع عن الحريات والمعتقدات والأديان، وبأجهزة المخابرات في الدول الكبرى، مثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

أما عن التحليلات السياسية للعولمة، فإنه يمكن القول إنها تتركز في رفع شعار الحرية في صورها المتعددة: حرية العقيدة والفكر والتعبير، وحرية الانضمام إلى التنظيمات السياسية وتشكيل الأحزاب والانتخاب، وحرية الاختيار. ومن المظاهر السياسية للعولمة سقوط النظم الدكتاتورية والشمولية، والاتجاه إلى الديمقراطية والنزوع إلى التعددية السياسية. ويشهد العالم المعاصر تطوراً ديمقراطياً يتجلى في تطبيقات متعددة في دول كثيرة بما فيها بعض الدول النامية. ومن مظاهر العولمة السياسية أيضاً تأكيد احترام وصيانة حقوق الإنسان وحيثية السياسة طبقاً لميثاق الأمم المتحدة، وقد أدى تطور النظام العالمي إلى الاهتمام المتزايد بتلك الحقوق والحريات.¹

ويعد مبدأ التدخل لأغراض إنسانية أو التدخل الدولي الإنساني مثالا لذلك الاهتمام.² وإن كانت نوايا تلك التدخلات يشوبها عند المحللين دخن كثير.

وفي مواجهة كل شعار من هذه الشعارات، تجابه الدول العربية جميعاً تحديات خطيرة، وقد ذكر السيد ياسين في معرض حديثه عن بعض الدول العربية، أنها قطعت خطوات لا بأس بها في طريق الانتقال من السلطوية إلى الديمقراطية والتعددية السياسية. إلا أن هذه التعددية السياسية مازالت مقيدة، كما أن عدداً معتبراً من الدول العربية لم يخط الخطوة الأولى في طريق الديمقراطية. ومن المشكلات المثارة في هذا المجال ما يطرح حول: أي نظرية ديمقراطية يمكن تطبيقها في الوطن العربي، فهناك أنصار الديمقراطية الغربية الذين يرون ضرورة تطبيقها بحذافيرها، وهناك معارضون لهذا التوجه يدافعون عن الخصوصية الثقافية في هذا المجال، ويرفعون شعار الشورى في مواجهة الديمقراطية الغربية، أو يطالبون بتأسيس ديمقراطية عربية تتفق مع الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع العربي. غير أنه ينبغي أن يوضع في الاعتبار أن هناك اعترافاً عالمياً بالقسمات المتميزة للديمقراطية في أي مكان.³

لكن يبقى من أخطر تحديات العولمة السياسية ما برز في ميدان العلاقات الدولية. حيث أصبح حق التدخل سواء لأسباب سياسية أو لأسباب إنسانية يفرض فرضاً على بعض الدول. أساساً من خلال تحكم الولايات المتحدة

والهاتف الأرضي والمحمول والكهرباء والمياه. وقام القطاع الخاص بإدخال الشركات العالمية معه شريكا في الاستثمار في هذه المجالات باسم الشريك الاستراتيجي بحجة توفر الخبرة والمعرفة الفنية التي يفتقر إليها القطاع الخاص المحلي. وقد تبين أن هدف الشركات الأجنبية هو تحقيق مصالحها الخاصة ولو كان ذلك على حساب الوطن، وضد مصالح المواطنين، مما ساهم في زيادة الفساد بدلا من مكافحته كما يعتقد (نفس المرجع الأنف الذكر. ص 81. 82).

1 . بدرية البشر، مرجع سابق. ص 48 ، 49.

2 . راجع: عيسى ياسين، « التنمية وأوهام خمسة »، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، العدد 8. بلا تاريخ. ص 99.

3 . السيد ياسين، الديمقراطية وحوار الثقافات، تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب. مرجع سابق. ص 58.

، وسيطرتها على مجلس الأمن الدولي. وهكذا و إعمالا لهذا الحق الذي يستند . كما يقال . إلى الشرعية الدولية، تم الغزو الأمريكي للعراق، وتم التدخل السياسي بطرق شتى في السودان. ويعتبر حق التدخل . من وجهة نظرنا . من أخطر التحديات الجديدة التي تواجه العالم العربي.¹

لقد أدخلت تطورات العولمة العالم حقيقة في تفاعلات ومواجهات لم يعرفها من قبل بسبب إسقاطها المستمر لحدود الزمان والمكان، فهي تهدد الجغرافيا وحدود الدولة السياسية. وكل هذه المظاهر كانت تعني سابقا السيادة الوطنية والأمن بمعناه السياسي والعسكري والنفسي.

3 - البعد الاجتماعي

ليست العولمة ذلك الجانب الزاهي نشاهده و نتمناه فحسب، بل هي في أبسط مظاهرها تجلب أنماطا من السلوك الاجتماعي الغربي المستهجن على الأقل في الحضارات الشرقية التقليدية. وقد أسهمت في ذلك ثورة الاتصالات والمعلومات، والتقدم المتزايد في مجال الإعلام، بصرف النظر عن مدى قبول أو رفض المجتمعات غير الغربية لهذه الأنماط. وفي السنوات الأخيرة بدأت بعض السلوكيات الغربية تأخذ طابعا عالميا يتجاوز الحدود الجغرافية مما يؤثر قطعاً في المجتمعات الوطنية وفي تماسكها وتقاليدها.²

غير أن المتفائلين يرون في العولمة طموحا أكبر من تلك الملاحظات. إنها تدفع نحو الالتقاء والتقارب بين المجتمعات، وزيادة التفاعل بين الحضارات، وبالتالي تحدث التطورات والتحويلات التي تقود العالم إلى كونية جديدة. حيث تشير العولمة . كمفهوم . إلى « ضغط العالم وتصغيره وتركز الوعي به ككل على المستوى الحضاري والمجتمعي والإقليمي والفردى ». ³ فقد اتجهت القوى الاجتماعية من تجمعات أسرية وقبلية إلى تجمعات قومية ودولية، ومن ثم فقد أحدث تيار العولمة مرحلة عدم استقرار اجتماعي واسع. وتتضمن هذه المرحلة إعداد وتوجيه القوى الاجتماعية للتكيف مع الأوضاع الجديدة التي أفرزتها العولمة، بالإضافة إلى وضع الأسس القوية لإقامة مجتمع علمي إنساني رحب خال من العنصرية وحافل بالمساواة.

إن العولمة كما يراها البعض تسعى إلى القضاء على النزاعات العنصرية والمذهبية أو جعلها في حدها الأدنى على الأقل، من أجل التوحد مع القوى الاجتماعية الدولية في مسعاها لإقامة مجتمع الحرية والعدل مع أنه مطلب صعب التحقيق. ويرى آخرون أن العولمة الاجتماعية تدعو إلى التكيف مع البيئة وتكشف عن أن البقاء دائما

¹ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 58. 59.

² . عبد الخالق عبد الله، « في مفهوم العولمة ». مداخلة على بحث: ياسين، مرجع سابق. ص 52.

³ . رونالد روبرتسون، مرجع سابق. ص 24 .

للأصلح، وهي بالتالي تشحذ طموح الأفراد والجماعات وتدفعهم إلى التميز والإتقان والتعامل مع الواقع وعدم الاستسلام للغيبات.¹

لكن قد يبادر البعض قائلًا: إن من أثنى مكاسب العولمة التقدم التقني، وقد أصبح هذا التقدم يسمح بزيادة إنتاج الخيرات دون إحداث مواطن شغل جديدة. إنه فعلا كسب ثمين يحققه التقدم، ولكن لا مناص من مواجهة مشاكل التقدم بحلول جديدة تضمن للإنسان قطف ثمار التقدم وتوزيعها بطريقة عادلة تحمي الإنسان من التهميش، والعيش داخل أسوار أحياء الفقر والمرض والعنف.²

إن واقع الأمم و الشعوب اليوم يخالف ذلك الحلم السعيد الذي طالما نادى به قوى العولمة وبشر به المدافعون عنها. لقد لاحت منذ سنين أبرز سيئات العولمة في المجال الاجتماعي، دعنا من الحديث عن الدول الفقيرة، ففي الدول الغنية يعيش الناس واقعا اقتصاديا واجتماعيا لم يكشف عجز الليبرالية الجديدة المتطرفة عن تحقيق نسب نمو عالي، والقضاء على البطالة، وتحسين المستوى المعيشي، كما دعا بذلك دعاؤها. بل كشف كذلك حيلها لتراجع الدول عن المكاسب الاجتماعية القديمة؛ فتدهورت القدرة الشرائية لكثير من الفئات الاجتماعية، وازدادت نسبة البطالة والفقر، وليس من الصدفة أن يحشد غلاة الليبرالية جهودهم لتهميش دور النقابات.

ففي بلد مثل ألمانيا خسر الإتحاد العام هناك حوالي خمس أعضائه منذ عام 1991، ثم ارتفعت أصوات تنادي بإلغاء الحق في الإضراب بحجة أن الإضراب لم يعد يتماشى مع العولمة، وأنه يتسبب في خسائر المشروعات. وزعم أصحابها أن حرية السوق ستقضي على البطالة، وتحقق ذلك الازدهار الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، ونسي هؤلاء أن العدالة الاجتماعية لا يقرها منطق السوق الحرة، بل تفرضها القوى المناضلة من أجلها، كما يؤكد ذلك تاريخ الصراع الاجتماعي طوال قرنين من الزمن.³

إن الخطر الاجتماعي الناجم عن انتصار تيار العولمة التي لن تحتاج سوى نخب لا تتعدى 20% من البشر حسب تقديرات بعض الباحثين مع توظيف كثيف للتكنولوجيا لتواصل تحقيق غايتها في المزيد من الربح، في حين يلقي بالكتلة الكبرى المؤلفة من 80% من السكان إلى قارعة الطريق يعانون البطالة والعوز المادي والروحي.⁴ ويتحول قسم

1 . بدرية البشر، مرجع سابق. ص 49.

2 . لحبيب الجنحاني، مرجع سابق. ص 30.

3 . لحبيب الجنحاني، مرجع سابق. ص 30.

4 . مارتن هافس بيتر ، هارلد شومان، مرجع سابق. ص 379.

كبير منهم إلى فقراء يستحقون العون والمساعدة على طريقة برامج الإعانة أو عبر التبرعات والهبات من أصحاب النوايا الطيبة والمحسنين متعددي الدوافع والأهداف.

والتعرف إلى النتائج السلبية لظاهرة العولمة في المجال الاجتماعي بصفة عامة، وفيما أصاب الطبقة الوسطى من نسف قاعدتها الاقتصادية، يجعل المرء يتساءل عن مصير الدولة والنظام الديمقراطي في الدول الليبرالية. إن التقارير الاقتصادية الدولية تثبت أن فئات اجتماعية معينة في بلدان العالم الثالث هي المستفيدة بالدرجة الأولى من الاستثمارات الأجنبية. وأن هناك جزر الثراء داخل هذا الخضم من آلاف الملايين من سكان الأرض. لقد أفرزت الشركات العابرة للقارات - إذن - فئات اجتماعية عابرة للقارات بدورها. ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن ثلاثمائة وثمانية وخمسين شخصا من أصحاب المليارات يملكون ثروة تضاهي ما يملكه ملياران ونصف من سكان المعمورة، أي ثروتهم تقارب مجموع نصف ما يملكه سكان العالم.¹

إن هذا الوضع المزري للبشرية في عصر العولمة قد دفع في الآونة الأخيرة بالكثير من المنظمات الأهلية غير الحكومية على الساحة السياسية العالمية كقوة فاعلة ومؤثرة على سياسة الدول. والهدف العام الذي تسعى المنظمات غير الحكومية إلى تحقيقه هو خلق المجتمع المدني العالمي الذي يراقب نشاطات وسياسات الدول في مجالات حقوق الإنسان والبيئة والقضايا الاجتماعية والإنسانية الأخرى.² لقد أدت المشاكل العالمية إلى ضرورة عقد المؤتمرات والندوات الدولية لبحثها وكيفية التعامل معها وحلها.

أما على المستوى البيئي فظهرت كثير منظمات البيئة، والتي تتطلب تعاونا دوليا للحفاظ عليها وصيانتها من الأضرار الناجمة عن ممارسات الإنسان الخاطئة المدمرة للبيئة. مثل استنزاف الموارد الطبيعية وبخاصة المائية، وتدمير الغطاء النباتي للأرض، وحرق الغابات أو قطعها والتخلص من النفايات الذرية والكميائية والتجارب النووية.

وإلى جانب هذه المنظمات والهيئات ظهرت منظمات تركز على الأبعاد الإنسانية وتهتم بالسلم العالمي وبحقوق الإنسان، كمنظمة العفو الدولية، والمنظمات النسائية العديدة وغيرها. وقد لاحظت المجتمعات أن المشاركة في هذه المنظمات غير الحكومية تتطلب استعدادا فرديا متميزا للمبادرة وتحمل المخاطر، وهو كثيرا ما يتعارض مع أسس التنشئة الاجتماعية لبعض دول العالم الثالث، وبخاصة الدول العربية التي تجعل الفرد جزءا من الكل.

لقد تزايد عدد المنظمات غير الحكومية تزايدا مطردا خلال عقد التسعينات، وأخذت تعمل باستقلال تام عن الدول التي لم تعد قادرة على التحكم في نشاط وعمل هذه المنظمات. وزيادة نفوذ هيئات ومؤسسات مجتمع مدني عالمي، وتدخلها في الشؤون الداخلية للدول بشكل لم يسبق له مثيل، وغير مسموح به في الماضي، يحمل في طياته الكثير من سمات العولمة. وهذا التدخل قد يبدو للكثيرين مبررا ومقبولا، لأن أهدافه الظاهرة رفع الظلم عن

¹ . راجع تقرير التنمية البشرية لمنظمة UNDP . يوليو، 1996.

² . انظر عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 84 . 85.

الناس، والتخفيف عن معاناتهم، وحماية حقهم من استبداد الحكومات المتسلطة وقهرها للشعوب. إلا أنه في الوقت نفسه استغل وأسيء استخدام هذا النفوذ. فعلى سبيل المثال نرى أن الولايات المتحدة الأمريكية تستغل مبادئ حقوق الإنسان ومسائل أخرى كالديمقراطية والعدالة والمساواة في التدخل في شؤون الدول التي لا ترض عنها أو تعاديها، في حين تغض الطرف عن الحكومات التي ترض عنها ولا تعارض مخططاتها وبرامجها.¹

4 - البعد الثقافي

يجب أن تمنح الأولوية للتحليل الثقافي. ويرجع ذلك على وجه الخصوص إلى أن مفهوم الثقافة محيط للغاية لدرجة أنه يمكن النظر إليه بسهولة على اعتبار أنه الأمثل للتحليل لأن كل شيء "ثقافياً" في نهاية الأمر.

ويتلخص البعد الثقافي للعولمة في بلورة ثقافة عالمية تتسم بسمات خاصة، تستفيد منها الفئات المسيطرة على العمليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية، حيث تحتكر التقنية والإنتاج الإعلامي على المستوى العالمي. ولا شك أن ذلك من شأنه تشكيل نمط محدد من الوعي الثقافي، وفرض نماذج وفلسفات غريبة من خلال إنتاج وتوزيع واستهلاك المواد الإعلانية والاتصالية. لقد لعبت الشركات المتعدية الجنسية والمسيطرة على أدوات التقنية الحديثة دوراً بارزاً في تغيير اتجاهات الأفراد، سواء داخل المجتمع الغربي ذاته أو خارج المجتمع. وكان التأثير الكبير على الفئات الشعبية في المجتمعات التقليدية التي تغلغل فيها الثقافات الغربية الموجهة.²

وبهذا تعد السيطرة الثقافية في ظل العولمة في عالمنا المعاصر هو هدف القوى المهيمنة في العالم. وفي البعد الثقافي للعولمة نتناول بالتحليل عناوين عدة تشرح مفهوم الثقافة ومحاوله عولمتها بتلك الصبغة الأحادية الغربية، والمواجهة التي تحصل من جراء ذلك في منطقتنا العربية على الخصوص، ولاسيما في موضوعنا حول الثقافة الإسلامية مما يستدعي منا مبحثاً مستقلاً.

¹ . محمد علي الفراء، مرجع سابق. ص 64 . 65.

² . أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق. ص 27.

المبحث الثالث

العولمة في بعدها الثقافي (العولمة الثقافية)

1 - الثقافة في المدلول العام¹

¹ - جاء في لسان العرب في مادة « ثقف »: « ثقَّف الشيء ثقْفًا وثقَّافًا وثقوفه حذفة. ورجل ثقف وثقف وثقف حاذف فهم. ورجل ثقف لثقف وثقف ثقف وثقيف لثقيف بين الثقافة و اللقافة. ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، ثقفت الشيء حذفته، وثقفته إذا ظفرت به، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا، ومنه المثاقفة. وثقف: أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. والثقاف: ما تسوى به الرماح. وثقفينا: تسويتها، وفي حديث عائشة تصف أباهما رضي الله عنهما: وأقام أوده بثقافة. الثقاف ما تقوم به الرماح، تريد أنه سوى عوج المسلمين. (انظر: ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. ط: 1. لبنان: دار صادر للطباعة والنشر، 1997. ص40). و ذكر اللغوي كريم زكي حسام الدين أن استعمال مصطلح الثقافة culture في ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر في مجال الدراسات التاريخية التي تسعى لرصد مراحل التطور التي مرت بها المجتمعات الإنسانية (كريم زكي حسام الدين، أسس اللغة والثقافة (دراسة أنثروغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية). مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001. ص57).

وترجع كلمة ثقافة " culture " إلى كلمة " culture " اللاتينية، وتعني فلاحه الأرض وإحصائها. يقول جورج ديهاميل Dohamel George أحد كبار كتاب فرنسا المعاصرين: « إنه لا بد في ال culture من حرث وبذر وغرس » ومعنى culture هنا هو الثقافة. ولكنه لما كان معناه الحقيقي في الفرنسية هو " الزرع" فإن الكاتب قد لازم المعنى الحقيقي ليدل على ما تتطلبه الثقافة من جهد.

لا تسمح حدود هذه الدراسة بالإسهاب في دراسة مفهوم الثقافة في اللسان الغربي وتطور دلالاته اللغوية والفلسفية والمعرفية والاجتماعية والفنية. كما لا تسمح بتقديم قراءة واسعة بالتحديدات والتعريفات العربية لهذا المفهوم، وعلاقته بالجذور اللغوية واللسانية العربية، وعمليات الربط بين المعنى اللغوي والدلالات المعاصرة التي تقدمها الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية، والتي تساعد في وضع إجراءات منهجية ومعرفية وسلطة ارتحاله وأقلمته. وخصوصا إذا اعتبرنا مفهوم الثقافة من المداخل الحية لأزمة المفاهيم والدراسات المعاصرة و لاسيما العربية

منها. فالمفهوم ليس مجرد لفظ أو اسم، بل هو حالة من الإبداع والابتكارية في مجال أو حقل معرفي، ذي دلالات تتجاوز الجذور اللغوية أحيانا ليعبر عنه هوية وخطابا ونسقا معرفيا.

لقد ثبت أن تحديد معالم الثقافة ووصف مفهوم لها بصورة أكثر دقة حتى الآن أمر صعب التحقيق، باعتبار أن الثقافة تمثل فكرة معقدة ومحيرة ومتعددة الأبعاد، مما يفرض ضغوطا على الإطار المفاهيمي. ولا أنوي على أي حال، أن أسهب هنا في الحديث حول مشكلات التعريف. فهناك بعض الملامح المقبولة على نطاق واسع لما هو ثقافي. والتي يمكننا أن نبني عليها لنحصل على إدراك معقول لما ينتمي بحق إلى البعد الثقافي للعولمة.

لقد شهد العالم المعاصر مرحلة إعادة نظر جذرية في قضية الثقافة، بل إعادة اعتبار لها من زاوية استراتيجيات المستقبل. وازدادت الحاجة بوجه خاص إلى توطيد الهوية الثقافية للإنسان المعاصر نتيجة لطغيان التطور المادي، وتحكمه في سلوك البشر تحكما كاملا في جميع مظاهر حياتهم في هذا القرن الذي سيشهد أكثر طغيان ما اصطلاح على تسميته بالثورة الصناعية الثالثة.¹

ورغم هذه الغاية لم يعرف مفهوم الثقافة تعريفا يحسم الخلاف. وأحصت دراسة عالما الأنثروبولوجيا " كلايد كلوكهون و كروبير " Alfred kroeber أكثر من مائة وخمسين (150) تعريفا. و لم يجدا بينها تعريفا شاملا أو جامعا مانعا يخلو من القصور، وربما ينهض هذا بالقول أن « مفهوم الثقافة ليس سُكُونيا بل مجاله واسع للغاية، ومفهوماته ومقوماته لا ترتبط بالتصورات الشخصية والاجتماعية فقط، بل تتعدى المعرفة إلى السلوك

ونحن في السنوات الأخيرة قد استقر العرف في بحوثنا العربية على استعمال لفظة "ثقافة" في مقابل culture. والمعنى الحقيقي للثقافة هو "تقويم السلاح" ولهذا تعرب الجملة ملازمين المعنى الحقيقي للفظة العربية فصار لا بد من « الصهر و الطرق والشحن» (عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1999. ص 18). و في هذه الجزئية راجع:

. حيدر ابراهيم، « العولمة وجدل الهوية الثقافية »، مرجع سابق. ص 9897.

. جيهان رشتي، « الآثار الثقافية للاتصال عبر الأقمار الصناعية ». المجلة العربية للثقافة، العدد 194، سبتمبر 1990. ص 129.

¹ . انظر حسام الخطيب، « أي أفق للثقافة العربية و أدبها في عصر الاتصال و العولمة؟ » مجلة عالم الفكر، مج 28، العدد2، أكتوبر . ديسمبر 1999. ص 231 . 232.

الشخصي والاجتماعي أيضا¹. «ولو نظرنا إلى مختلف التعريفات لمفهوم الثقافة سنجد أنها استندت إلى عدة منطلقات أساسية كأدبيات الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الأيديولوجية أو العقديّة أو التركيز على جانب من جوانبها وموضوعاتها ومجالها، أو من خلال ارتباطها بمجتمع معين، أو من خلال محاولة الباحثين وضع تعريف مستقلة بأبحاثهم ودراساتهم. ويبدو أن ذلك قد أحدث فوضى كبيرة في تناول هذا الموضوع.

لذا صار الحديث عن الثقافة منذ نهاية القرن العشرين شائكا ومعقدا. وراحت الفئات المثقفة بمختلف تخصصاتها إلى محاولة وضع تعريف وحدود لمفهوم الثقافة، حيث واجهتها مع الاختلاف حول عناصر الثقافة صعوبة رسم حدود لهذا الكائن الزبقي، فتعددت معها التعريفات لمعنى (الثقافة). فمن الدارسين من استخدمها ليصف سلوكا لطبقة اجتماعية معينة، واستخدمها البعض الآخر ليعبر عن طاقة المجتمع على الخلق والإبداع، واستخدمه فريق ثالث للتعبير عن مستوى تعليمي أو ثقافي معين. ومن العلماء من اعتبر الثقافة مرادف لمفهوم

الحضارة " civilization " ، ومنهم من يعتبره مختلفا عنه. ومنهم من يعبر عن العناصر المادية والمعنوية القائمة في المجتمع، ومنهم من يعبر به عن العناصر المعنوية فقط.²

ولو نظرنا من جهة ثانية إلى مختلف تعريفات مفهوم الثقافة الذي أورده معظم علماء الاجتماعيات، لوجدنا أنه لا يخرج في خلاصته عن القول بأن الثقافة عبارة عن تلك المعايير المشكّلة لنظام العقل والسلوك في مجتمع ما، أو لدى جماعة ما، والتي تحدد نظرة الفرد والجماعة لنفسها والآخرين والكون من حولها، وبالتالي طبيعة السلوك.³

وبهذا فالثقافة قادرة على وصف ما كان عليه الإنسان في الماضي، وما هو عليه الآن، وما سيكون عليه في المستقبل. ولذلك فهي تكتسب شيئا من القداسة، حيث لا يتغاضى المجتمع بسهولة عن حالات عدم احترامها أو الإخلال بها.⁴ وهذه القداسة بلا شك تعطي الثقافة المعاشة وجودا عضويا متكاملا ومتناسقا في مكونات تحدد علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقتهم بالمجتمع والأشياء والطبيعة من حولهم. وبهذا المفهوم فإن الحديث عن الثقافة هو حديث عن الهوية وعن النظام القيمي الذي منه تنبثق القوانين والأعراف والأخلاق والاتجاهات السائدة، والتي بدورها لا يستطيع مجتمع ما أن يستمر حيا ومميزا.

¹ . مصدق حسن، مرجع سابق. ص 9-13.

² . حسين عبد الحميد احمد رشوان، الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي. مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2006. ص 4.

³ . تركي الحمد، مرجع سابق. ص 15.

⁴ . راسم الجمال نقلا عن حيدر بدوي صادق. الثقافة والإعلام والبريد التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 1995. ص 52.

وانفرد الفكر الغربي بتحديد وضبط مفهوم الثقافة رغم قدم وجودها. وقد تباينت الاجتهادات لتعريف هذا المصطلح والكشف عن الواقع الذي يغطيه حتى ذكر أنه « واحد من أصعب وأكثر تعريفين أو ثلاثة تعريفات تعقيدا في اللغة الانجليزية ». ¹ وقد وضع كل من ويلر و سوروكين Weller & Sorokin تعريفا للثقافة، وهي تتألف عندهما من « اللغة وآدابها والفلكلور، والمعرفة والعقائد والمهارات الفنية والخبرات الروحية، والنظم التربوية والتعليمية والعقائدية والأنظمة والأنساق الاجتماعية ». ²

وأما فيرث فقد أبرز المظهر الاجتماعي للثقافة باعتبارها في مظهرها السلوكي ذلك الكل المكتسب اجتماعيا، بما يحويه من نتائج للفعل الاجتماعي، وهي تعتبر بالضرورة باعثا على الفعل نفسه. يقول فيرث: « إذا اعتبرنا أن المجتمع هو منظمة من الأفراد يتعايشون بطريقة حياتية معينة، فإن الثقافة تصبح بذلك تلك الحياتية المعينة، وإذا اعتبرنا المجتمع هو مجموعة من العلاقات الاجتماعية، فإن الثقافة تعتبر المعنى من هذه العلاقة، و يؤكد

المجتمع بذلك الجانب الإنساني، ألا وهو تجمع و العلاقات القائمة بينهم. كما تؤكد الثقافة أيضا ذلك الجزء من المصادر التراكمية وغير المادية والتي يتوارثها الناس ويستخدمونها ويضيفون إليها ويغيرونها وينقلونها». ³

ويرى قراهام والاس W. Graham: « أن الثقافة هي تراكم الأفكار والقيم والأشياء. أي أنها هي التراث الذي يكتسبه أفراد المجتمع عبر الأجيال المتعاقبة عن طريق التعليم والاكساب ». ⁴ بينما يتجه راد كليف براون Radcliffe Brown إلى أن الثقافة هي: « العملية التي يكتسب الفرد بواسطتها المعرفة والمهارة والأفكار والمعتقدات والأذواق والعواطف، وذلك عن طريق الاتصال بأفراد آخرين أو من خلال أشياء أخرى. كما يكتسب الأعمال الفنية ». ⁵ أما مالينوفسكي Malnowski فالثقافة عنده ⁶: « ذلك الكل الذي يشتمل على الأدوات والمواثيق التنظيمية للمجتمع والأفكار والفنون والمعتقدات والعادات ».

¹ - حيدر إبراهيم، « العولمة وجدل الهوية الثقافية »، مرجع سابق. ص 9897.

² - أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي. القاهرة: دار المعارف، 197. ص 693.

³ - جلال مدبولي، محمد جلال، « التغير الثقافي والسنن الاجتماعية في الريف بالتطبيق على قرية شيرامنت بالجزيرة ». (ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1969). ص 10.

⁴ - أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي. ج 1. ص 189. نقلا عن: أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة. الجزائر: دار الأمة للنشر و التوزيع، 1996، ص 21.

⁵ - ايكة هو لتكرانس، قاموس الاثنولوجية والفلكلور. ص 145. نقلا عن: أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة. ص 21.

⁶ - 35. p. Bune théorie scientifique de culture pierre cliquart traduit malinouseski. نقلا عن: أحمد بن نعمان،

هذي هي الثقافة. ص 22.

ومن العلماء من نظر إلى الثقافة باعتبارها نتاج العقل الإنساني من تفكير وعلم وفن وأدب وتكنولوجيا. فقد استخدم ماكيفروبيج المصطلح للإشارة إلى كل ما صنعه أي شعب من الشعوب، أو أوجده بنفسه من مصنوعات يدوية ومحريات ونظم اجتماعية سائدة وأدوات وأسلوب للتقليد¹.

وقد استندت نظرية ليزلي هويت Leslie White على الكيفية التي تربط الإنسان بالبيئة المحيطة به، وعلى كيفية ارتباط الأفراد والجماعات بعضهم ببعض، ودخول كل منهم في علاقات مع الآخرين. ويشير هويت² إلى ضرورة ربط الإنسان بالوطن والى الإقليمية التي يتصل بها، بفضل الأدوات والمخترعات والاتجاهات والمعتقدات وغيرها من عمليات الحياة المنظمة للموجودات الإنسانية. كما ركز هويت على الجانب المادي للثقافة، ويستبين ذلك من خلال تعريفه لها بأنه: «لا يمكن أن تكون غير الأشياء المحسوسة والتي تتمثل في الأدوات والأشياء والأفعال والأفكار التي صنعها الإنسان وانتقلت عبر الزمان والمكان»³.

أما الموسوعة البريطانية فقد تناولت مفهوم الثقافة في مادة واحدة تحت عنوان " الحضارة والثقافة " جاء فيها: «أن الثقافة منهج للعيش تسلكه جماعة بشرية ما، ويدخل في ذلك أنماط من السلوك تكتسب بالتعلم، أو ترتكز على قواعد ثابتة يأخذ بها فرد يعاينها ويقررها فرد آخر ينتسب إلى هذه الجماعة»⁴.

كما نجد من أقدم تعريفات الثقافة وأكثرها ذيوفا حتى الآن، تعريف إدوارد تايلور E.B. Tylor، وهو مؤسس المفهوم في الدراسات الأنثروبولوجية، إذ الثقافة عنده عبارة عن: « كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والمعارف، وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع»⁵.

وقد تبني مصطفى حجازي وآخرون معه تعريف تايلور للثقافة بمفهومها الاجتماعي الواسع. ويخلص إلى أن الثقافة هي: «محمل ما يقدمه المجتمع إلى أبنائه من عادات وقيم وأساليب سلوك وتوجهات وعلاقات وأدوار وتقنيات كي يتعلموها و يتكيفوا معها. فهي نمط معيشة للجماعة لا أكثر ولا أقل. إنها طريقة ائتلاف هذه العناصر معا لكي تكون كلا يعطي للجماعة طابعها المميز، وكيانا من أساليب السلوك والعلاقة والتعبير. ومع أن المقومات الأساسية

¹ . حسين عبد الحميد أحمد رشوان. مرجع سابق. ص 11- 12.

² . نفس المرجع الأنف الذكر. ص13.

³ . نفس المرجع الأنف الذكر.

⁴ . ويليم بنتون، الموسوعة البريطانية، إصدار: 1969. ص 824 . 832.

⁵ . شارلوت سيموث . سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة: محمد الجوهري وآخرون. سلسلة المشروع القومي

للتريجة، 61. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998. ص 309.

للتقافة متقاربة في مختلف المجتمعات إلا أن هناك اختلافا في التآلف يعطي بني مختلفة أو متفاوتة في درجة تعقيدها، وهو ما يميز ثقافة عن أخرى»¹.

ولكن برهان غليون يرى أن المشكلة تظهر في تحديد موضوع الثقافة، إذ يقول «هل هو نظام القيم والمعايير الذي ينظم حياة الجماعة ويتحكم بسلوك أفرادها وسلوكها الجماعي واستمراريتها؟، أم هو الإنتاج الفكري للهيئة المثقفة من علماء وأدباء وفنانين الذي يشكل مرآة صادقة أو كاذبة لحياة المجتمع بكل مل تعنيه كلمة مرآة من سلبية؟. فالثقافة تعني بالمفهوم الأول القاعدة الأساسية التي تقوم بضبط المجتمع لبيئته وتاريخه وسيطرته عليهما، أي في الواقع تعامله سلبا أو إيجابا معهما، وتصبح بالتالي مصدر المدنية ولغتها. وتعني بالمفهوم الثاني المتعة التي يحصل عليها الإنسان من الثقافة واستهلاك الإنتاج الثقافي. فالنظرة الأولى ترى في الثقافة مجموعة قواعد، وترى فيها الثانية جملة منتوجات ومواضيع استهلاك»².

كما يرى برهان غليون أن: «الثقافة لا تعيش بمعزل عن السياق التاريخي و الاجتماعي الذي تولد فيه و تتطور و تبدل في قيمها و في آليات استجابتها أيضا ، و إنما تشكل نظاما تحكمه قواعد محددة و يخضع كغيره من النظم المجتمعية إلى التغيير و التطور و الموت . و ليست المعايير و المنظومات العقلية أو الروحية التي تنشأ عن ثقافة ما عبر التاريخ و ترتبط بحقب تاريخية معينة، معطاة مرة واحدة و إلى الأبد . و ليست القيم التي تمثلها عناصر متماثلة و صلبة لا يدخل إليها الشك أو التمايز أو التناقض»³

أما الثقافة عند مفكرنا مالك بن نبي فقد نظر إليها من جانبها الشمولي أثناء تفكيكه لعناصر مفهوم الثقافة. متجاوزا التعبيرات العامة أو الكلاسيكية و الدخول بها في واقع المجتمع الحاضر والمستقبل مستمدا حياتها من ماضي هذه المجتمعات. و لذلك انتقد وضعها التعريفي في البلاد العربية والإسلامية، حيث تبني تعريفات المدرسة الغربية أو الشرقية للثقافة، دون ملاحظة الجانب الناقص في التعريف بالنسبة لواقع العالم الإسلامي. إذ يرى مالك بن نبي أن عموم التعريفات سواء الغربية الليبرالية أو الماركسية هي انعكاس لواقع معين، سواء أكان ذلك الواقع حضاريا كما هو في حالة التعريفات الغربية أم إيديولوجيا كما هو في حالة التعريفات الماركسية. وبالتالي فكلا الصنفين من التعاريف مكتملان ضمنا في فكر العالم الأمريكي أو العالم الماركسي على حد السواء، وهي على هذه التعريفات

1 . مصطفى حجازي وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة. الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، 1990. ص 21.

2 . برهان غليون، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987. ص 82 . 83.

3 . فريدة النقاش، «حول التبعية الثقافية و الإعلامية و إمكانيات الخروج منها»، مجلة أدب ونقد. العدد السابع، السنة الأولى، سبتمبر 1984.

سليمة بحدود انبثاقها عن واقع اجتماعي أو فكر معين. إلا أنها مع ذلك لا تصلح من الناحيتين المنهجية والعملية لمجتمع آخر تقتضي أوضاعه خلق واقع اجتماعي آخر.

وعلى هذا الأساس يرى **مالك بن نبي**¹ أن التعريفات الغربية أو الماركسية ستكون ناقصة بالنسبة لواقع العالمين العربي والإسلامي. لا خطأ فيهما بل لأن مضمونها لا يمكن أن يعطينا مفتاح المشكلة في الظروف النفسية والزمنية التي تكتنف البلاد العربية والإسلامية على الرغم من أنها مكتملة في فكر أصحابها بواسطة عنصر ضمني تقدمه الحضارة الغربية في جانب أو الأيديولوجيا الماركسية في جانب آخر.

إن هذه القاعدة في فكر **مالك بن نبي** توضح ما يحدث غالباً في البلاد الإسلامية، حيث الحلول كلها مستعارة من بلاد متحضرة، ومن ثم فهي لا تحدث عندنا التأثير نفسه الذي أحدثته في أوطانها، حتى كأنها تفقد فاعليتها في الطريق بمجرد انفصالها عن إطارها الاجتماعي. إن مواجهتنا لأي مشكلة اجتماعية في نظر مفكرنا ينبغي ألا يقتصر عملنا على اقتراض الحلول التي تأكدت صحتها خارج بلادنا، إذ أنها صحيحة بلا أدنى شك. ولكن في إطارها الاجتماعي، في محيطها الذي تخلقت فيه، في نفخة الروح التي تخللتها.

ولكن **مالك بن نبي** بتعريفه هذا هو لا يدين الاقتباس²، بل يرى أنه ليس أوهن ولا أضعف من أن نرفض الاستنارة بتجارب الآخرين والإفادة من جهودهم. ولكن بشرط أن نرد الحل المستعار إلى أصول البلد المستعيرة، بعبارة أخرى أن نهيئ في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصور من حلول لمشكلاتنا الاجتماعية. وعندما نريد الاقتباس من أي حضارة أخرى يجب أن نفرق دائماً بين الأشكال المادية الناتجة عن الحضارة، وبين الأشكال المادية الناتجة عن العلم والصناعة والحاجة لكي نعرف ما الذي نأخذه وما الذي ندعه.

وهذا يعني حسب مالك بن نبي أن الثقافة التي تهدف إلى التغيير في أي مجتمع، لا بد وأن ترتبط ببناء ذاتي لها، هذا البناء الذاتي لا بد وأن يكون للأفكار فيه دور البناء والتجديد، ليمد الفرد بحالة من التوتر تحيل إمكاناته إلى طاقات خلاقة في جميع المستويات. ولهذا يقول: «ليست الثقافة سوى تعلم الحضارة، أعني استخدام جميع ملكاتنا الضميرية والفكرية في عالم الأشخاص، وليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة، أي أنه بمجرد جهد تبذله عقولنا حين نستخدم في عالم الأشياء. فالأولى تحركنا وتقحمنا كلية في موضوعها، وأما الثاني فإنه يقحمنا في مجاله جزئياً. والأولى تخلق علاقات بيننا وبين النظام الإنساني، والآخر بيننا وبين نظام الأشياء»³.

¹. انظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. ترجمة: عبد الصبور شاهين. ط: 4. دمشق: دار الفكر، 1984. ص 43.

². انظر نجاح يوسف السبائين، مفاهيم النهضة الإسلامية. ط: 1. الأردن: دار الإسرء، 2004. ص 216.

³. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع. شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 2002. ص 96.

ومن من خلال هذه النتيجة التحليلية لطبيعة التعريف نجد أن مالك بن نبي يفرق بين العلم والثقافة قائلاً: « ولكي نفهم هذا الفرق يجب أن نتصور - من ناحية - فردين مختلفين في الوظيفة وفي الظروف الاجتماعية، ولكنهما ينتميان لمجتمع واحد، كطبيب إنجليزي وراع إنجليزي مثلاً. ومن ناحية أخرى فردين متحدين في العمل والوظيفة ولكنهما ينتميان إلى مجتمعين مختلفين في درجة تقدمهما وتطورهما. فالأولان يتميزان إزاء مشكلات الحياة بتماثل معين في الرأي، ينجلي فيما يسمى بـ: "الثقافة الإنجليزية" بينما يختلف سلوك الآخرين أحياناً اختلافاً عجيبياً يدل على طابع الثقافة الذي يميز أحد الرجلين عن صاحبه، لأن هذه الحالة تميز المجتمع الذي ينتمي إليه كل منهما».¹ فالتماثل السلوكي في الحالة الأولى والاختلاف السلوكي في الحالة الثانية ناتجان عن الثقافة لا عن العلم، لذلك نجد أن مالك بن نبي يطرح الثقافة كنظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة.

كما أن الثقافة التي لا تهدف إلى تغيير الأنماط السلوكية والحضارية تبقى مجرد ترف فكري. فالواجب أن يكون تعريفنا للثقافة لا من زاوية نظرية فحسب، بل لا بد أن يضاف إليه وجهة النظر العملية أو التربوية ليصبح معنى الثقافة « مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد من ولادته كإسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، وتكون هي المحيط الذي يتشكل فيه الفرد من حيث طباعه وشخصيته. فالثقافة ليست مجرد علم يتعلمه الإنسان في المدارس أو من الكتب، بل هي جو من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية، وتحدد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء».² وعلى هذا فالسلوك الاجتماعي للفرد خاضع لأشياء أعم من المعرفة أو جمع المعلومات أو التعلم، بل هو في رأي مالك بن نبي راجع للثقافة بالدرجة الأولى، وبالتالي فإن حركات التغيير إنما تنبثق من الثقافة.

أما تعريف الثقافة عند المنظمات الدولية المعنية فإنها كذلك تشارك مشاركة فعالة بجانب المفكرين والمتقنين في استجلاء جوانب هذه القضية، وفي مقدمتها منظمة اليونسكو التي طورت - من خلال المؤتمرات والبرامج المتعاقبة - اهتمامها بقضية الثقافة. وخصصت بعد مؤتمر " قمة الأرض العقد الأخير من القرن العشرين " لمسألة التنمية الثقافية، ووضعت برامج و ندوات من أجل التنمية الثقافية في مواجهة المستقبل. ومن ذلك أيضاً مؤتمر اليونسكو حول " دور التربية في خدمة التنمية الثقافية " الذي عقد في جنيف خلال الشهر التاسع من عام 1992، ثم مؤتمر كولومبيا عام 1997.³

1. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 52.

2. نفس المرجع الذكر. ص 39.

3. حسام الخطيب، « أي أفق للثقافة العربية و أدبها في عصر الاتصال و العولمة؟ » مرجع سابق. ص 232.

وتعريف اليونسكو¹ للثقافة بدا غير بعيد عما ذكره المختصون، فهي « جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات ».

كما تذهب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع المنظمات الدولية الأخرى في رسم حدود مفهوم الثقافة، فالثقافة في منظمتنا العربية « تشمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع، وما يتصل بهما من المهارات أو يعين عليهما من الوسائل فهي موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى ».²

إذن إذا نظرنا في خصائص التعريف للثقافة على كثرتها نجدها تتكرر لدى الباحثين الغربيين وأيضا العرب مع التركيز على جانب أو آخر، ولكن المكونات الرئيسية للمفهوم لا تتغير كثيرا. سواء كان الحديث عن تعريف الغربيين أو اليونسكو أو مالك بن نبي أو الجابري. فإن تعريف الجميع رغم الاختلاف الجزئي، لا يختلف كثيرا عن بعضه البعض. وقد أجمعوا³ على أن سمات الثقافة كونها مكتسبة وإنسانية وظاهرة ضمنية ومتغيرة ومتصلة ومتكيفة وترتبط بالمجتمع.

إلا أننا عندما نستقرى العدد الهائل من التعريفات المتعلقة بهذا المفهوم، وخصوصا تلك التي يحرص مطوروها أو مستخدموها على تحديد متغيراتها الرئيسية بوضوح، نجد غالبيتها تتفق على أن للثقافة عناصر أقلها أربعة هامة وهي⁴:

أ . عناصر معرفية؛ وتشمل المعارف والمعلومات التي جمعها أعضاء ثقافة معينة بهدف وصف وفهم واستخدام خصائص البيئة المحيطة، وقد تكون معرفة بدائية لا تتجاوز حدود الوصف البسيط والأفكار الغيبية، وقد تتطور وتتعدت بحيث تشمل أحدث ما توصلت إليه المعرفة العلمية بتطبيقاتها العملية إلى جانب أنواع المعرفة الأخرى.

ب . نسق للمعتقدات يشتمل على كم من الأفكار والعلاقات التي يؤمن بها المنتسب إلى الثقافة إيمانا راسخا لا يتطرق الشك، إليها لا من قريب ولا من بعيد.

1 . اسكندر الديك، اليونسكو والصراع الدولي حول الإعلام والثقافة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993. ص 12. و قد صدر هذا التعريف عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية تحت إشراف اليونسكو المنعقد بمكسيكو في (06 جويلية إلى 06 أوت 1982).

2 — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الثقافة والإبداع. تونس: مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1992. ص 139.

3 . فؤاد البكري، « الإعلام العربي و الهوية الثقافية ». ورقة بحثية قدمت إلى المؤتمر السادس لكلية الإعلام، " الإعلام العربي في القرن الحادي والعشرين المنعقد في كلية الإعلام في الفترة من 2 . 3 مايو 2000. نقلا عن دينا أحمد عرابي، « دور وسائل الإعلام المحلية والدولية في تشكيل المعرفة

لدى الجمهور في ظل العولمة »، (رسالة ماجستير)، مرجع سابق. ص 274 . 275.

4 . انظر مصطفى عمر التير، « دور الثقافة الفرعية في تجذير التجزئة ». مجلة الوحدة. العدد 29 / 30، 1987. ص 09.

ج . نسق للقيم والمعايير؛ يشتمل على المفاهيم والتصورات المثالية التي تساعد الفرد على ترتيب الأشياء المادية وغير المادية في علاقاتها ببعضها البعض، كما تشتمل على الأنماط التجريدية التي تحفظ في الذاكرة الجماعية، وتضع حدودا وعلامات في سلوك الفرد ولعلاقاتهم مع الآخرين.

د . عناصر رمزية تشتمل على مختلف وسائل الاتصال أهمها اللغة.

كما يمكن أن نستخلص في الأخير أن الثقافة مفهوم شامل يتضمن الدين، اللغة، الأدب، الفن، العادات، السنن، القوانين، التنظيم الاجتماعي، الإنتاج الفني، التبادل، الاقتصاد، الفلسفة، العلم والتكنولوجيا.¹ ومن الملاحظ إننا لا نستطيع أن نلاحظ الثقافة بصورة مباشرة فهي تتمثل في صورها مجردة مأخوذة ومستخلصة من مواقف وسلوك الإنسان الجماعي، ومستنبطة من المناهج والمعايير والقوالب الفكرية لأفراد الجماعة، كما أنها تعكس في الآثار المادية والتكنولوجية التي تتبعها الجماعة في سبيل تحقيق وسائل وأهداف ومقومات مجتمعتها واستمرار بقائها ارتقاءها.²

وعلى هذا ذهب نبيل علي³ إلى أن: «الثقافة سواء كانت تواسلا، أو إبداعا أو حصادا أو توجهها أو قيما أو تقاليدا أو معتقدات، سواء كانت أيما من هذا فالثقافة أصبحت ذات صلة وثيقة بتكنولوجيا المعلومات بصفتها وسيلة للتواصل وأداة للإبداع وحفظ التراث ودعوة لتجديد القيم».

2 - العولمة الثقافية وثقافة العولمة *4

يدور نقاش كثيف حول عولمة الثقافة وتبرز تيارات كثيرة حولها تصل إلى حدود جذرية في الرفض أو القبول بإمكانية عولمة الثقافة. ومن بين المواقف التي تستوقف المرء، التساؤل الذي طرحه أحد المفكرين العرب حول العولمة الثقافية مستفهما: هل من الممكن أصلا الجمع بين المصطلحين "عولمة ثقافية"، بينما الثقافة تنبثق وتتطور وتتميز في موقع معين؟ وهل تقبل الثقافة "التعلم" أم تظل غير مؤهلة أصلا لهذه الخاصية، كما أن العولمة إذا ما انتشرت في مجالات أخرى فهل تشمل الثقافة؟⁵

¹ . مصطفى عمر حمادة، علم الإنسان، مدخل لدراسة المجتمع و الثقافة. دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007. ص 183.

² . حسين عبد الحميد احمد رشون، مرجع سابق. ص 14.

³ . نبيل علي، «البرمجيات البعد الثقافي». العربي: مجلة شهرية ثقافية مصورة تصدرها وزارة الإعلام، العدد: 542، يناير 2004. ص 142.

* . ذهب كثير من الدراسات التاريخية حول تاريخية العولمة الثقافية وجذورها صفة طبيعتها بأنها قضية ليست وليدة الساعة بل هي قديمة منذ فجر التاريخ، إذ حاولت الثقافات القوية طمس الثقافات الضعيفة» وقد انحارت بالفعل ثقافات عديدة، فبيت على وجه التاريخ. وما يحدث اليوم تكرر لما حدث بالأمس، لكن بأدوات وآليات جديدة ومسميات مختلفة». ⁴ (انظر منير بهادي، الاستشراق والعولمة الثقافية. ط : بلا . الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع. 2002. ص 33).

1 . حيدر ابراهيم، «العولمة وجدل الهوية الثقافية»، مرجع سابق. ص 99 - 100.

هناك ثلاثة تصورات للإجابة عن هذا التساؤل: ¹

الأول: إن الثقافة لا تعولم وعولمتها تعني هيمنة ثقافة معينة على الثقافات الأخرى، وهذه الهيمنة تستمد قوتها من مجال خارج الثقافة كالتيكنولوجيا أو الاقتصاد أو القهر السياسي وهذه الهيمنة غير ممكنة .

والتصور الثاني: استحالة قيام ثقافة العولمة، فالثقافة قادرة على الاحتفاظ بتنوعها بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق البشرية واختلافات المواقع والتجارب والتاريخ.

أما التصور الثالث: فتوقع نوعية جديدة من العلاقة بين العولمة والثقافة لا تقوم على هيمنة ثقافة واحدة فقط ولا تنوع الثقافي فحسب.

ويحاول باحثون آخرون تطويع مفهوم العولمة ويظنون أنه أصبح مثقلا بالانحياز والقيمية لذلك يمكن استبداله بمفهوم عالمي لوصف الحالة التي يعيشها العالم الآن. وهناك آخرون يلجئون إلى توسيع مدلول العولمة من خلال سياقه التاريخي والمعرفي ولكن في الحقيقة تصطدم فكرة عولمة الثقافة أو عالميتها ب بروز ظاهرة المركزية الثقافية وهي لا تخلو من التفرقة العنصرية، فهناك ثقافة تجعل من نفسها مركزا ومن بقية الثقافات هوامش أو توابع لها ويجزم على تطور أو تخلف كل ثقافة بمقدار قربها أو تشابها مع المركز.

يتضح من خلال التصورات الثلاثة أعلاه أن العولمة الثقافية غير ممكنة في التصور ولا يمكن كذلك أن تسيطر ثقافة ما على الثقافات الأخرى العالمية أو الفرعية وبالتالي يستحيل أن تتجسد الهيمنة الثقافية كمفهوم على أرض الواقع، في حين التصور الثاني يرى استحالة نشوء ثقافة العولمة على صناعة تماسكها والاحتفاظ بتنوعها لاسيما في

ظل الفروق والأحداث والتجارب والتغيرات الجذرية. إلا أن التصور الثالث مغاير تماما للتصورين السابقين وملخصه أن العلاقة ما بين الثقافة والعولمة هي في الحقيقة لا تقوم على هيمنة وسيطرة ثقافة واحدة مهما كانت راقية ومثالية كما يربطون هذه العلاقة أيضا بتنوع ثقافي جديد ستلحظه الثقافات.

ربما كانت إحدى الطرق للتفكير في ثقافة عالمية هي تأكيد الحاجة إلى الاسترجاع التاريخي لهذه التقاليد الثقافية غير الغربية، وفي الحقيقة فإن هذا ما فعله أحد الكتب المرجعية الذي صدر أخيرا وهو معجم الثقافة العالمية، حيث يزودنا مؤلفاه²، وهما: " كوامي أنتوني أيباه " Kwame Anthony Appia و "هنري لويس غيتس " Henry Louis بمدخل تسوي بين كفتي الميزان في تمثيل الثقافة العالمية من هيمنة الشخصيات والموضوعات الغربية، فيظهر **مارتن لوثر Martin Luther** إلى **جوار توسان لوفرتير Thomas Lovertere** ويظهر

2 . نفس المرجع الآنف الذكر.

2 . جون توملينسون. مرجع سابق. ص 28.

ملك الزولو شاكَا H. Shaka إلى جوار شكسبير، وعلى الرغم من هذا إلا أنه لم يثر الشكوك الأكثر جذرية بشأن الهيمنة الغربية.

لم تتمكن العولمة الثقافية بعد أن تجاري في تجلياتها وتطبيقاتها على أرض الواقع العولمة الاقتصادية، لأن العولمة الثقافية لم تبرز كحقيقة حياتية إلا خلال عقد التسعينات. بالإضافة إلى ذلك فإنه إذا كان هناك إجماع حول مفهوم العولمة الاقتصادية، فإن ذلك غير صحيح بالنسبة لمفهوم العولمة الثقافية. فالعالم ليس موحدًا ثقافيًا كما هو موحد تجاريًا وماليًا. كما أنه لا وجود لنظام ثقافي عالمي كما يوجد نظام اقتصادي عالمي. لذلك ونتيجة للغموض الذي ربما يحيط بالعولمة الثقافية في المرحلة التاريخية الراهنة، فإن دول العالم التي تتدافع وتتنافس بالأخذ بسلع ومنتجات وخدمات العولمة الاقتصادية، تبدو أقل اندفاعًا وإقبالًا. وحتما أكثر ترددًا وتمهلاً في اندفاعها نحو مفاهيم وقيم وأفكار العولمة الثقافية¹ والتي تروج عبر الفضائيات، ومن خلال آخر تقنيات وسائل الاتصالات والمعلومات.

إن معظم المجتمعات والشعوب تبدو غير مطمئنة من العولمة الثقافية، وغير واثقة من كيفية التعامل معها. لذلك فإن في الوقت الذي يظهر فيه العالم من انغماس في العولمة الاقتصادية، فإنه يظهر ميلاً للانكماش من العولمة الثقافية. لكن رغم هذا الموقف المتردي والتخوف الملحوظ، والذي يغلب عليه في أغلب الأحيان الطابع العدائي للعولمة الثقافية كأيدولوجية جديدة، فإن الثقافة وعناصرها الرئيسية كالفكر والأدب والفن ومن ثم الحياة الثقافية عموماً، تظهر ميلاً واستعداداً واضحاً للعولمة والتعلم. ولو تركت الثقافة لطبيعتها وأعطيت حرية الاقتصاد نفسها لأصبحت أكثر عولمة من الاقتصاد والجوانب الحياتية الأخرى. ويعود ذلك إلى أن الأفكار والقيم و المفاهيم والقناعات تحمل في أحشائها دائماً بذور العولمة، بمعنى الاستعداد للانتشار الحر من دون قيود والانتقال العابر

للحدود والتوسع على الصعيد العالمي.² ولهذا فالعولمة الثقافية تعني في مستواها المباشر إزالة الحواجز النفسية والعقدية، والتخلص من العقد والمسبقات الفكرية، واختراق المتاريس المادية بعد أن زال الستار الحديدي وهو أعتاها وأكثرها عنادا وإصرارا على البقاء، مما يساعد على انسياب النتاجات الحضارية التي أثمرتها الإنسانية قاطبة في نطاق مجهود مشترك.

لكن هذا المستوى من التحليل يجب أن لا يحملنا على التغاضي عن أمرين: أولهما أن صيرورة هذه الثقافة تقوم أساساً على الإخضاع الدائم لثقافات الشعوب الأخرى واستلابها وحملها على الانخراط التدريجي في دوراتها. ثانياً: أن تلك المساعي ذات المقاصد النبيلة قد حادت عن أهدافها السامية لتتلبس بمشروع " استعماري جديد " تكيفه مقتضيات المرحلة ومتطلباتها. لقد أريد للبشرية في ظل هذا المشروع بلوغ مرحلة " الحرية الكاملة " لانتقال

1 . عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 74. 75.

2 . عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 74. 75.

الأفكار والمعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي. وفقدت الدول في ظل هذه العولمة الموسومة "بالثقافية" القدرة على التحكم في تدفق الأفكار والقيم فيما بين المجتمعات والأجيال. كما فقدت هذه الدول السيطرة على التعاون الحر للأخبار والمعلومات، وأصبح ملايين البشر موحدين تلفزيونياً من خلال البريد الإلكتروني والإنترنت. وفي ظل هذه الثقافة يكتشف الإنسان بعداً آخر، وينتقل إلى عصر آخر لا تحكمه القوى المعهودة الآن، بل يسيطر عليه انسجام ثقافي وتوحد إيديولوجي عالمي.

ومع ذلك اختلف الموقف من طبيعة العولمة الثقافية وتباين؛ فمن الباحثين من يرى في هذه العولمة تجرد من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة، يتساوى فيها الناس والأمم جميعاً. تحرراً من التعصب الأيديولوجي المعينة، والاتجاه نحو الانفتاح على مختلف الأفكار من دون تعصب وتشنج، تحرر من كل الصور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيديولوجيا بعينها، وتبني عقلانية العلم وحياد الثقافة.¹

ويذهب فريق آخر إلى أن العولمة لا تلغي الخصوصية بل تؤكدتها، حيث إن الثقافة هي «المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة للكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، ومن ثم فلا بد من وجود ثقافات متعددة ومتنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة».² فالعولمة عند هؤلاء لا تهدد بالفناء أو التذويب الثقافي، بل ينفون دور العولمة في تغيير الثقافات، فالهويات الثقافية تصبح أكثر قابلية كذلك لتجسيد التنوع الثقافي. بينما

يذهب اتجاه ثالث إلى استحالة قيام ثقافة واحدة محل الثقافات القومية. ومهما التحمت العلاقات بين المجتمعات إلا أنه يبقى الاختلاف جوهرياً في الجانب الثقافي والخصوصيات الثقافية.

وإذا ما رجعنا إلى تباين وجهات النظر العالمية حول مفهوم الهوية والعولمة الثقافية، فإننا نجد أن أكثر المفكرين والمحللين³ يرون في عولمة الثقافة "مؤسسة" و "ظاهرة" و "مقولة" منشأها ارتقاء الثقافة الغربية التي تبلورت في القرون الأربعة الأخيرة، أي منذ عصر النهضة والإصلاح، إلى ثقافة "كونية" بدعم ومساندة القوى السياسية والاقتصادية، وبعض من أطراف المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية. ومرر دُينك الدعم والمساندة نشر القيم الإنسانية العليا التي تحملها هذه الثقافة. وقد ساعد الطابع الإنساني والدعم على أن تتحول تلك الثقافة الغربية إلى نموذج ومثال في

¹ . راجع نقد جلال أمين لمفهوم العولمة كما يدعو إليه الغرب «في العولمة و الدولة»، العرب و العولمة. بحوث و مناقشات الندوة الفكرية لتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة الخولي. مرجع سابق. ص 153.

² . محمد عابد الجابري، «العولمة و الهوية الثقافية تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي»، العرب و العولمة. مرجع سابق. ص 297 . 308.

³ . عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث، الموضوع و القضايا. القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2005.

التقدم والفاعلية. فالعولمة الثقافية هي إذن عملية استمرارية تحولية وتطورية شهدت نقلة نوعية ومراحل عديدة. وقد وظفت فيها أساليب وتقنيات ساهمت وسائل الإعلام بشكل خاص في نشرها وتوسيعها.

لقد بات من الأهداف الرئيسية للاختراق الثقافي خلق حالة من التبعية من أجل تطوير اتجاهات لدى المجتمعات الأخرى ومنها العربية. تجعل من السهل لديها قبول النمط الثقافي الأمريكي، والعمل على بث مبادئه ومفاهيمه في إطار المجتمعات. وذلك من أجل إخضاع الثقافات الخصوصية للدولة أينما تكون للنموذج الأمريكي، من خلال نشر وتكريس جملة أوهام تنتظم على أساسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية الأمريكية. ومحصلتها النهائية تكريس لأيدولوجية الفردية المستسلمة.¹ وإحراق الثقافات الأخرى بالنسبة لثقافة العولمة.

ومن ثم صار يمكن في زمن العولمة أن تضيع ذات الإنسان، كما تضيع أيضا هويته وثقافته بحكم إلغاء الاختلاف الثقافي والحضاري، وإلغاء تعدد الإبداع الإنساني وحصره وتضييق الخناق عليه. وهذا هو المدلول الخفي لما اصطلاح عليه بالعولمة الثقافية. فهي في أدق معانيها الاختراق الثقافي الذي أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة الثقافية، يسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة تتفاعل داخل المجتمعات وتسري ببطء ولكن بثبات. مخترقة منظومة القيم الثقافية المحلية، فتعمل على تفتيتها وتمزقها من الداخل، وإحلال القيم الأمريكية الغربية ذات الطابع الاستهلاكي. وقد لخص كل ذلك محمد عابد الجابري بقوله: «هي إرادة للهيمنة وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصية فهي طموح بلا إرادة اختراق الآخر وسلبه خصوصيته و بالتالي نفيه من العالم».²

إنها التبعية التي تعد أمراً جوهرياً تسعى له القوى المسيطرة على اقتصاديات العالم لفرضه. كما «تسعى إلى إعادة تركيب المجتمعات بعد تجريدتها من هويتها الأصلية، وتزوير وعيها الجمعي وفرض الإرادة الغربية عليها وإجبارها على التعايش الاضطراري مع الواقع الجديد. كما هو حال ذلك التعايش الذي بدا وكأنه نتيجة منطقية. ويخفي وراءه تهميشاً يبدأ بإنكار تعريف الذات، وينتهي بإسقاط الصفة الحضارية عنها».³

ولعل هذا ما يميز ثقافة العولمة المملوكة للأدوات والوسائل، التي تضع الكم الهائل من المعلومات والأفلام والمسلسلات والأخبار. فهي بالنهاية تصير إلى ما تصبو إليه من خلال العمل على صياغة قيم تؤسس لثقافة وحضارة أخرى لهذه المجتمعات، مهددة هويتها الحضارية بشكل جدي، وبتجاه فرض نمط ثقافي وهيمنة ثقافية معينة تنتجها مصالح الأقوياء من خلال وسيلتها الأساسية، الأداة الإعلامية. والتي أصبحت قادرة على صياغة منظومة القيم

1. حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في الثقافة العربية. مرجع سابق. ج 1 ص 105.

2. محمد عابد الجابري، «العولمة والهوية الثقافية»، المستقبل العربي، العدد 228، 1998/2، ص 17.

3. منعم العمار، «العولمة و دورها في تهميش النظام الإقليمي العربي». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، 2000/06/8، ص 28.

والأخلاق والعادات.¹ لذلك بثّر ادجان موران² بقوله « أننا ندخل عصرا تنهار فيه كل الثوابت والمعتقدات، فالعالم يمر بمرحلة من الشك، نحن لا نعرف إلى أين نمضي والمستقبل غير مضمون ». لأن الثقافة الجديدة دون شك تسعى إلى ربط العالم بقييم وعادات معينة تتجاوز الحدود الجغرافية والمعتقدات الراسخة.

وإذا تأملنا المشهد العالمي الحالي وخاصة المنطقة العربية، لعل القلق قد عم المفكرين وأصحاب القرار على ما يمكن أن يصيب العالم بفعل العولمة، وبما يمكن أن يلحق بمنزلة الإنسان من انحطاط في مستوياته المادية والثقافية والمعنوية. بل « لا تقل النخب والمجتمعات المدنية في أوروبا عنا خوفا وتوترا من العولمة حتى وإن كانت أوروبا طرفا فاعلا فيها ».³

فقد حذر الاتحاد الأوروبي منذ عام 1988 في بيان أصدره من خطر التهميش الذي تتعرض له الثقافات الأوروبية، في عالم توحد ثقافيا الصور والوسائل الأمريكية التي تبث عبر القمار الصناعية. وتجدد الإشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية في إطار رغبتها في فرض نظام ثقافي وإعلامي محدد في دول العالم بأجمعها، قد انسحبت من منظمة اليونسكو في عام 1983 لرفضها مناقشة قضايا النظام الإعلامي الجديد. وجاء انهيار الاتحاد السوفياتي وما تبعه من انهيار الأطروحات التي تبنتها لتفسح الطريق أمام إحكام الولايات المتحدة سيطرتها سياسيا واستراتيجيا وفكريا على منظومة القيم العالمية. ومن شأن هذا الوضع أن يلقي بضلال كثيفة على مصير التعددية الثقافية، ويعقد من فرص الحوار الحر والمتكافئ بين الحضارات المختلفة، ويشير مخاوف حقيقية أمام احتمالات

الهيمنة الفكرية، وي طرح تساؤلات عديدة حول شكل وأسلوب إدارة الصراعات الثقافية والحضارية في المرحلة القادمة.⁴

إن العولمة الثقافية عند أكثر المحللين العرب و نظرائهم الأوروبيين، ليست إلا نقل الثقافة الأمريكية بكل ما تتضمنه من قيم ومفاهيم إلى مستوى الثقافة العالمية وتعميمها على الأمم والشعوب، بوصفها ثقافة أيديولوجية عالمية.⁵ وفي واقع الأمر فإن الإطار العالمي للثقافة لن يكون أكثر من منظومة فكرية أيديولوجية لاستيعاب الثقافات القومية وإذابتها في إطار المكون الثقافي العالمي. وهكذا تشهد الساحة الثقافية العربية محاولات عبر وسائل الإعلام والدعاية المتطورة ونجاحات في الترويج للنموذج الغربي وتقديمه إلى الأوساط الثقافية العربية كنموذج عال للثقافة.

وفي هذا المجال بالتحديد تثار مخاوف شتى عن تهديد هذه الثقافة العالمية للخصوصيات الثقافية المختلفة، ومن بينها الخصوصية الثقافية العربية، حيث أن « المقومات الثقافية والقيم الحضارية التي تشكل رصيدنا التاريخي لن

1. حواس محمود، « العولمة الثقافية » المجلة الثقافية، مجلة ثقافية أصلية تصدر عن الجامعة الأردنية، العدد 49، 2000. ص 26.

2 - المنجي الزيدي، « ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام » عالم الفكر، العدد 35، سبتمبر 2006. ص 201.

3. المنصف وناس، مرجع سابق، ص 9.

4. حسن نافعة، « العرب و اليونسكو ». عالم المعرفة، العدد 135، مارس 1989. ص 15.

5. حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في الثقافة العربية. مرجع سابق، ص 106 - 107.

تغني ولن تنفع بالقدر المطلوب والمؤثر و الفاعل في مواجهة العولمة الثقافية، ما دامت أوضاع العالم الإسلامي على ما عليه في المستوى الذي يستجيب لطموح الأمة، ولا يحسن بنا أن نستكف من ذكر هذه الحقيقة، لأن في إخفائها والتستر عليها من الخطر على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله، ما يزيد من تفاقم الأزمة المركبة التي تعيشها معظم البلدان الإسلامية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية»¹.

ويرى إبراهيم بدران² أن العولمة تضغط على الثقافة العربية في نقاط خمس رئيسية وهي:

الأولى: سرعة التحول والانتشار العالمي وما يقابله من بطء تجاوب الجسم الثقافي العربي، الأمر الذي يوسع الهوة بين ثقافة الأجيال إلى درجة التأزم.

الثانية: ضعف الإنتاج الثقافي العربي ومحدودية مفرداته كتعبير عن واقع المرحلة الحضارية العربية بكل ما فيها من بطء التنمية الاقتصادية الاجتماعية.

الثالثة: ضعف اقتصاديات الثقافة العربية بسبب المستوى الاقتصادي المتواضع، وضعف البنية التحتية للثقافة، وارتفاع كلفة الإنتاج لمفردات الثقافة مما يجعل قدرتها على منافسة مفردات ثقافة العولمة محدودة.

الرابعة: صغر السوق العربي الثقافي على المستوى القطري، وغياب قنوات الانسياب والتبادل الثقافي الحر على المستوى العربي.

الخامسة: استمرار وأحيانا استفحال الهوة بين صانع القرار وبين أهل الفكر والعلم والثقافة. وتمرس صانع القرار خلف المعايير السياسية الضيقة مما نزع من المثقفين صفة المشاركة في صنع المستقبل والاكتفاء بالرصد أو التحليل، والتالي خروجهم من صف مواجهة ثقافة العولمة.

كما يرى الدكتور حنفي³ أن مخاطر العولمة إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية. وتعني العولمة مزيدا من تبعية الأطراف للمركز تجميعا لقوى المركز وتفتيتا لقوى

¹ . عثمان التويجري، أثر العولمة في الثقافة العربية. مرجع سابق. ج 1. ص 22.

² . إبراهيم بدران، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، 1998. ص 46.

³ . حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في الثقافة العربية. مرجع سابق. ص 100.

الأطراف. وانتشرت البحوث عن الأقليات العرقية والطائفية من اجل إبراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة الوطنية.

ويهون كاتبون آخرون من قوة فعل مخاطر العولمة الثقافية، ويروى أن عولمة الثقافة « باعتبارها إيديولوجية التجانس الكلي، طريقها إلى الانتشار وعرة رغم كل المؤشرات الدالة على تمكن بوادرها من الإنسانية عامة، لأنها تصطدم بالإنسان الفرد في أعماق محددات كيانه وهويته رغم المغريات وعالم الأوهام والأحلام الذي تحمله إليه. والإنسان لا يمكن إلا أن يكون واحداً وحيداً، ووحدانيته من خصوصيته التي ترفض الذوبان والانصهار في واحد منمنط متجانس محدود المعالم مُقَوَّب في علب جاهزة للبيع والشراء. فالإيديولوجيات التقليدية بما في ذلك الأديان السماوية والوضعية قد سعت إلى اختزال الإنسان بعولمته فتحا وغزوا، لكنها أذعنّت لواقع التمايز والتغاير وتخلت عن توق طوباوي إلى تملك الإنسان مقولها في شكل واحد لا يفارقه»¹.

ويعتقد بعضهم² أيضاً أن أكبر عائق يحول دون عولمة فعلية للثقافة إلى جانب الإنسان وفردانيته، يتمثل في ثبات الثنائية الثقافية القائمة على طريقي العلم والدين، والتي نجد لها حضوراً هاماً عند بعض الشعوب الشرقية خاصة. لأن هذا الثبات يساهم إلى حد كبير في تغييب التنازل عن الموقع والتسامح في التعامل والتشارك بالفعل لأسباب عميقة بتصور كل طرف بفاعليته وقدراته وثقله وتأثيره في حياة الأفراد والجماعات.

ويسوق الاتجاه المقلل من شأن مخاطر العولمة نماذج يدلل بها على أن طريق العولمة الثقافية شاق وعسير في هذا العالم المتلون، ويجدون في « الصين ما يبرهن على أن التحديث لا يعني الاستلاب ولا يعني الاستسلام لقمة

سائغة للغازي. فالصين قد انتقلت وتحولت " من الأفراد التقليديين إلى الأفراد الانتقاليين " وهو أمر يعد تجديداً ذاتياً للصين. وهذا التمسك بالأسلوب الخاص تأكد في الصين عندما حاولت الأيديولوجيات الغربية معتمدة ترسانتها الاتصالية العاتية اختراق المجتمع الصيني لتطرح نفسها بديلاً للثقافة السائدة التي تتكون من مركبين عتيدين: الثقافة الصينية التقليدية في عناصرها الذاتية والثقافة الماركسية الوافدة في عناصرها العقلية والموضوعية»³.

على العرب إعادة قراءة الفكر الإسلامي وغرس القيم الإسلامية ونشر التعاليم الدينية ونبذ كل ثقافة تدعو إلى المادية أو تشويه معتقداتنا. وتستطيع الأمة العربية إعداد منظومة ثقافية واحدة تشترك الأجهزة الرسمية والشعبية في تنفيذها، حتى تتجاوز هذه المرحلة أو على الأقل تحد من مخاطرها.⁴ كما يمكن الاعتماد في إعادة هيكلة المنظومة

1 . عبد المجيد البدوي، مرجع سابق، ص 14.

2 . نفس المرجع الذكر.

3 . عبد المجيد البدوي، مرجع سابق، ص 11.

4 . حسين كامل بماء الدين، مرجع سابق، ص 151-152.

الثقافية بالعمل بالمنهج البنائي الذي أشار إليه مالك بن نبي والذي يشمل إعادة البناء السليم للمجتمع العربي على أسس متينة تضمن التصدي لمخاطر العولمة الثقافية وتداعياتها على الثقافة العربية الإسلامية.

أما منظمة اليونسكو ولأجل التخفيف من مخاطر العولمة فهي تعمل جاهدة لإحياء التنوع الثقافي داخل المجتمعات. وقد ورد ذلك في أديباتها وخططها الرامية للنهوض بالثقافات العرقية داخل المجتمعات الكبيرة، والعمل على بث الروح فيها من خلال مساعدتها على استدراك الماضي، والعمل على جعل هذه الثقافات أحد أهم مصادر الثقافة الوطنية داخل الدولة الأم. وبهذا الصدد جاء في التقرير النهائي للمؤتمر الدولي الذي عقد في أستانهولم 1998 في الصفحة السابعة في البند السادس؛ من الميادين التي تتبناها أن الإبداع الثقافي هو مصدر التقدم البشري، أما التنوع الثقافي الذي هو من كنوز الإنسانية فهو أحد العوامل اللازمة للتنمية.¹

3- مظاهر العولمة الثقافية

أثارت مظاهر العولمة على المستوى الثقافي جدلا فكريا واسعا أكثر مما أثارته على المستوى الاقتصادي والسياسي، ولاسيما التحدي الذي تفرضه العولمة على السيادة الثقافية للدولة القومية نتيجة لفصل الأمة عن الدولة، وبالتالي فصل لثقافة الأمة عن السيطرة التامة للدولة. فأصبح للقوى المهيمنة أيضا تأثير فيها، فهي كما تدعو إلى اقتصاد بلا حدود، فهي أيضا تدعو إلى ثقافة بلا حدود. مما يدفع إلى انتشار ثقافات المجتمعات الغربية الصناعية وتهديد الثقافات الوطنية، وتحول العوالم الإنسانية والمجتمعات البشرية عن ثقافتها الأصلية إلى ثقافة عالمية

ذات قيم جديدة، وهذا حتما يشكل تهديدا للثقافات الوطنية القائمة على هوية ثقافية محددة معتمدة على التجانس الثقافي.²

¹ . محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص 149.

² . انظر المراجع التالية:

. أحمد ماهر السيد، « العولمة ودور الثقافة والإعلام ». مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 97، 98، يناير - مارس، 2000. ص 38.

. صالح خليل أبو الأصبع، مرجع سابق. ص 225.

. أمين بسبوني، « الهوية الثقافية العربية في عصر الفضاء »، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 99، أبريل 2000. ص 50، 51.

. حسان محمد الحسن، تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي. الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1998. ص 47،

ولذا يؤكد الدارسون التحدي المطروح على شعوب العالم وهو الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العالم الجديد المفتوح، ومنع حدوث هذا الاختراق الجديد للثقافة العالمية على شعوب العالم. فالثقافة ليست بطبيعتها عالمية، وإنما هي تعبير صادق وأمين عن الذاتية، سواء كانت ذاتية المثقف أو المبدع أو ذاتية القومية التي يستمد منها هذا المثقف أو المبدع ذاتية خاصة.¹

إن عملية التعريب هذه هي في الواقع نتيجة حتمية لما تقوم به وسائل الإعلام الأمريكية من تشويه للمضامين الإعلامية والثقافية في العالم. وتعتبر تصدير الثقافة الأمريكية إلى البلدان النامية " قضية دولة ". وتعمل على تحقيق مشروعها الثقافي عن طريق أربعة نماذج من الأنشطة وهي: « البرامج الإعلامية، التبادل الثقافي، المساعدات، الدعاية والترويج للنموذج الأمريكي ».²

ومعنى هذا أن الممارسات الإعلامية والثقافية للنموذج الأمريكي على وجه الخصوص تنطلق في العالم الثالث من فكرة 'Modernisation' للنماذج الثقافية التقليدية. وذلك عبر توصيل النماذج الغربية للإنتاج والاستهلاك وغرسها في البلدان النامية، حتى وإن كانت تلك القيم والسلوكيات الوافدة عبر وسائل الإعلام ليس لها أية سوابق على المستوى المحلي لهذه المجتمعات نظرا لخصوصياتها وعاداتها وتقاليدها الثقافية. فلا تعني عولمة الثقافة مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات، بل هي أيضا مظهر من مظاهر نشر الثقافة الاستهلاكية على نطاق عالمي في كافة المجالات، وعلى مستوى العديد من الفئات. فقد انتشرت ثقافة الوجبات السريعة والمشروبات الغازية والأغاني الشبانية الراقصة وملابس الماركات العالمية ومشاهدة الأفلام المثيرة³

ولعله صار بديهيا أن أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات النامية وهي أشدها وأعتاها والتي ستواجه معها مستقبلا شاقا عسيرا هي تحديات فكرية واستعمار ثقافي وهيمنة ثقافية كاسحة ستفرضها قوة التكنولوجيا الغربية وقوة نشاطها الإعلامي على الساحة العالمية.

ويذهب عبد الإله بلقزيز إلى أن تعميم النمط التجاري والسلعي على الثقافة والمنتجات الثقافية، يشكل سمة أساسية في العولمة الراهنة والمقبلة، ولا يمكن أن نجعل هذا التعميم المحتوى الأهم للصيرورة الراهنة ولا المحصلة الضرورية والحتمية لها. فالتوسع الرأسمالي ليس من منتجات العولمة، ولا نضيف شيئا إلى هذا المفهوم إذا اقتصرنا في تحليله على

¹ . أمين بسيوني، « الهوية الثقافية العربية في عصر الفضاء ». مرجع سابق. ص 141.

² . محمد شطاح، قضايا الإعلام في زمن العولمة بين التكنولوجيا والأيدولوجيا دراسات في الوسائل والرسائل. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. ص 81 - 82 .

³ . منير مجادي، مرجع سابق. ص 33.

إظهار توسع الرأسمالية أو إذا اعتبرناه تجسيدا للتوسع الأفقي أو العمودي للرأسمالية. والرأسمالية سابقة للعولمة بما في ذلك ميدان الثقافة، وهذا هو الذي يفسر خضوع الثقافة بشكل أكبر فأكثر لقوانين السوق وظروف الثقافة الجماهيرية، وهي ليست كلها بالضرورة سلبية.¹

ولعل المقصود بالسلعة الإشارة إلى ما يتضمنه إخضاع الثقافة لمنطق السلعة التجارية من استلاب الإنسان المتزايد وتفاقم غربته في العالم الجديد. وفي هذا المعنى يقول أحمد مجدي حجازي « أصبحت الثقافة سلعة شأنها شأن السلع المادية الأخرى، دخلت مجال المنافسة غير المتكافئة. فالدول التي تمتلك تقنية معرفية واتصالية ثقافية أكبر هي القادرة على التسويق في السوق العالمي، ولأن عدم التكافؤ بين الدول مسألة واردة بل واقع لا مفر منه، يصبح التثاقف أو التبادل الثقافي بين الشعوب ضرب من الخيال».²

إن الثقافة العالمية الجديدة هي امتداد لثقافات المجتمعات الغربية الصناعية في ظل ما يسمى بالقرية الكونية، واستخدام العلم ووسائل الاتصال الحديثة لتحقيق الاحتراق الثقافي والهيمنة على ثقافات الشعوب. ولعل الهيمنة الثقافية الأمريكية على العالم من وجهة نظر كثير من الباحثين هي المعبر عنها بثقافة المجتمع الغربي. بل صار يتردد في كثير من المؤتمرات والندوات العلمية مصطلح الأمركة وهي العولمة، أي تعميم النموذج الأمريكي للحياة، وكذا مصطلح السلعة، أي تعميم قيم الأسواق على الفعاليات الثقافية وتحويل الثقافة إلى سلعة، وتحديد الهوية الثقافية.

وعلى اعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب قوتها العسكرية وشبكتها التجارية والمالية، تملك شبكة واسعة للاتصال، وتفوق تكنولوجيا أتاح لها أن تسيطر على 80% من الرحبة العالمية من الحاسبات والعقول الإلكترونية. وأن تفرض لغتها الإنجليزية المتأمركة لغة عالمية في مجال الإعلاميات. فهذا التفوق التكنولوجي جعلها صاحبة السبق في ابتكار أشكال وأدوات النظم المعلوماتية، وبالتالي تسيطر على صناعة المعرفة

من خلال مصارف المعطيات التي تحتزن كما هائلا من المعرفة والمعلومات، مما يعطي للثقافة الأمريكية صفة الشمولية والعالمية، ويجعلها تتحكم في الذاكرة الجماعية للشعوب الأخرى. لهذا، فالنموذج الأمريكي للحياة صار يغزو العالم قاطبة، حاملا الرسالة الأمريكية الثقافية تحت اسم ثقافة العولمة وحرية الاتصال والثورة التكنولوجية، وهذا ما مهدت له السياسة الأمريكية منذ بداية الثمانينيات.³

¹ . عبد الإله بلقزيز، « العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ » المستقبل العربي، السنة 20، العدد 229، آذار/ مارس 1996. ص 93.

² . أحمد مجدي حجازي، « العولمة و تهميش الثقافة الوطنية ». مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2، أكتوبر و ديسمبر، 1999. ص 142.

³ . بدرية البشر، مرجع سابق. ص 61.

ولذا يتجه بعض المفكرين إلى أن العولمة كما تحدث وتمارس اليوم، ليست إلا محاولة لنشر وتعميم القيم والثقافة الأمريكية وجعلها ثقافة عالمية. وذلك عبر الضخ المتزايد لمعطيات الصوت والصورة، وعبر أحدث وسائل الإعلام والاتصال. ولذلك أصبحت السيطرة الكاملة على صناعة الاتصال والمعلومات والاتصالات اللاسلكية شرطا رئيسا لتحقيق الأهداف المسطرة للعولمة الثقافية.

وقد يعجب المرء من هذه " الأمركة المتنامية "،¹ ولكن لا داعي للعجب، طالما أن الصناعات السمعية والبصرية الأمريكية من إنتاج تلفزيوني ولعب ومسلسلات وفيديو وحتى السينما، تحتل المركز الأول من الصادرات الأمريكية. وتشكل المصدر الأول من المداخيل الأمريكية من العملات الصعبة، تليها مباشرة الصناعات العسكرية الأمريكية والفضائية.

وفي إطار انتشار مفهوم القرية الكونية كأحد مظاهر العولمة الثقافية وسيطرة أمريكا على أغلب المنتجات الثقافية يعتقد البعض أن الولايات المتحدة أمريكية قد تزيد من سيطرتها أكثر في المستقبل القريب على السياسات الثقافية للدول المختلفة. بينما البعض الآخر يذهب إلى أن الانتشار الواسع لمنتجات الثقافة الأمريكية، وليس بالضرورة للثقافة. ويشرح هنتغتون Huntington Samuel صاحب الكتاب الشهير صراع الحضارات بأن استخدام المنتج الأمريكي لا يؤدي بالضرورة إلى أمركة مستخدميه، حيث يقول « الفكرة التي تدفع إلى الأمام لتطرح نماذج الاستهلاك الغربي والثقافة الشعبية حول العالم تخلق حضارة عالمية ». ²

كما يرى بوهان غليون،³ أن الأمركة ليست ثمرة للعولمة ولكنها أحد أركانها. إن العولمة ليست نظاما عالميا أو نموذجا عالميا للحياة نشأ نتيجة تفاعل طبيعي للثقافات العالمية، ولكنه نظام جديد من العلاقات والثقافات، كما هو الحال بين الجماعات والدول والأسواق. نشأ في سياق صراع التكتلات الرأسمالية الكبرى على الهيمنة العالمية. إنه يعكس إذا هذه الهيمنة في بنيته العميقة، ويكرس الموقع المتميز للولايات المتحدة فيها بقدر ما يعكس

المشاركة الرئيسية للرأسمالية الأمريكية في ثورة المعلومات. وتؤدي هذه الهيمنة بما يلحقها من تطورات تقنية وتبدلات جيوية. استراتيجية تعمل على تقريب المسافات وتوحيد أنماط الحياة المادية والفكرية، دورا أساسيا في دمج الدوائر الثقافية المختلفة، وإنشاء فضاء ثقافي مشترك، أو قائم فوق الثقافات القومية يسمح لمنتجات الثقافة الأمريكية بأن تروج وتنفس منتجات الثقافة الأخرى إلى حد كبير.

¹. انظر تفصيل ذلك عند كريم أبو حلاوة، مرجع سابق. ص 176.

². بدرية البشر، مرجع سابق. ص 59، 60.

³. غليون وسمير أمين، مرجع سابق. ص 45.

فهل يؤدي الانفتاح المتبادل للفضاءات الاقتصادية والثقافية والإعلامية إلى الأمركة والسيطرة الأحادية للولايات المتحدة الأمريكية، أم يقود بالعكس إلى تطوير وتعميق التعددية الحضارية والثقافية والسياسية ؟

يبدو أن طرح مسألة الانفتاح العالمي يشير دائما إلى الآخرين كضحية محتملة إن لم نقل حتمية، ويوحى وكأن التهديد القائم بالنسبة إلى الهويات الجماعية ناجم عن توسيع دائرة التفاعل والاندماج بين الثقافات، لا عن غياب استراتيجيات فعالة للثقافات الضعيفة والمجتمعات التي تحملها للاستفادة من هذا التفاعل وللحد من الآثار السلبية. إنه أسلوب يعكس مخاوف الجماعات الضعيفة من المستقبل أكثر مما يساعد على الكشف عن تغيير الشروط غير المتكافئة التي يحصل فيها هذا التفاعل، والتي تفضي به إلى سيطرة الثقافات الأقوى والأكثر تطورا ونضجا.

يؤكد برهان غليون أن التفكير في العلاقات بين الثقافات ليس موضوعا جديدا على النقاش العلمي والأيدولوجي العلمي، فقد صاغت الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الثقافي مفاهيم عديدة وقوية لفهم الآليات التي تحكم صراع الثقافة أو تفاعلها. ومن هذه المفاهيم العديدة مفهوم الثقافة الذي سيطر على أبحاث العلماء في الحقبة الماضية هو مفهوم " الاستلاب " الذي سبقه، والذي ارتبط بتحليل الآثار السلبية العميقة التي تركتها الحقبة الاستعمارية، وفي فترة لاحقة. وعلى هامش هذين المفهومين العلميين تكاثرت الأبحاث التي تتحدث عن الهيمنة الثقافية والإمبريالية الثقافية، بل أكثر من ذلك عن الغزو الثقافي. فهل تدخل الآثار التي ستركها العولمة في الثقافات البشرية في إطار هذه المفاهيم المتداولة والسابقة عليها، أم أنها تحتاج إلى تطوير مفاهيم جديدة أكثر ملاءمة للأوضاع الناشئة عن دمج العالم إعلاميا واتصاليا وأكثر فاعلية إجرائية في فهم مستقبل العلاقات بين هذه الثقافات ؟¹

4 . خصائص ثقافة العولمة

لا يمكننا إدراك حقيقة ثقافة العولمة إلا في ضوء مفهوم الثقافة المحلية أو الوطنية. فالثقافة الوطنية تتكون من جماع أساليب السلوك والأفكار والرموز والفنون التي تميز شعبا من الشعوب. وعلى رغم تنوعها الداخلي تتميز الثقافة بتجانس على الأقل عبر الاشتراك في مجموعة الدوال السلوكية والرمزية، كذلك الاشتراك في لغة واحدة. في حين نجد ثقافة العولمة تتجاوز هذه الثقافة الوطنية متخطية حدود الدول، وتنتشر من خلال آليات غير ثقافية وغير اجتماعية كالعلاقات الدولية وآليات تدفق السلع والأفراد والمعلومات والمعرفة والصور.

وكما يذهب أنطوني سميث Anthony Smith فإن ثقافة العولمة هي بناء عقلي أشبه بمفهوم الدولة التي تجري صناعتها في عقول المواطنين عبر جماعات النخبة والمثقفين، ومن خلال الممارسات والطقوس السياسية التي تعول على التقاليد تارة، وعلى الثقافة الحديثة تارة أخرى. على المنوال نفسه تصنع ثقافة العولمة من خلال عملية انتقائية يجري بمقتضاها جمع عناصر ثقافية من هنا وهناك ووضعها داخل تقنيات الاتصال لتشكل أبنية ثقافية غير

¹ . غليون وسمير أمين، مرجع سابق. ص 45.

قومية تتجاوز حدود المكان الذي انطلقت منه والزمان الذي ظهرت فيه.¹ وفي ضوء هذا فإن ثقافة العولمة لا تتشابه بالضرورة مع الثقافات المحلية.

ولعل وجه الاختلاف الرئيس في هذا الصدد هو ما يتعلق بـ " تاريخية " الثقافة، فالثقافة الوطنية . ثقافة الأمة أو الشعب أو الدولة في وطن من الأوطان . هي ثقافة ترتبط بتاريخ معين وبهوية معينة، بينما ثقافة العولمة لا تاريخ لها ولا هوية. إنها تتعدى التواريخ الخاصة، وتتعدى الهويات الخاصة، إلى الفضاء العالمي الذي لا هوية له. ولذلك يذهب بعض الباحثين إلى القول: إن ثقافة العولمة لا ذاكرة لها.² وينقلنا هذا الحديث إلى التساؤل عن خصائص هذه ثقافة:³

الأولى: هي ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعلمي، فهي تنقل عبر الوسائل الاتصالية الحديثة وهي بذلك ثقافة مصنوعة بحساب. تنتفي هنا عن ثقافة العولمة خاصة التلقائية والنمو العفوي، وتميل في المقابل إلى أن تكون ثقافة موجهة تسعى إلى تحقيق أهداف اقتصادية (الربح) أو سياسية (الأدلة وخلق الهيمنة للثقافة الحديثة) أو ثقافية (تدعيم صور خاصة لخلق ذهنيات معينة).

الثانية: وهي نخبوية تفرض من أعلى من دون أن تكون لها قاعدة شعبية، أو لا تعبر عن حاجات محلية أو لا تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي الذي تنتقي منه. وتعني النخبوية في ثقافة العولمة أمرا أكثر من كونها ثقافة عليا تنحدر من دوائر مبهمة ومتباعدة فهي أيضا توجه إلى نخب. حقيقة أنها يفترض أن توجه إلى كل الشعوب، و لكن لظروف خاصة بتكوين الثقافات المحلية، فإن المستقبلين الفعليين للثقافة العولمة هم نخبة من كل مجتمع. ولا شك في أن عناصر من ثقافة العولمة تتسرب عبر قطاعات أعرض من النخبة، ولكنها في هذه الحالة لا تكون ثقافة عولمة متكاملة بقدر ما تكون شذرات منها.

الثالثة: تساعد ثقافة العولمة على تركيز القوة؛ والقوة هنا ليست قوة سياسية فحسب، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصيغة الكونية كشبكات الكمبيوتر والانترنت، وهي ما يطلق عليها تقنيات العولمة التي أصبحت مصدرا رئيسا لثقافة العولمة بجانب الشبكات التلفزيونية التي ترتبط على نحو أو آخر بالشبكة العنكبوتية. إننا هنا بصدد ثقافة نخبوية تتعامل معها فئات خاصة. ولقد فرض هذا الواقع أجندة بحثية جديدة تعكس مفهوما خاصا يعبر عن هذا الجانب من ثقافة العولمة، ذلك هو مفهوم "الثقافة الإلكترونية" والتي تشير إلى المعلومات والممارسات المتصلة بعالم الكمبيوتر والانترنت. كما ظهر مفهوم الفضاء الإلكتروني ليشير إلى العالم الفضائي غير المرئي وغير المرتبط بزمان ومكان والذي تتداول داخله المعلومات الإلكترونية. هذا فيما يتصل بالعوامل

¹ . أحمد زايد، مرجع سابق. ص 14 . 15.

² . نفس المرجع الآنف الذكر.

³ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 15 . 21.

الثقافية الفضائية، أما فيما يتصل بجماعات المتلقين فقد ظهر مفهوم الجماعة الفضائية (المفترضة). فالتقدم في تكنولوجيا المعلومات والاتصال قد خلق طبقة جديدة . أو قل نخبة جديدة . تتشكل من قبيل من الناس تجمعهم المعرفة بعالم المعلومات. وهؤلاء لا يعيشون في جماعة تجمعها حدود معروفة، ولكنهم لا يعرف بعضهم بعضاً، وليست لهم أهداف واحدة أو مصالح واحدة، كما لا يجمعهم تاريخ واحد أو وعي واحد و لا يشتركون في معتقدات واحدة.

الرابعة: ارتباطها بثقافة الاستهلاك فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك. ومن ثم فإنها تفرض على المجتمعات الواقعة في إطار الحضارات غير القريبة، صوراً من الاستهلاك لم تكن لتعرفها لولا عولمة الحداثة. كما تفرض قيماً و رموزاً وأساليب سلوكية تدعم الميل الاستهلاكي، وتخلق منه أسلوباً للتمييز الاجتماعي، وتدفع الناس دفعا نحو التقليد والتنافس الاستهلاكي. ويساعد ذلك على تحكّم دول مراكز الرأسمالية في وسائل الاتصال والإعلان.

الخامسة: تعمل ثقافة العولمة على خلق نماذج وصيغ موحدة عبر العالم، كما تدعم نظاماً للصور الذهنية حول موضوعات خاصة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالسوق الرأسمالي. ولعل هذا ما يميز ثقافة الحداثة في صورتها المتأخرة أو قل العولمة في تجلياتها المعاصرة.

السادسة: تخلق ثقافة العولمة عالماً من التهويمجات والزيغ الذي ينشأ بين أفراد يتفاعلون داخل السوق، ومن ثم فإن جهدهم ينصب على جلب المكاسب لا على تكوين حياة لها أهداف واحدة. وذلك يعني موت روح الإنتاج وموت القدرات الخلاقة وموت المعنى، وتحول الواقع إلى نماذج وصور وتمثيلات متخيلة، ساعد على ذلك التكنولوجيا المتقدمة ووسائل الاتصال وطبائع البشر في عالم ما بعد الحداثة الذين يفضلون العالم المتخيل على عالم الواقع.

السابعة: العمل على تغريب الثقافات الوطنية من خلال آليات أصبحت أكثر قوة مثل وسائل الإعلام والتقنية الحديثة واحتكارها على مستوى المعرفة وعلى مستوى التشغيل. وكان لصناعة الثقافة دور هام في هذا الإطار، حيث تم توجيه نمط الثقافة من منطلق ما بعد الحداثة، نحو إعادة إنتاج وتقوية منطلق الاستهلاك لدى الشعوب.¹

الثامنة: تشير مظاهر العولمة الراهنة كلها إلى أن الإنسانية تتجه نحو ثقافة عالمية ومشاركة. ويمكن القول إنه . على الأقل على المستوى السياسي . أصبح كثير من المبادئ والقيم المرتبطة بالديمقراطية وحقوق الإنسان ووضع المرأة والأقليات وسيادة القانون، الشفافية والمحاسبة والتفاوض إلخ، مكونات لثقافة كثير من شعوب العالم، من خلال

¹ . سليمان الديبري، « ما بعد الحداثة، مجتمع جديد أم خطاب مستجد »، الفكر العربي، السنة 15، العدد 78، خريف 1994. ص 6. 15.

مشاركتها في الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة وفي المؤتمرات (قمة التنمية والأرض). كما أن منظمات المجتمع المدني التي انتشرت في كل أرجاء هذه المعمورة روجت لهذه المبادئ والأفكار في مناطق كانت معزولة أو مهمشة، ولكنها الآن جزء من القرية الكونية.¹

ومع إدراكنا العميق لتلازم الإخضاع السياسي والاقتصادي مع الهيمنة الثقافية. حيث لا فاصل حقيقي حول سيرورة العولمة بين متغيرات الاقتصاد والسياسة وبين الثقافة والقيم. إلا أننا نعتقد أن مفاعيل ثورة الاتصالات والضخ الإعلامي المتواصل المرافق لمجتمع المعلومات، قد جعل من محاولات الانغلاق والانكفاء الثقافي مجرد ردود فعل سلبية وغير فاعلة.

5. العلاقة بين الثقافات المختلفة (حوار الثقافات أم صراع و صدام الحضارات)²*

من أجل فهم البعد الفلسفي للعولمة فكرة و منهجا و نظاما، لا بد لنا من أن نتوقف عند الفكرة المحورية التي تروج في عصرنا، و نريد بها فكرة (صراع الحضارات)، التي إن استوعبناها بعمق ووقفنا على مصادرها و مضامينها تيسر لنا فهم العولمة بأبعادها جميعا.

يعد السعي من أجل تقارب الحضارات وربط الثقافات وتعزيز الهوية العالمية من الوجوه المتعددة للعولمة الثقافية، وربما خلق عالم بلا حدود ثقافية. لكن أيضا العولمة الثقافية يمكن لها أن تتجه نحو صراع الحضارات ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات، ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجاً على الصعيد العالمي. فالعولمة الثقافية التي تمهد الطريق حلياً لتربط المناطق الثقافية بإمكانها أيضا أن ترسخ لانقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة وتزداد انغلاقاً، وتستعد لمواجهة بعضها البعض. فالعولمة ببعدها الفلسفي تخوض في الواقع معارك متعددة مع الهويات المختلفة في العالم، والتي تختلف في جذورها التاريخية، وفي تعبيراتها الثقافية.

¹ . ستيفن كاسلز، « العولمة والهجرة بعض التناقضات الصارخة ». المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 156، يونيو 1998، ص 39.

* . تم الرجوع في هذه الجزئية إلى المراجع التالية:

. حسن نافعة، العرب و اليونسكو. عالم المعرفة. ص 9 . 18.

. حسن نافعة، « اليونسكو و قضايا التعددية الثقافية و الحضارية، رؤية عربية»، مجلة السياسة الدولية، العدد 127، يناير 1997. ص

31 . 14

. حازم الببلاوي، « حوار أم صراع الحضارات انطباعات غير متخصصة ». النهج، العدد 50، ربيع 1998، ص 56 . 63.

لقد ازداد الحديث عن احتمال صراع الحضارات خلال المستقبل القريب خاصة في نقاط التقاء المناطق الحضارة الكبرى. وقد ظهرت بوادر هذه المعارك في الجدل العنيف المحتدم حول الحضارات بين الصراع والحوار.¹

وارتبط تاريخياً مفهوم "صراع الحضارات" بمقالة ع السياسة الأمريكي صامويل هنتجتون *Huntington* مؤلف كتاب " صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي"، والتي أثارت جدلاً عالمياً بعد أن تحولت إلى كتاب واسع الانتشار، ميزت عملية الصراع التي أشعلتها العولمة. فهذه المقالة تدعي أن الحضارة الغربية في مرحلة تحولها الراهنة ستدخل حتماً في صراع مع حضارات أخرى بدل من صراعها مع الأيديولوجيات أو القوميات، على أساس أن الحروب والصراعات المستقبلية سوف تشغلها عوامل ثقافية أكثر منها اقتصادية أو أيديولوجية. وأن الصراعات الثقافية تتزايد، وهي الآن أخطر مما كانت عليه في أي وقت سابق في التاريخ.

كما يطرح في الكتاب نموذجاً لرؤية السياسة العالمية من خلال توضيح البعد الرئيس والأكبر خطورة في السياسة الكونية الناشئة، و الذي يكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة. وقد رشحت لهذا الصراع الحضارة الإسلامية، التي ستدخل في صراع - كما يقرر - هي الحضارة الكونفوشيوسية مع الحضارة الغربية. كما يؤكد هنتجتون أن الدول القومية هي بمثابة " اللاعبون الرئيسيون " في شؤون العالم. ويتشكل سلوكها كما كان في الماضي بالسعي نحو القوة والثروة كما يتشكل بانحيازاتها الثقافية وبما هو مشترك وبما هو مختلف.² لذا فإن أخطر الصراعات الثقافية هي التي على خطوط التقسيم الحضاري، وعلى العكس تماماً ستكون الدول التي بينها صلات قرى ثقافية متعاونة اقتصادياً وسياسياً مثل الاتحاد الأوروبي.³

إن الفكرة العامة لهذا النموذج من الطرح تقوم على افتراضات يعرضها هنتجتون بالطريقة التالية⁴:

- المصدر الأساس للنزاع في هذا العالم الجديد لن يكون أيديولوجياً أو اقتصادياً من حيث المبدأ.
- التقسيمات الكبرى بين البشر والمصدر الرئيس للنزاع سوف يكون ثقافياً، وسوف يسيطر صدام الحضارات على شؤون السياسة الدولية.
- ستظل الدولة القطرية أقوى عنصر في توجيه الشؤون الدولية، ولكن النزاعات الأساسية ستكون بين الأمم والنزاعات من مختلف الحضارات، وخطوط التماس بين الحضارات هي التي تشعل تلك النزاعات باستمرار.
- في المستقبل لن تكون ثمة حضارة عالمية منفردة، ولكن بدلاً من ذلك عالم من الحضارات متعددة ينبغي لكل واحدة منها أن تتعلم كيف تعيش مع الآخرين.

¹ . السيد يسين، الديمقراطية وحوار الحضارات. مرجع سابق. ص 136 . 137.

² . صموئيل هنتجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة: طلعت الشليب، القاهرة: دار سطور، 1998. ص 10.

³ . نفس المرجع الذكر. ص 29.

⁴ . انظر إبراهيم شوقار، « العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية». مجلة التجديد. السنة السابعة. العدد: 14. ص 144.

لقد أثار ما قدمه **صامويل هنتغتون** عن فكرة صدام الحضارات ردود فعل على نطاق واسع، ولاسيما بين المفكرين في الدول النامية التي يشكل المسلمون سوادها الأعظم.¹ فالأهمية التي حظيت بها نظرية صدام الحضارات وخطورتها لا تنبعان من كونها تحتوي على حقائق علمية مجردة، بل تكمن خطورتها في الإرادة القوية التي تقف خلفها داعمة لها ممتلة في قوى الاستكبار العالمي.

ولقد سبق **صامويل هنتغتون** في حديثه عن الثقافات كتاب " نهاية التاريخ " لفرانسيس فوكوياما Fukuyama Francis² الذي كان أشهر مؤلف تعرض للعلاقة بين الثقافات المختلفة في إطار تناوله لعلاقة الاقتصاد بالثقافة. والذي يشخص المرحلة الراهنة في التاريخ وكأنها مرحلة انتصار نهائي للنموذج السياسي والفكر الليبرالي، الذي يحظى بالقبول الواسع من أكبر قدر من الدول والمجتمعات في العالم، والتي حدث فيما بينها تقارب ملحوظ. لكن تشخيص فوكوياما أثار حوله كثير من الجدل والمعارضة على مختلف المستويات لأن قضية تفوق حضارة بعينها كانت قضية جدلية منذ فترة طويلة، حتى أن منظمة اليونسكو الدولية اهتمت بها وبدأت في إجراء دراسات حول قضايا التعددية الثقافية والحضارية تقريبا منذ نشأتها.

لكن لما تبين لأكثر المحللين أن **هنتغتون** إنما يفصل أطر (العولمة) لمصلحة أطراف بعينها، وتيقنوا أن مقولاته ستنتهي حتما إلى المصير نفسه الذي انتهت إليه مقولات **فوكوياما** في (نهاية التاريخ) التي تجاوزها التاريخ و صارت من مخلفاته الفكرية في القرنين التاسع عشر و العشرين ، لما أدركوا كل ذلك رفعوا من جانبهم شعار "حوار الحضارات".

إن الحضارات الكبرى التي عرفها تاريخ البشرية تتفاوت فيما بينها في موقفها من المادية والروحية، فمنها ما يغلب عليه الجانب المادي، ومنها ما يغلب عليه الجانب الروحي، ومنا ما يسوده التوازن بينهما.³ فهي إذن سلسلة متعاقبة من الحضارات التي تحل كل واحدة منها المجال لما سوف يتلوها من حضارة أخرى، مما جعل كثير من الباحثين في مجال دراسة الحضارات يذهبون إلى القول بوجود التماثل والتطابق بين الكثير من هذه الحضارات⁴ والتماثل والتطابق لا يدعان مجالاً للصراع.

ولذلك فإن الحضارات لا تتصارع، وإنما تندافع وتتلاقح ويكمل بعضها بعضاً، وتتعاقد وتتواصل لأنها خلاصة الفكر البشري والإنساني وحركة التاريخ التي هي في المفهوم الإسلامي سنة الله في الكون. فالصراع بين

¹ - إن مناقشة هذه النظرية قد تناولها باحثون كثيرون، راجع ابراهيم شوقار، « العولمة و العالمية في ضوء سنن الله الكونية ». مجلة التجديد. السنة السابعة العدد 14. ص 144.

² . Fukuyama Francis. The End of History and The Last Man (U.S.A: Free Press. 1992).

³ . يوسف القرضاوي، الإسلام... حضارة الغد. القاهرة: مكتبة وهبة، 1995. ص 15.

⁴ . عبد الرحمن خليفة و فضل الله محمد إسماعيل، في الإيديولوجيا و الحضارة و العولمة. مصر: مكتبة بستان المعرفة ، 2001. ص 274.

الحضارات ليس واردا لأن دورات التاريخ تطرد وفق المشيئة الإلهية، ولأن التاريخ هو من صنائع الله، والإنسان الذي يؤثر في مسار التاريخ ويصوغه ويبدع فيه هو من أكرم خلق الله.

والتدافع الحضاري هو مفهوم قرآني، وهو جامع للمعاني والدلالات التي تؤكد بطلان نظرية صراع الحضارات من الأساس. يقول الله تعالى ﴿ ولولا دفع الله تعالى ﴿﴾ للناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴿﴾. ¹ ويقول أيضا ﴿﴾ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴿﴾. ² ويأمر الله عباده بالدفع بالتي هي أحسن في جميع الأحوال في قوله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴿﴾. ³ ويقول عز وجل ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴿﴾. ⁴

ودفع الله الناس بعضهم ببعض يلغي الصراع ويطل زعمه. لأن هذا الدفع هو الذي يمنع فساد الأرض ويجول دونه. وينبغي أن نتنبه في هذا السياق إلى الفرق الدقيق بين (فساد الأرض) و (الفساد في الأرض). فالمعنى الأول الوارد في الآية القرآنية ينصرف إلى فساد الأرض باختلال النظام الذي وضعه الخالق سبحانه حياة البشر فوقها، الذي إذا اختل واضطرب فسدت الأرض. وهذا مظهر من مظاهر الصراع هو الوضع الذي ينتج عنه احتدام الصراع بين الحضارات والثقافات. أما المعنى الثاني وهو (الفساد في الأرض) فهو ينصرف إلى الفساد الذي ينتج عن أفعال البشر، وهو طبائع الأشياء. والحياة الإنسانية قائمة على أساس (دفع الله الناس بعضهم ببعض)، فهذا هو القانون الأزلي للبشر فوق الأرض، وهو سنة الله بذلك تتهاوى مزاعم الصراع وتسقط افتراضاته وتتهافت حتمياته. ⁵

وعلى هذا الأساس، فإن مصير الحضارات لم يكن عبر التاريخ كله صراعا وصداما. ولكنه كان تدافعا، وكان دائما وبصورة مطردة يسير في الاتجاه الصاعد إلى ازدهار الحياة بتراكم العطاء الحضاري في مختلف مجالاته وإلى الرقي بالإنسان الذي استخلفه الله في الأرض لعمارته، بينما الصراع يتجه نحو الإفساد في الأرض. ومن هذا نخلص إلى أن صراع الحضارات ليس حتمية من حتميات التاريخ كما يدعي المنظرون المعاصرون الذين يسمون معالم سياسة الهيمنة والغطرسة والقوة ولقهر إرادات الشعوب. وقياسا على ذلك فإن العولمة ليست قدرا مقدورا، وما هي بحقيقة من حقائق التاريخ الثابتة. ⁶

1 . البقرة: 251.

2 . الحج: 40.

3 . فصلت: 34.

4 . المؤمنون: 96.

5 . عبد العزيز بن عبد الرحمن التويجري، أثر العولمة في الثقافة العربية. مرجع سابق. ج 1 ص 26.

6 . عبد العزيز بن عبد الرحمن التويجري، أثر العولمة في الثقافة العربية. مرجع سابق. ج 1 ص 27.

ولقد حذرت توصيات ندوة " صراع الحضارات أم حوار الثقافات " من خطورة الهيمنة الثقافية. حيث أكد المشاركون على أن التفاعل الثقافي هو الذي يعبر عن توازن القوى بين الثقافات والشعوب. والأمة الصاعدة هي القادرة على هضم الثقافات الأخرى. وإنه يمكن لثقافة عظمى أن تهيمن على ثقافة صغرى عن طريق التعليم واللغة فتدمرها، ولذا لا بد من التفاعل المتبادل لأن الثقافات لا تحمي نفسها بالانغلاق، بل إن تزواج الثقافات هو المسألة اللازمة لازدهار ونمو الثقافات.¹

وورد في كتاب " الديمقراطية وحوار الثقافات " للسيد يسين: « وربما آن الأوان لكي نصحح الاستعمال الذائع ونقصد عبارة حوار الحضارات، ونتحدث عن حوار الثقافات، لسبب بسيط مؤداه - كما يذهب إلى ذلك العديد من الباحثين والمفكرين - أننا جميعا في الشرق والغرب نعيش في ظل حضارة واحدة هي الحضارة العلمية والتكنولوجية والاتصالية، وإن كنا نتوزع واقعيا بين ثقافات متعددة. ومن وجهة نظر التحليل الثقافي فإن مفهوم " رؤية العالم " أي وجهة النظر إزاء الكون والمجتمع والإنسان التي تتبناها كل ثقافة، هي مفتاح فهم تعدد الثقافات. وفي هذا المجال هناك اتفاق عالمي على أنه ليست هناك ثقافة أسمى من ثقافة، لأن لكل ثقافة كرامتها الخاصة وتاريخها المشروع. وهو إجماع لا يوافق عليه أنصار العنصرية الجديدة، الذين يحاولون إحياء المشروع العنصري القديم الذي ساد في القرن التاسع عشر، مرافقا في ذلك للاستعمار الغربي لعديد من بلاد العالم الثالث، والذي كان قوامه نظرية (عبء الرجل الأبيض) الذي ألفت المقادير على عاتقه مهمة تمدين الشعوب الهمجية والثقافات البربرية ». ²

ولكي يصبح الحوار حقيقة قائمة طالب مفكرو العالم من اليونسكو أن تبذل جهدا واضحا للتعريف بالثقافات والحضارات غير الأوروبية، وبما أبدعته من روائع في شتى أنواع العلوم والفنون والآداب. أو تعكس موقفها من بعض القضايا الهامدة. ومن هنا جاء برنامج اليونسكو الخاص « بالفهم المتبادل للقيم الثقافية بين الشرق والغرب، تضمن برنامج نشاطه ترجمة عدد من المؤلفات التي تبرز دور الثقافة العربية والإسلامية إلى بعض اللغات الأوروبية وخاصة الإنجليزية والفرنسية ». ³

ومع كل ما يقال عن حوار " الحضارات أو الثقافات " ويقام لها من الندوات العالمية والإقليمية، وفي ضوء معطيات العولمة الثقافية الراهن، وفي ظل استمرار التفاوت بين الشمال والجنوب، فإن كثيرا من المفكرين يرون الحديث عن إمكانية التثاقف والحوار بين الحضارات اسم بغير مسمى. ⁴ فلم يعد بعد التثاقف. في ظل غياب التكافؤ الراهن.

¹ - فخري لبيب، صراع الحضارات أم حوار الثقافات. القاهرة: مطبوعات التضامن، 1997. ص 747.

² - السيد يسين، الديمقراطية وحوار الثقافات. مرجع سابق. ص 37.

³ - حسن نافعة، « اليونسكو وقضايا التعددية الثقافية والحضارية، رؤية عربية ». مرجع سابق. ص 22.

⁴ - حامد خليل، « الثقافة العربية وحوار الحضارات ». العرب والعولمة. ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر السنوي الثالث للمركز العربي للدراسات الإستراتيجية. ص

يعني الاحتكاكات الحضارية الثقافية والاجتماعية التي تؤدي إلى الانتقال الحر للثقافة و إلى التفاعل بين الحضارات بحيث تؤدي إلى تقدمها وازدهارها بل أصبح توصيفا لجملة من العمليات المفروضة وغير البريئة.

وفي ختام هذا الفصل نستخلص أن كلمة العولمة كظاهرة ونظرية ومفهوم هي الأكثر تداولاً واستخداماً حتى بين غير المتخصصين في قضايا الفكر والثقافة. ورغم هذا التداول والشيوخ والانتشار إلا أن ما يحيط بهذا المصطلح من غموض يكاد يكون هو المعبر الأساس عن السجلات التي تدور حوله ورغم الكم الهائل من الكتابات والمقالات والندوات التي تتناول هذا المفهوم خاصة في الخطاب العربي المعاصر، ويمكن أن نرجع سبب ذلك إلى عدم تحديد إطار مرجعي ذي مضمون معرفي واضح يمكن الاستناد إليه عند استخدام مصطلح العولمة.

ولقد تعددت أبعاد العولمة وتراوحت بين البعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. واتجه معها الدارسون إلى أن العولمة كما تحدث وتمارس اليوم ما هي إلا محاولة لنشر وتعميم القيم والثقافة الأمريكية، وجعلها ثقافة عالمية عبر الضخ المتزايد للمضامين الإعلامية من صوت وصورة عبر الوسائط الإعلامية المتعددة تحت غطاء ما يعرف بتقارب الحضارات وربط الثقافات وتعزيز الهوية العالمية الذي يهدف مستقبلاً إلى انقسام العالم. وهذا ما نشهده اليوم. وهو ما يعرف بصراع الحضارات وهو ما سنعالجه بالتحليل في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

هوامش الفصل الثاني المرجع ذكرت أول مرة

مصححة نهائيا

- ¹ أبو ربيع إبراهيم، «العولمة، هل من رد إسلامي معاصر». مجلة إسلامية المعرفة، العدد 31، صيف 2000.
- ¹ - المنصف وناس، «مضامين العولمة الاتصالية والثقافية». الإذاعات العربية، مجلة يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية(تونس)، العدد2، 1998.
- ¹ غسان العربي، « جذور العولمة وإشكالياتها ». منبر الحوار. (بيروت)، العدد37، 1999.
- محمد عابد الجابري، فضايا في الفكر المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
- ¹ السيد ياسين، « في مفهوم العولمة ». المستقبل العربي، السنة 20، العدد 228، شباط 1998. ص 6. و هذه الدراسة هي في الأصل ورقة قدمت إلى: العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة الخولي (بيروت: المركز، 1998).
- ¹ . جيمس روزانو، ديناميكية العولمة: نحو صياغة جديدة علمية، قراءات استراتيجية. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، 1996. نقلا عن محمد إبراهيم منصور، «العولمة ومستقبل الدولة القطرية». مجلة المستقبل العربي، العدد 282.
- ¹ - السيد ياسين، حوار الحضارات في عالم متغير، التقرير الاستراتيجي العربي. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام 1992.
- ¹ بدرية البشر، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض أنموذجا. ط:1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
- ¹ . باسم علي خريسان، العولمة والتحدي الثقافي. بيروت: دار الفكر العربي، 2001.
- ¹ . أسامة أمين الخولي، العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
- ¹ . جلال أمين، العولمة. القاهرة: دار المعارف، 1998.
- ¹ رونالد روبرتسون، العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية. ترجمة: أحمد محمد و نورة أمين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- ¹ . أولريش بك، ما هي العولمة. ترجمة: أبو العيد دودو. كولونيا، ألمانيا: منشورات الجمل، 1999.
- ¹ PieterseK. Jan Nederveen. Globalisation as Hybridization.
International Sociolog vol.8.no.2 Jun 1994.P 161.
- ¹ Chomsky. Noam. World orders Old and New (USA : Columbia
University Press. 1994.
- ¹ . حسام الخطيب، « العالمية و العولمة من منظور مقارني ». عالم الفكر، المجلد 34، العدد1، يوليو. سبتمبر2005.
- ¹ . عبد الملك مرتاض، « أثر العولمة في مقاومة العولمة »، أعمال الملتقى الدولي في الجزائر «العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية». منشورات المجلس الإسلامي الأعلى. ماي 2004.
- ¹ . أحمد ثابت، « العولمة حدود الاندماج وعوامل الاستبعاد »، شؤون الأوسط، العدد 76، تشرين الأول، 1998.
- ¹ . رجب بودبوس، العولمة بين الأنصار والخصوم. بيروت: دار الانتشار العربي، 2002.
- ¹ . عبد العزيز برغوث، الأبعاد الإشكالية لمفهوم العالمية في الوعي الحضاري المعاصر. ط:1. كوالالمبور: الشروق، 2001.
- ¹ . راسم الجمال، « كيف يمكن تقديم الصورة الحضارية العربية للمشاهد الأجنبي عبر القنوات الفضائية العربية ». المجلة العربية للثقافة، السنة 16، العدد 33، سبتمبر 1997.
- ¹ . فريال مهنا، « الإعلام الفضائي العربي ووقائع العولمة . دراسة نظرية تطبيقية على الشركات الوطنية بمدينة الرياض». المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 7، يناير - يوليو 2000.
- ¹ . هشام البعاج، « سيناريو استمولوجي حول العولمة. أطروحات أساسية»، مجلة المستقبل العربي. السنة 22، العدد 247، سبتمبر1999.
- ¹ علي حرب، « الثقافة والعولمة »، مجلة الشاهد(بيروت)، العدد159، تشرين الثاني - نوفمبر1998.
- ¹ . أحمد مصطفى عمر، « أعلام العولمة و تأثيره على المستهلك ». المستقبل العربي، العدد 256، جوان 2000.

1. حسين كامل بماء الدين، الوطنية في عالم بلا هوية . تحديات العولمة. القاهرة: دار المعارف، 2000.
1. حسن عمد مكاوي، « أبعاد العولمة وإعادة هيكلة وسائل الإعلام». مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد 31-32، يوليو - ديسمبر.
1. محمد عبد الشفيق عيسى، « التنمية و أوهام خمسة»، السياسة الدولية، السنة 24، العدد 133، تموز / يوليو 1998.
1. عبد الهادي أحمد الجوهري، « دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة». مجلة المستقبل العربي، السنة 22، العدد 247، سبتمبر 1992.
1. عبد الإله بلقزيز، « العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة». مجلة المستقبل العربي، العدد 5، 1998/231.
1. محمد حمادة، « العرب قطار العولمة السريع». مجلة المنتدى. (عمان)، العدد 156. 1998.
1. أحمد صدقي الدجاني على بحث السيد ياسين: « في مفهوم العولمة»، ورقة بحثية بعنوان: العرب والعولمة، قدمت للمناقشة بالندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة أمين الخولي. المركز (بيروت)، 1998.
1. عبد الستار الراوي، « العولمة: الفردوس الموعود وحجيم الواقع». الموقف الثقافي. (بغداد)، السنة 2، العدد 10، 1997.
1. السيد ياسين العولمة والعالمية. القاهرة: نخبة مصر، 2000.
1. طاهر ليبب، تعريف المثقف العربي للعولمة. سلسلة كتاب قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999.
1. عواطف عبد الرحمان، الإعلام العربي و قضايا العولمة. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1999.
1. رفيق عبد السلام « كيف يرتقي الخطاب الإسلامي إلى العالمية؟» الكلمة، مجلة فكرية ثقافية إسلامية تصدر فصليا عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث (بيروت)، بلا عدد ولا سنة.
1. محمود أمين العالم، العولمة وخيارات المستقبل. سلسلة كتاب قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999.
1. تادي أكينينا، العولمة والسياسة الاجتماعية في إفريقيا، قضايا واتجاهات. ترجمة: صلاح أبو نار. القاهرة: مركز البحوث العربية، 1999.
1. محمد فهم يونس، « حقوق الإنسان في ضوء التحليلات السياسية للعولمة: عولمة حقوق الإنسان أم عولمة الفهم الغربي لحقوق الإنسان»، مجلة المستقبل العربي، السنة 21، العدد 235، سبتمبر 1998.
1. ماهر الشريف، « ماذا يعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة». مجلة النهج، السنة 94، العدد 50، ربيع 1998.
1. - محمود فهمي حجازي، مجلة الهلال، القاهرة، عدد مارس 2001.
1. خلدون حسن النقيب، « حوار الثقافات و صراعاها: العولمة و الوشائج الجديدة». مجلة النهج، السنة 15، العدد 50، 1998.
1. عروس الزبير، « العولمة و ثقافة السلطة. الجزائر نموذجا». قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999.
1. حيدر ابراهيم، « العولمة وجدل الهوية الثقافية». مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2، أكتوبر - سبتمبر 1999.
1. عبد الله عبد الدائم، « في سبيل ثقافة عربية مستقبلية، العالم ومستقبل الثقافة العربية». شؤون عربية، العدد 89، آذار. مارس 1997.
1. محسن أحمد الخضير، العولمة. مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة. القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000.
1. نايف علي عبيد، « العولمة والعرب»، مجلة المستقبل العربي، العدد 71، مارس 1997.
1. أبو يعرب المرزوقي، « العولمة و الكونية». مجلة التجديد (الجامعة العالمية ماليزيا)، السنة الثانية، العدد 4، 1998.
1. محمد علي الفراء، « العولمة والحدود». عالم الفكر، عالم الفكر، المجلد 32، العدد 4، أبريل / يوليو 2004.
1. بكار عبد الكريم، العولمة: طبيعتها و وسائلها وتحدياتها والتعامل معها. ط: 2. الأردن، عمان: دار الإعلام للنشر والتوزيع.
1. جوستاف ماسايا، صراع الحضارات أم حوار الحضارات. ورقة قدمت إلى المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات. القاهرة: مطبوعات التضامن، 1979.
1. هالة مصطفى، « العولمة دور جديد للدولة». السياسة الدولية، العدد 134، تشرين الأول أكتوبر 1998.
1. حازم البيلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة. (عالم المعرفة) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000.
1. عراقي عبد العزيز الشربيني، « ندوة: العولمة: ظاهرة العولمة، بعض الأبعاد الاقتصادية». جمعية الدعوة الإسلامية. ليبيا، طرابلس، 1998.
1. عيسى ياسين، « التنمية وأوهام خمسة»، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، العدد 8.
1. جيهان رشتي، « الآثار الثقافية للاتصال عبر الأقمار الصناعية». المجلة العربية للثقافة، العدد 194، سبتمبر 1990.

عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1999.

¹ حسام الخطيب، « أي أفق للثقافة العربية و أدبها في عصر الاتصال و العولمة؟ » مجلة عالم الفكر، مج 28، العدد2، أكتوبر /ديسمبر 1999.

¹ حيدر بدوي صادق. الثقافة والإعلام والبيث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في دولة الإمارات العربية المتحدة. ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 1995.

¹ أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي. القاهرة: دار المعارف، 197.

¹ جلال مدبولي، محمد جلال، « التغيير الثقافي والسنن الاجتماعية في الريف بالتطبيق على قرية شبرامنت بالحيزة ». رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1969.

¹ شارلوت سيموث. سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة: محمد الجوهري وآخرون. سلسلة المشروع القومي للترجمة، 61. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

¹ أحمد مجدي حجازي و آخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة. الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، 1990.

¹ برهان غليون، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

¹ فريدة النقاش، « حول التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانات الخروج منها »، مجلة أدب ونقد. العدد السابع، السنة الأولى، سبتمبر 1984.

¹ اسكندر الديك، اليونسكو والصراع الدولي حول الإعلام والثقافة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.

¹ مصطفى عمر التير، « دور الثقافة الفرعية في تجذير التحزبة ». مجلة الوحدة. العدد 29 / 30، 1987.

¹ جلال أمين، العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة الخولي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 1994.

¹ محمد عابد الجابري، « العرب و العولمة: العولمة و الهوية الثقافية ، تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي »، في العرب والعولمة. مرجع سابق. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة الخولي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 1994.

¹ محمد عابد الجابري، « العولمة والهوية الثقافية »، المستقبل العربي. العدد 228، 1998/2.

¹ منعم العمار، « العولمة و دورها في تهميش النظام الإقليمي العربي ». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، 2000 / 06/8.

¹ حواس محمود، « العولمة الثقافية » المجلة الثقافية، مجلة ثقافية أصلية تصدر عن الجامعة الأردنية، العدد 49، 2000.

¹ - المنجي الزيدي، « ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام » عالم الفكر، العدد 35، سبتمبر 2006.

¹ حسن نافعة، « العرب و اليونسكو ». عالم المعرفة، العدد 135، مارس 1989.

¹ أحمد ماهر السيد، « العولمة ودور الثقافة والإعلام ». مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 97.98، يناير. مارس، 2000.

¹ أمين بسبوني، « الهوية الثقافية العربية في عصر الفضاء »، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 99، أبريل 2000.

¹ حسان محمد الحسن، تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي. الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1998.

¹ أحمد مجدي حجازي، « العولمة و تهميش الثقافة الوطنية ». مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2، أكتوبر و ديسمبر، 1999.

¹ سليمان الدبريني، « ما بعد الحداثة، مجتمع جديد أم خطاب مستجد »، الفكر العربي، السنة 15، العدد 78، خريف 1994.

¹ ستيفن كاسلز، « العولمة والمجرة بعض التناقضات الصارخة ». المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 156، يونيو 1998.

¹ حسن نافعة، « اليونسكو و قضايا التعددية الثقافية و الحضارية، رؤية عربية »، مجلة السياسة الدولية، العدد 127، يناير 1997.

¹ حازم البيلاوي، « حوار أم صراع الحضارات انطباعات غير متخصصة ». النهج، العدد 50، ربيع 1998،

¹ صموئيل هنتنكوتن، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة: طلعت الشليب، القاهرة: دار سطور، 1998.

¹ إبراهيم شوقار، « العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية ». مجلة التجديد. السنة السابعة. العدد: 14.

¹ Fukuyama Franci. The End of History and The Last Man (U.S.A: Free Press.

1992)

¹ فخري لبيب، صراع الحضارات أم حوار الثقافات. القاهرة: مطبوعات التضامن، 1997.

¹ . حامد خليل، « الثقافة العربية وحوار الحضارات». العرب والعولمة. ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر السنوي الثالث للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية.

WEBSTER'S NEW COLLEGIATE

¹ DICTIONARY. 1991. P521

¹ . عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش. القاهرة: دار الشروق، 1998.

¹ . حمدي حسن، « التأثير الاجتماعي لعولمة التلفزيون». ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول آفاق الإعلام الإذاعي والتلفزيوني في القرن الحادي والعشرين المنعقد في كلية الإعلام من 18 . 20 ديسمبر 1996.

¹ . ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. لسان العرب. ط: 1. لبنان: دار صادر للطباعة والنشر، 1997.

¹ . كريم زكي حسام الدين أسس اللغة والثقافة (داسة أنثروبولوجية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية. مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

¹ . حسين عبد الحميد احمد رشوان، الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي. مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2006.

¹ - أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة. الجزائر: دار الأمة للنشر و التوزيع، 1996.

¹ . وليم بنتون، الموسوعة البريطانية. 1969.

¹ . مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. ترجمة: عبد الصبور شاهين. ط: 4. دمشق: دار الفكر، 1984.

¹ . نجاح يوسف السباتين، مفاهيم النهضة الإسلامية. ط: 1. الأردن: دار الإسرائ، 2004.

¹ . مالك بن نبي، ميلاد مجتمع. شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 2002.

¹ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، « الثقافة والإبداع». تونس: مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1992.

¹ . مصطفى عمر حمادة، علم الإنسيان، مدخل لدراسة المجتمع والثقافة. دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007.

¹ . نبيل على، البرجماتية البعد الثقافي. العربي: مجلة شهرية ثقافية مصورة تصدرها وزارة الإعلام، العدد: 542، يناير 2004.

¹ . منير محادي، الاستشراق والعولمة الثقافية. ط: بلا. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع. 2002.

¹ . طه عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 2005.

¹ . ابراهيم بدران، « الثقافة العربية وعصر المعلومات، مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين ». المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، 1998.

¹ . محمد شطاح، قضايا الإعلام في زمن العولمة بين التكنولوجيا والإيديولوجيا..... م ن

¹ . جون توملينسون، العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان. ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب(الكويت). العدد354. أغسطس 2008.

¹ . يوسف القرضاوي، الإسلام... حضارة الغد. القاهرة: مكتبة وهبة، 1995.

¹ . عبد الرحمن خليفة و فضل الله محمد إسماعيل، في الإيديولوجيا و الحضارة و العولمة. مصر: مكتبة بستان المعرفة ، 2001.

الفصل الثالث

الصحافة العربية المكتوبة بين العولمة الإعلامية والهيمنة الثقافية

جامعة الأمير
القادر للعلوم الإسلامية

يشهد العالم في بدايات هذه الألفية الثالثة تحولات دولية وإقليمية ومحلية عنيفة وحاسمة، بسبب ما أصاب بنية المجتمع العالمي من انتقال من نموذج المجتمع الصناعي إلى نموذج جديد يطلق عليه مسمى " نموذج مجتمع المعلومات العالمي ". فالمجتمع الصناعي دار دورته ثم وصل إلى منتهاه في صورة انتقالية عرفت بالثورة المعرفية الحديثة في مجال العلم والتكنولوجيا. وفي هذا السياق وزعت عناصر هذا الفصل المعنون بـ " الصحافة العربية المكتوبة بين العولمة الإعلامية والهيمنة الثقافية " إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: العولمة الإعلامية: تفجر المعلومات والهيمنة الثقافية

المبحث الثاني: الإعلام والثقافة وجدلية العلاقة في ظل العولمة.

المبحث الثالث: الدور الوظيفي للصحافة العربية المكتوبة بين الخصوصية وآثار العولمة الثقافية.

المبحث الأول

العولمة الإعلامية، تفجر المعلومات والهيمنة الثقافية

العولمة الإعلامية في النظام الإعلامي العالمي الجديد

ظهر خلال القرن التاسع عشر عدد كبير من وسائل الاتصال استجابة لمواجهة وعلاج بعض المشكلات الناجمة عن الثورة الصناعية. إذ أدى التوسع في التصنيع إلى زيادة الطلب على المواد الخام، وكذلك التوسع في فتح أسواق جديدة خارج الحدود. كما برزت الحاجة إلى استكشاف أساليب سريعة لتبادل المعلومات التجارية، وبالتالي أصبحت الأساليب التقليدية للاتصال لا تلي التطورات الضخمة التي يشهدها المجتمع الصناعي. وفي النصف الثاني من القرن العشرين وخصوصاً العقد الأخير منه شهد أبرز مظاهر التقنية الجديدة في مجال تطور وسائل الاتصال وتعدد أساليبه، وتمثلت في استخدام الأقمار الصناعية لنقل البيانات والأحداث والصوت عبر الدول والقارات بطريقة فورية.¹ فأحدثت هذه الثورة في الاتصال من خلال الاندماج الذي حدث مع ظاهرة تفجر المعلومات ظهور ما يعرف "بمجتمع المعلومات".

وتؤكد اليونسكو أن الثورة التكنولوجية الحالية التي انبثقت من تداخل العلاقات بين وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمعلوماتية والاتصال عبر الحدود قد حولت نظم الاتصال و أثرت ما يعرف بمصطلح "مجتمع المعلومات" الذي أضحى اليوم مصدراً للكثير من المناقشات.²

وثورة المعلومات في السياقات المعرفية اليوم يراد بها الانفجار المعرفي الضخم المتمثل في الكم الهائل من المعرفة في أشكال تخصصات ولغات عديدة، وهو يقوم على التسهيلات التي أتاحتها التكنولوجيا. وقد تمثل المظهر البارز لتفجير المعلومات في استخدام الحاسب الإلكتروني الذي تكمن طاقته في القدرة على جمع المعلومات وتخزين

¹ إياد شاكر البكري، تقنيات الاتصال بين زمنين. ط: 1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003. ص 28.

² سامية محمد جابر، نعمات أحمد عثمان، الاتصال والإعلام وتكنولوجيا المعلومات. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003. ص 98.

ما أنتجه خلاصة الفكر البشري وتصنيفه واسترجاعه في حيز صغير للغاية وبسرعة فائقة وبثها بأكثر كميات ممكنة ولأكبر عدد من الأفراد في أقل وقت ممكن مهما كانت المسافة.

و بهذا فإن المتبع لمسار تطور وسائل الاتصال عبر مراحل الاتصال المعروفة، يدرك أن القرن العشرين مميز عن بقية عصور الاتصال الأخرى باستخدامه وسائل الاتصال الالكترونية، والتي قيل عن أهميتها آثارها الكثير، خصوصا في مجال التنمية بالنسبة لبلدان العالم الثالث. كما أن تكنولوجيا الاتصالات في هذا القرن قد فتحت مجالات عديدة وجديدة تتركز بدرجات كبيرة في المجتمعات المتقدمة، وتنتقل تدريجيا إلى المناطق الأخرى من العالم،¹ والتي بدأت تكيف نفسها مع أحداث التطورات في تكنولوجيا الاتصالات عن بعد، وتكنولوجيا الاتصالات المسموعة والمرئية والمطبوعة.

لقد أحدثت المتغيرات الحديثة بفعل هذه التكنولوجيا المتطورة تغيرا وتحولا في كافة المجالات المادية وصل إلى حد الجذرية فيما تعتنقه الجماعات الاجتماعية وتستخدمه من ثقافات. وقد أدى ذلك إلى تغير مجرى الحياة ماديا ولا ماديا² بما أفرزته هذه التقنيات والوسائل، وبما أثارته من قيم وعادات وممارسات وطرائق جديدة وغير مألوفة.³

إن العالم حينما تحول من الثورة الصناعية إلى الثورة المعلوماتية، وتحول المجتمع الصناعي إلى المجتمع المعلوماتي، تحولت الحياة بكل تفاصيلها وجزئياتها البسيطة من الاعتماد على القوى البشرية إلى الاعتماد على القوى العقلية للبشرية.⁴

ويفسر السيد ياسين⁵ حالة مجتمع المعلومات بأن العلم فيه أصبح لأول مرة مصدرا أساسيا من مصادر الإنتاج. ولذلك من اللافت للنظر في مجال علم الاجتماع على وجه الخصوص صدور كتاب في علم الاجتماع في الستينات لعالم الاجتماع الأمريكي دانييل بل Bill Daniel، الأستاذ في جامعة "ييل" بعنوان "المجتمع ما بعد الصناعي". ولم يكن المؤلف في ذلك الوقت قادرا على توصيف المجتمع الجديد الذي ظهرت إرهاصاته

1 . انظر كابرون، الحسابات والاتصالات والانترنت. تعريب: سرور علي إبراهيم سرور وآخرون. ط: بلا. الرياض : دار المريخ للنشر، 2003. ص 96.

2 . أحمد بدر، الإعلام الدولي (دراسات في الاتصال والدعاية الدولية). ط: 4. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 1998. ص: 120.

3 . السيد بخيت، الصحافة والانترنت. ط: 1. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2000. ص: 76.

4 . إيمان فاضل السامرائي، هيثم الزعبي، نظم المعلومات الإدارية. ط: 1. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2004. ص 121.

5 . السيد ياسين، «الحال العربي الراهن». ضمن كتاب النظام العربي والعولمة. طلال أبو غزالة و آخرون. مراجعة و تقديم علي محافظة. ط: 1. بيروت، عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2004. ص 140.

وملاحظه فسماه "ما بعد الصناعي". في حين أطلق عليه باحثون آخرون مسميات أخرى، ومن ثم استطعنا في السنوات الأخيرة أن نعرف المجتمع ما بعد الصناعي هو ما يطلق عليه اليوم "مجتمع المعلومات العالمي".

وقد لعبت ثورة الاتصالات الكبرى وأسهمت بما تحويه من بث تلفزيوني فضائي وشبكة الانترنت التي تعد أكبر ثورة في تاريخ الإنسانية في تكون مجتمع المعلومات، إذ يستطيع البشر في كل مكان ولأول مرة أن يتواصلوا بعضهم مع بعض بكل يسر وسهولة. فهي بحق ثورة بكل المعايير، نظرا لمل لها من آثار نفسية وثقافية واقتصادية وسياسية، وما زلنا حتى الآن نبحث في تلك الآثار التي يمكن أن تترتب على ثورة التواصل هذه.¹

إن تطوير تقنيات الاتصال الحديثة قد أسهم في تسارع هذه التحولات بسبب ما جاءت به التقنية الحديثة من ثورة في تخزين المعلومات واستخراجها وإرسالها. حتى أصبحت ثورة المعلومات حقيقة طاغية في مختلف جوانب حياة الإنسان المعاصر، كما أصبحت قوة مؤثرة لا يُستهان بها في كل المجالات؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وفي مختلف مجتمعات اليوم.²

ولعل النقطة الأساسية في هذا الموضوع تتمثل في أن مجتمع المعلومات العالمي آخذ في التحول ببطء إلى ما يسمى بمجتمع المعرفة. حيث ستغدو عملية إنتاج المعرفة هي العملية الأساسية في القرن الحادي والعشرين، وبالتالي سيغدو معيار التقدم والتخلف معتمدا على مدى قدرة أي مجتمع على الإسهام في إنتاج المعرفة العالمية³ لاسيما وأن الاقتصاد بدوره يتحول هو الآخر إلى اقتصاد المعرفة ويمثل التحول الأول من سلسلة التحولات الأساسية في بنية المجتمع العالمي.

لقد تحولت الحضارة الصناعية اليوم بسرعة إلى حضارة معرفة و إعلام، وهو ما يعتبر تحولا جذريا في تكنولوجيا الاتصال التي كسرت الحدود بين الدول، حتى أصبح بالإمكان بث استقبال البرامج التلفزيونية إلى كل أنحاء العالم. وبالتالي تحول إلى قرية كونية تتفاعل فيها الشعوب فيما بينها للمساهمة في بناء التاريخ الإنساني.

1 . السيد ياسين، «الخال العربي الراهن». مرجع سابق. ص 140.

2 . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 143.

3 . لا يقوم هذا النموذج الجديد كما يفهم بعضنا في البلاد العربية على تكنولوجيا المعلومات. علما بأن لدينا خبراء في تلك التكنولوجيا مزودين بأجهزتهم وحواسيبهم، ويعرضون البيانات بشكل منمق ومنظم. غير أن مجتمع المعلومات العالمي في الواقع هو نموذج حضاري جديد يقوم على أساس الديمقراطية والشفافية وحق كل مواطن في الاستفادة من المعلومات والحصول عليها مجانا، إضافة إلى الحق في التداول. تلك مسألة أساسية ينبغي تأكيدها باستمرار ولهذا المسألة أيضا أثارها الكبرى. (نفس المرجع الأنف الذكر. ص 141).

أسهمت هذه التقنية في إيجاد نظام عالمي قائم على الانفتاح والمشاركة، بعيدا عن الحدود السياسية وقيود النظم التقليدية. كما أعطت هذه الثورة الإعلامية الاتصالية للعولمة دفعا جديدا لا يمكن إنكاره. فالعولمة أصبحت في جزء كبير رهينة التقدم التكنولوجي في مجال الثورة الرقمية والمكونات الالكترونية المختلفة. وأصبح من الصعب تحديد مفهوم العولمة وآثارها المتوقعة وتحليل أبعادها، من دون تناول مفهوم عولمة الإعلام وأبعاده وآلياته والإشكاليات المرتبطة به في سياق عمليات العولمة.

ولعلنا لا نبالغ عندما نقول إن العولمة هي النتيجة الطبيعية لهذه الثورة المعلوماتية، التي من أبرز وجوهها الجانب الإعلامي الذي أصبح بواسطته العالم بأكمله إلى قرية كونية صغيرة. ولعلنا لا نبالغ أيضا بالقول « إن منظومة العولمة لم تتحول إلى ظاهرة كونية إلا بفضل الثورة الاتصالية الشاملة التي شاهدها في نهاية القرن العشرين؛ زرع الفضاء بالأقمار الصناعية، والتحكم في الإعلام العالمي بواسطة اللوبيات الإعلامية المعروفة تحت اسم *ABC CNN* وغيرها، إضافة إلى احتكار شبكة الانترنت وحقوق البث والتوزيع إلى مختلف أرجاء العالم».¹

إن بداية عولمة الإعلام ونموها مرتبطة ارتباطا وثيقا بتقدم تقنيات الاتصال منذ اختراع الطباعة حتى إطلاق الأقمار الصناعية وصولا إلى تعدد وتنوع قنوات البث الفضائي المباشر، فمع « بروز ظاهرة العولمة الإعلامية ظهر ما يعرف بالإعلام المعولم الذي يتيح لوسائل الإعلام قدرات تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التقنيات الحديثة من فرص التكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات».²

وإذا أخذنا في النظر إلى العوامل التي اجتمعت لخلق ثورة في الإعلام والاتصال منذ نهاية القرن الماضي وحلول هذه الألفية الثالثة، فإننا نجعلها في ثلاثة عوامل رئيسية؛ تقنية وسياسية واقتصادية، يمكن سردها مضامينها كما يلي:

1. العامل التقني المتمثل في التطور التكنولوجي في مجال الاتصال بمختلف وسائله، والتقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات خاصة فيما يتعلق بالأقمار الصناعية ودورها في انتشار البث الفضائي المباشر. وأيضا التقدم الكبير في تقنية الحواسيب والمعلوماتية وشبكات الألياف الضوئية الضخمة والعملاقة.

إن هذه العناصر التكنولوجية قد اندمجت في التوليفات اتصالية عدة، إلى أن أفرزت شبكة الإنترنت التي تتشكل حاليا لكي تصبح وسيطا إعلاميا يطوي بداخله جميع وسائل الاتصال الأخرى. لقد انكمش حقيقة العالم

مكانا وزمانا، وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب، وكادت تكنولوجيا الواقع الخائلي تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي.

¹ . انظر مصطفى بن تمسك، « العولمة وصراع الهويات ». مجلة الفكر العربي المعاصر (بيروت، باريس)، العدد 236، صيف 2006. ص 96.

² . عبد الملك الدناني، البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006. ص 125.

2. **العامل السياسي** المتمثل في الاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام من قبل القوى السياسية بهدف إحكام قبضتها على سير الأمور، والمحافظة على استقرار موازين القوى في عالم شديد الاضطراب زاحر بالصراعات والتناقضات.¹

3. **العامل الاقتصادي** المتمثل في عولمة الاقتصاد وما يتطلبه من إسراع حركة السلع ورؤوس الأموال، وهو ما يتطلب بدوره الإسراع في تدفق المعلومات مما أسفر عن نمو هائل في اقتصاديات الإعلام والاتصال والمعلومات ذاتها. وقد أفضى هذا النمو إلى مزيد من «التداخل بين عولمة الإعلام وعولمة الاقتصاد، فعولمة الإعلام ليست مجرد تعظيم قدرات الإعلام على الدعوة إلى عولمة الاقتصاد أو الثقافة أو ما يعرف أحيانا بنشر أيديولوجيا العولمة، أي أنه ليس مجرد أداة أيديولوجية، بل إن عولمة الإعلام أضحت جزءاً أصيلاً من عولمة الاقتصاد، وذلك بالنظر إلى الدور الكبير لقطاع الاتصالات والإعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى والأسواق العالمية. فالإعلام أصبح صناعة وقطاعاً مؤثراً في الاقتصاد العالمي»² ومن هنا يجري تناول عمليات وآليات عولمة الإعلام والاتصالات بوصفها إما قطاعاً متنامياً في الاقتصاد المعولم، أو من وسائل قوى السوق والشركات متعددة الجنسيات في دمج الأسواق والترويج للاستهلاك.³

ويبقى هذا العامل الأخير من عوامل قيام ثورة في الإعلام والاتصال هو المحرك الأساس لعملية العولمة الإعلامية، وحوله تدور العوامل الأخرى عند أكثر الكتاب. لأن عولمة نظم الإعلام والاتصال هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولمة الأسواق وتنمية النزعات الاستهلاكية من جانب، ووسيلة توزيع سلع صناعة الثقافة من جانب آخر. وفي هذا المعنى ذهب "هربرت شيلر"⁴ Herbert I schiller إلى أن عولمة وسائل الإعلام وصناعته نتجت عن نظام عالمي منظم من قبل الاهتمامات الاقتصادية التي لا تعتمد بصورة أساسية على الدولة التي تعمل فيها.

وعلى كثرة الحديث عن الإعلام والعولمة، لم تظهر في إطار تحديد مفهوم عولمة الإعلام، سوى محاولات قليلة. منها ما ساقه محمد شومان⁵ بقوله: «يمكن القول أن عولمة الإعلام هي عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام على تجاوز الحدود بين الدول، والتأثير في الملقين الذين ينتمون إلى ثقافات متباينة. وذلك لدعم عملية توحيد أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب للأطراف المهيمنة على صناعة الإعلام والاتصال من ناحية ثانية».

1. نبيل علي، الثقافة العربية في عصر المعلومات. مرجع سابق. ص 344-345.

2. محمد شومان، مرجع سابق. ص 95.

3. انظر سمير أمين، «تحديات العولمة». مجلة شؤون الأوسط. العدد 71، ابريل 1998. ص 51-62.

4. هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية. ترجمة: وجيه سمعان عبد المسيح. مراجعة: مختار محمد توهامي. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

ص 41-56.

5. محمد شومان، مرجع سابق. ص 84.

كما يركز خطاب عولمة الإعلام على التوجه السريع لتحويل العالم إلى حقل إعلامي موحد لإنتاج وتسويق النتائج الإعلامية من قبل الاحتكارات الإعلامية الضخمة. بحيث تكون النتيجة المباشرة تشكيل رأي عام عالمي يتماشى مع ميول العولمة، ويتقبل المعايير والأنماط والأفكار والمواقف والتفسيرات للأحداث التي تبنتها مراكز الإعلام الدولية. فالعولمة الإعلامية تعبير عن اتساع التدفقات الدولية في مجالات الإعلام والمعلومات، ونقل الأفكار والقيم والعادات الاجتماعية المختلفة من خلال وسائل الاتصال الحديثة والمتطورة التي برزت إلى الساحة الدولية بشكل واسع، وانتشرت في أواخر القرن العشرين وسعت لترويج مظاهر العولمة الجديدة حتى اجتاحت العالم كله ومنها قنوات البث الفضائي المباشر.

ويتضح من خلال هذا السياق أن العولمة الإعلامية هي نتيجة حتمية لسطوة التكنولوجيا المتسارعة على وسائل الإعلام التي استطاعت تخطي الحواجز ومخاطبة جماهير مستهلكة بمضامين إعلامية تتسم بالعالمية والسرعة والتدفق الهائل والمتواصل، وتصل إلى جمهور متعدد العقائد والإيديولوجيات والعادات والتقاليد. إن إعلام العولمة «سلطة تكنولوجية ذات منظومة معقدة، لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدود فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية. لتقيم عالماً من دون أمة ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة وشركات متعددة الجنسية. يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على الرغم من تنوع رسائله التي تبث من خلال وسائل تتخطى حواجز المكان واللغة لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد»¹.

وبناء على سبق من معطيات التحليل، يلاحظ المتتبع لمفهوم عولمة الإعلام أنه ينطوي على مكونين أساسيين نوجزهما في:

1. أن عولمة الإعلام هي عملية متسارعة التغيير، وبالتالي لم تشكل ملامحها النهائية بعد، فهي تمرّ بمرحلة انتقائية وذلك لسببين: أن عولمة الإعلام تعتبر أحد أبعاد عملية أوسع هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة. ومن جهة ثانية فإن عولمة الإعلام تعتمد في بعد مهم منها على نتائج الثورة في مجال الاتصالات، والتي بدأت لتوها وسوف تستغرق عدة عقود قادمة.

2. الترابط والتكامل بين مجالات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال ومجتمع المعلومات، بحيث أصبح من الصعب تعريف الإعلام أو الاتصال بمعزل عن تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية. وهناك الكثير من الباحثين من يرى أن تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات هما وجهان لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تكنولوجيا الاتصال قد سارت بالتوازي مع ثورة تكنولوجيا المعلومات، التي كانت نتيجة لتفجر المعلومات وتضاعف الإنتاج الفكري في

¹ . عبد الملك الدناني، مرجع سابق. ص 268.

مختلف المجالات، وظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وما أتاحتها للباحثين والمهتمين ومتخذي القرارات في أسرع وقت وبأقل جهد، عن طريق استحداث أساليب جديدة في تنظيم المعلومات تعتمد - بالدرجة الأولى - على الكمبيوتر واستخدام تكنولوجيا الاتصال.¹

ولقد أتاحت وسائل وتطبيقات الثورة التكنولوجية المرتبطة بالإعلام والاتصالات والمعلوماتية إمكانيات واختيارات هائلة وأيضاً تحديات أمام الأفراد والمجتمعات. فقد تعاضمت قدرة تكنولوجيا الاتصال على تجاوز الحدود السياسية، والنفوذ عبر الثقافات، وأتاحت تكنولوجيا الاتصال التفاعلية واللازمائية وقابلية التوصيل والشيوع والكونية.²

وعلى ذلك فالعولمة الإعلامية ليست المُنَاقفة التي تعني التبادل والتفاعل والحوار والإثراء. وإنما تعني الصراع الحضاري والهيمنة الثقافية التي تقوم على نشر نموذج حضاري واحد لا يحترم معنى السيادة الثقافية، بل يركز على مبدأ الهيمنة الأحادية على بقية الثقافات الأخرى. حتى أنه «لم يعد من السهل رؤية الفاصل بين الوطني والعالمي في الإعلام، هذا إذا كان ثمة من فاصل قد تبقى. فالبرامج التي نلتقطها عبر الأقمار الصناعية تعد لكل المجتمعات، ولكن بمعيار البلد المنتج الذي ليس من شأنه أن يلتفت إلى أن القيم التي يقدمها تتعارض مع معايير أخلاقية واجتماعية وثقافية في البلدان المختلفة التي تتلقى هذه البرامج».³

إن عولمة الإعلام لا توفر حرية التبادل الثقافي. وبما أن عولمة الإعلام تهدف إلى غلق مسامات الإعلام الآخر العالمي، فمعناه أنه يستحيل أن تسمح بممارسة التبادل الثقافي ومشتقاته «ورغم ما تصوره المفكر الكندي مارشال ماكولوهان Marchall McLuhan من أن العالم سيغدو قرية كونية متشابهة، إلا أن شيئاً من ذلك لم يتحقق. ففي حين يردد المعلقون والسياسيون هذه الصورة دون انقطاع، توضح لنا الدراسة المتأنية أن العالم لا ينمو نمواً يفرز التلاحم والالتزام حقاً. فلم تتحقق القرية الكونية المتشابهة وإنما تحققت قرية واحدة بتفاوت مستوى معيشة ساكنيها، ويتحكم في فضائها الإعلامي قلة ممن يملكون الأموال القارونية والتكنولوجيا الحديثة، يفرضون عليهم ما يريدون بثه أو نشره أو إذاعته، دون أن يحقق ذلك تبادلاً عادلاً أو حواراً متكافئاً».⁴

وهذا ما أكده أحد كبار المسؤولين في وزارة الدفاع بالولايات المتحدة الأمريكية في صَدَد حديثه عن أهمية ودور وسائل الإعلام في ترسيخ العولمة أن أمريكا ستتمكن في المستقبل القريب من تعزيز سيطرتها السياسية على العالم،

1. محمد سيد فهمي، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية. ط: بلا. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006. ص 304.

2. انظر محمود علم الدين، «ثورة المعلومات و وسائل الاتصال: التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال. دراسة وصفية»، السياسة الدولية، يناير، 1996. ص 102. 116.

3. حسن مدن، مرجع سابق. ص 38.

4. رضا عبد الواحد أمين، الإعلام والعولمة. ط: 1. القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، 2007. ص 147.

وذلك بفضل ما تتمتع به من قدرة لا مثيل لها في مجال إدماج منظومات الإعلام المعقدة بعضها في بعض. حيث أن سلطة تكنولوجيا الإعلام هي التي ترسم اليوم حدود المجال الاقتصادي والسياسي¹.

والأرقام والإحصائيات عن تعداد الشركات والإمبراطوريات الإعلامية تعطي فكرة عامة عن مدى سيطرة قوى العولمة على وسائل الاتصال والأدوات التكنولوجية وتحكمها بها. وذلك من طريق استعمال ما اصطلح عليه "بإعلام العولمة"، وتوظيف وسائلها في تحقيق العولمة الإعلامية. إن "إعلام العولمة" الذي يمثل اليوم أهم آليات تعميم ظاهرة العولمة، هو قوة السلطة التكنولوجية وحضورها من خلال أدواتها العابرة للحدود، وتشكيلها شبكة الاتصالات العنكبوتية المعلوماتية والقنوات الفضائية، وبواسطة المعلومات وتدفعها والصورة والكلمات المنقولة عبرها. ما يستنتج من كل هذا أن الإعلام المعولم هو بالضرورة الإعلام المسيطر، و السيطرة تفضي إلى ضرورة بسط النفوذ على الثقافات العالمية عن طريق عولمة وسائل الإعلام وعولمة الثقافة في هذه الوسائل حتى تكون الحرية الثقافية محدودة إن لم نقل مقتصرة فقط على التبادل بما يخدم الآخر. وبالتالي فالتبادل الثقافي وما يتبعه كالحوار الثقافي أو عمليات التلاقح الثقافي هي في الحقيقة عمليات ثقافية صعبة التحقيق أو التحقق أو التجسد في ظل الإعلام المعولم والثقافة المعولمة اليوم.

وإذا نظرنا إلى ما يهدف إليه إعلام العولمة ضمن النسق العام لمنظومة ظاهرة العولمة يمكننا تصنيف عناصرها على الشكل التالي²:

. تشكيل الثقافة الخاصة بالعولمة وذلك لتسهيل مهمة القبول لمنتجاتها الكونية من خلال خلق ثقافة الاستهلاك.

. تمييط منظومة القيم والعادات من خلال وسائل إعلامية وإعلانية تعمل لخدمة أهداف العولمة.
. تشجيع الأفراد على الاستهلاك من خلال عرض البسيط والسهل السريع من أنماط الحياة والعمل على نشر القيم الاستهلاكية.

. تمهيد الطريق أمام فرض النظام الاقتصادي العالمي.
. العمل على إضعاف وسائل الإعلام الوطنية وتحويلها إلى أجهزة تنقل ما تقوم به قوى العولمة من أنشطة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية.

ونخلص في الأخير إلى تحديد مظاهر العولمة على المستوى الإعلامي، ونذكر أهم ما نبه إليه منظرو الإعلام فيما يلي:

¹ . محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص 146. 147.

² . انظر حسن عبد الله العايد، مرجع سابق. ص 145. 146.

1 . رواج تكنولوجيا المعلومات والاتصال التي ظهرت في الدول الغربية وأحدثت تطورات نوعية في مستوى الخدمات الإخبارية لوسائل الاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة، فقد تمكنت شبكات الإعلام الدولية بث الحدث حال وقوعه. ومثلت شبكة CNN في حرب الخليج الثانية أول انطلاقة إلى تطور الخدمة الإخبارية للإعلام المرئي. واكتسبت وسائل الاتصال المرئي والمسموع المحلية بعدا دوليا، فالبرامج التي تبثها محطات التلفزيون المختلفة سواء في الولايات المتحدة أو في دول غرب أوروبا، تشاهد عبر الأقمار الصناعية في دول المنطقة العربية. وبالمثل أصبحت محطات الراديو تسمع خارج الحدود الوطنية للدول. وتطورت الصحافة المحلية العربية بمختلف إصداراتها من حيث الإخراج والتطوير وحفظ المعلومات. أو من ناحية المحتوى والتوزيع، حيث أصبحت صحف عربية عديدة توزع في الخارج. والأهم من كل ما سبق هو الدور الذي لعبه الكمبيوتر و الانترنت في خدمة المنطقة العربية من خلال ما أضافته الوسيلتين الإعلاميتين من معلومات وفرت الوقت والجهد المبذول في هذا المجال.¹

2 . ظهور التجمعات الاتصالية بالزيادة في التحالفات والاتجاه إلى التركيز في كيانات ضخمة لصالح الشركات متعددة الجنسية. وأثر ذلك في انتشار النظام الدولي للاتصال والمعلومات. لقد ركز أصحاب الليبرالية الجديدة على أن العولمة هي تعبير عن مزيد من التركيز في ملكية وسائل الإعلام والتكامل الرأسي للتكنولوجيا الجديدة وتخفيف القيود، غير أن هناك من عارض هذا المفهوم باعتباره ينفي التعددية الثقافية ويجسد قيم الربح والخسارة وآليات السوق في مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات.²

وتعد السيادة الوطنية للدول عند مديري هذه الشركات متعددة الجنسية بمثابة العقبة الكؤود ووضع صعب وغير مقبول يتعين عليهم بذل أقصى ما في وسعهم للحد منه أو السيطرة عليه على أقل تقدير. وتتخذ هذه التجمعات الاتصالية صورتين أساسيتين:³

أ . سيطرة الشركات العالمية العملاقة للإنتاج الإعلامي على الإعلام الدولي؛ فهذه الشركات هي التي تجسد فعليا مفهوم السيطرة والهيمنة على الإعلام الدولي. مما يجعله أسير نمط قلة تقوم بتوجيه وتخطيط البرامج الإعلامية والمضامين الثقافية والتي غالبا ما يكون ولاؤها للوطن الأم، ويزداد نفوذها حتى ينافس الدولة القومية في حق السيادة الإعلامية. لقد كانت الدول (وخاصة النامية) في مرحلة ما قبل العولمة قادرة على الضبط أو التحكم في أدوار الفاعلين في النظام الإعلامي، أما في مرحلة العولمة فإن قدرة الدولة على الضبط أو التحكم تتقلص بسبب ظهور

25. انظر محمد علي حوات، العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل. ط:2. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002. ص 217.

26. محمد شومان، « عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ». مجلة المعرفة. العدد 2. ص 58 .

3 . انظر رضا عبد الواحد أمين، مرجع سابق. ص 148.

الشركات متعددة الجنسية كفاعل جديد يتمتع بقدرات مالية وتكنولوجية وفنية كبيرة يستطيع من خلالها التأثير بقوة في تدفق المعلومات والآراء وإنتاج وترويج المضامين الإعلامية والترفيهية.

ب - هيمنة الشركات الأمريكية على قطاع الإعلام والاتصال والترفيه؛ والمقصود بالهيمنة هنا السيطرة على الملكية والسيطرة على محتوى وتوجهات المضامين والأشكال المنتجة. حيث يوجد في العالم مجموعات رئيسية كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية ولها حضور دولي كبير يتفاوت من مؤسسة إلى أخرى، أربعة منها أمريكية و واحدة أوروبية وواحدة أسترالية أمريكية وهي مؤسسة " تايم وورنر Time Warner " ومجموعة " برتلزمان Bertelsman " و مجموعة " فياكوم Viacom " ومجموعة ديزني " Disney " .

3 . تقلص دور الحكومات الوطنية في تنظيم بيئة الإعلام والاتصالات الدولية والمحلية، وذلك من خلال الدعوة إلى تغيير التشريعات والنظم التي تعوق التدفق الحر للمعلومات والصور والرموز بين الدول، أو تمنح الحكومات أدواراً ووظائف إعلامية كالتخطيط والرقابة والمنع والمصادرة. وفي هذا السياق تطرح عولمة الإعلام مهام خصخصة وسائل الإعلام والاتصال، وإنهاء دور الدولة في مجالات الإعلام، و خاصة في دعم وسائل الاتصال الحديثة أو الإنتاج الإعلامي.¹

4 . ازدياد حرية التعبير والصحافة حيث تواكب هذه الدعوة وتتفق مع قرارات الأمم المتحدة بشأن حرية الإعلام ومسؤولياتها. وإعلان مبادئ نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال يقلل من سلبيات التدفق الإعلامي غير المتوازن بين الشمال والجنوب.² ولكن ومع التسليم بحرية الإعلام وحقوق الاتصال كجزء أصيل من حقوق الإنسان، إلا أن خطاب العولمة في جوهره لا يلتفت لمسؤوليات حرية الإعلام على المستوى الدولي التي جاءت في قرارات مجلس الأمن. مثل الالتزام بالقيم الأخلاقية، ونبذ التعصب، ومحاربة الأخبار الكاذبة والدعاية المغرضة، كما لا يهتم بجهود اليونسكو في السبعينيات وأوائل الثمانينيات لإعادة صياغة الحق في الاتصال. فكيف يتم الحديث في هذا العصر عن حرية التعبير والصحافة؟ والإحصاءات تشير إلى أن

الولايات المتحدة تملك أكثر من نصف حجم المعلومات والأخبار في العالم ، وتلك هي المفارقة التي تدعو للسخرية فيما يتعلق بحرية الإعلام، وأكثر الوسائل التي تستخدمها واشنطن لتحقيق هذه الغاية هي وسائل الاتصال الالكترونية والهيئات متعددة الجنسيات التي تنشر أسلوب الحياة الأمريكية.³

1 . محمد شومان، مرجع سابق. ص 95.

2 . عواطف عبد الرحمن، « الحق في الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال »، عالم الفكر، ديسمبر 1994. ص 15-18.

3 . تيسير أبو عرجة، الإعلام والثقافة العربية، الموقف والرسالة. عمان: دار مجدلاوي، 2003. ص 115.

5 . التدفق الأحادي الاتجاه للمعلومات والمنتجات الإعلامية داخل نظام الاتصال العالمي. إن أهم مظاهر العولمة الإعلامية التدفق الإعلامي الحر عبر الحدود الوطنية للدول، وهو التدفق الذي تقف خلفه شركات وشبكات إعلامية عملاقة قادرة على الوصول بالبث إلى أية منطقة في العالم. ونظرا للدور الكبير الذي تقوم به شبكة CNN في هذا المجال فقد ذكر "بطرس غالي" الأمين العام السابق للأمم المتحدة السابق في إحدى المناسبات أن CNN هي العضو السادس عشر في مجلس الأمن فما بنا بالشبكة المعلوماتية الدولية الانترنت.¹

لقد فقدت الدول في ظل العولمة الإعلامية القدرة على التحكم في تدفق الأفكار والقيم والقناعات فيما بين المجتمعات والأجيال. وفقدت الدول أيضا السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات والذي يتم عبر وسائط وتقنيات جديدة بحيث أصبح ملايين البشر موحدون تليفزيونيا وتلفونيا ومن خلال البريد الإلكتروني وشبكات الإنترنت.

6 . تزايد التأثير الاجتماعي للتكنولوجيا ولاسيما تلك الخاصة باتصالات الأقمار الصناعية.

وظائف النظام الإعلامي العالمي الجديد في ظل الثورة الاتصالية المعلوماتية²

¹ . رضا عبد الواحد أمين، مرجع سابق. ص 129.

² . تشكل المعلومات دورا حيويا في حياة الأفراد والمجتمعات. فهي عنصر لا غنى عنه في أي نشاط نماسه، حيث يذهب البعض عند تقييمه للمعلومات الأساسية للإنتاج القومي إلى اعتبار المعلومات مقوم رئيس إلى جانب المادة والطاقة. « وإذا أيقنا أن المعلومات لا غنى عنها الآن في كل نواحي النشاط فإن مهمة متابعة المعلومات والتحكم في إنتاجها المتزايد بصورة ضخمة، أصبح أمرا يكاد يكون مستحيلا ومن ثم أصبح تفجر المعلومات مشكلة حقيقية تواجه البشرية». (محمد فتحى عبد الهادي، مقدمة في علم المعلومات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984. ص 19).

ويقول فاروق أبو زيد في كتابه "انهيار النظام الإعلامي الدولي من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد" عن ظاهرة " تفجر المعلومات" هو يشير إلى اتساع المجال الذي تعمل فيه المعلومات ليشمل كافة مجالات النشاط الإنساني بحيث تحول إنتاج المعلومات إلى صناعة أصبح لها سوق كبير لا يختلف كثيرا عن أسواق البترول أو الذهب، و قد يزيد على ما ينفق على إنتاج المعلومات . على المستوى الدولي . ينفق على الكثير من السلع الإستراتيجية المعروفة في العالم « ط : 1. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1991. ص 13).

كما تتخذ مشكلة تفجر المعلومات مظاهر عديدة أهمها النمو الهائل في حجم الإنتاج الفكري. وتشتت الإنتاج الفكري بسبب التخصص الزائد في الموضوعات العلمية و بزوغ فروع جديدة أخذت أصولها من أفرع مختلفة. وتتنوع مصادر المعلومات وتعدد أشكالها. (انظر: عماد مكاي، تكنولوجيا الاتصال الحديثة. ط: 1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1993. ص 27).

= ومن جهته يرى الكاتب سفين بركوتز: أن سيل المعلومات المتواصل التدفق يعيق الفهم ويطمس الرؤية، وبدلا من ممارسة التفكير في مشكلة ما أصبحنا نمارس جمع المعلومات بشأن هذه المشكلة ويقول تأكيداً لفكرته « إن انفجار المعلومات ... لم يفعل سوى تدمير الأساس الذي تقوم عليه عملية الفهم، ووسط انشغالنا بالمنظورات والمسالك الجانبية للمعلومات نتقلى في كل الاتجاهات نفقد القدرة على تقبل إمكان تجميع الصورة كاملة، وبدلا من ذلك نكسر طاقاتنا في عملية إدارة المعلومات ... وحيث يسود الدفاع الإلكتروني، وحين تصبح الذات مشروطة بالعمل عن طريق المعلومات تستحيل الخبرة في الزمن العميق وإذا استلحق للمعلومات الرجوع وإذ استحالت الرجوع استحالت الحكمة». (انظر ستوارت آلان، ثقافة الأخبار. ترجمة: هدى فؤاد. ط: 1. القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2008).

لقد نجمت عن الثورة الاتصالية المعلوماتية تغيرات جوهرية في دور الإعلام، جعلت منه محورا أساسيا في منظومة المجتمع. فهو اليوم محور اقتصاد الكبار، وشرط أساسي لتنمية الصغار. ومما يؤكد محورية الإعلام في حياتنا

المعاصرة ذلك الاهتمام الشديد الذي تحظى به قضاياها في الفكر الفلسفي والتنظير الثقافي المعاصر.

ففي ظل الثورة الاتصالية المعلوماتية الراهنة أصبحت عولمة الإعلام والاتصال تشغل موقعا مركزيا في الاستراتيجيات والسياسات التي تستهدف إعادة بناء المجتمعات المعاصرة، سواء في الشمال أو الجنوب. وقد يكون ذلك أكثر وضوحا في المجتمعات الصناعية المتقدمة، حيث يبرز دوره في إعادة توزيع مراكز القوى السياسية والاجتماعية.

وقد أدركت الحكومات في دول الشمال الصناعي المتقدم أهمية الأدوار الجديدة التي يمكن أن تقوم بها وسائل الإعلام كبديل للممارسة الديمقراطية. ولذلك لم يعد الإعلام يمثل السلطة الرابعة أو الخامسة، بل أصبح يشغل المجال الشفاف بين الفعل السياسي والثقافي وردود الفعل الجماهيري. ومن هنا أصبح الإعلام باعتباره المعيار الذي يقاس به كفاءة الأداء السياسي والاقتصادي للنظم المعاصرة. وصار «أول آليات ثقافة العولمة، حيث تعتمد العولمة بصورة أساسية على وسائل الإعلام السمعية البصرية عبر الأقمار الصناعية، لتمارس الهيمنة الثقافية في أحدث صورها. وكان المغزى من قبل القوى العالمية المالكة لتكنولوجيا الاتصال، تحقق ما يسمى بالاختراق الثقافي الذي يهدف إلى تدفق الثقافة الغربية والمعلومات بلا ضوابط لتحقيق أهدافا مسطرة مسبقا نحو العالم المهزوم ومنه العالم العربي»¹.

لقد بات الإعلام اليوم بصوره المتقدمة تقنيا وعلميا ومعرفيا، قادرا على تشكيل وعي متلقيه على النحو الذي يجعل مما يريده أصحابه يبدو طبيعيا ومنطقيا ومقبولا، بل ربما غير قابل للنقاش. ولما كان الغرب يملك المعرفة وأدواتها ومصادرها ويمتلك ما ينتج عنها من سلطان، فقد كان من الطبيعي أن يستخدم وسائل إعلامه في تشكيل وعي الأمم والشعوب التي يود أن يعزز هيمنته عليها من خلال التحكم بالأطر المرجعية لتفكيرها لكي تفكر بالطريقة التي يرسمها لها، وعلى النحو الذي يرغب فيه، فيبدو ما يريده طبيعيا أو منطقيا وعاديا وغير قابل للمساءلة.

وفي هذا السياق وغير بعيد عن هذا المعنى، يدور جدل ونقاش حول حقيقة عما يعرف بالخيارات والبدائل التي تتيحها القوى الإعلامية المسيطرة لدى الأفراد والجماعات أثناء استعمال لوسائل الإعلام والاتصال. حيث وفرت تكنولوجيا الاتصال والاندماج والتكامل مع تكنولوجيا المعلومات فرصا غير محدودة أمام الجمهور للانتقاء من بين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة. وبصورة غير مسبوقه يستقبل المتلقي مئات القنوات التلفزيونية ومئات المحطات الإذاعية وعشرات الصحف والمجلات الدولية، فضلا عما توفره من وسائل الاتصال الأحدث والمرتبطة بالمعلوماتية.

¹ . عواطف عبد الرحمن، الإعلام المعاصر وتحديات العولمة، (العولمة والهوية الثقافية). سلسلة أبحاث المؤتمر السابع.

على أن هذه التعددية والخيارات المفتوحة لا تعني التدفق الحر للمعلومات وحرية التلقي. فهناك فرق بين الحق في الاتصال والقدرة على ممارسة هذا الحق من النواحي الاقتصادية والثقافية.¹ حيث يرى فريق من الباحثين أن التعددية والوفرة في وسائل الاتصال لا تقدم تنوعاً حقيقياً، فهناك أقلية تسيطر على إنتاج المضامين والصور مما سيقلص فرص التنوع الحقيقي وخاصة في ظل ما تقدمه من مضامين وبرامج وصور يغلب عليها الترفيه والعنف والجنس.

في المقابل يرى فريق آخر أن عولمة الإعلام تحمل إمكانيات ورهانات متعددة بشأن المستقبل. فمن الممكن في ظل انخفاض أسعار تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التسليم بفرضية وجود متلق نشط. ولقد أظهرت الدراسات دور المتلقي في بناء وتفسير معاني الرسائل الإعلامية التي يتعرض لها. وخلص العديد من البحوث إلى أن التأثير الإعلامي هو عبارة عن عملية مقسمة بالتساوي بين منتج الرسائل من جهة والمتلقي الذي يختار وسائل الاتصال ويتفاعل معها في إطار الثقافة التي ينتمي إليها من ناحية أخرى.

وهناك فريق ثالث من الباحثين يراهن على تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وانخفاض تكلفة امتلاكها واستخدامها بما يسمح بدعم حقوق الاتصال للجماعات الصغيرة والأقليات داخل المجتمعات، من خلال إيجاد مواز أو مقاوم لإعلام الحكومات وإعلام الشركات الإعلامية العملاقة متعددة الجنسية. ولا شك أن مثل هذا الرهان يرتبط أساساً بمدى تطور المجتمع المدني والإقرار بوجوده ودوره كطرف فاعل في بنية النظام وتحديد مسار تطوره.²

ونتيجة للجدل الدائر حول الأدوار الجديدة للإعلام المعولم ووظائف النظام الإعلامي الجديد في ظل ثورة المعلومات، بات الموقف من العولمة الإعلامية في أدبيات الإعلام يتحاذيه بحدة تياران رئيسيان³:

الأول: يؤيد بحماس ودون تحفظ عولمة الإعلام، ويرز إيجابياً بما باعتبارها تدعم التدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال، وتوفر للجمهور فرصاً غير محدودة لحرية الاختيار بين وسائل الإعلام والمعلومات. وفي إطار هذا التيار ظهرت أصوات متعددة، توجد بينها اختلافات في المداخل والرؤى العامة. فهناك أصحاب المدخل التكنولوجي الذين يركزون على التقدم التكنولوجي المتسارع في مجال الإعلام والاتصال. وهناك أصحاب مدخل ما بعد الحداثة ولعل

1 . محمد شومان، «عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية». ندوة العولمة وقضايا الهوية الثقافية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، أبريل 1998. ص 16. 12.

2 . انظر محمد شومان، «عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي». مرجع سابق. ص 172.

3 . راجع هنا: . طه عبد العاطي نجم، مرجع سابق. ص 215 - 216.

. انظر محمد شومان، «عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي». مرجع سابق. ص 161.

أشهرهم أنطوني جيدنز Anthony Giddens والذي ناقش عولمة وسائل الإعلام التي هي ضغط للزمن والمكان، وهي سمة رئيسية في العالم المعاصر. وأشار إلى أن عولمة الإعلام هي الامتداد والتوسع في مناطق جغرافية مع تقدم مضمون متشابه، وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي. وأكد جيدنز أن وسائل الاتصال التكنولوجية الجديدة جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد. وبالإضافة إلى إسهامات جيدنز هناك مدخل أصحاب الليبرالية الجديدة الذي يركز في تعريف العولمة على أنها مزيد من التركيز في ملكية وسائل الإعلام والتكامل الرأسي والتكنولوجيا الجديدة وتخفيف القيود. وإحداث نقلات نوعية في بعدي الزمان والمكان وهذا ما ذهب إلى الدفاع عنه أصحاب التيار الأول.

أما **التيار الثاني** فيعارض بشدة عولمة الإعلام ويرفض ما يقال عن إيجابياتها، وينظر إليها باعتبارها نغياً للتعددية الثقافية، وتسييدا لقيم الربح والخسارة وآليات السوق في مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات. علاوة على الاعتداء على حرية وسائل الإعلام والحق في الاتصال، وتقويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية. وأبرز ممثلو هذا النموذج وأشهرهم هوبرت شيلر صاحب المساهمات المتميزة عن الإمبريالية الثقافية. فهو يرى في عولمة الإعلام أسلوباً يدفع إلى التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية.

كما يمثل هذا الاتجاه **تشومسكي Chomsky Noam** الذي يرى أن عولمة الإعلام هي الزيادة الضخمة في الإعلان، خاصة الإعلان عن السلع الأجنبية. و يرى كذلك أن العولمة هي التوسع في التعدي على القوميات من خلال شركات عملاقة شاملة ومستبدة، يحركها أولاً الاهتمام بالربح وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص.

وينتقد أصحاب هذا الرأي مفهوم الحركة الإعلامية باعتبارها في نظرهم قانوناً يفرض التوحد الثقافي والسيطرة في مجالات الإعلام من جانب واحد، والتحكم في وسائل الإعلام والاعتداء على حق الإعلام والاتصال في المجتمعات عبر العالم. وقد أخذ التركيز في وسائل الإعلام على الملكية وارتبط ذلك بالطبع بالقوى الاقتصادية. وقد أصبح المضمون الإعلامي يقدم نفسه باعتباره شكلاً عالمياً من الترفيه مثل الإعلانات والمباريات الرياضية والأفلام، حيث تنتج على مستوى العالم وتعكس نوعاً واحداً من المجتمعات، وما يتم إنتاجه في بلد واحد يصدر بقوة عبر شبكة معقدة من التوزيع والتعاون والاتفاق.

ويقصد بهذا الكلام أن المضمون الإعلامي هو في الحقيقة مضمون موحد الإنتاج وموحد الهدف ولا يعكس صورة المجتمعات كل منها على حدا. بل يعكس صورة مجتمع واحد عالمي ينم عن السيطرة والنفوذ والهيمنة الإعلامية على شكل ونطاق واسعين. « والعولمة جملة من التحديات الكبرى للأمم لا بل للإنسانية وحتى المروجين لها، لأنهم

في الواقع ضحايا لهذا التحدي، وخطورة العولمة أنما لا تمارس نشاطها عبر الأفكار والمقولات، إنما تعمل من خلال تهيئة الظروف والأوضاع بحيث يندفع الناس في سبيل تحقيق العولمة في المجتمع»¹.

إن رصد العولمة الإعلامية وفق مجريات تطورها وما ينتج عنها من تطورات وبما تمثله من تحديات، تطرح علينا في منطقتنا العربية الواقعة قهرا تحت هيمنتها تجاوز منطق قبولها أو رفضها. لأن مجموعة التفاعلات العالمية المصاحبة لها قد أصبحت وقائع فعلية، توجب علينا البحث الجاد في كيفية التعامل معها والتفكير النقدي في الاستراتيجيات والخطط التي نمتلكها، والتي ستحدد موقعنا في مجريات الحدث على ضوء أهدافنا وإمكانياتنا وسبل الاستفادة منها. أي أن تأثيرات عولمة الإعلام على رغم طابعها الكوني وما تملكه من طاقات ليست قدرا محتوما يحدد مصيرنا، بل إن هذا المصير مرتبط إلى حد كبير بما سنعمل وكيف سنواجهه. ولا يفيدنا في شيء تجاهل ما يجري أو رفضه انفعاليا، فلا موقعنا كإعلام عربي ولا أهدافنا المستقبلية تتيح لنا تجنب التفاعل مع ما يحدث على الساحة الإعلامية العالمية.

العولمة الإعلامية ومظاهر الهيمنة الثقافية

لقد أصبح الإعلام مسؤولا عن الأدوار الحاسمة في تدويل أو عولمة الثقافة. حيث يبرز دوره كمحرك رئيسي في خلق وتشكيل منظومة العلاقات الدولية، بإعلاء شأن ثقافات معينة على حساب ثقافات أخرى. بل «ينذر تفجر الظاهرة المعلوماتية الاتصالية بتقلص ثقافات إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والعالم الإسلامي، وانحصارها في شكل كيانات فلكلورية هشة لا مكانة لها في المسار التاريخي والبناء الحضاري»². ولعل أخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام لكسب معركة عقول البشر وتشكيل أنماط معينة من السلوك الإنساني وتهميش أنماط أخرى من خلال لغة الصورة ورموزها، وهذا من أشد مظاهر عولمة الإعلام على المستوى بروزا.

وشملت مظاهر العولمة على المستوى الثقافي صورا في خلق ثقافة كونية لعبت في نشرها وسائل الإعلام العالمية أدوارا بارزة، فالواقع يكشفه الخبراء ويوضحون أن هناك احتكارات علمية كبيرة مهيمنة. فالشبكات الإخبارية ووكالات الأخبار التلفزيونية الفضائية تملك استثمارات مالية هائلة وتسعى للبحث عن أسواق إعلانية مستقرة، وتبني اتجاهات سياسية معروفة فهي التي روجت لمفهوم العولمة بشكل مستمر، وهي لا تتوقف عند تجاوز الخصوصيات الوطنية وانتهاك النواة القومية وخرق الحدود السيادية، وتبسط نفوذها عبر الإمكانيات التقنية الكبيرة وتكريس إمكانات البث عبر الفضاء.³ وسنستعرض بالتحديد مظاهر العولمة في النقطتين الأساسيتين التاليتين: **1** - وسائل الإعلام وسيطرة

1 - علي حسين طه، مجتمعنا بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية بحوث وحلول، ط: 1. لبنان: دار الهدى، 2007. ص 205.

2 - عزى عبد الرحمن، «تعثر الرسالة في عصر الوسيلة». حوليات جامعة الجزائر. العدد4، خريف 1990. ص 24. 34.

3 - صباح علي ياسين، العالمية والعولمة. ط: بلا. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000. ص 71.

الثقافة الكونية: من أبرز أهداف العولمة الثقافية الوصول عن طريق الإعلام المعولم إلى خلق ثقافة كونية موحدة تتسم بسمات عدة:

. ثقافة حديثة تلغي الفروق بين الخاص والعام .
. عولمة الخبرات، حيث يتم نقلها من خلال إتاحة المعلومات عبر وسائل الإعلام، فتلعب هذه الوسائل الدور المؤثر في خلق هذه الثقافة.
. توفير فرص الاتصال لكل فرد في النظام العالمي من خلال شبكة الاتصالات العالمية التي يمكن الوصول إليها.
. الهيمنة والسيطرة شبه الكاملة للثقافة الأمريكية على بقية الثقافات الأخرى. وهذا من أكثر القضايا المثارة حول دور وسائل الإعلام العالمية، والتي لعبت فيها المنتجات الثقافية الأمريكية أدوارا بالغة التأثير لخلق هذا التوجه لدى الأمريكيين، ولاسيما في ظل الثورة التكنولوجية الهائلة، وبدعم من العمليات السياسية التي تهدف إلى نشر مفاهيم سياسة الهيمنة على المستوى الدولي.¹ وهذه الإشكالية تتعلق بأنماط تفاعل واستجابة الدول النامية ومن بينها الدول العربية بكل مؤسساتها خاصة الإعلامية لعولمة الإعلام. وهذه الهيمنة الأمريكية على وسائل الإعلام الدولية والقدرة على توجيهها أخطر بكثير من هيمنة وانتشار البضائع الأمريكية، لأن وسائل الإعلام الدولية هي التي تروج لهذه السلع كما تروج الثقافة الغربية بصفة عامة و للرؤية الغربية بالنسبة للعالم.

تركز العولمة الإنتاجية على وسائل الإعلام كأدوات للاستهلاك على نطاق علمي والدليل واضح جدا في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تمتلك التكتلات الإعلامية حاليا « 65% من مجموع وسائل الاتصال في الإعلام فإذا ما أدركنا أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية المعاصرة، إنما ترتبط ارتباطا وثيقا بثورة المعلومات واتساعها، فإننا نفهم أن من يسيطر على المعلومات ويوجهها وفق ما يشاء يستطيع إن يوجه تبعاتها بما يحقق مصلحته و أهدافه»² وبالتالي فإن من يمتلك تكنولوجيا المعلومات ويملك وسائل الإعلام واحتكارها، يملك بالضرورة تأشيرة الهيمنة والسيطرة على الإعلام. فالأمريكيون لا يتيحون دوما لنا فرصة الاقتناء بما يتوافق وأذواقنا

¹ . « فمن الثابت أن البعد التكنولوجي في عولمة الإعلام قد فرض . ولا يزال . تحديات على هذه الدول حيث أسقط من الناحيتين النظرية والعلمية احتكارها و« أكثر الأفلام مشاهدة هي الأفلام الأمريكية؛ 9 أشرطة من كل 10 أشرطة فيديو أمريكية. 20 ألف مستهلك حول العالم من 19 دولة سألوها عن الثقافة الإعلامية الأمريكية فأجابوا بأنها ثقافة جيدة جدا أو ممتازة، 90% من الإعلام في إيطاليا يسيطر عليه الإعلام الأمريكي. يسيطر على سوق الكتب في العالم (8 بليون دولار إجمالي دخل الكتب في العالم). 10 دور نشر أكبرها وأكثرها مملوكة لمؤسسات إعلامية دولية أمريكية مثل فياكس ، تلم وورنر بير تلمان .» (رضا عبد الواحد أمين، مرجع سابق. ص 147).

² - سعيد حارب، الثقافة والعولمة. ط: بلا. الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، 2000. ص 19.

ومبادئنا. بل بالعكس إن التدفق الذي تشهده الصناعات الإعلامية الغربية عموماً يسير بنا نحو الحتمية الاستهلاكية سواء توافقت المواد الإعلامية الوافدة لنا مع إيديولوجياتنا أم لا.

كما يذهب باحثون آخرون إلى أن أهم أسباب انتشار هذه المنتجات الثقافية بشكل واسع وانتشار أنماط الثقافة الأمريكية بعدها هو هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي، وترويج المنتج الثقافي الاستهلاكي ذي الطابع الشعبي التجاري ضماناً للأرباح الهائلة، مما أفاد تجار العولمة. وقد وظفوا هذه الخصائص التي تتميز بها الثقافة الأمريكية من التنوع الإثني والمعري، علاوة على المرونة وسهولة الانتشار وتوافقها مع مفردات العصر وطبيعتها التي تميل إلى سرعة انتشار هذه الثقافة وتأثيرها على الشباب في المجتمعات الأخرى.

2 . وسائل الإعلام والهوية الثقافية للدول: لا بد من الإقرار بأن الهوة التكنولوجية الاتصالية بين الدول

المتقدمة والدول النامية ستبقي الهيمنة الإعلامية للدول الصناعية في مجال الإعلام والمعلومات لسنوات طويلة. وسوف تتضرر الدول النامية من جراء هذه الهيمنة بحيث تكون غير قادرة على حفظ استقلالها السياسي وأمنها الثقافي بسبب التفوق التكنولوجي للغرب، بل أنها ستصبح معرضة لاختراقات مستمرة وحادة لمعتقدات وأفكار إيديولوجيات تتعارض مع أنظمتها السياسية والاجتماعية والثقافية.

يقول هيربرت شيلر: «إن السيادة الوطنية في المجال الإعلامي الثقافي هي خط الدفاع الأخير في مواجهة المسعى المتقدم لتكتلات وسائل الإعلام. وإذا ما أثار حاجز السيادة فإنه لن يترك أي حماية على الإطلاق لتصد اكتساح حفنة من الاحتكارات الثقافية الخاصة على النطاق العالمي، واستيلاءها على المعدات المادية والبني الاتصالية ومضمون وسائل الإعلام كلها»¹. ويرر شيلر لهذا التوجه في مقاومة الدول بقوله: «إن الاضطرار إلى الدفاع عن سيادة الأمة في المجال الإعلامي الثقافي لا يعد دعوة إلى النزعة الإقليمية والتجزئية، وإنما هو بمثابة تأكيد لمقاومة القوة النافذة للشركات متعددة الجنسيات. ومن ثم فإن السياسات الثقافية الوطنية والاشتراكية تعد شروطاً أساسية لتحقيق التكامل الثقافي»².

وفي مواجهة العولمة الثقافية الإعلامية الطاغية ضد الدول والشعوب بادرت منظمة اليونسكو إلى التنبيه بما أسمته "الذاتية الثقافية" من خلال وضع دليل عمل للعقد العالمي للتنمية الثقافية 1988. 1997 طبقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1986. وأشار الدليل إلى مواطن الخطر على ما يشكل الأساس الراسخ للحياة الثقافية للشعوب، وقد صار ممهداً بفعل التأثير الثقافي العالمي لعدد من الأنماط الثقافية وتأثير الإعلانات ووسائل الإعلام المختلفة³. ويثير النقاش حول دور وسائل الإعلام في الحفاظ على هوية الدول على ثلاثة محاور:¹

1 . هيربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية. مرجع سابق. ص 118-119.

2 . هيربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية. مرجع سابق. ص 121.

3 . حسين كامل بماء الدين، مرجع سابق. ص 117.

أ . دور وسائل الإعلام في الحفاظ على الهوية.

ب . دور وسائل الإعلام في خلق الاهتمام بالتنوع الثقافي.

ج . دور وسائل الإعلام في فتح المجال للسيطرة الثقافية الأجنبية.

وفي ضوء ما سبق تتضح لنا حقيقة الأدوار التي يقوم بها الإعلام المعاصر على المستوى الثقافي، حيث نجد أن النظام الإعلامي الراهن بكل ما يحويه من تفاوتات وتجزؤات وعدم تكافؤ في توزيع مواد الاتصال والمعلومات يهدف إلى إبقاء الجمهور والرأي العام في حالة من التغييب والجهل بحقيقة ما يحدث. ولعل حرب الخليج والرقابة التي فرضت على الإعلام الدولي أثناءها تعد مثالا صارخا.

إعلامنا بين مظاهر التبعية الإعلامية والهيمنة الثقافية:

لقد لمس السياسيون والمفكرون وقادة الرأي في العالم المتطور مقدار الأثر التي استطاعت الوسائل الإعلامية أن تحدثه في مسالك الجماعات والأفراد، وفي توجيه أفكارها وتصرفاتها، وفي السيطرة على أحوالها ومشاعرها. فمالوا إلى توظيف هذا السحر لقيادة الجماهير وبالغوا في استخدامه، لتحقيق أهدافهم وطموحهم من طريق خلق حالة من التبعية المطلقة لما أسماه **توماس ماكفيل Thomas Mcphail** بالإمبريالية الإلكترونية، والتي يلخصها في «علاقة التبعية التي تأسست باستيراد معدات الاتصال والبرامج الأجنبية ومعهما كل من البرتوكولات والفنيين، فالاستيراد يتنوع من الكتب الهزيلة إلى الأقمار الصناعية، مما يخلق الأساس لمجموعة من المعايير والقيم الأجنبية»².

وعند محاولة تطبيق الإطار النظري للتبعية الاقتصادية على المجال الثقافي والإعلامي، نلاحظ وجود رؤيتين: الأولى ترى أن الاستعمار الثقافي والإعلامي يمثل جزءا من وحدة أو إطار أشمل، وأن المنتجات الإعلامية مثل البرامج التلفزيونية تعامل تماما معاملة السلع الأخرى، لذا يطبق عليها قانون التبادل السلعي مثل سائر السلع والمنتجات المادية. أما الرؤية الثانية: فهي تنظر إلى الاستعمار الثقافي كبناء مستقل بدرجة تزيد أو تقل عن أبنية التبعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع مراعاة عدم انفصاله عنها ووجود علاقة تفاعل دائمة بينه وبين هذه الأبنية ككل³. وتبعاً لهذه الرؤية رسمت أهداف رئيسية للاختراق الثقافي أعلاها خلق حالة من التبعية من أجل تطوير اتجاهات لدى المجتمعات ومنها العربية، يصير من السهل لديها قبول النمط الثقافي الغربي والعمل على بث مبادئه.

¹ . انظر دينا أحمد عرابي، مرجع سابق، ص 185 . 190.

² . صالح أبو الأصبغ، قضايا إعلامية. (د ط). دبي: منشورات مؤسسة البيان، 1988. ص 284.

³ . عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث. مرجع سابق، ص 48.

ولذلك عدد الدارسون أوجه التبعية مميزين بين أشكالها المختلفة، وقد وزعت على المنوال التالي¹:

1 . التبعية التكنولوجية في مجال الاتصال وما يتعلق بالبُنى الأساسية لهذا الاتصال. أي المرافق والمعدات وتسهيلات الإنتاج والتوزيع التي يحتاجها النشاط الاتصالي في مختلف مراحلها، سواء جمع المعلومات أو إعدادها أو نشرها أو توزيعها. وتتضمن مرحلة جمع البيانات وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية والأقمار الصناعية ووكالات الأنباء وشبكات التلكس وشبكات الكوابل. صحيح أن التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال وما صاحبه من تغيرات على جميع مستويات حياة المواطن، أدى إلى إحداث تأثيرات جوهرية على مستوى تداول المعلومات واستغلالها والاستفادة منها. لكنه في الوقت نفسه خلق فجوة إعلامية ومعلوماتية بين الدول المتقدمة والمتخلفة نتيجة لاحتكار صناعة وتوزيع هذه الوسائل على مستوى تلك الدول لتتحكم في نوع ومسار المادة الإعلامية المتداولة في العالم المعاصر.

2 . التبعية الثقافية: تعد وسائل الاتصال أدوات ثقافية فهي تشكل الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة. وإذا كانت الثقافة لا تتطور بانغلاقها على نفسها داخل حدودها المحلية وإنما تتطور بالتبادل الحر مع الثقافات الأخرى، ولما كانت الخريطة العالمية الراهنة للإعلام تشير إلى اتساع الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية في الجنوب، فلا شك أن هذه الصورة لها نتائجها السلبية على الثقافة. بل تحمل آثارا أكثر خطورة تتمثل في السيطرة الثقافية التي تتخذ شكل الاعتماد على النماذج المستوردة التي تعكس القيم وأساليب الحياة الأجنبية مما يهدد الذاتية الثقافية لشعوب العالم الثالث.

3 . التبعية الإعلامية: على الرغم من النمو الهائل الذي شهدته وسائل الاتصال في السنوات الأخيرة على النطاق العالمي فإن أوجه التفاوت والتباين تمثل سمة رئيسية للخريطة العالمية للإعلام. مما ساعد على ترسيخ الصور العديدة للتبعية الإعلامية والثقافية. ولا يقتصر هذا الاختلال في التدفق الإعلامي على النطاق الدولي فحسب. بل يمتد ليشمل النطاقات القومية على المستوى الجغرافي والاجتماعي والسياسي والحضاري والثقافي. ويشرح الدكتور **برهان غليون** هذه الظاهرة إذ يبين أن الثورة التقنية والعلمية المتجسدة بشكل خاص في تقدم الاتصالات والمعلوماتية، قد فرضت شروطا جديدة على الممارسة الاقتصادية والسياسية والثقافية لجميع شعوب الأرض. ومع تطور وسائل الاتصال وتقصير المسافات المكانية والزمنية والنفسية تزداد فرص الاندماج العالمي، وتصبح الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية الجديدة. في حاجة ماسة إلى إعادة الهيكلة أو البناء. لكن تجليات السيادة والهيمنة الإعلامية

¹ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 60 . 80.

تجعلنا نطرح سؤالاً مهماً للغاية: «هل تستطيع الدول الضعيفة كنظام إقليمي أن تجد لنفسها أماكن أو مكاناً صغيراً في عالم وسائل الاتصال الحديثة؟ وهل هي قادرة على المواجهة لإثبات الذات؟»¹

وهنا لا بد من الإشارة إلى هيمنة الدول المالكة للمعلومات على هذا القطاع، وحجم الإمكانيات الهائلة التي تسخرها من أجل استمرارية الوضع وتعميقه أكثر فأكثر بشكل لا يترك للآخرين - الذين لا يملكون المعلومات ولا الصناعة المعلوماتية - أية فرصة بمجتمعاتها وتطويرها للحاق بالركب الحضاري والثقافي والعلمي لتلك الدول. وهو الشيء الذي أدى بهذه الدول المتقدمة اقتصادياً وتقنياً وإعلامياً إلى فرض ثقافتها واتجاهاتها على الدول الأخرى من خلال إبراز صورتها القائمة وصراعاتها وأزماتها واضطراباتها.

4. التبعية في مجال بحوث الإعلام: اعتماد البحوث الإعلامية في أغلب دول العالم الثالث على النظريات والمناهج التي نشأت أصلاً في الولايات المتحدة وأوروبا. ولذلك فإن محاولة تطبيقها على ظواهر إعلامية تختلف في مسيبتها وأعراضها وحلولها وخلفياتها التاريخية والاجتماعية لا بد أن تؤدي في النهاية إلى نتيجتين حتميتين؛ أولهما عدم استفادة مجتمعات العالم الثالث بهذه الدراسات. وثانيتهما تكريس التبعية المنهجية في البحوث التي تتناول مشكلات الإعلام في العالم الثالث.²

أما النخبة العربية فتمثل التبعية المسرفة في كافة أنماط التعامل مع ظاهرة العولمة قطب الرحى لديها. فلا شك بعد ذلك أن يكون إعلامنا الراهن الوجه الظاهر لا الخفي من الإيديولوجيات الفكرية والقوى السياسية

العربية التابعة. إن معالم التبعية للعولمة الإعلامية في المنطقة العربية تظهر من خلال الخلط الواضح في امتلاك وسائل الاتصال بين دول الغرب وأقطار الوطن العربي. وهذا الخلط له خطورته الكبرى ونتائجه السلبية على صعيد تكوين الأفكار والثقافات والقناعات. مما ينعكس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على نمط السياسة والممارسة اليومية الاعتيادية للمستخدمين لها في الوطن العربي الذين يتلقون وسائل الاتصال الحديثة المستوردة من الغرب والموجهة أيضاً من دول الغرب.³ وهذا ما يفضي إلى الضغوطات الإعلامية وانعكاساتها من خلال الآليات التي تقدم بها أشكال العولمة.

و بهذا فإن العولمة الثقافية بمظاهرها المتنوعة ووسائلها الاتصالية الدقيقة وكاتجاه فاعل في عالمنا اليوم، لم تكن لتمر عبر إعلامنا العربي. وهو جزء نافذ في منظومة الإعلام العالمي. أو تحجب عنه، إلا بقدر تفاعل المنظرين

¹ - مهدي زعموم، «برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري». (دكتوراه دولة في الإعلام. كلية العلوم السياسية، قسم الإعلام، الجزائر العاصمة). ص 21

² - عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث. مرجع سابق. ص 48.

³ - عبد الملك الدناني، مرجع سابق. ص 125.

والإعلاميين العرب مع هذا الاتجاه. فلا غرابة عند الحديث عن إحكام التبعية لتصوراتنا الحالية والمستقبلية، أن تشير كل الدراسات إلى أهمية المنطقة العربية كسوق إعلامية علمية خصبة، لهشاشة المنظومة الثقافية العربية بعد الهزائم الحضارية. وأن المنطقة تتحول إلى هدف مهم للقنوات التلفزيونية والفضائية الأجنبية وصحافة الانترنت وكل مظاهر العولمة الثقافية الموجهة إلى عالمنا العربي. مما يؤدي قطعاً إلى ضعف مناعة القيم الثقافية العربية، وانخفاض قدرة الدولة على السيطرة على وسائل الإعلام في الدول العربية إذا ظل الأمر على حاله دون مقاومة.

ولا غرابة أيضاً عندما نقف أمام ملامح المشهد الراهن للإعلام العربي، وهو يعكس صورة حزينة قائمة للإعلام:¹

- . تسوده سياسات إعلامية تشكو من انفصام حاد بين الغايات والإمكانات، وبين الشعارات والممارسات، وعجز عن تحقيق أي تكتل إعلامي.
- . يسرب المشاهدين عنه إلى منافذ الإعلام الأجنبية لفقدان الثقة في هذا الإعلام المحلي.
- . صحافته الرسمية يعتبرها البعض مثالا نموذجيا لصحافة الولاء.
- . صناعته غائبة باستثناء بعض الصناعات التجميعية لأجهزة الراديو والتلفزيون.

ولكن أيضاً على مستوى هذا الواقع الإعلامي العربي المزري، وما هو حاصل فعلاً من تميع على مستوى القيم والمبادئ المكونة للمجتمع العربي الإسلامي بفعل هذا الإعلام. لماذا نسرف في عالمنا العربي في الهجوم على العولمة، ونحفر جميع المتاريس اللازمة للدفاع عن الهوية العربية ضد جحافل الغزو الثقافي القادم، دون أن نسأل أنفسنا إن كانت تلك الهوية موجودة فعلاً بعد الانهزام الحضاري الشامل كما يتساءل كتابنا العرب؟²

العولمة الإعلامية والمنطقة العربية: الآثار والمحاذير

ترتبط المشكلة التي نود طرحها في هذا الصدد أشد الارتباط بانعكاسات وآثار وعواقب التقدم التكنولوجي في مجال الاتصال الجماهيري على الجمهور المتلقي في دول العالم الثالث النامي ومنه المنطقة العربية. عل اعتبار أن التقدم التكنولوجي خاصة في مجالات الفضاء، والذي أثار الكثير من الجدل سواء على المستوى الدولي أو العربي حول آثاره السلبية والإيجابية، أصبح يشكل محورا من المحاور الرئيسية التي تحتل اهتمام الباحثين في مختلف الدول.³ لكون التكنولوجيا لم تعد عنصراً من عناصر التسلط الاقتصادي والسياسي وحسب، بل أصبحت عنصراً من عناصر التسلط الفكري والثقافي.

¹ . انظر نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 359.

² . محي الدين اللاذقي، « تساؤلات كونية في عالم بلا هوية كما وردت في دراسة السيد يسين، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي »، قضايا إستراتيجية. المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد 17، سبتمبر 1998. ص 20.

³ . نسمة أحمد البطريق، التلفزيون والمجتمع والهوية الثقافية، دراسة نقدية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999. ص 47.

فالعولمة بترسانتها التكنولوجية المتطورة قبل أن تكون مضمونا اقتصاديا وتجاريا، هي مضمون إعلامي وثقافي متطور. تروجه وتؤطره وسائط إعلامية متعددة، مثل الفضائيات والوسائط المتعددة *Multimedia* والأنترنز والصحافة المكتوبة. و« من شأن هذا الانفجار في التقنيات أن يخلق صورة قوية ومؤثرة وفاعلة تشجع على الانتشار السريع للأفكار وترويج البضائع والأفكار وسلعنة الإنسان والوجود. وهي صورة متسلطة شمولية وعنيفة عنف مضمونها ذاته»¹ وتحويل الإعلام في منظومة العولمة رهانا من أهم رهاناتها وآلياتها في تعميم الثقافة الغربية ونشرها.²

وبالتالي يخطئ من يظن أن إعلام عصر المعلومات ما هو إلا مجرد طغيان الوسيط الإلكتروني على باقي وسائط الاتصال الأخرى، لكنه في حقيقة الأمر. أخطر من ذلك بكثير، وسيكون الإعلام الجديد عند كثير من المفكرين والمنظرين الإعلاميين، بمضامينه وصوره المبدعة، والخلاصة المحدر الجديد في هذا القرن، لأنه سيعطل ملكة النقد وعقلية التحليل. وستعمل عولمة الإعلام على « موت الثقافة وتراجع الفكر النقدي واندثار الهويات، وفي مقدمتها الهوية الأوروبية في مواجهة الغزو الإعلامي والثقافي الأمريكي الذي يهدد الحياة بمختلف مستوياتها، خاصة وأن العولمة الإعلامية ستدشن عهد السيطرة الشاملة على العالم والشعوب تحت إرهاب الأقمار الصناعية،

كما يقول المفكر الفرنسي بول فيريليو *paul virilio* «³ وقد ساعد على ذلك حالة الثقافة في بعض المجتمعات الأقل تطورا، وتحولت عولمة الإعلام والاتصال إلى تهديد حقيقي للتعددية الثقافية، وطمس الهويات الثقافية للشعوب.

أما على المستوى العربي خاصة، وفي ضوء أبعاد عولمة الإعلام، فإن أسئلة كثيرة تطرح نفسها، ولعل أهمها السؤال عن آثار ونتائج العولمة الإعلامية على الهوية الثقافية العربية؟

وهذا الإشكال مطروح منذ عدة سنوات على الفكر العربي⁴، وثمة محاولات جادة للإجابة عن مثل هذه الأسئلة وغيرها، ولكن في المقابل يمكن رصد كثير من المواقف المتسارعة، وربما أحادية الجانب تجاه العولمة بعامتها. وعولمة الإعلام والاتصال والمعلومات بخاصة، وقد تراوحت تلك المواقف بين التأييد المطلق، والتأييد المشروط، والرفض المطلق، وأخيرا السعي للتأليف والمزج بين بعض إيجابيات العولمة الإعلامية وسلبياتها على الهوية الثقافية العربية.

1. المنصف وناس، مرجع سابق. ص9.

2. انظر عبد المجيد البدوي، مرجع سابق. ص 10.

3. المنصف وناس، مرجع سابق. ص10.

4. محمد شومان، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والتحديات ». التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة. مرجع سابق. ص 91.

فإذا نظرنا في مواقف فكرنا التنظيري العربي للعولمة الإعلامية، وبحثنا في دوافع ذلك التعصب الشديد ضدها، فلأجل ما تقوم به وسائل الإعلام من خلال البث الواسع من دور مركزي في اختراق منظومة القيم الثقافية العربية. باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكرة العولمة وأيديولوجيتها، عبر الحوارات ونشر نتائج المؤتمرات والندوات. حيث يتم تكثيف جهودهم من أجل إعادة تشكيل الرأي العام العربي.

فالمضمون الفكري الغربي الوافد من المجتمعات المتقدمة الصناعية الذي تحمله وسائل العولمة الإعلامية، يعمل على نشر أفكار قادمة من أرض ليست أرضنا وأيديولوجية مجتمعات لا تمثل فكرنا وعقيدتنا وتاريخنا وتراثنا. وهذا يمثل أكبر خطر يهدد مجتمعاتنا العربية، وله عواقبه الجسيمة ليس من حيث التأثير الثقافي والفكري ومظاهره المتعددة المباشرة وغير المباشرة كالعنف والإحباط المعنوي فحسب، بل وأيضا من حيث الأهداف البعيدة المدى والقريبة الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية.¹

ولعل القنوات التلفزيونية الأجنبية الموجهة إلى منطقتنا العربية وما تبثه من أخبار وبرامج، تشكل الخطر الأكبر على الثقافة العربية والإسلامية انطلاقا من كونها تهيمن على الآراء والاتجاهات، وتتسلط على عقول الشباب ونفوسهم و تزرع فيها تقاليد وعادات غريبة. بل أصبحت الثقافة العربية تعاني من "الازدواجية" « نتيجة

احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية. بالإضافة إلى التمايز الواضح بين ثقافة النخب وثقافة الجماهير، والنتيجة إعادة متواصلة ومتعاضمة للازدواجية نفسها، ازدواجية التقليدي والعصري، ازدواجية الأصالة والمعاصرة في الثقافة والفكر والسلوك². والواقع أن ذلك لم يكن ممكنا إلا بسبب ما تحقق من إنجازات تكنولوجية هائلة في مجال الإعلام السمعي البصري والمكتوب. حيث أصبح في وسع البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، أن ينقل المنتج الثقافي الغربي إلى كافة أنحاء العالم العربي في يسر وسرعة غير مسبوقة، مخترقا الحدود القومية والحوجز الجغرافية دون مشقة.

لكن من الجوانب الشديدة السلبية الناتجة لانتشار العولمة الثقافية من جراء عولمة الإعلام، ومع الإقرار بكل ما سبق، انهيار السيادة القومية للإعلام العربي في ظل انهيار المفاهيم التقليدية حول القومية الحديثة؛ مثل السيادة على الفضاء وصنع السياسات الإعلامية وظهور تقسيمات جديدة للعالم قائمة على أساس الجغرافيا الفضائية. وتفكيك منظومة العلاقات والقيم الاجتماعية. إذ أصبحت العلاقة أحادية بين مرسل الرسالة الإعلامية ومستقبلها.³ فالحدود

¹ . نسمة أحمد البطريق، مرجع سابق. 58.

² . أحمد مجدي حجازي ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية. مرجع سابق. ص 142.

³ . و يرى الأستاذ مؤيد عبد الجبار الحديشي أن النظم العربية لم تتوصل لإيجاد نظام أمني إعلامي واضح، و أن كافة الدراسات والندوات التي عقدت بهذا الخصوص لم تتبلور وترتق لتكون مفهوما عمليا خاصا بها. ولعل مرد ذلك أن أي نظام عربي - في عصر العولمة والمعلوماتية الاتصالية. أضحي غير

التي هي إطار وعاء الدولة وسيادتها، تبدو عاجزة، أو هي عاجزة فعلا عن الوقوف في وجه البث والاتقاط. والسلطة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو غير ذلك تفقد قدرتها التقليدية السابقة على الإمساك بخيوط الحركة في المجتمع والدولة، مع تعدد مصادر التأثير والمعلومات وسهولة الحصول عليها.

ومع إدراكنا العميق لتلازم الإخضاع السياسي والاقتصادي مع الهيمنة الثقافية. حيث لا فاصل حقيقي في سَيْرُورَة العولمة بين متغيرات الاقتصاد والسياسة وبين الثقافة والقيم، إلا أننا أمام مفاعيل ثورة الاتصالات والضخ الإعلامي المتواصل المرافق لمجتمع المعلومات. قد جعل من محاولات الانغلاق والانكفاء الثقافي مجرد ردود فعل سلبية وغير فاعلة طالما بقي الواقع الراهن لعدم تكافؤ القوى.

وهذا ما دفع بفتنة ثانية من مفكرينا في مواجهتهم لسيل عولمة الإعلام للسعي إلى التأليف والمزج بين بعض إيجابيات العولمة وسلبياتها على الهوية الثقافية العربية. والتعامل مع عولمة الإعلام على أساس وجود الفرص والمخاطر أو الفرص والتحديات كما يسميها محمد شومان. فهذا يعني عند هؤلاء أولا رفض الخضوع أو التسليم بمنهج

المؤامرة في النظر والتعامل مع عولمة الإعلام.¹ وخاصة وأن الأمة العربية بكل أقطارها وتفرعاتها المصطنعة تشكل اتفاقا خصائصيا من حيث القيم والعادات والتقاليد والتاريخ واللغة والدين. أي أنها تمثل نموذجا فريدا يجعل من السهل عليها واليسير أن تقيم سياسة إعلامية ثقافية تقيم بعض الحواجز ضد الاختراقات الامبريالية الغربية والصهيونية التي تستهدف كيان الأمة وخصائصها القيمية والثقافية، ومحاولة طمس الهوية والذاكرة التاريخية. وتحصنها ولو جزئيا من أنماط وسلوكيات الحياة الغربية والأمريكية التي أصبحت جوهر العولمة وعنوانها الواضح.² لذلك يقترح هذا الفريق «عدم الاكتفاء بموقف فضح الآثار السلبية لعولمة الإعلام والحديث المكرر عن الهيمنة الإعلامية والثقافية الغربية بقيادة الولايات المتحدة، أو إجهاد الفكر في إثبات مخاطر الأمركة إعلاميا وثقافيا. إنه كل ذلك ثابت ومعروف وقد قدمت المدرسة النقدية في الإعلام والاجتماع والعلاقات الدولية شواهد ودلائل ومقولات نظرية بالغة الأهمية عن عدم التوازن في النظام الإعلامي العالمي، وعن مخاطر الهيمنة الإعلامية والثقافية للشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية».³

فاعل في أدواته المعنوية الاتصالية. وأن أغلب دول المنطقة أصبحت غير قادرة على السيطرة التامة على نوع وكم المعلومات التي تصل إلى عقول مواطنيها ذلك لوفرة المعلوماتية. إن تحديات الإعلام المعولم لم تكن في أنه ينقل الفرد العربي إلى اللاوطن، إنه ينقله إلى المؤسسات والشركات العالمية، عالم (فاعلين) وعالم (و مفعول فيهم)، مستهلكون للسلع والصور والمعلومات. إنهم خاضعون لحركات وسكنات مفروضة. فهل العالم العربي يمتلك القدرة لإيجاد مفهوم موحد للأمن الإعلامي؟ (مرجع سابق. ص 99).

1 . محمد شومان، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والتحديات ». مرجع سابق. ص 100.

2 . محمد علي حوات، مرجع سابق. ص 175.

3 . نفس المرجع الأنف الذكر.

ويرى قسم من كتابنا العرب أن النظر للتقنية الاتصالية الحديثة بموضوعية يدفع للاعتراف بأن لها جوانب إيجابية كما لها أخرى سلبية. فالجوانب الإيجابية للعولمة الإعلامية والثقافية على الوطن العربي تعد تطورا وجانبا من جوانب التنمية البشرية. جعلت المجتمعات العربية أكثر ديناميكية واستعدادا للتجديد والانفتاح.¹ ورغم مخاطر العولمة إلا أن الثقافة الاتصالية على الصعيد السياسي مثلا، قد حققت توازنات جديدة ما كانت لتحدث بدونها. وأنها الوسيط الذي يوفر المعلومة ساعة وقوعها. وأنها تستطيع التأثير في أحداث وتطورات مجتمعية في الداخل تبت إليها ولا تقوى على التصدي لها. وأنها أكثر قدرة على تهيئة ذهنيات في وقت واحدة وتكلفة مادية وبشرية أقل كثيرا. هذه الرؤية الواقعية ستؤدي بالدارس حتما إلى اعتبار تقانة الاتصال إنجازا بشريا تستفيد منه جميع الشعوب، ليس بالضرورة على قدم المساواة، لكنه مؤثر في تفعيل حق الإنسان في الاتصال والتعبير بحرية عن أفكاره.² وعملت على ربط أقسام العالم وأقطاره، وتقريب المجتمعات البشرية بعضها بعض، وشجعت على الحوار والتواصل فيما بينها، وساهمت في قيام التعاون في شتى الميادين والمجالات.

وحتى وسائل الإعلام العربية، فقد لجأت عبر مسيرتها إلى القيام بدور مهم في تقدم وتطور المجتمع العربي، ورغم أنها لم تلعب الدور المنوط بها في الحفاظ على هوية مجتمعتها الثقافي. ولكن يمكن أن تقوم هذه الوسائل بدور أكثر فاعلية في السنوات القادمة في إطار الحفاظ على الهوية الوطنية، نظرا لما تمتلكه الثقافة العربية من مقومات هامة مثل وحدة اللغة والدين.

إن العولمة الثقافية في مجال الاتصال والمعلومات، وعلى الشاكلة التي رأيناها، والتي جعلت من الإعلام أشد آلياتها قدرة على التوسع والانتشار عبر العالم، هي أكبر من أن تواجه بالخوف أو الرعب من آثارها الوافدة. فالإعلام العالمي أمر واقع ومفروض، يتدفق على أبناء المنطقة العربية. وحي أن تجتمع الإرادة السياسية العربية والبحوث الجادة والدراسات الأكاديمية الفعالة في مجال الإعلام والاتصال والتكنولوجيا والمعلومات، للبحث عن كيفية مواجهة الإعلام العربي لآثار هذه العولمة. وكيف يتعامل مع ظاهرة الثقافة العالمية كحركة تاريخية جبرية. وكيف يتم وضع مخططات وتبني سياسات إعلامية تكون من القوة والنفوذ ما تستطيع به رد ما تراه استعمارا جديدا، أو قبول ما تراه نافعا لحركة الحياة العربية ؟.

¹ . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 218.

² . عصام سليمان موسى، الإعلام والمجتمع في عصر العولمة. الأردن: وزارة الثقافة، 2003. ص 373.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

الإعلام والثقافة وجدلية العلاقة في ظل العولمة

الثقافة ونظم الإعلام الحديث

تقوم وسائل الاتصال في الحياة البشرية بدور أساسي في حماية الثقافة ونقلها وتغييرها أيضا. وهي ذات وظيفة تنموية تعمق الهوية الثقافية قوميا ووطنيا وتقاوم الغزو الثقافي. وكما يرى تقرير اليونسكو « أن وسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها. وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي. وهي تلعب أو يتعين عليها أن تلعب دورا أساسيا في تطبيق السياسات الثقافية، وفي تسيير إضفاء طابع ديمقراطي على الثقافة. وهي تشكل بالنسبة لملايين من الناس الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق. كذلك للاتصال دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع، وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها. وهو يستطيع . احتمالا على الأقل . إعادة صياغة القلب الثقافي للمجتمع»¹.

إن العلاقة بين الإعلام والثقافة علاقة تبادلية، حيث تقوم وسائل الإعلام بدور هام وأساسي في نشر الثقافات المختلفة، كما تعطي نظريات الإعلام المختلفة و لاسيما نظريات التدفق الدولي للمعلومات أهمية كبرى لعوامل والعلاقات الثقافية. وللتدليل على ذلك نجد أن أشهر النظريات الشارحة للتدفق الإعلامي الدولي هي التصور الذي طرحه هيربرت شيلر Herbert I schiller ويحدد فيه عدة متغيرات تحكم حجم واتجاه ومضمون التدفق ، وكان من ضمن هذه المتغيرات "الصلات الثقافية". ويقصد بالصلات الثقافية مجموعة الصلات

الفعالة بين الدول، وتقاس باللغة المشتركة وحجم الهجرة بين رعايا الدول، وحجم التزاوج بينهم، وحجم سفر مواطني الدول إلى دول أخرى ، والوضع الحالي أو السابق لكل دولة بالنسبة للدولة الأخرى كعلاقة الدولة المستعمرة بالدولة التي تستعمرها، أو الدول الحامية بالنسبة للدول التي كانت محمية من قبل والعكس. وهنا يفترض هذا العالم أن تدفق المعلومات بين الدول التي تربطها مثل هذه الصلات الثقافية يكون أكبر من التدفق بين الدول التي تربطها مثل هذه الصلات الثقافية وتكون أكبر من التدفق بين الدول التي لا ترتبط بمثل هذه الصلات أو التي لا يربطها سوى قدر ضئيل منها.²

ومن هنا نتساءل حول ما إذا كانت الثقافة والإعلام شيئا واحدا، وأن الثقافة إن هي إلا الرسالة التي يتولى الإعلام نقلها؟. لقد قام المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية التي دعت إليه اليونسكو عام 1982 بالمكسيك، واشتركت فيه غالبية الدول العربية بتحديد طبيعة الصلة بين الإعلام والثقافة كما يلي: «الاتصال هو أحد العناصر

¹ . شون ماكبرايد و رفاقه، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا. الجزائر: اليونسكو/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981. ص 83 . 82.

² . انظر هبة جمال الدين، « أولويات الإعلام وعمليات تشكيل الرأي العام »، المجلة الاجتماعية القومية. العدد 2، 3 سبتمبر 1993. ص 107.. 08.

المكونة للثقافة، لأنه مصدر تكوينها وعامل من عوامل اكتسابها وراثتها، وأنه يساعد على التعبير عنها ونشرها
1. «.

فلا يمكن تصور الثقافة بدون تعبير أو إبلاغ، إذ لا حظ لأي ثقافة كانت من الوجود إذا لم تؤازرها أجهزة الإعلام. كما أنه لا سبيل أمام أجهزة الإعلام للنجاح بدون زاد ثقافي يشد اهتمام الجمهور إليها. لقد أفاد الإعلام من الثقافة الشيء الكثير، ففي الأداء الإعلامي تستخدم الأدوات السمعية والبصرية والوسائل الحافزة على التفكير والتدبير وإعمال الخيال وكلها من أدوات الثقافة. وأجهزة الإعلام هي التي يوكل إليها مساعدة الثقافات على التلاحق، وهي في الوقت نفسه مطالبة بوقاية هذه الثقافات من العواصف الهوجاء والتيارات الهدامة. « فالإعلام وسيلة الثقافة للانتشار؛ فهو يعطيها الشكل والوسيط وهي تعطيه المعنى والروح. فالثقافة هنا هي ذلك الجوهر الذي تحويه وسائل الاتصال الجماهيري ». ² إن علاقة الإعلام بالثقافة هي في جوهرها علاقة النوع بالكل إلا أنهما كثيرا ما يتداخلان إلى حد التطابق، يشهد على ذلك التطابق الشديد بين السياسات الإعلامية والسياسات الثقافية. فالإعلام هو الجانب التطبيقي المباشر للفكر الثقافي والسياسة الثقافية.

وثمة من يفصل بين ما هو ثقافي وما هو إعلامي. ورغم تفرغ التعريفات وتعددتها للثقافة والإعلام فلا شيء يفصل بين الاثنين. وذلك أن الإعلام هو مرآة عاكسة لديناميكية الحياة الاجتماعية بكل تفرعاتها، والإعلام

والثقافة عناصرها الرئيسية. وحتى لا نتوه في محيط التعريفات فإن هناك اتفاق أو شبه اتفاق على وجود تكامل بين الإعلام والثقافة من حيث المعرفة والإبداع والقيم والسلوك. فالثقافة تعتبر منظومة متكاملة تضم في إطارها المعارف والمعلومات المتوارثة أو المنقولة، التي لها صلة بشؤون حياة الإنسان وتفسيراتها ووسائل نشر الإبداع والمعارف والمعلومات. إلى جانب الإبداع الفني والأدبي والعقائدي والقيمي وأنماط السلوك وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية. كما ترسم الثقافة تراث الأمة المادي والروحي الذي يشكل خصائصها وقيمها وصورها الحضارية. أما الإعلام هو أداة التفسير والنشر، فوسائل الاتصال والإعلام هي الأداة الناقلة للثقافة، من حيث أنها تساعد على دعم المواقف الثقافية والتأثير فيها وحفر الأنماط السلوكية وتعزيزها وطرح مفاهيمها على الجمهور من خلال البث والنشر والشرح لما يمكن اعتباره فعلا ثقافيا عضويا. ³ بل لا ينحصر دور وسائل الإعلام في عملية النقل والنشر وحسب، بل

1. مصطفى حجازي وآخرون، مرجع سابق. ص 17.

2. حيدر بدوي صادق، « الثقافة والإعلام والبث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في دولة الإمارات العربية المتحدة ». ثقافة الإعلام وإعلام
الثقافة. مرجع سابق. ص 53.

3. محمد علي حوات، مرجع سابق. ص 174. 175.

تحقق في تعاضدها مع الثقافة نوع من التكامل الاجتماعي ويجعلها تلعب دورا أساسيا في بلورة الثقافة وإزالة ما لصق بها من التشوهات التي لحقتها.¹

إن التبادلية في العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة سمة أخذت في البروز في بحوث الإعلام، حيث أن وسائل الاتصال تستمد الإطار العام لعملها وقيمها من الثقافة المحيطة بها، كما أنها بدورها تعد من أهم أدوات الثقافة لأي مجتمع، فهي تقوم بوظيفة غرس القيم الثقافية في المجتمعات المختلفة. فالتبادلية عملية أخذ وعطاء دائمة بين الثقافة والإعلام، وهي ككل العمليات الحضارية تخضع لقانون التطور سواء كان تطورا فكريا أو تطورا تكنولوجيا. ولقد استدعى التطور أن تكون الوسائل الإعلامية هي الروافد المستقبلية للثقافة، ذلك أن الثقافة المعاصرة المتجهة إلى المستقبل تبدو أكثر ما تكون ارتباطا بالإعلام من أي وقت مضى.² ولذلك تشكل وسائل الاتصال في المجتمعات الحديثة أدوات ممتازة لنشر الثقافة، فهي تلعب دورا كبيرا في التوصل الثقافي وانتقاء المحتوى الثقافي وابتداعه والقضاء على المخاطر التي تهدد الذاتية.

بل تفاقم خطر الإعلام في علاقته بالثقافة، إلى الحد الذي جعلت مدرسة فرانكفورت وهي البادئة في إدراج قضايا الإعلام الجماهيري ضمن التنظير الثقافي الحديث، تهدف للوصول إلى نظرية اجتماعية تأخذ في اعتبارها الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية لنظم الإعلام الحديث. ويرى تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر Max . A . Horkheimer & Theodor.³ مؤسسا مدرسة فرانكفورت وسائر منظريها أن مؤسسة

الإعلام الحديث ما هي إلا أداة للسيطرة الاجتماعية وإعادة إنتاج المجتمع بأنماطه السائدة. ويرون أن الإعلام الحديث يعمل على إخماد نوازع التفرقة الطبقية وعلى ضمور الوعي الثوري لدى الطبقات المستضعفة وعلى دمج العمال في نسج المجتمع الرأسمالي المعاصر.

فإذا كان الاقتصاد العالمي على سبيل المثال يسعى على حد تعبير شيلبر إلى تعزيز سيطرته من خلال تحالف رأس المال العالمي وتحطيم الحواجز الجمركية وتوحيد السوق العالمية. فإن القضية في المجال الثقافي تصبح كيفية توظيف الإعلام والثقافة في مجتمعات العالم الثالث لخدمة هذه الأهداف. أي ترسيخ تبعيتها الاقتصادية بوضع الإمكانيات الثقافية والإعلامية في صالح رأس المال العالمي وأجهزته وتحويل العالم إلى قرية اتصالية شديدة الترابط.⁴

¹ . انظر منظمة اليونسكو، أصوات متعددة و عالم واحد. تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981. ص 83.

² . نوال عمر، الإعلام والتنمية. القاهرة: مكتبة الرشيد، 1997. ص 248.

³ . انظر نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 375.

⁴ . عبد المجيد البدوي، مرجع سابق. ص 10.

لقد صار للإعلام مطالبته التي تجرى فيها غريزة وفلتره واختيار المادة التي ستقدم للمتلقين، قراء كانوا أو مستمعين أو مشاهدين. فالجهاز الإعلامي في هذه الحالة سيقوم باختيار مادة من بين مجموعة مواد تبعا لمقاييس محددة. وبذا فإن الإعلام يصبح صانع ثقافة في هذه الحالة وليس مجرد ناقل لها.¹ والخيار متاح للإعلامي وللمؤسسة الإعلامية بالمعنى الأدق بين الثقافات المختلفة، ليقرر أجدى وأنسب حسب معاييرها لتقدم للجمهور، وأيها تبعا للمعايير إياها بأن تحجب. ومن هنا تبدأ عملية التأثير الإعلامي² الفعلي على المتلقين لهذه الرسائل الموجهة.

ولذلك ميز بعض الأكاديميين³ في دراستهم لطبيعة العلاقة التي تجمع الإعلام بالثقافة؛ بين الإعلام بمعنى الاتصال *Communication* وبينه كمنتج إعلامي. ففي الحالة الأولى هو عملية تبادل المعلومات والحقائق والآراء والأفكار والرسائل فيما بين الأفراد والجماعات، وهذا يمنحه ميزة أن يكون الناقل الأساسي بل الوحيد للثقافة. أما في الحالة الثانية فإنه عبارة عن مخرجات وسائل الاتصال بما تحتويه من المعلومات وآراء وأفكار ورسائل وسائر مضامين الأنشطة والإبداعات الثقافية. وبهذا المعنى فإنه يصبح جزءا من الثقافة أو هو الثقافة نفسها. وسواء كان الإعلام ناقلا رئيسا أو وسيطا للثقافة أو كان جزءا من الثقافة أو هو الثقافة نفسها، فإن دوره في الحالتين شديد الدقة والخطورة. فحتى في حالة كونه ناقلا أو وسيطا فهو لا يؤدي هذه المهمة بحيادية وبراعة. لأن وسائل الإعلام « أضحت اليوم متأثرة إلى حد بعيد بالتكنولوجيا العامة والتكنولوجيا الاتصالية خاصة، هذه التكنولوجيا التي استطاعت القيام بالاختراق الثقافي. أي أن السيطرة أصبحت للتكنولوجيا ومن يسيطر عليها بإمكانه بث الثقافة التي يريد محمولة عبر التكنولوجيا ».⁴

عولمة الإعلام والهيمنة الثقافية

¹ . حسن مدن، مرجع سابق. ص 34 . 35.

² . تعد دراسة تأثير وسائل الإعلام من أهم أركان عملية الاتصال ولعلها أكثرها صعوبة في الدراسة، وذلك لأنه قد يتعذر في أحيان كثيرة ملاحظة التأثير بشكل مباشر. كما تزداد الصعوبة من غير شك إذا حاولنا التعرف على تأثير وسائل الإعلام كالصحافة بالمقارنة بتأثير التلفزيون مثلا. ذلك لأن هناك صعوبة كبيرة بل واستحالة أحيانا في عزل إحدى الوسائل الإعلامية وفصلها عن غيرها من المؤثرات الأخرى. ثم قياس الآثار التي تحدثها كل وسيلة من وسائل الجمهور. وهناك عوامل خارجية عن عملية الاتصال ذاتها، كالظروف المحيطة، وهذه الأخيرة قد تكون الحاسمة في عملية التأثير. وما الوسائل الإعلامية في هذه الحالة إلا مجرد عامل مساعد أو مكمل فقط. وهذا الاتجاه الأخير هو الذي يعبر عنه بالتأثير الوظيفي لوسائل الإعلام، أي التأثير الذي يأخذ الظروف الأخرى في الاعتبار. وقد ظهرت كثير من نظريات التأثير الإعلامي على الجمهور، وهي توضح مدى قدرة وسائل الإعلام على التأثير المباشر على الجمهور وقدرة الجمهور على التأثير الانتقائي للرسالة الإعلامية وعوامل هذا التأثير وقواعده. وقد يكون التأثير بشكل مباشر وقد يكون غير مباشر، والتي يرى أصحابها أنه قد يعتمد التأثير على تقدم النماذج التي يمكن أن يقتدي بها الأفراد. وآخرون يرون أن التأثير قد يعتمد على المعنى الذي تكون الرسالة الإعلامية ومدى فهمها وربطها بظروف واقعية، وكذلك يتم التأثير على الجمهور من خلال الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والجمهور والمجتمع وكيف يتأثر الفرد بالرسالة بدون أن يعزل على المجتمع، وكيف يتأثر المجتمع بالوسائل الإعلامية في النهاية. ويرى أصحابها أن هذه التأثيرات لا تقف عند حد المعرفة والامتناع ولكن لا بد أن تنتهي بالسلوك المطلوب. (منال أبو الحسن، مرجع سابق. ص 117).

³ . فاروق أبو زيد، جريدة الحياة. لندن، 1995/5/1.

⁴ . حسن عبد الله العايد، مرجع سابق. ص 96.

غير أن أشد ما ميز العلاقة بين الإعلام والثقافة في عصر عولمة الإعلام، وفي ضوء هذا التطور التكنولوجي، طغيان وهيمنة ثقافة الصورة التي حلت محل الثقافة المكتوبة في أداء وظيفة الاختراق الثقافي بفعل عملية التأثير الإعلامي.¹ فما هو حاصل فعلا اليوم في ظل العولمة الإعلامية والثقافية، أن تكنولوجيا الصورة شكلت تهديدا للتعددية الثقافية وعدوانا سافرا لمبدأ احترام الهويات الثقافية للشعوب المختلفة الأقل تطورا. إذ عجزت الثقافات المختلفة عن استخدام تكنولوجيا الاتصال في تأكيد هوياتها الثقافية والتفاعل بروح إيجابية مع حقائق وأوضاع عولمة الإعلام.² إن هذا التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة نحو إحكام الصورة ونمو البنى المصنعة التي تمد سيطرتها على الثقافة وعلى الإعلام، يخلق مشكلات وأخطارا.

يقول عبد الإله بلقزيز:³ « في وسعنا تعريف ثقافة العولمة سلبا بالقول إنها ليست الثقافة المكتوبة ... ثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب ... وليست ثقافة ما بعد تلك سوى ثقافة الصورة... الصورة اليوم هي المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد؛ نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم، إنها المادة الثقافية الأساس التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري، وهي تلعب . في إطار العولمة الثقافية . الدور نفسه الذي لعبته الكلمة في سائر التواريخ السالفة. إن الصورة أكثر إغراء وجذبا واشد تعبيرا وأكثر رسوخا والتصاقا بالعقل... والصورة لا تتطلب مهارة ومعرفة للغة، لان الصورة لغة عالمية تفهمها جميع الأمم والشعوب والبشر كافة، سواء كانوا جهلة أو متعلمين، لأنها قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي ».

وأظهرت الدراسات التطبيقية أنه كلما قلت المعلومات المقروءة حول الموضوعات المختلفة من ثقافية وأدبية وسياسية، أي كلما قلت الخلفية الفكرية المقروءة من خلال الكتاب أو الصحيفة حول الموضوعات الحيوية الجارية، كلما زادت وارتفعت قدرة الصورة المرئية على احتواء الفرد ووضعه تحت سيطرتها. فتزداد بالتالي احتمالات تكاثر الظواهر السلبية للمعلومات المصورة أو المرئية المسموعة، وما يتبع ذلك من آثار سلبية تؤدي إلى تفاقم مشكلات

¹ ذكر محمد شومان أن نظريات ونماذج التأثير الإعلامي تطورت منذ بدايات العشرينات من النظرة إلى الإعلام كقوة هائلة في تشكيل الآراء والمعتقدات إلى التأثير المحدود والنسبي للإعلام. انطلاقا من وجود متغيرات فردية واجتماعية وثقافية واقتصادية تحدد طبيعة واتجاه التأثير الإعلامي. من جهة أخرى كشفت بحوث الإعلام الثقافي عن اختلاف بعض دوافع وأهداف ومعاني الاتصال من مجتمع لآخر. فالإعلام والاتصال في الثقافة الغربية يعبر ويهدف لتحقيق الترابط الاجتماعي. بينما يعبر في الثقافة اليابانية عن علاقات اجتماعية قوية موجودة بالفعل. وفي حين تمثل الحاجات الفردية دوافع أساسية للاتصال عند الأمريكيين، تبدو دوافع اليابانيين للاتصال مقيدة بإدراك أنهم جماعة مثقفة. (« عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والتحديات »، مرجع سابق. ص 95).

² نفس المرجع الأنف الذكر. ص 95.

³ محمد شومان، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والتحديات »، مرجع سابق. ص 314. 315.

الديمقراطية وضياع حق الفرد في المشاركة الفعالة تجاه القضايا المختلفة من اجتماعية وسياسية وثقافية.¹ وأخيرا الوقوع في فخ السيطرة الفكرية والهيمنة على طرق تفكير الشعوب.

ومن هنا اتجهت مسألة الهيمنة في المنظور الأمريكي الحديث إلى صراع ثقافي من أجل تغيير العقلية الشعبية، ومن أجل نشر الأفكار الفلسفية الجديدة التي يثبت أنها صحيحة من الناحية التاريخية لدرجة أنها تصبح قيما عامة سواء من الناحية التاريخية أو الاجتماعية. ولذلك وفي فكر ما بعد الحداثة فإنه لا يمكن لجماعة واحدة أن تحتفظ بالهيمنة دون أن تتكيف مع الظروف المتغيرة، وهي عملية ديناميكية قد تتطلب تقديم تنازلات إستراتيجية معينة للقوى التي تعارض سلطتها الأيديولوجية. والسيادة لا تفرض أو تقبل بطريقة سلبية، كما يقول وليامز *Williams* ، بل إنها عملية يجب باستمرار أن تتجدد، ويعاد تشكيلها والدفاع عنها وتعديلها في علاقتها بضغوط عديدة ليست كلها نابعة منها.² وقد تشكلت الهيمنة الثقافية الأمريكية في سياقها الإعلامي انطلاقا من هذا المفهوم للسيادة في الأجيال الأمريكية المعاصرة وفي ظل التفوق المعرفي والتكنولوجي.

إن عولمة المسألة الثقافية في مكوناتها الإعلامي والاتصالي، وما يتبعها من مظاهر التأثير والهيمنة قد شغلت حيزا هاما من الجدل الفكري والسياسي منذ سبعينات القرن الماضي وثمانيناته إلى يومنا هذا. حيث ازدادت حدة

النقاش والجدال في هذه الألفية الثالثة حول ثقافة الميديا، وخاصة عند ظهور ما يعرف بفكر إعلام ما بعد الحداثة، الذي يحلم منظروه بأن تخلق الميديا الجديدة من تباين الآراء وتعدددها. حيث ستسمح تكنولوجيا المعلومات والانترنت على وجه الخصوص لكل الفئات الاجتماعية بأن تعلن عن آرائها وأن تدافع عن مواقفها. بينما يرى البعض في فكر إعلام ما بعد الحداثة نوعا من تمييع قضية الهيمنة الإعلامية الأمريكية في سراديب صراع الأقليات وحديث التنوع والاختلاف. وقد شاع معها استخدام استعارة "القوية الكونية" وليدة الإعلام الحديث الذي سحق المكان وسعى إلى إقامة شبكة من العلاقات تربط بين الأفراد والجماعات والأمم والثقافات.

وتمثل نظرية "الإمبريالية الإعلامية" التي أسسها هربرت شيلر والفكر المناهض لها، أحد المحاور الأساسية في الخطاب الإعلامي الحديث. ويقصد بالإمبريالية الإعلامية استخدام قوة الميديا من أجل فرض القيم والعادات والنزعات الاستهلاكية، كثقافة أجنبية وافدة على حساب الثقافة المحلية. وقد تفرع خطاب الإمبريالية الإعلامية كما أوضح جون توملينسون *Jhon Tomlinson* لى أربعة فروع رئيسية هي:³

1. محسن جاسم الموسوي، « تكنولوجيا وسائل الاتصال وإشكالاتها القيمية»، قضايا عربية. العدد4، السنة 9، إبريل 1982. ص 211.

2. ستيفارت آلان، مرجع سابق. ص 166-167.

3. انظر نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 376. 377.

. خطاب يرى الإمبريالية الإعلامية في السياق الأشمل للإمبريالية الثقافية، ويرفض الفصل بينهما.
. خطاب ينظر إلى الإمبريالية الإعلامية من المنظور القومي حيث يرى فيها تهديدا للهوية القومية.
. خطاب مدرسة فرانكفورت الذي يرى الميديا وسيلة للسيطرة وتجديد دماء الرأسمالية.
. خطاب يرى إمبريالية الإعلام كأحد مظاهر الحداثة التي يجب النظر إليها بصفتها مصدر الداء الرئيسي، أي لا يجب النظر إلى الميديا منفصلة عن مظاهر الحداثة الأخرى.

وإذ يمثل الإعلام رهانا من أهم رهانات العولمة وآلياتها في تعميم الثقافة ونشرها، فمن المفيد أن لا نغفل صيحة *Herve Bourgees* الداعية إلى تخليص الإعلام وبالتالي تخليص الثقافة التي يحملها من التبعية. لأنه لاحظ أن اختلال التوازن بين الأقوياء والضعفاء في المستوى الاقتصادي قد رافقه بل نتج عنه اختلال آخر أكثر ضراوة وأخطر، لأنه يمس مجال المعلومات وتدفعها بطريقة تعسر السيطرة عليها ويعز التحكم فيها. يقول *هارفي بورج Harvey Burg*¹ « إن تدفق المعلومات في الوقت الراهن يحمل كل مساوئ الليبرالية الحديثة، بمعنى أنها يتم لصالح الأقوياء على حساب الضعفاء. فقانون " أتركه يفعل " إنما هو قانون الغاب، وأنه من الجلي أن حظوظ بلدان العالم الثالث وإمكانياته في المجال الإعلامي أقل بكثير من حظوظ البلدان المتقدمة وإمكانياتها، والفارق بين هذه وتلك لا ينفك يتعاظم كما في الميادين الأخرى.

ومن المفيد في ظل عولمة الإعلام والهيمنة الثقافية التعرض إلى مصطلحات شاع استعمالها وانتشارها في بحثنا الفكرية، وهذه المصطلحات هي وليدة الوضع الراهن أنتجت قوى المعارضة الفكرية للهيمنة الثقافية بقصد كشف خدع العولمة الامبريالية و وهم العولمة الثقافية. وهي الاختراق الثقافي والتبعية والاستتباع الثقافي والاستثناء الثقافي. لأنه يراد لهذه المصطلحات أن تكون واقعا ضمن منظومة الشعوب الذهنية.

أولاً: الاختراق الثقافي

يعتقد البعض أن الاختراق هو الغزو رغم أنه لا يوجد فرق كبير بين المفهومين، حيث أن كلا منهما يسعى إلى تحقيق نفس الهدف وإن كانا يختلفان في الوسيلة يقول *عبد الإله بلقزيز*² « إن مفهوم الاختراق الثقافي اقترن بالتطور التقني في مجال الاتصال والمعلومات، حيث وجدت الدولة المالكة للثقافة نفسها أكثر قدرة على التأثير ثقافيا في الدول الأخرى و بالتالي إخضاعها دون الحاجة إلى التدخل العسكري. وبهذا تخوض حروبها من بعيد حيث تنتشر وتعمم نظام قيمها ومشروعها الحضاري وأهم الأنظمة التي يمارسها الغرب في الاختراق الثقافي هو النظام المسموع المرئي».

¹ . انظر عبد المجيد البدوي، مرجع سابق. ص 10.

² . عبد الإله بلقزيز، النظام الإعلامي السمعي البصري العربي والاختراق الثقافي (نحو إستراتيجية جديدة للدفاع الذاتي، إشكالية العلاقة الثقافية

أما محمد عابد الجابري فيقول: « ومع السيطرة على الإدراك واطلاقاً منها يتم إخضاع النفوس، والقصد تعطيل فاعلية العقل وتكثيف المنطق والقيم وتوجيه الخيال وتنميط الذوق وقولبة السلوك. والهدف تكريس نوع من الاستهلاك بنوع من المعارف هدفها تسطيح الوعي والتوجه إلى سلع استهلاكية تمنع الادخار وتعوق التنمية. وبالتالي لم يعد إخضاع الأبدان شرطاً في إخضاع النفوس لأنه عاد إخضاع النفوس طريقاً لإخضاع الأبدان، وتلك هي حقيقة الاختراق في عصرنا الراهن وذلك هو هدفه»¹.

وهناك من الباحثين من يعرف الاختراق الثقافي كمفهوم وأنه « حركة انتقال الأفكار والعقائد والقيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات الأخرى. والاختراق الثقافي كسياسة وإستراتيجية تنتهجها بعض الدول هو التدخل في شؤون الغير بهدف التأثير في ثقافتهم وسلوكهم ومعتقداتهم. أما الاختراق من حيث أساليبه فهو مجموعة الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التي توجهها جهة أو عدة جهات بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمة أو أنماط وأساليب من التفكير والرؤية والميل إلى تلك الشعوب بما يخدم مصالح وأهداف الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق»².

من خلال تعريفات المفكرين العرب لظاهرة الاختراق الثقافي في ضوء المفاهيم المعاصرة للهيمنة الثقافية العالمية وما أنتجتها العولمة الثقافية فإن الاختراق هو حركة نشطة يقوم بها الغرب بطريقة محكمة تمارس فيها كل طرائق الترويج للمبادئ والقيم والعادات والأنماط والسلوك والثقافة الغربية، وبجميع الوسائل التي تعتمد إلى إنجاح الخرق الثقافي للدول أو المجتمعات. وتعد وسائل الإعلام من بين أهم الأدوات التي تساهم بشكل كبير في إنجاح الاختراقات الثقافية لنشر الثقافة الوافدة أو الدخيلة. و من هنا حددت عناصر الاختراق الثقافي مهما كانت طبيعته أو الفئات الموجهة إليها بما يلي:³

- 1- تبعية ثقافة الدول المستقبلية لثقافة الدول الباعثة، واعتماداً عليها بنويًا في إنتاج القيم والمعنى والأفكار التي تحتاج إليها مجتمعات هذه الدول المستقبلية، سواء كان ذلك بسبب تفوق الثقافات المخترقة في مقدرتها على مثل هذا الإنتاج أو بسبب انعدام الثقة بالنفس لدى الثقافات المستقبلية.
- 2- سيادة الشعور بالتفوق والاستعلاء لدى الدول الباعثة، والنقص والدونية لدى الدول المستقبلية.
- 3- تشجيع نمط عالمي موحد للسلوك الاستهلاكي.
- 4- وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتثبيت دعائم استقلالها السياسي والثقافي.
- 5- تعطيل الإرادة الوطنية للدول التابعة ثقافياً وفقد السيطرة على إعادة تكوين ذاتها أو تجديدها.

1 . محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية. ط: بلا. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 1994. ص 190-192.

2 . باسم علي فريسان، العولمة والتحدّي الثقافي. ط: 1. بيروت: دار الفكر العربي. 2001 ص 43-44.

3 . طه عبد العاطي نجم، مرجع سابق. ص 214.

وفي سياق الحديث عن الاختراق الثقافي للدول و الشعوب ذكر المحلل الأمريكي ديفيد روثكوب David R. النوايا الأمريكية في ضرورة نشرها لثقافتها، و عدد أهم خطوات الهيمنة لأجل التمكن وإحكام السيطرة على العالم:¹

- إزالة كل الحواجز الثقافية والهيمنة حاضرا ومستقبلا.
- إن كل الثقافات بما تحتوى عليه من عادات وقيم لا بد من تغييرها وفقا لما تمليه الحاجات والتغيرات.
- إن أفول التمايزات الثقافية والقضاء على الثقافات القومية يعد مقياسا لتقدم الحضارة الإنسانية وعلامة ملموسة على تعزيز التواصل والتفاهم بين الشعوب.
- أن المجتمعات ليست بحاجة إلى أصولها التاريخية وتراثها الثقافي.
- على جميع الدول أن تتوحد ثقافيا أو على الأقل تتشابه، وأن تلغي كل مؤسساتها التقليدية، وعليها إن تتقارب على أسس من الديمقراطية الليبرالية والسوق العالمية.
- الدعوة إلى اعتماد اللغة الانجليزية هي لغة الثقافة العالمية الجديدة، ولغة للتخاطب على الكوكب الأرضي.

ثانيا: التبعية والاستتباع الثقافي

هناك فرق بين كل من التبعية والاستتباع إلا أنهما يصبان في واد واحد و يؤديان إلى نفس الطريقة والأسلوب المعتمد من الغرب لإخضاع وتطويع الثقافات الأخرى. لقد أسلفنا الذكر بأن التبعية هي أحد الوسائل التي يستخدمها الاختراق الثقافي، فهي تحمل سمة الانتساب الطوعي. في حين يحمل الاستتباع الثقافي «معنى القسر والإكراه فيهدف إلى محو الشخصية وإبقاء الإنسان على أرضه تابعا مكبل الإرادة يشاهد بأعينه كيف تشوه معالم تاريخه وكيف يعبث بتاريخه وتراثه الحضاري وكيف يتم عزله عن محيطه العاجز عن نجدته، وهذا ما يحدث في مجتمعنا العربي»².

إذن يعد الاستتباع الثقافي مفهوما لا يختلف عن التبعية التي قد تكون طوعية، أما الأول فهو مرتبط دائما بالإلزام والجبر والإكراه على التبعية والامتثال وخذو النّمذجة الثقافية الغربية. و يرجع الخبراء عندنا أبرز سمات الاستتباع الثقافي في وطننا العربي إلى المحاولات المهادفة إلى فرض الاغتراب اللغوي والثقافي، وطمس معالم الشخصية العربية، وإغراق المجتمع العربي بنتاج ثقافي استهلاكي يعزز التبعية والارتباط الكامل بالإمبريالية الثقافية. ويقول الدكتور مسعود ظاهر: «ليس بالضرورة أن يسعى الاستتباع الثقافي أو التبعية الثقافية إلى جعل العرب أمريكيين أو فرنسيين أو صهاينة أو غير ذلك، بل إشعار الإنسان العربي بالذليلة والدونية تجاه الدول صاحبة مراكز الإنتاج الثقافي المهيمن في الوطن العربي، وإظهار الفكر العربي بمظهر عاجز»³. يتضح من هذا التعريف أن التبعية الثقافية أنجزت الكثير من

¹ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 214.

² . مسعود ظاهر، مجاهدة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للمشرق العربي. روما: المجلس القومي للثقافة العربية، 1989. ص 29.

³ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 30.

أهدافها في الوطن العربي على وجه الخصوص، حيث شوهدت صورة إنسانه وروحته عنه نمطية تمتاز بالسلبية والاتكالية والقدرية والقبول بالأمر الواقع.

ثالثاً: الاستثناء الثقافي

ويعد الاستثناء الثقافي كذلك أحد مظاهر وآليات العولمة الثقافية. وهو « مفهوم حديث لم يستعمل سابقاً وإنما ظهر مع التصدي للعولمة، وهو تعبير جاء به مثقفو فرنسا منذ فترة وجيزة ليصدوا اتفاقيات 'الجات' الخاصة فيما يتعلق بالجانب الثقافي والفني على وجه التحديد. فقد دعوا إلى أن يتم استثناء المنتج الثقافي من اتفاقيات 'الجات' التجارية والتي تفتح الأسواق للمنافسة الحرة في العالم»¹

لقد شعرت الدول الأوروبية وخاصة فرنسا أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تهمشها في أعمال الإنتاج السينمائي إذا تم إلغاء الدعم عن صناعة الأفلام السينمائية. إذ تتوفر في هوليوود الإمكانيات المالية والتقنية الضخمة، كما تتوفر لهذه الصناعة الهوليوودية سوقاً كبيراً لاستيعاب منتجاتها، بينما لا تخوف من قدرة الأعمال الثقافية الناطقة بالإنجليزية على اكتساح العالم على حساب الأعمال الناطقة باللغات الأخرى. الأمر الذي دفع أحد وزراء الثقافة الأوروبية إلى المناداة بـ "بحرب مقدسة" ضد هذه الإمبريالية الأمريكية، التي تغزو الفكر والعقول وتملك أنماط التفكير وأساليب الحياة»².

وقد صدر في فرنسا كتابان؛ أحدهما بعنوان "الحرب الثقافية" بقلم "هنري جوبا" Henry Juba ، وآخر بعنوان "فرنسا المستعمرة" بقلم "جاك نيبو" Jack Nibo بينهما قاسم مشترك هو لفت النظر بإلحاح وتحذير إلى مخاطر الاختراق الثقافي لفرنسا والدول الأوروبية، وتصدير لهوياتها الثقافية ومسحها التدريجي للمواطن الأوروبي ليصبح تدريجياً عاشقاً ومقلداً لنموذج الحياة الأمريكي.³

أما وزير الثقافة "جاك لانغ" Jack I فيرى أن الثقافة "الأنجلوسكسونية": «تتحرك تحت غطاء الليبرالية الاقتصادية ولا تحتل الأراضي بالقوة العسكرية، ولكنها تصادر الضمائر ومناهج التفكير وطرق العيش. ويضيف: وأياً كانت مبادئ العولمة فإن منتجات العقل لا يمكن مقارنتها بسلع عادية أو بضائع رخيصة». وفي هجومه على العولمة الأمريكية في مؤتمر لليونيسكو انعقد في المكسيك عام 1982 جاء فيه: «لقد علمتنا قدراً كبيراً من الحرية ودعت الشعوب إلى ثورة على الطغيان، ولكنها لا تمتلك اليوم منهجاً أخلاقياً سوى ربح فرص على محاولتها فرض ثقافة واحدة على العالم أجمع»⁴.

1 . عامر ذياب التميمي، «اتفاقية الجات وأثارها الثقافية». مجلة العربي، العدد 477.

2 . المنصف وناس، «العولمة الإعلامية والمجتمع العربي». مجلة الإذاعة العربية، عدد 4. تونس: 1998، ص.8.

3 . نفس المرجع الأنف الذكر.

4 . نفس المرجع الأنف الذكر.

يتضح من خلال ما تقدم أن الفرنسيين كنموذج أوروبي عريق الحضارة والثقافة يعدون باستثناء الثقافة العالمية لصالح الاقتصاد الأمريكي. والشيء نفسه بالنسبة لدول العالم الثالث التي دعت بدورها إلى الاستثناء الثقافي من أجل حماية هويتها الثقافية من الاختراقات الأوروبية والأمريكية. وعليه تظل ثقافات الشعوب مهما كانت هي الضمير الحي للحضارة الإنسانية الواحدة، وهي كذلك البصمة التي تميز كل مجتمع عن الآخر، وهي الهوية والأعراف والتقاليد والقيم والسلوك وكل الأجزاء المكونة للثقافة المنبثقة التي واجهت ولازالت تواجه النزعتين العقلية والتقنية اللتان تعدان من أمراض الحضارة الغربية اليوم.

الإعلام الثقافي والهيمنة الإعلامية

إذا كان القول في الهيمنة الثقافية ما يبرره في سيطرة التقنيات الضخمة التي توظف في سياق مالي وسياسي وفي المقام الأول سعيًا إلى سيادة نمط معين من الحياة، فإنه لا يتصور أن يكون البديل الانغلاق، فهذا ليس واردًا ولا ممكنًا في إطار التنظيم العالمي المعاصر. لأن الاتصال جزء عضوي من العلاقات السياسية والاجتماعية

والاقتصادية والعسكرية.¹ كما أن المعركة الحضارية الدائرة رحاها بين قوى الحضارة الغربية وقوى الحضارات الإنسانية لا يمكن أن تنجح وأن تحقق مهامها دون إعلام ثقافي واع بتحديات المرحلة وطبيعة المواجهة.

والإعلام الثقافي هو ذلك الجزء من مهنة الإعلام الذي يهدف إلى نشر الثقافة وإثارة الجدل حول موضوعاتها نقداً ومناقشة وتصورات ورؤية. وهو في هذا السياق يتبعاً دعم مقدرة الإنسان على أن يطوع العصر والبيئة لأهدافه، وأن يتدبر معنى الحياة والطبيعة، تأسيساً على أن الثقافة هي دعامة السلوك الإنساني، وما دامت من صنع الإنسان فمن الممكن إخضاعها لسلطانه. ويغدو الإعلام الثقافي في هذا العصر لأداء رسالته من المثقفين؛ كتاب لهم من ملكات التحليل ما يدعم عملهم التنويري، لاسيما أن الثقافة في عالمنا المعاصر قد اتسعت آفاقها اتساعاً بعيد المدى. وتأسيساً على هذا الفهم، فإن السمات أو القسامات الأساسية للإعلام الثقافي في هذا العصر يتعين عليها أن تتسم بهذه السمات الأساسية؛ الوطنية، والقومية والعالمية.²

ومن الأهمية أن نشير إلى أن الإعلام الثقافي في العالم الثالث وفي منطقتنا العربية خصوصاً، وحتى يومنا هذا لم يأخذ حيزه المناسب بين سلسلة من البرامج وصفحات الجرائد، بحيث يمكنه من المشاركة عملياً في شق تيار ثقافي

¹ . نوال عمر، مرجع سابق. ص 253.

² . انظر عبد العزيز شرف، الصحافة المتخصصة ووحدة المعرفة. ط: 1. القاهرة: عالم الكتب، 2003. ص 186.

محلي فاعل. واقتصر على أن يكون واجهة تزيينية وضرورة تبويبية نلاحظها ونحن نتصفح جرائدنا اليومية. ففي بلداننا لم ينشأ الإعلام الثقافي كحالة ثقافية ملحّة، وإنما كتقليد لمنابر ثقافية أخرى، من هنا لم يكن له ذلك الإيقاع المؤسس والحقيقي لحركة ثقافية فاعلة.

وتحاول المنظمة العربية للثقافة والآداب والعلوم النهوض بهذا القطاع، فجاء في تقريرها أن النظام العربي الجديد للإعلام والاتصال يهدف إلى تحقيق تطور الفرد والمجتمع بمساهمة الإعلام. ولذا فإن هناك مهمات أساسية لوسائل الاتصال في مجالات عدة، ولعل المجال الثقافي كان أهمها إذ جاء في التقرير ما يلي:¹

المجال الثقافي؛ ترسيخ الثقافة القومية والحفاظ على الخصوصية القومية، وتغيير اتجاهات الناس وقيمهم، وربط حاضر الأمة بماضيها، وتعميق المفاهيم الروحية، وتطوير اللغة العربية، والتكيف مع التغيرات الحضارية والثقافية والعلمية. أما في المجال الوطني والقومي وهي في مضمونها مستمدة من القيم؛ فغرس المفاهيم الثقافية المعاصرة عن الوطن والوطنية، والارتباط بالأرض بالانطلاق من الوجود الاجتماعي والثقافي والروحي والحضاري للأمة العربية، ومواجهة الغزو الثقافي الأجنبي الذي يهدد شخصية الأمة العربية وهويتها وقيمها الحضارية ويشوه تراثها وتاريخها.

وقد يكون من المفيد أن نستعرض بصورة أدق الوظيفة الثقافية لأجهزة الإعلام في إطار العلاقة بين أجهزة الإعلام والثقافة، والتي تتداخل بعضها مع بعض ويصعب التفرقة بين وظائف أجهزة الإعلام والثقافة. وسنوجز هذه الوظائف فيما يلي:²

1. التثقيف والتربية ونشر المعرفة وتهذيب الذوق العام والحفاظ على التراث بين الأجيال وإثرائه.
2. النهوض بالإنتاج الفكري واستحداث وإبراز الإنتاج البشري بكل أوجهه الفكرية والفنية والمادية، ونشره وتوزيعه والتفاعل معه.
3. الترفيه بشق صورته ضمن سياق مؤثر فعال يساعد على تطور الإنسان واستكمال مقومات شخصيته. وتعد هذه الوظيفة من الوظائف المستحدثة في بحوث الإعلام. بقول الدكتور عبد العزيز شرف³ عما أسماه بوظيفة الإمتاع والمؤانسة في وسيلة الجرائد والمجلات: «وإلى جانب الوظائف الرئيسية التي تنهض بها الصحافة في الإعلام والأخبار، والشرح والتفسير للأفكار والأحداث، تزيد الصحافة تركيزها في أداء وظيفة الإمتاع والمؤانسة، وهناك سابقة تاريخية لهذه الناحية من عملها. ذلك أن المغني المتجول القديم الذي كان يأتي بالبشائر والإنشاد والإشعار في بطولات

1. انظر فريد النقاش، حول «التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانية الخروج منها». مجلة الآداب ونقد، العدد 7، السنة الأولى، 1984، ص 13.

2. انظر مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد. مرجع سابق ص 198.

3. عبد العزيز شرف، الصحافة المتخصصة ووحدة المعرفة.. ص 66.

الفرسان العرب، لم يكن يحتفي به من أجل الأبناء، بل لمقدرته على الغناء والإنشاد والارتجال. يقول الأستاذ بوند: إن الجريدة والمجلة تجتذبان الجمهور الشغوف بالمرح بفضل ما تنشران من طرائف الحياة اليومية على شكل قصص ذات نزعة إنسانية. وما تنشرانه من النوادر والقصص الفكاهية والمجال الذي تفسحانه أمام تشكيلة متزايدة من مواد التسلية التي تشتمل موضوعات محببة، مثل أقوال الأطفال الطريفة والكلمات المتقاطعة والأبواب الفكاهية.»

وتنطوي هذه الوظائف على جملة من الغايات، ولعل أهمها حماية الهوية الثقافية وتمكين الثقافات الوطنية من التكامل ومن الإثراء. كما أن على أجهزة الإعلام صون الذاتية الثقافية من الغزو الفكري الأجنبي، ووقاية مقومات أصالة الأمة من مخاطر التيارات الثقافية الأجنبية، والحفاظ على اللغة من الاندثار والذوبان وتطويرها على غرار نظائرها من اللغات العالمية الأخرى، والإسهام في التنمية الثقافية والرفع من المستوى الفكري لتصبح الأمة قادرة على استيعاب مقومات التطور والنهضة.¹

وفي سياق الحديث عن وظائف الثقافة و ضمن منظومة المجتمع، يفرق الباحثون في مجال الثقافة بين أنواعها الثلاثة الأكثر تصنيفا في بحوث الإعلام الثقافي:²

الثقافة الراقية؛ وهي ثقافة الصفوة والتي سجلت في الكتب الدراسية والأدبية والفنية، وهي الأعمال الفنية الراقية والتي أنتجت للنخبة المتعلمة.

الثقافة الشعبية؛ وهي تتسم بالتلقائية التي يصنعها الشعب وتنمو نموا من أسفل، تصنعها الجماهير لتعبر بها عن نفسها من خلال مواهب طبيعية لدى الفنان الشعبي.

الثقافة الجماهيرية؛ وهي التي تستمد مضمونها من الثقافة الراقية ومن الثقافة الشعبية، وهي منتج من منتجات وسائل الاتصال الجماهيري، وهي معدة للاستهلاك الجماهيري وتعمل على إرضاء أذواق الجماهير وتوحيدها، وهي ثقافة مصنعة مفروضة على الجماهير من أعلى.

إن من أكبر الإشكاليات التي اعترضت سير عمل وسائل الاتصال الجماهيري، هو علاقتها بالحقيقة والقيمة. حيث لا زالت تطرح عديدا من التساؤلات من قبل الباحثين والمتخصصين يدور محتواها حول جدية هذه الوسائل في التعبير عن الواقع ونقله بصورته الحقيقية البعيدة عن التهويل أو التهوين. وهل مضامينها تجعل القارئ أو المستمع أو المشاهد يعيش واقعه فعلا؟ والشيء نفسه طرح بالنسبة للقيمة. هل حافظت هذه الوسائل على قيم المجتمعات الموجودة فيها وعززتها أم عملت ضدها أم أسست لقيم جديدة؟

¹ . مصطفى المصمودي، مرجع سابق. ص 198.

² . انظر صالح أبو الأصعب، " تحديات الإعلام العربي. المصادقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية ". دراسة في الإعلام، مرجع سابق. ص 56.

يرى ريفرز *Rivers* ورفيقاه¹ أن الثقافة الجماهيرية قد أصبحت عمليات ممكنة في ظل ظروف الاستهلاك الكبير والتقدم التكنولوجي الذي سهل الاتصال وجعل منه تجارة رائجة، وهكذا باتت الرسائل الإعلامية خاضعة لقانون السوق التجاري. وحيث إن السوق التجارية تتطلب دوماً المزيد من السلع بأرخص الأسعار ولتخاطب متوسط الأذواق، فإن هذا استدعى تبسيطاً وتسطيحاً للثقافة، والهدف دوماً هو كسب أكبر قدر من الجمهور القارئ أو المستمع أو المشاهد. ولكي يتحقق ذلك لجأت وسائل الإعلام إلى اقتناص جمهورها تستحوذ على الانتباه وخاصة من خلال الترفيه والتركيز عليه.

وهنا يطرح إشكال متعلق بوظيفة الترفيه الذي تبثه وسائل الإعلام، ولطالما كثر الحديث وما زال عن هذه الوظيفة الثقافية لأجهزة الإعلام بين المفكرين والدارسين، هل يحمل الترفيه في صورته المعاصرة قيمة إنسانية أم هو خال من تلك القيم؟

إن النظر في واقع الوظيفة الترفيهية لوسائل الإعلام، وهي وظيفة مستحدثة، نلاحظ سيطرة الترفيه على مضمون هذه الوسائل، ويستوقفنا أمام مشكلات تواجه عمق الثقافة الجماهيرية. فقد تعمدت القوى الامبريالية

المهيمنة على جهاز الإعلام والثقافة في منظومة العولمة الثقافية وخاصة القوى الاقتصادية الاستعمارية، أن تجعل من وظيفة الترفيه في وسائل الإعلام المعاصرة أداة للسيطرة وتغيير مسار الإعلام الثقافي كما نصت على ذلك المواثيق الدولية. وذلك لأجل تحقيق غايات ثقافية مسطرة، مستعملة تطور تكنولوجيا الاتصالات، وخاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي تسيطر اليوم ودون منازع على أسواق الاستهلاك الثقافي للشباب في العالم.

وتعد الولايات المتحدة المهيمن الأول على صناعة الأشرطة في العالم. وينبع مركز السيطرة الأمريكية على صناعة الأفلام الشبابية في مجال العنف والجنس وحصص التسلية الموجهة في السوق العالمية من عدة أسباب: ضخامة الاستثمارات في قطاع الأشرطة مع التقنية المتقدمة التي رافقت الإنتاج السينمائي، امتداد الشركات الأمريكية إلى أسواق أخرى كفتحت فروع لها في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، الأشرطة الأمريكية هي الأكثر توزيعاً في العالم، شركات الأشرطة تسيطر أيضاً على شبكة من شركات التوزيع ذات الامتداد والفاعلية في العالم كله، حيث يجد المنتجون من بلدان أخرى أنفسهم مضطرين إلى توزيع أشرطةهم من خلال الشركات الأمريكية.²

فبديهي إذن أن السباق نحو الفضاء وزرع الأقمار الصناعية وغزو السوق العالمية بالأفلام والأشرطة الترفيهية ليست غايته فقط تحقيق ديمقراطية الرفاهية وكونية المرح والترفيه، بل تمرير الأيديولوجيات الليبرالية الجديدة بواسطة

¹ . انظر صالح أبو الأصعب، " تحديات الإعلام العربي. المصادقية، الحرية، التنمية، والهيمنة الثقافية ". دراسة في الإعلام، مرجع سابق. ص 56.

² . صالح أبو الأصعب، « وسائل الإعلام الغربية والانقلاب الثقافي ». شؤون عربية (تونس) جامعة الدول العربية. العدد 17، يونيو 1982. ص 178.

الصورة الحاملة والأكلات الخفيفة والأضواء المغربية.¹ يقول إيريك بارنو² Erik Barnouw مؤرخ التلفزيون الأمريكي « إن مفهوم الترفيه في تصوري هو مفهوم شديد الخطورة، إذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه في أنه لا يتصل من بعيد أو من قريب بالقضايا الجادة للعالم. وإنما هو مجرد شغل أو ملء ساعة من الفراغ. والحقيقة إن هناك أيديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الأهمية عنصر الواقع في تشكيل آراء الناس.»

إن الإسراف في المشاهدة الترفيهية للوسائل المرئية يؤدي عند الاختصاصيين إلى نتائج سلبية وإلى تعطيل القدرات العقلية والمعرفية وتجميد الطاقات الإبداعية. بل إن « تأثيرها في ثقافة الشبان سيكون له أثر مستقبلي قوي، إذ شباب اليوم هم نخب المستقبل، ووصول أمريكا إليهم في عمر الشباب يعطيها أفضلية في التأثير فيهم عندما يصبحون راشدين ونافذين في مجتمعاتهم واقتصاداتهم.»³

ولذلك ذهب شيلر⁴ إلى أن الاعتقاد بأن الأفلام التي أنتجتها صناعة السينما الأمريكية هي مجرد الترفيه ولا تنطوي على أي معنى اجتماعي في الأساس، إنما يعني التجاهل عن عمد لأقوى أشكال الهيمنة الثقافية.

فالمعلومات الترفيهية تتدخل في رسم صفة الذات الفردية للمواطنين، كما تتدخل في التعميم والتأثير الشامل لتكوين وإعادة صياغة الأنماط العامة للحياة، من خلال إعطاء تحقيق يومي للمجتمعات بواسطة الوسائل الاستهلاكية التي هدفها الأساسي تدمير الذات الشخصية للفرد والهوية الثقافية للشعب عن طريق تغير العادات والتقاليد التي تمتاز بها من أجل قيم مغايرة في المجال الاجتماعي الاقتصادي الثقافي والديني. « إن التزاوج بين تكنولوجيات الاتصالات وبرامج المعلومات والترفيه أو ما يسمى بقطاع الاتصالات المعلوماتي الترفيهي، جعل هذا القطاع يستهدف الروح الإنسانية ليحولها إلى علاقات بالسلع والبضائع.»⁵

وقد أشار تقرير اليونسكو⁶ إلى واقع البرامج الترفيهية التي يروج لها في الوسائل الإعلامية العالمية وتستهلكها أسواق العالم الثالث بأنه « مبتذل وغطى بدرجة تجعله يجد من الخيال بدلا من أن يثيره، وتحمل تأثيرات المصالح التجارية والإعلانية وكذلك ما يقره البيروقراطيون من كل نوع من الالتزام ثقافي عقيم، مخاطر سطحية وإفقار وتجويف

¹ . مصطفى بن تمسك، مرجع سابق. ص 97.

² . انظر جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية، عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق. عنابة، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، 2003. ص 135.

³ . المنجي الزيدي، مرجع سابق. ص 202.

⁴ . هربرت شيلر، الاتصالات والهيمنة الثقافية. مرجع سابق. ص 118.

⁵ . مؤيد عبد الجبار الحديشي، مرجع سابق. ص 204.

⁶ . صابر فلحوط وسجاد الغازي، الاتحاد العام للصحفيين العرب: تأسيسه، مؤتمراته، قراراته. بغداد: الاتحاد العام للصحفيين العرب، 1982. ص

الحياة الثقافية. وليست هذه هي كل أوجه التناقض، في بعض الأحيان أدت الفرص الجديدة المتاحة إلى إثارة الإبداع الخلاق لدى الأفراد وأدت في أحيان أخرى إلى تشجيع التقليد والسلبية لدى الجمهور، وقد تأكدت في بعض الأحيان الذاتية الثقافية للأقليات العرقية وغيرها من الأقليات باستغلال السبل الجديدة للتعبير، وإن كانت المؤثرات الخارجية قد طغت عليها في كثير من الأحيان. إن المسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيرية مسؤولية هائلة. سواء كاد ذلك خيرا أم شرا. ذلك أنها لا تقوم بمجرد نقل الثقافة ونشرها بل بانتقاء محتواها أو ابتداعه.»

لقد انهار إذن بهذه التقارير الدولية الجدار السميكة الذي كان يفصل بين قطاعات الإعلام والتربية والثقافة والترفيه. يقول عبد الرحمان عزي¹ «لقد عملت الثقافة المعاصرة في الغرب على خنق وكنم العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، فيروي الراوي من أدجل الرواية، ويرسم الفنان من أجل الفن ولا يرتبط هذا أو ذاك بأي نظام من القيم. هذه الثقافة تحتزل وتختصر الظواهر الثقافية إلى اللاشيئية *Nothingness*، وجانب اللاشيئية في الثقافة المعاصرة ليس عرضيا فالتوجه العام يقوم على منع الأفراد من التقويم النقدي والمشاركة في إنتاج ثقافتنا». كما أفرد هيربرت شيلر فضلا كاملا من كتابه المميز "المتلاعبون بالعقول" تعرض فيه بالتحليل إلى التقنيات والخدع التي يستعملها القائمون على وسائل الإعلام الغربية في تضليل الشعوب والجماهير، والتي يكون هدفها النهائي امتصاص طاقة رد الفعل الإنساني وتهميد العقول وتحجيم النشاط العقلي وتسكين الوعي النقدي للأفراد.²

¹ . عبد الرحمان عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية المعاصرة بعض الأبعاد الحضارية. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1995. ص 91.

² . هيربرت شيلر، المتلاعبون بالعقول. ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة (243)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: مطابع الوطن، 1999. ص 46.

المبحث الثالث

الدور الوظيفي للصحافة العربية المكتوبة بين الخصوصية وآثار العولمة الثقافية

الصحافة الورقية أم الإعلام*¹

* . تُنصُ الفقرة الثالثة من المادة الأولى من المرسوم بقانون رقم 20 لسنة 1936 بشأن المطبوعات على أنه: يقصد بكلمة "جريدة" كل مطبوع يصدر باسم واحد بصفة دورية في مواعيد منتظمة، بينما يعرف القانون رقم 96 لسنة 1996 الصحف بأنها المطبوعات التي تصدر باسم واحد وبصفة دورية كالجرائد والمجلات و وكالات الأنباء. (محمود علم الدين، مدخل الفن الصحفي. مرجع سابق. ص 5).

تستخدم ككلمة الصحافة بدرجات مختلفة من الشمول؛ فهي تعني أحيانا الجرائد الإخبارية، كما تعني أحيانا جميع المطبوعات والدوريات التي تنشر الكلمة المطبوعة، وقد تعني أحيانا أخرى الإعلام الجماهيري. يقول بيير ألبير: «كلنا نعلم بالخبرة ما هي الصحيفة أو المجلة المصورة أو المجلة

تعد الكلمة المكتوبة أهم وسائل التعبير والممارسة الديمقراطية الفكرية والثقافية للدور القيادي لها في تاريخ الثقافة الإنسانية. ولا تزال الأداة في يد الطبقة المثقفة المفكرة للتعبير وإبداء الرأي في العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.¹

وذكر الكاتب الفرنسي المعاصر البروفيسور جورج ديهاميل Dohamel George دور القراءة، فقال؛ أن «أساس الثقافة هو فهم الظواهر والكتب والكائنات والنفوس. حتى النافذ والموهوب عرضة دائما للتردد والذهول والإغماء، واقدرها على الانتباه في حاجة دائما إلى الرجوع إلى الموضوع والعناصر وإلى الحجج التي يتناولها العرض أو المناقشة، وهذا الرجوع الذي يقصد منه إلى دقة الفهم. هو على وجه التحديد ما نسميه بالتفكير، فالرجل الذي يقرأ يقف في كل حين ليفكر، أي ليحاول أن يعود فيتناول الفقرة من جديد فيقرأها مرة

ثانية وثالثة ورابعة بل وعاشرة. وهذه الطريقة لا تتفق و فنون الحركة ، فإننا عندما نسمع " سيمفونية" أو نشاهد تمثيل " تراجيديا" لا نستطيع أن نعود إليها. على حين أن الكتاب يمكننا من التفكير تفكيراً ضرورياً وإن يكن لاحقاً».²

كما ذكر عبد العزيز شرف أنه يمكن القول إن الكلمة المطبوعة في الفن الصحفي باعتبارها أداة من أدوات المساس بالعواطف البشرية والتأثير في الفكر والسلوك، تتصف بنقطة ضعف بارزة وقوة. فهي الوسيلة الخالية من الصوت البشري، ويخلوها منه تفقد العنصر الذي تستمد منه اللغة الإذاعية والمرئية دفعا وتأثيرا. على أن في هذا الضعف قوة، فالكلمة الصحفية هي الأداة التي تمكن الجمهور فيستطيع أن يسبق الكلمات أو يتوقف عند بعضها متذوقا، ويستطيع التحكم في الوقت، وعدم خضوعه لسرعة الصوت، بحيث يرتد إلى الوراء وأن يسقط بعضها أيضا.³

وتأسيسا على هذا الفهم، فإن الصحافة المكتوبة لم تنزل قوة مؤثرة، وهي في الحقيقة قوة الكلمة التي تستمر في العقول والأذهان، وتتجاوز مع آمال الأمم وطموح الشعوب. الكلمة التي نزلت بها رسالات الأنبياء وصنعت عقائد البشر، وزرعت في نفوسهم الإيمان وأصبحت خالدة بجلود الأرض، وهي التي صنعت التاريخ وأشعلت الثورات. فالكلمة هي هذا الشيء المقدس الذي يتمثل في الصحافة قوة وتأثيرا وتوجيها لأعلى مستوى الفرد، بل على مستوى المجتمع والأمة جميعا والعالم بما فيه ومن فيه.⁴

العادية أو النشرة، و ندرك رغم تباينها شكلا و مضمونا عائلية كل منها لمجموعة مشتركة هي الصحافة الدورية، إلا أن هذا الإدراك التجريبي لا يمكن أن يكفي للتعرف بما « (الصحافة) ترجمة: خير الدين عبد الصمد. سوريا: منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1976. ص 9).

1 . نسمة أحمد البطريق، مرجع سابق. ص 8.

2 . انظر عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 23. 24.

3 . عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 360.

4 . جلال خليفة، الصحافة مقروءة مرئية، مسموعة مدرسية، مسجلة. القاهرة: مكتبة الأجلو المصرية، 1976. ص 2.

لذلك تنفرد الصحيفة الورقية المقروءة كوسيلة إعلامية بأهمية مميزة، لمقوماتها الذاتية وتاريخها المتأصل وإسهاماتها في ميادين الثقافة والتربية والعلوم والأدب والفن. وهي من أقوى وسائل الشكيق والتربية القومية، وأكثر وسيلة إعلامية تساعد على أداء الرسالة الإعلامية. كما تساهم الصحافة في العملية الحضارية للأمم والشعوب خاصة إذا أعطيت لها حرية ولو نسبية، لذلك نرى الحكومات تعمل على جعل الصحف أو بعضها ضمن الجهاز السياسي للدولة.¹ وتنبع أهميتها من كونها تخاطب في الغالب المستنيرين وأهل المعرفة والرأي ومن هم في مواقع الفعل والتأثير.

ويذكر جورج ديهاميل Dohamel George أن « الصحافة تستطيع أن تكون في أيامنا وسيلة مدهشة للمعرفة، وذلك على فرض أنها. و أنا أعترف أنه فرض مسرف. تستطيع أن تتحرر من رق المادة

ورق السياسة، وعلى فرض. و هذا الفرض الآخر لا يقل هذيانا من سابقه ولكن لنفترضه مع ذلك. على فرض أن تتخلص من الأهواء الشخصية وأن تخصص كل مجهوداتها لأداء واجبها الإخباري الثقافي. ولو صح ذلك لاستطاعت أن تلعب دورا هاما في تثقيف الجمهور وهي تملك كل ما يمكن تصوره من وسائل للتثقيف».²

إن الصحافة المكتوبة ليست تعبيرا عن آراء واختيار محرريها بقدر ما هي صدى لأفكار وأذواق القراء. فمهما تكن أساليب التعبير وطرق الأداء الإعلامي، إلا أنها بالنتيجة تعبير عن عقيدة الإنسان وأفكاره وما يلتزم به من قيم. ومن ثمة نجد أن الإعلام عن قضية يختلف من شخص لآخر، وما ينطبق على الفرد ينطبق على المجتمع. فلكل مجتمع انطلاقا من شخصيته الحضارية ومن القيم التي تسوده مواقف إعلامية خاصة.

ولا تزال الصحافة لها الأثر القوي على الرأي العام وخاصة في البلاد الديمقراطية،³ لأن للكلمة المطبوعة تأثيرها على تشكيل الوعي الإنساني. وإذا كان من العسير أن نميز أو نعزل تأثير الصحافة عن غيرها من المؤثرات الجماهيرية الأخرى، فإن قياس وتحديد تأثير الصحافة على الجماهير أمر يكاد يتفق عليه أصحاب السلطة والباحثون وغيرهم، اعتمادا على دلائل كثيرة مقنعة أكثر من اعتمادهم على أبحاث وتجارب علمية لا تحتمل الجدال.⁴

يقول فيليب غايار Philip Gayar في كتابه **تقنية الصحافة**⁵: « فقد قلصت الصحافة من اندفاعها وراء السبق الصحفي، حيث تفوق عليها الراديو والتلفزيون بعض الأحيان في هذا الميدان ». ثم يتراجع بعد حين عن موقفه بقوله: « تلعب الصحيفة دورا مزدوجا بين وسائل الإعلام الحديثة، فهي من جهة تنشر جميع الأخبار الجديرة

1 . أسعد السحمراني، **الإعلام أولا**. ط: 1. بيروت: دار النفائس، 1994. ص 50 - 53.

2 . عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة. **مرجع سابق**. ص 21 - 22.

3 . أحمد الخشاب، **الاجتماع الديني**. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1964. ص 327.

4 . انظر جلال خليفة، **مرجع سابق**. ص 2.

5 . فيليب غايار، **تقنية الصحافة** ترجمة: فادي الحسيني. ط: 1. بيروت: منشورات عويدات، 1973. ص 14.

بالاهتمام، ومن جهة ثانية تكمل الأخبار التي أذاعها الراديو وتستكشف الأحداث التي أثار التلفزيون الاهتمام بها وتعززها بالوثائق المتعددة»¹.

وفي هذا السياق يقول عبد اللطيف حمزة²: «فالصحافة بلا شك أقدر في هذه الناحية من الإذاعة ومن الخطابة، بل هي أخطر منهما في الوصول إلى هذه الغاية. والسبب في ذلك أن الصحيفة تستطيع بخلاف الخطب والإذاعة أن تدعو إلى فكرة من الأفكار أو من الآراء، وأن تكرر هذه الدعوة يوماً بعد يوم بصورة مختلفة.

والصحيفة بهذا التكرار أشبه شيء بقطرات الماء التي تسقط تباعاً وباستمرار على صخرة قوية، ولا بد أن تخترق هذه الصخرة وقد تصل إلى تحصيلها وتهشيمها في نهاية الأمر».

ولذلك نجد أن للصحافة المعاصرة تأثيراً هائلاً على الحياة اليومية لقرائها، وهذا التأثير الضخم يعوضها عما فقدته على المستوى السياسي عامة. يذكر إبراهيم الشامي³ أن «الصحافة المطبوعة تتمتع بعدة مميزات عن باقي الوسائل الإعلامية الأخرى، تعطى القدرة على الاستمرار في ظل مجابهة الوسائل الحديثة. فيستطيع الإنسان أن يقرأ الصحيفة مرات بيسر وسهولة».

ولهذا فالصحافة الورقية تعد أم الإعلام، وهي أولى الوسائل الإعلامية و أقدمها ظهوراً ومعايشة مع القارئ مقارنة بالسينما والإذاعة والتلفزيون. تتيح للمتلقي القدرة على تلقي المعلومات، ومن ثمة إمكانية تحليل الكلمات بشكل أفضل دقة وتفصيلاً. فضلاً عن التعمق في تناولها للموضوعات الساخنة التي تثير نوعاً من التفاعل بين الجماهير والمسؤولين، فهي بمثابة الرقيب الذي يبحث عن الحقائق من مصادرها الرئيسية لصالح الجماهير.

وأشار عديد من الباحثين أن الصحافة الحالية والمستقبلية سيكون دورها الأساسي في التغطية العميقة المتخصصة وتقديم أخبار وتحقيقات عن المجتمع⁴، وبالتالي هذا يشير إلى أن الصحافة المطبوعة لم تتراجع شعبيتها أمام القنوات الفضائية والوسائط الإعلامية الأخرى، بل أصبحت لها خصائص ومميزات أخرى تميزها عن غيرها من وسائل الاتصال.

1 . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 16.

2 . عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي. ط:3. القاهرة: دار الفكر العربي، 1965. ص 28.

3 . أستاذ الصحافة بجامعة الإمارات. « الانترنت تقلب عالم الصحافة رأساً على عقب »، جريدة البيان الإماراتية. في

www.albayan.com .1999/11/23

4 . محمد عثمان، عرض كتاب « وسائل الإعلام . مدخل إلى الاتصال الحديث»، مجلة الدراسات الحديثة الإعلامية. العدد 63 أبريل . يونية 1991.

وستظل الصحافة حافظة لموقعها وسط الوسائل الإعلامية الحديثة أيضا، ولن تؤثر عليها بالشكل الذي يروج له البعض¹ وبخاصة الانترنت. فمع انتشار الإذاعة والتلفزيون في النصف الأول من القرن العشرين، بات لهما سوق رائجة في ممارسة نقل الأخبار والدعاية السياسية، لدرجة أن بعض المفكرين والإعلاميين توهموا أن ذلك سيقبل من شأن الصحافة الورقية، وشكوا في قدرتها على الاستمرار وتأثيرها ودورها مع استخدام الإعلام المسموع والمرئي. إلا أن الوقائع أتت تدحض ذلك الزعم، لأن لكل وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري ميزتها التي تنعدم في الوسيلة الأخرى.²

لقد جرت العادة أن مع كل ظهور لوسيط إعلامي جديد يتواتر حديث الاتهام والانقراض. لكن الحقيقة التاريخية أكدت في كل مرة أن كل وسيط جديد يلقي بضلاله على ما قبله، وأن لكل منها خصائصها وساحة عملها وتأثيرها، وكل مهمة إعلامية ستختار وسيطها الأمثل وبالتالي يصعب الاستغناء بوسيلة إعلامية عن الأخرى.

بل يذهب بعض فلاسفة القرن العشرين إلى أكثر من هذا حينما يقدم الصحافة المكتوبة على قريناتها من وسائل الإعلام الأخرى كالتلفزيون والسينما. ويناقشون بعمق وبنظر فلسفي محيط حينما يقررون أن التلفزيون والسينما ليسا من أجهزة الثقافة التي يعتمد عليها في تكوين الأفراد و المجتمعات على خلاف الصحافة الورقية؛ لأن « القراءة معناها الاختيار إذ أن من يقرأ ينتقي أي يختار. ووظيفة الاختيار من أولى وظائف الطبيعة، فالكائن الحي حي لأنه يختار... و نحن عندما نقرأ كتابا أو مجلة أو جريدة نختار مادة لروحنا».³ ولهذا عندما نظر هؤلاء إلى الأجهزة الآلية يجدون أن « ملكة الاختيار مهددة محتقرة عند تلك المذيعات الحديثة القوية، أعني السينما والراديو عندما تضيع أغذيتها الروحية المححوه المعالم».⁴ فالراديو والسينما يقدمان أشياء مسرفة الكثرة لا نشعر معها برغبة في أن نحقق أو نختبر أو نكمل، بل ولا في أن نفهم. وإنما نأخذ منها ما نأخذ خطفا وكيفما اتفق أما ما يفوتنا فليفلت وليس هذا منهج الثقافة.⁵

لقد خشي المفكرون أن تشغل الصورة التلفزيونية القارئ المتلقي،⁶ ويخشون كذلك أن تكون الصورة من عوامل الإيجاء لمشاهدي التلفزيون بأن جهازه إنما يهدف إلى التسلية والترفيه أكثر مما يهدف إلى التثقيف والتوجيه. وكان هؤلاء يصيرون ملحين في استعجاب إن الإنسان يصعب عليه أن يلاحق الصورة التلفزيونية، كما أنه لا

1 . سعد الغريب، الصحافة الإلكترونية والورقية دراسة مقارنة في المفهوم والسمات الأساسية. القاهرة: دار الكتاب العربي، 2000. ص 181.

2 . عبد العزيز شرف، الإعلام ولغة الحضارة. ط: بلا. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع. ص 110.

3 . انظر عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 24. و الفيلسوف المقصود هو ديهاميل.

4 . نفس المرجع الأنف الذكر.

5 . نفس المرجع الأنف الذكر.

6 . راجع فكرة الموضوع عند عبد العزيز شرف. وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 16 . 32.

يستطيع أن يقف برهة ليتدبر المعاني أو يفكر فيها. على عكس الكلمة المكتوبة في الصحف فمن السهل أن يقف الإنسان عندها ليفهمها على مهل ويناقشها بينه وبين نفسه. فالقراءة لا تزال إلى يومنا أعمق وأصح وسيلة للمعرفة والفهم و الثقافة.

أما عن علاقة الصحافة الورقية بالإنترنت في أيامنا، فلا شك أن الإنترنت ليس باستطاعة كل الناس استخدامه أو اقتنائه، و خصوصا في الدول غير المتطورة. كما أن الإنترنت يزيد بدوره من انتشار الصحافة، فالصحيفة التي تقرأ عبر الإنترنت هي الصحيفة الورقية جنبا إلى جنب الصحف الإلكترونية. ورغم ذلك تضل

القراءة عبر الورق أسهل وأيسر وأكثر عمقا من الإنترنت.¹ لأن الصحافة هي الكلمة المكتوبة، هي الفكرة والرأي والخبر محتفظ بها ضمن رموز ثابتة. يمكن استرجاعها ومراقبتها وتحليلها والتدقيق فيها، ومحاورتها بالطريقة التي تحلو لنا. يقول أحمد فرحات: « إن الكلمة المكتوبة أقوى في تأثيرها من الكلمة المقروءة أو المسموعة، فالعلاقة بين الإنسان والقراءة عبر الورق علاقة تاريخية على مر الزمن، لا يمكن أن تلغى أو تزول بمجرد ظهور وسيلة أخرى أو وسيلة منافسة. وستظل هذه العلاقة قائمة لن تتغير حيث لا يمكن للإنسان أن يستغني عن الكلمة المكتوبة».²

كذلك متعة القراءة من بين الأشياء التي تحفظ للصحافة الورقية استمرارها في مجابهة أعتى الوسائل إثارة للذهن في ظل سهولة العودة إليها والعمق في محتوياتها.³ فلا تزال قراءة النص المطبوع عادة لها سحرها لدى القراء. كما تتيح الصحيفة للقارئ مزية الاختيار من بين عدد كبير من الرسائل والمضامين والأخبار والموضوعات التي تقدمها يوميا أو أسبوعيا. فالقارئ بإمكانه تجاهل المادة أو الموضوع التي يتنافر معرفي معه، أو الخبر أو التعليق الذي لا يتوافق واتجاهاته السياسية و الفكرية. كما تمكنه من اختيار الوقت الملائم للتعرض لمحتوياتها مع إمكانية الرجوع للمادة أو الموضوع الصحفي لاحقا.

و بهذا لن تصبح الصحافة الإلكترونية أبدا بديلا عن الصحافة المطبوعة، ولم يشر تاريخ وسائل الإعلام التقليدية إلى ذلك. ولم يشهد باختفاء وسيلة بظهور وسيلة أو تكنولوجيا أخرى جديدة، بل إن ما يختفي هو فقط طرق وأدوات إنتاج. فالراديو لم يقض على الصحافة وكذلك ظهور التلفزيون لم يقض على الراديو، بل هناك تعايشا وتكاملا بين الوسائل الإعلامية المختلفة.

1 . سليمان صالح، « مستقبل الصحافة المطبوعة في ضوء تكنولوجيا الاتصال ». جامعة القاهرة، كلية الإعلام، المجلة المصرية لبحوث الإعلام. العدد:

13. أيلول 2001، ص 50.

2 . سليمان صالح، مرجع سابق. ص 52.

3 . انظر سعد الغريب، مرجع سابق. ص 186.

إن المتوقع أن تحتل الصحافة الإلكترونية التي تعتمد على النص والوسائط الفائقة مكانها جنباً إلى جنب مع الصحافة الورقية المطبوعة، ويعود ذلك للميزات التي تتميز بها الصحف الورقية عن تلك الإلكترونية. وأهمها أن الصحافة الورقية قابلة للنقل وقابلة للحفظ وتقرأ براحة أكبر من الإلكترونية، فضلاً على أنها لا تحتاج إلى مهارات خاصة كاستخدام الحاسوب الآلي وتقنياته. وأوضح المؤتمر العالمي للصحافة¹ في مطلع هذا القرن عام 2001 م أن سرعة وضع مواد الصحيفة على الانترنت يؤدي إلى تزايد الأخطاء الموجودة في الصحف الإلكترونية والمواقع الإخبارية. كذلك تزايد شك الجمهور في المعلومات والمواد التي تقدمها. بينما أشارت الدراسة التي قامت بها الجمعية العالمية للصحف إلى أن الصحافة الإلكترونية حتى الآن هي مجرد امتدادات لصناعة الصحافة المطبوعة. وأن معظم الصحف تقدم أكثر من نصف المضمون الذي تقدمه على مواقعها على الانترنت من خلال طباعتها الورقية، وتكتفي بإضافة بعض المعلومات العاجلة إلى هذا المضمون حتى تعطي للقارئ انطباعاً بأنها توفر له النقل السريع للأخبار.²

لذلك لا يعتقد أصحاب الرأي³ أن الصحافة الورقية ستندثر أو تتلاشى في يوم ما، فكل الدلائل في الدول ذات التقدم التكنولوجي تشير إلى أن هناك حالة تطور متزايدة للمطبوعات، مما يشير بأن مستقبل الكلمة المكتوبة في ازدهار مستمر. كما أن بإمكان الصحف أن تضع إستراتيجية مهمة يفرض عليها تقديم ما هو أفضل من غيرها. وبذلك يمكن القول أن الانترنت يؤثر على الصحافة التقليدية كونه سيصبح دافعاً لها نحو المزيد من التطور وضرورة الحرص على مواكبة الصحيفة لأحداث العصر وتكنولوجياته.⁴ فلا يمكن للانترنت أن يقضي على الصحافة ككيان معلوماتي كبير يتعايش مع الرأي العام و يؤثر عليه، وإنما يمكن أن يؤثر عليها بنسبة ضئيلة جداً.

وبشكل عام فقد تعرضت الصحافة من قبل للشيء نفسه لكنها أثبتت وجودها. فالصحافة أكثر من كونها ورقاً وحبيراً وصوراً، وإنما هي كلمة لها تأثير عميق ووسيلة مهمة لإشباع رغبات الكثير من الجماهير. فالقارئ المعتاد على قراءة الجريدة بعدها متعة بالنسبة له في المقام الأول، فضلاً عن مدى التأثير الذي تحدثه الكلمة من قوة وانتشار وهذا ما يجعل الصحافة أكثر تأثيراً على الرأي العام وأكثر تميزاً على غيرها من الوسائل الإعلامية الأخرى.

غير أن ضعف المادة التحريرية عند الإعلاميين المختصين وعدم مواكبة الصحيفة للتطور الفكري والبشري تعد أكثر العوامل التي تؤثر على تواجد الصحيفة. على العكس من ذلك إذا ما واكبت الصحيفة العصر وسارت في طريق الحريات ومعايشة المجتمع وأصبحت تنقل نبض أفكاره ومشاكله فإنه يضمن لها الاستمرار والتواصل.⁵

¹ . انظر جون شايفر، الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم. واشنطن: مركز بيع الصحافة الوطنية، 2003. ص 117.

² . الجمعية العالمية للصحف، « الصحافة والأترنت، المستقبل للقراء أم للناشرين ». المؤتمر العالمي للصحافة في زيورخ. حزيران عام 2003.

[www. Google.com.search](http://www.Google.com.search)

³ . انظر عبد الأمير الفيصل، الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي. ط: 1. عمان الأردن. دار الشروق، 2005. ص 141.

⁴ . سعد الغريب، « في ظل مواجهة الوسائل الأخرى للصحافة الأكثر تأثيراً و الأعمق فكراً ». جريدة البيان الإماراتية. تموز 2002، ثقافة البيان.

⁵ . نفس المرجع الأنف الذكر.

⁵ . جلال خليفة، مرجع سابق. ص 212.

ففي إطار حضارتنا الراهنة لا تملك الصحافة المقدرة على تجميع قوى المطالب السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ومع ذلك فإن تأثير الصحافة المكتوبة ليس بضئيل كما بينت التحاليل والأبحاث الخاصة بوظائف الصحافة، ومدى أهميتها وضرورتها كعامل من عوامل التوازن في إطار الحياة الاجتماعية. أما بالنسبة لتكوين الرأي العام وصناعته وتوجيهه، فالصحافة اليوم اكتسبت مركزا مرموقا، فهي القوة التي تربط الأمة بمصالحها الوطنية، وتصنع المجتمع الذي يعرف كيف يشكل الحياة ويتفاعل معها سواء في النطاق الداخلي أو النطاق العالمي، و بخاصة

في هذا العصر الذي أصبحت العالمية طابعه. وأصبح العالم كله كتلة من المصالح المشتركة والاتجاهات المتداخلة والمتشابكة.¹

الدور الوظيفي لوسائل الإعلام والصحافة

توجد وظائف أساسية لوسائل الإعلام الجماهيرية بكل أشكالها المقروءة و المسموعة و المرئية تؤديها للمجتمع والفرد والجماعات الفردية أو مؤسسات الدولة. وقد اختلف علماء الإعلام والاجتماع والسياسة في تحديد وظائف وسائل الإعلام والاتصال إلى رؤى كثيرة و متعددة. فحدد لازرسفيلد Lazarsfield الوظائف التي تقدمها وسائل الإعلام للمجتمع إلى ما يلي:²

- 1 . تبادل الآراء.
- 2 . تدعيم المعايير الاجتماعية وكيفية التمسك بالقيم والتقاليد المجتمعية.
- 3 . التخدير؛ فلا يستطيع الجمهور التفرقة بين الطيب والحبيث والغث والسمين. وتضعف قدرة الناس على المشاركة أو اتخاذ قرارات ترتبط بمصيرهم أو في المشاركة السياسية الواعية.

ويرسم الباحث الأمريكي هارولد لاسويل H . Lesswell³ وهو أول من أشار إلى الوظائف التي يؤديها الاتصال للمجتمع ثلاث وظائف أساسية لوسائل الإعلام :

- 1 . مراقبة البيئة ورصد المحيط (الإعلام). وهي تجميع المعلومات والأخبار وتوزيعها على المجتمع من أجل التكيف مع البيئة.
- 2 . الترابط لاستجابة المجتمع للبيئة، حيث توجد وسائل الإعلام الترابط بين أجزاء المجتمع حول القضايا الأساسية. وإزاء الأحداث التي تقع في البيئة الاجتماعية (الدعاية).

² . انظر منال أبو الحسن، مرجع سابق. ص 93 . 94.

³ . عصام سليمان موسى، مرجع سابق. ص 360.

3 . نقل التراث الاجتماعي ونشره (التعليم). وقد أصبحت هذه وظيفة أساسية بعد زيادة حجم المجتمعات وصعوبة التواصل الشخصي والترابط العائلي في المجتمعات الصناعية.

ويرى شارلز رايت Wright . T أن وظائف هارولد لاسويل تعنى ببث الثقافة. وتشير إلى ما تقوم به وسائل الاتصال من نقل المعلومات والقيم والمعايير من جيل إلى آخر، أو من مجموعة إلى وافدين جدد والتعريف بها، وتعد هذه الوظيفة التعليمية. فمن الواضح أن الوظيفتين الأولى والثالثة على وجه الخصوص، تحددان العلاقة بين الاتصال من جهة وبين الثقافة التراثية من جهة ثانية. لا كناقل فحسب ولكن باعتبار أن الثقافة والإعلام هما من المهام الثلاث . الوظائف . الرئيسية التي يقوم بها الاتصال، وهذا يظهر بصورة بينة العلاقة الوثيقة بين الثقافة والاتصال.

ولكن هناك استثناء في وظائف وسائل الإعلام أخذ به " لازويل " Harold Lasswelle . فقد فطن إلى أن وسائل الإعلام يمكن أن تصبح غير وظيفية، أي تحدث آثارا ضارة للمجتمع، والأسوأ من ذلك أن تستخدم وسائل الإعلام لتضليل الناس.¹

أما وظيفة الصحافة الورقية المكتوبة ودورها تجاه المجتمع، وهي كثيرا ما تلقب بالسلطة الرابعة في الدولة بل يعتبرها آخرون السلطة الأولى، فهي خدمة هذا المجتمع والإنسان الذي يعيش فيه. وهي بهذا المعنى تتصل بطبيعة الواقع الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الذي تصدر فيه الصحافة، ونوعية النظام السياسي والاجتماعي القائم، ثم بالإيديولوجية التي يؤمن بها هذا المجتمع. ولذلك كتب توماس جيفرسون Thomas . J² « إذا كان لي حق الاختيار بين حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، ما ترددت في تفضيل الأخيرة. ولكن أعني في هذه الحالة أن يكون كل فرد في هذه الأمة قادرا على أن يقرأ الصحيفة كما ينبغي القراءة ».

و تهتم الصحافة كثيرا بوظيفة الرأي ، فنحن نعرف أن الرأي هو مهمة الصحافة الأولى إلى حوار وظيفتها الإخبارية، حتى لنرى بعض الصحف تعتبر صحيفة رأي أكثر منها صحيفة خبر. وبالطبع يغلب على صحافة الرأي الجانب السياسي والاجتماعي الذي يهتم المواطنين في حياتهم اليومية المرتبطة بالشؤون العامة في المجتمع، سياسية كانت أو اجتماعية. و إلى جانب وظيفة الرأي أخذت الصحافة تساهم في نشر وتنمية وبناء ثقافة المجتمع من خلال الدور المستمر الذي تؤديه بنشرها للمفاهيم المستجدة عن الثقافة. ولذلك أصبحت لها وظيفة ثقافية أدبية. ونافست الكتاب منافسة شديدة في أداء هذه الوظيفة بحكم أن الصحافة أرخص ثمنا وأكثر انتشارا وأسهل قراءة من الكتب؛ ولذلك قلما نرى أدبيا لا يكتب في الصحافة. ذلك لأنها أقوى وسائل الاتصال الجماهيري.³

1 . حسن عماد مكاوي و ليلي حسين السيد، مرجع سابق. ص 72.

2 . أحمد بدر، الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية. ط: 1. الكويت: دار القلم . ص 59.

3 . انظر عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام و مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 33.

وكما تقوم الصحافة الورقية بدور أساسي ووظيفة محورية في المجتمع باهتمامها بآلية الخبر وحدثه وأبعاده المهمة. وعليها للقراء وحركة التنمية داخل المجتمع مسؤولية خاصة في تفسير كثير من الحقائق وتقديمها بصورة موضوعية إذا استعانت بمختصين وأدباء وأصحاب الفكر. وتعد الصحافة ساحة ثقافية لتبادل النقد البناء بين المثقفين وأصحاب الفكر وطبقة المتعلمين بأشكالها، كما تقوم بنشر آراء الناس وعموم القراء ومراعاتها لاحتياجات الجمهور. وتستطيع الصحافة على مستوى الأخلاقي أن تقوم بدورها في نشر القيم الفاضلة والآداب العامة وترقية

الدوق العام بين أفراد المجتمع، كما تقوم الصحافة بدور في الترويج والتسليية من خلال العديد من الأبواب والصفحات المخصصة لذلك.¹

و جملة الحديث أن الصحافة بمعناها العلمي الشامل على اختلاف تباينها لها وظائف وأهدافا محددة تؤديها للجماهير بلا تمييز بينها. ويمكن إنجاز بعض وظائفها الرئيسية كما يلي:²

. ترتبط الجريدة عادة بالخبر الصحفي في تحقيق وظائفها ولذلك تنصدر وظيفة الإعلام كافة الوظائف الصحفية الأخرى بالنسبة للجريدة، التي هي شرح وتفسير الوقائع والأحداث وتوعية الرأي العام نحو المستجدات من النظم و القوانين وكذلك ما يقع من وقائع و أحداث.³

. يعد الاتصال الصحفي من أهم وسائل الإقناع و التأثير في الرأي العام . والصحف تختلف فيما بينها في الغاية فهناك الصحف التجارية التي ليست لها رسالة اجتماعية وأخرى صحف رأي وفكر وتعتنق مذهباً معيناً .
. تشارك الصحافة في الدعوة للإصلاحات السياسية والاجتماعية في المجتمع.

. لا تقوم بتفسير الأحداث والمسائل العامة فقط، ولكنها تضع هذه الأحداث في أبعادها الوظيفية.
. تساعد على تدعيم الاتجاهات الوطنية من أجل تكوين المجتمع الوطني المتجانس، كما تعمل على تدعيم الروابط الثقافية بين القراء.

. تعد الصحف معلماً للجمهور في ميراثه الثقافي والحضاري، فهي تقوم بدور أكبر في نقل التراث الثقافي و الاجتماعي كما تعمل الصحف على تمرير القيم و التقاليد بين الأجيال وتصل بتحقيقاتها وأخبارها الجيل الحاضر بالأجيال التالية.

¹ . أحمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية. القاهرة: دار قباء للطباعة، 1998. ص 38.

² . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 38.

³ . محمود علم الدين ، مدخل إلى الفن الصحفي، مرجع سابق. ص 79 - 80.

. كما يميز الدكتور مندور بين مدرستين متميزتين في عالم الصحافة، أولهما المدرسة التي تؤمن بأن للصحافة رسالة ثقافية وتوجيهية وأخلاقية يجب أن تؤديها. وثانيهما المدرسة التي ترى أن الصحافة تجارة همها الأول والأخير هو كسب المال. وهي تحتال على ذلك بكافة السبل ولا تتورع عن شيء. وليس من الصعب تمييز هذه المدرسة عن تلك، إذ يستطيع الإنسان بنظرة عابرة إلى الصفحة الأولى من كل جريدة وإلى " المناشآت " الكبيرة التي تضعها على رأسها أن يميز إلى أي مدرسة تنتمي.¹

ونتيجة هذا الموقع المتقدم للصحافة ضمن وسائل الإعلام، صار من المطلوب في العمل الصحفي اليوم» ليس التوسع في استخدام أجهزة حديثة، أو إلقاء أعباء مادية جديدة فوق كاهل الصحف. ولكن ما يجب التركيز عليه هو ضرورة تعميم تناول الصحفيين للمشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية التي يكتبون عنها أو يتصدون لمعالجتها.² فأكبر خطر يهدد الصحافة الورقية اليومية أن تبقى معتبرة من السلع الاستهلاكية السريعة الفناء ، و في هذه الحقيقة ما يحول دون اعتبارها جهاز ثقافة يعود إليه القارئ كلما حز به أمر أو أحس بحاجة إلى بصيص من المعرفة.

وفي القرن العشرين، ولأجل الشأن الكبير لوظائف الصحافة وتطورها ضمن المنظومة الإعلامية للمجتمع المعاصر، شهد القرن ظهور نظرية المسؤولية الاجتماعية³ القائمة على ضرورة التزام وسائل الإعلام الجماهيرية بخدمة الصالح العام بدلا من خدمة من يملكونها. وحذرت لجنة الحريات من استمرار الممارسات غير المسؤولة لوسائل الإعلام وفشلها في خدمة الناس. كما يجب أن تتدخل الحكومة وتجر هذه الوسائل على تقديم ما يفيد المجتمع بطريقة مسؤولة. ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال التنظيم الذاتي الذي يتسم بالصرامة والمسؤولية لمنع العودة إلى السيطرة الحكومية. والاختيار الذي يضعه المدافعون عن نظرية المسؤولية الاجتماعية هو إما أن تمارس وسائل الإعلام مسؤوليتها من خلال سيطرة الحكومة أو من خلال السيطرة الذاتية.

والحديث عن المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام، يسوقنا إلى التعرض بالنقاش إلى جدلية الثقافة الجماهيرية في الإعلام عموما وما الصحافة المكتوبة إلا قسم منه. فالاتصال الجماهيري له « دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية بصورة موازية ومكملة لما تقوم به المؤسسات الاجتماعية الأخرى، باعتبار أن الأفراد يتعرضون إلى هذه الوسائل طيلة حياتهم، ويتأثرون بمضامينها وبالأفكار التي تطرحها. ويزيد في خطورة هذا الدور الوقت الذي يكرسه

1 . عبد العزيز شرف، الصحافة المتخصصة. مرجع سابق. ص 50.

2 . عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، مرجع سابق. ص 32.

3 . حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة. ط:4. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2006. ص 143.

الأفراد للاتصال الجماهيري في المجتمعات الحديثة ومنها المجتمع العربي».¹ ولا يسعنا هنا إلا أن نعترف بخطورة وسائل الاتصال وقنواتها المختلفة التي تتوسل بها الثقافة إلى الانتقال والاستمرار، كما لا يسعنا إلا الاعتراف بخطورة الآثار النفسية والاجتماعية التي تترتب على التعرض لها. فالمسئولية الملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيرية كبيرة، فهي لا تقوم بدور توصيل ونشر الثقافة فحسب، بل تؤثر بشكل أساسي في انتقاء محتواها أو ابتداعه.

والثقافة إذا كانت لا تتطور بانغلاقها على نفسها داخل حدودها المحلية، وإنما بالتبادل الحر مع الثقافات الأخرى. ولما كانت الخريطة العالمية الراهنة للإعلام تشير إلى اتساع الفجوة بين دول الشمال واحتكارها لوسائل الاتصال الحديثة وغالبية الدول النامية في الجنوب. فلا شك أن هذه الصورة غير العادلة لها نتائجها السلبية على الثقافة والأوضاع الثقافية في كل من دول المركز والهوامش. و تقوم الشركات المتعددة الجنسية بلعب الدور الرئيسي في نقل المنتجات الثقافية، والحرص من خلال ذلك على فرض الأذواق الاجتماعية الثقافية الأجنبية على شعوب العالم، مستهدفة خلق نمط واحد من حيث الذوق والأسلوب والمضمون.² وتقديم قيم اجتماعية وفكرية بعيدة عن مشاغل وطموحات المجتمعات المحلية.

وتؤكد الدراسات الإعلامية أن الإعلام والاتصال الجماهيري كانا في الماضي القريب أدوات هامة لتأكيد مبادئ حقوق الإنسان، كالحرية والمساواة والحق في التعرض للثقافة والإعلام، لأنها أساس وركيزة للتقدم الفكري والثقافي. لكنهما أصبحا في الفترة الحديثة يعرضان المجتمعات لمزيد من الصراع الأيديولوجي والعنصري، خاصة في الدول الأقل تفوقا في صناعة الثقافة والإعلام. إذ ترضخ دول العالم الثالث في تبعية مفرطة لمضمون وثقافة الاتصال الجماهيري الخاص بالدول المتقدمة، لأنها تنظر إلى وسائل الاتصال كجزء من المؤسسة الغربية. مما يطرح مسألة الاستقلال الثقافي كتحد من التحديات الكبرى التي أضيفت إلى الدول والشعوب الأقل تقدما في الشمال والجنوب.³ بفعل عملية العولمة واعتماد العالم الثالث على الغرب الصناعي المعلوماتي.

ويوجه المفكرون بإلحاح شديد النقد إلى الثقافة الجماهيرية في الدول الغربية، لبساطة وموضوعاتها وتشابه مضامينها. إذ تعمل هذه الثقافة على إرضاء قطاع عريض من الجمهور المتلقي واجتذابه لها بأي صورة، فغلب عليها التسطیح، وعلى فقراتها التكرار الطويل. كما ينظر الباحثون إلى الثقافة الجماهيرية الغربية⁴ على أنها ذات مضمون

1. عصام سليمان موسى، مرجع سابق. ص 361.

2. منال أبو الحسن، مرجع سابق. ص 110 . 111.

3. نسمة أحمد البطريق، مرجع سابق. ص 110.

4. انظر عصام سليمان موسى، مرجع سابق. ص 363 . 365.

هابط المستوى لا تدفع إلى التفكير، بل تقدم إجابات جاهزة وسهلة وصورا نمطية. وهي لذلك لا تنمي الإدراك بل تخلق إدراكا مشوها واطمئنانا مزيفا، لأن الجمهور يستجيب لها بشكل غير نقدي. إن النموذج الأمريكي في صناعته و ترويجه للثقافة الجماهيرية، قد نجح في فرض نفسه على العالم. بسبب التنوع والتلاؤم مع الإمكانيات والخيارات وطرق التعبير الفردية المختلفة التي يرغب بها الأفراد في كل مكان، وبسبب الترويج أيضا لكل ما هو سريع وبسيط.

لقد خلطت الثقافة الجماهيرية القادمة من الغرب الصناعي بين مستويات الثقافة جميعها، ولم تكتف بما حققتة من تحطيم لحواجز طبقية وانتهاك للتقاليد، بل أخذت تؤثر أيضا على الأذواق والقيم، وتعمل فعلها بسبب تعرض الجماهير المستمر والمتزايد لها وتأثرها بها. فلا عجب بعد ذلك أن تحتل مشكلات الثقافة الجماهيرية الصدارة في تفكير الباحثين العرب، ويدعون في ضرورة إلى تكامل موزون « يستغل وسائل الاتصال كافة، لتقديم ثقافة أصيلة، تم الناس جميعا وتخطبهم على شتى درجات مستوياتهم الفكرية ».¹

الخصوصية والعولمة الثقافية في الصحافة العربية المكتوبة

لقد أصبحت تيارات تدفق الإعلام من الشمال نحو الجنوب كالسيل العرم يطيح بكل ما يعترض سبيله، ويحطم كل توازن طبيعي لا يتماشى مع أهوائه.² ونتيجة لهيمنة الإعلام الأجنبي على وسائل الإعلام ومحتواها، أصبح مضمون وسائل الإعلام العربية يساهم بصورة عامة في تغريب المواطن عن مجتمعه بدل تسهيل مشاركته في أمور هذا المجتمع. ويتم هذا التغريب عن طريق تقديم مضمون إعلامي يشعر المواطن بأن لا صلة له أو رابط مع ما يراه أو يقرأه أو يسمعه في قنوات تلفزيونية وإذاعية، وفي صفحات الصحف من مضمون.³ ويشعر المواطن العربي بأن ما تعطيه إياه هذه الوسائل من مضمون غير واقعي ولا صلة له بواقعه. وفي حال قبوله بما تعطيه إياه هذه الوسائل يرى نفسه مندفعاً للثورة على قيمه وطرق معيشتة. إن الاختراق الثقافي - الاتصالي « يقوم بدور تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة تتفاعل داخل المجتمعات النامية والعربية، وتسري ببطء وثبات داخل منظومة القيم المحلية لتفتيتها وتمزيقها من الداخل،

1. رفيق الصبان، " استهلال " . في التكامل بين أجهزة الإعلام و أجهزة الثقافة. تحرير: توفيق فياض. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ص 7.

2. مصطفى المصمودي، مرجع سابق. ص 194.

3. عبد الله بوجلال، « الآثار الاجتماعية و الثقافية للإعلام في ظل العولمة ». المعيار. تصدر عن كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة.. الجزائر العدد 6، ربيع الثاني 1424هـ جوان 2003. ص 259.

وإحلال القيم الأمريكية . الغربية ذات الطابع الاستهلاكي . الترفيهي محلها، بهدف إعاقة نمو تلك المجتمعات النامية والعربية، المستقلة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا».¹

ولكن السؤال الذي يلح على مفكرنا وإعلامييننا هو ما السبيل لاحتواء هذا التأثير والحد من خطورته على التفكير العربي في عالم اليوم؟ إن الجواب يكمن في مبدأ ينبغي أن يحكم حياتنا الراهنة. وهو ما يعرف تحت مصطلح "الأمن المعرفي" ² الذي لا يمكن أن يتحقق بغير توافر القدرة على إنتاج المعرفة، وبالتالي التخفيف التدريجي من درجة اعتمادنا على الآخر. إن كسر احتكار الغرب لمصادر المعرفة والثقافات المتقدمة في وسائل الاتصالات، وللمنابر الإعلامية، لا يمكن أن يتحقق دون استثمارات كافية في ميدان الإنتاج المعرفي. فالمجتمع الذي يعتمد على الآخر في إنتاج المعرفة التي يحتاجها في جميع وجوه حياته، يضع من حيث لا يدري مستقبله فضلا عن حاضره رهينة في يد هذا الآخر.

كما أن الرسالة الإعلامية ³ الحاملة للمعرفة سواء في الصحافة أو الإعلام المرئي أو المسموع يجب أن تنبع من منطلقات الأمة الحضارية، ويجب أن تراعى فيها قيمها وخصائص شخصيتها. وفي مثل مجتمعا العربي لا بد أن تكون الرسالة الإعلامية ذات منطلقات عقدية إيمانية وأن تلتزم قيم الدين التي تشكل أساس شخصيتها وبهذا المعنى يكون ما يحصل الآن مع بعض وسائل الإعلام على حساب الأمة وليس لصالحها، لأن البرامج (الرسالة الإعلامية) محملة بكثير من المفاهيم الوافدة من غير حضارتنا وهذا الأمر يسهم في تشويه مفاهيم الأجيال وإفسادها. إن الرسالة الإعلامية المناسبة هي تلك التي تخدم الدعوة الدينية من خلال التزام قيم الدين وجوهره بعيدا عن التعصب لكي تصحح المفاهيم الخاطئة السائدة بفعل بعض الانفعالات التي تضغط من هذا الفريق أو ذاك.⁴

ومن خلال هذا الطرح نخلص إلى أن ثورة الاتصالات الكبرى وتطور تقنيات الاتصال الحديثة ساهمت بشكل كبير في تحول الحضارة الصناعية إلى حضارة إعلام ومعرفة، حيث كسرت الحدود السياسية والجغرافية والنظم التقليدية. وقد كانت هذه الثورة الاتصالية الإعلامية هي المنفذ الأساس للعولمة، فلا نبالغ إذا قلنا أن فهم العولمة حاليا والوقوف على أبعادها وتحليلاتها الراهنة لا يمكن أن يتم من دون فهم عميق لطبيعة الإعلام المعاصر وأبعاده وآلياته

¹ . عواطف عبد الرحمن، « الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية و الاختراق الثقافي ». الدراسات الإعلامية، العدد 88. يوليو / سبتمبر، 1997. ص 255

² . انظر عبد النبي اصطيف، « في لغة الإعلام ». المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الثقافة سورية. العدد: 1509، السنة 44، محرم 1427 . 2006. ص 59-60.

³ . إن القارئ والمتمعن في دراسات وأبحاث المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي، يجد الهاجس المركزي في أن الرسالة هي "القيم" . أي أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمة، وهو ما يعكس إيجابا على محيط الإنسان. فالرسالة تكون هادفة نافعة إذا ما تمت في إطار أو تصور أو فكر أو انتماء. فالقيمة حتمية ضرورية عند دراسة الإعلام، وكلما اقتربت القيمة بالإعلام كلما كان التأثير إيجابا على المجتمع والعكس كذلك. (نصير بوعلي، الإعلام والقيمة قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي. الجزائر: دار الهدى، 2005. ص 48 وما بعدها).

⁴ . أسعد السحمراني. مرجع سابق. ص 34.

والإشكاليات المرتبطة به في سياق عمليات العولمة. وعليه يمكن القول أن هناك ثلاث عوامل رئيسة ساهمت في خلق هذه الإزدواجية بين الإعلام والعولمة؛ وهي العامل التقني والعامل السياسي والعامل الاقتصادي. هذا الأخير الذي يعد الأساس لعملية العولمة الإعلامية التي هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولمة السوق وتنمية النزاعات الاستهلاكية. من هنا يمكن أن ندرك أن عولمة الإعلام تعني الهيمنة الثقافية والاحتكار ونشر النموذج الواحد وليس المثقافة التي تعني التبادل والتفاهم. وقد نعدّد بعض تجليات العولمة الثقافية على المستوى الثقافي في سيطرة الشركات العالمية العملاقة على الإنتاج الإعلاني العالمي، وهيمنة الشركات الأمريكية على قطاع الإعلام والترفيه، وتقلص دور الحكومة الوطنية في تنظيم بيئة الإعلان والاتصال الدولية والمحلية. ومن هذا المنطلق كان البحث في إعلامنا العربي بين مظاهر التبعية والهيمنة الثقافية.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث المراجع ذكرت لأول مرة

تصحيح نهائي لا تعود إليها

1. إياد شاكرا البكري، تقنيات الاتصال بين زمنين. ط: 1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003.
1. سامية محمد جابر، نعمات أحمد عثمان، الاتصال والإعلام وتكنولوجيا المعلومات. الايكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003.
1. كابرون، الحسابات والاتصالات والانترنت. تعريب: سرور علي إبراهيم سرور وآخرون. ط: بلا. الرياض : دار المريخ للنشر، 2003.
1. أحمد بدر، الإعلام الدولي (دراسات في الاتصال والدعاية الدولية). ط: 4. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 1998.
1. السيد بخيت، الصحافة والانترنت. ط: 1. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2000.
1. إيمان فاضل السامرائي، هيثم الزغبى، نظم المعلومات الإدارية. ط: 1. عمان: دا صفاء للنشر و التوزيع، 2004.
1. السيد ياسين، « الحال العربي الراهن ». ضمن كتاب النظام العربي والعولمة. طلال أبو غزالة و آخرون. مراجعة و تقدم علي محافظة. ط: 1. بيروت، عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2004.
1. مصطفى بن تمسك، « العولمة وصراع الهويات ». مجلة الفكر العربي المعاصر (بيروت، باريس)، العدد 236، صيف 2006.
1. عبد المالك الدنانى، البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2006.
1. سمير أمين، « تحديات العولمة ». مجلة شؤون الأوسط. العدد 71، ابريل 1998.
1. هيرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية. ترجمة: وجيه سمعان عبد المسيح. مراجعة: مختار محمد توهامي. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
1. محمد سيد فهمي، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية. ط: بلا. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006.
1. محمود علم الدين، « ثورة المعلومات و وسائل الاتصال: التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال. دراسة وصفية «، السياسة الدولية، يناير، 1996.
1. - رضا عبد الواحد أمين، الإعلام والعولمة. ط: 1. القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، 2007.
1. محمد علي حوات، العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل. ط: 2. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002.
1. عواطف عبد الرحمن، « الحق في الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال », عالم الفكر، يوليو . سبتمبر . أكتوبر . ديسمبر 1994.
1. تيسير أبو عرجة، الإعلام والثقافة العربية، الموقف والرسالة. عمان: دار مجدلاوي ، 2003.
1. محمد فتحي عبد الهادي، مقدمة في علم المعلومات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.
1. فاروق أبو زيد، « انهيار النظام الإعلامي الدولي من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد ». ط: 1. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1991.
1. عماد مكاوي، تكنولوجيا الاتصال الحديثة. ط: 1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1993.
1. - ستيوارت آلان، ثقافة الأخبار. ترجمة: هدى فؤاد. ط: 1. القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2008.
1. عواطف عبد الرحمن بعنوان: الإعلام المعاصر وتحديات العولمة، (العولمة و الهوية الثقافية). سلسلة أبحاث المؤتمر السابع.
1. محمد شومان، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية ». بحث مقدم في ندوة العولمة وقضايا الهوية الثقافية. القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، أبريل 1998.
1. محمد شومان، « عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ». عالم الفكر.
1. علي حسين طه، مجتمعنا بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية بحوث وحلول، ط: 1. لبنان: دار الهدى، 2007 .
1. عزي عبد الرحمن ، « تعثر الرسالة في عصر الوسيلة ». حوليات جامعة الجزائر. العدد4، خريف 1990.
1. - صباح علي ياسين، العالمية والعولمة. ط: بلا. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000 .
- 2- سعيد حارب، الثقافة والعولمة. ط: بلا. الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، 2000.
1. صالح أبو الأصعب، قضايا إعلامية. دبي: منشورات مؤسسة البيان، 1988.
1. مهدي زعموم، برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الإعلام. كلية العلوم السياسية، قسم الإعلام، الجزائر العاصمة.
1. محي الدين اللاذقي، « تساؤلات كونية في عالم بلا هوية كما وردت في دراسة السيد يسين، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي », قضايا إستراتيجية. المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد17، سبتمبر 1998.
1. نسمة أحمد البطريق، التلفزيون والمجتمع والهوية الثقافية، دراسة نقدية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
1. عصام سليمان موسى، الإعلام والمجتمع في عصر العولمة. الأردن: وزارة الثقافة، 2003.
1. محمد عبد الله الجريغ

1. شون ماكبرايد و رفاقة، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا. الجزائر: اليونسكو/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.
1. هبة جمال الدين، «أولويات الإعلام وعمليات تشكيل الرأي العام»، المجلة الاجتماعية القومية. العدد 2، 3 سبتمبر 1993.
1. حيدر بدوي صادق، «الثقافة والإعلام والبث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في دولة الإمارات العربية المتحدة». ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة و إعلام، 1995.
1. منظمة اليونسكو، أصوات متعددة و عالم واحد. تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.
1. نوال عمر، الإعلام والتنمية. القاهرة: مكتبة الرشيد، 1997.
1. فاروق أبو زيد، «إشكالية العلاقة بين الإعلام والثقافة». جريدة الحياة. لندن، 1995/5/1.
1. محسن جاسم الموسوي، «تكنولوجيا وسائل الاتصال وإشكالاتها القيمة»، قضايا عربية. العدد 4، السنة 9، إبريل 1982.
1. عبد الإله بلقزيز، النظام الإعلامي السمعي البصري العربي والاختراق الثقافي (نحو إستراتيجية جديدة للدفاع الذاتي، إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1977.
1. محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية. ط: بلا. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 1994.
1. باسم علي فريسان، العولمة والتحدي الثقافي. ط: 1. بيروت: دار الفكر العربي. 2001.
1. مسعود ظاهر، مواجهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للمشرق العربي. روما: المجلس القومي للثقافة العربية، 1989.
1. عامر ذياب التميمي، «اتفاقية الجات وأثارها الثقافية». مجلة العربي، العدد 477.
1. المنصف وناس، «العولمة الإعلامية والمجتمع العربي». الإذاعة العربية عدد 4. تونس: مجلة، 1998.
1. عبد العزيز شرف، الصحافة المتخصصة ووحدة المعرفة. ط: 1. القاهرة: عالم الكتب، 2003.
1. فريد النقاش، حول «التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانية الخروج منها». مجلة الآداب ونقد، العدد 7، السنة الأولى، 1984.
1. مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد. (عالم المعرفة) الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، تشرين الأول 1985.
1. صالح أبو الأصبغ، «وسائل الإعلام الغربية والانقلاب الثقافي». شؤون عربية (تونس) جامعة الدول العربية. العدد 17، يونيو 1982.
1. جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية، عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق. عنابة، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، 2003.
1. صابر فلحوط وسجاد الغازي، الاتحاد العام للصحفيين العرب: تأسيسه، مؤتمراته، قراراته. بغداد: الاتحاد العام للصحفيين العرب، 1982.
1. عبد الرحمن عزوي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية المعاصرة بعض الأبعاد الحضارية. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1995.
1. هيربرت شلر، المتلاعبون بالعقول. ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة (243)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: مطابع الوطن، 1999.
1. بير ألبير، الصحافة. ترجمة: خير الدين عبد الصمد. سوريا: منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1976.
1. جلال خليفة، الصحافة مقروءة مرئية، مسموعة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976.
1. أسعد السحمراني، الإعلام أولا. ط: 1. بيروت: دار النفائس، 1994.
1. أحمد الحشاش، الاجتماع الديني. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1964.
1. فيليب غايار، تقنية الصحافة. ترجمة: فادي الحسيني. ط: 1. بيروت: منشورات عويدات، 1973.
1. عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي. ط: 3. القاهرة: دار الفكر العربي، 1965.
1. ابراهيم الشامي، «الأنترنت تقلب عالم الصحافة رأساً على عقب». جريدة البيان الإماراتية. في 1999/11/23. www.albayan.com.
1. محمد عثمان، عرض كتاب " وسائل الإعلام. مدخل إلى الاتصال الحديث"، مجلة الدراسات الحديثة الإعلامية. العدد 63 أبريل - يونية 1991.
1. سعد الغريب، الصحافة الإلكترونية والورقية دراسة مقارنة في المفهوم والسمات الأساسية. القاهرة: دار الكتاب العربي، 2000.
1. عبد العزيز شرف، الإعلام و لغة الحضارة. دمشق: 1976.
1. سليمان صالح، «مستقبل الصحافة المطبوعة في ضوء تكنولوجيا الاتصال». جامعة القاهرة، كلية الإعلام، المجلة المصرية لبحث الإعلام. العدد: 13. أيلول 2001.
1. جون شايفر، الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم. واشنطن: مركز بيع الصحافة الوطنية، 2003.
1. «الصحافة والأنترنت، المستقبل للقراء أم للناشرين». مجموعة بحوث مقدمة إلى المؤتمر العالمي للصحافة في زيوريخ في حزيران عام 2003. www.google.com.search
1. عبد الأمير الفيصل، الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي. ط: 1. عمان الأردن. دار الشروق، 2005.
1. أحمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية. القاهرة: دار قباء للطباعة، 1998.
1. حسن عماد مكاي، أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة. ط: 4. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2006. ص 143.
1. رفيق الصبان، " استهلال " . في التكامل بين أجهزة الإعلام و أجهزة الثقافة. تحرير: توفيق فياض. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم.

- ¹ . عبد الله بوجللال، « الآثار الاجتماعية و الثقافية للإعلام في ظل العولمة ». المعيار. تصدر عن كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة . الجزائر العدد 6، ربيع الثاني 1424 هـ جوان 2003.
- ¹ . عواطف عبد الرحمن، « الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية و الاختراق الثقافي ». الدراسات الإعلامية، العدد 88. يوليو/ سبتمبر، 1997.
- ¹ . عبد النبي اصطيف، « في لغة الاعلام ». المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الثقافة سورية. العدد: 1509، السنة 44، محرم 1427 . 2006.
- ¹ . نصير بوعلي، الإعلام والقيمة قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي. الجزائر: دار الهدى، 2005.
- عبد الإله بلقزيز، « العولمة و الهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة »، العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية وجدل العولمة الثقافية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يصعب فهم الثقافة الإسلامية أو تحليل واقعها إلا بعد دراسة الثقافة العربية وفهم واقعها أيضا، لأن الثقافة العربية قطعة محورية في مكونات منظومة الثقافة الإسلامية وأحد أكبر وجوهها وعناصرها الأساسية. و ربما ذهب كثير من المفكرين العرب إلى عدم ضرورة التمييز بين المصطلحين لأنه ليس بمستطاع على مستوى التحليل الواقعي، ولأن الحقيقة التي تجمعهما واحدة. فالمشهد الثقافي للأمة العربية يحمل وجهين لا يمكن التفريق بين عناصرها. لأن الفكرة الإسلامية منذ بزوغ فجر الرسالة المحمدية و هي في حضان العناصر العربية والوجود العربي. تتفاعل معها وتقترب أو تبعد عنها لتصبغ في نهاية الأمر بالصبغة العربية الإسلامية. ولذلك صعب على الدارسين اليوم التمييز بين الواقعين في حقل الدراسات الفكرية إلا في جوانب محدودة جدا. أو تشخيص الخلل في هذه دون تلك. لأن الأولى هي الثانية والأخرى هي تلك.

غير أننا في مثل هذه الدراسات الشائكة لا يجب أن نغفل العناصر الإسلامية في الثقافة العربية ذاتها والتي تتميز في وجودها وفي واقعها التنظيري بعناصر زائدة على الفكر الثقافي العربي، لتشمل مكونات أوسع وتحديدات أدق و لاسيما من جهة الأصول وتطبيقاتها كما سنتطرق لذلك بإسهاب شديد.

وإنما أردنا من هذا المدخل أن لا نحوض بالثقافة الإسلامية وتنميتها وترقيتها دون البحث في الثقافة العربية وعن عوامل القصور فيها وأسباب الضعف التي انتهت بها إلى ثقافة شبه فلكلورية عديمة الوظيفة لا تتفاعل في عالم مجتمع المعلومات إلا مع العناصر المادية لأجل الاستهلاك العشوائي والمتعة الكاذبة. وبناء على ما سبق توزعت أفكار هذا الفصل إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: الثقافة العربية والثقافة الإسلامية والمنظومة المعرفية المعاصرة

المبحث الثاني: قضايا الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية

المبحث الثالث: الثقافة الإسلامية والصحافة العربية المكتوبة، التحديات والمستقبل

المبحث الأول

الثقافة العربية والثقافة الإسلامية في المنظومة المعرفية المعاصرة

الثقافة العربية والعولمة (المشهد الراهن)

لقد صار تحديد المداخل في العصر الحديث من أساسيات المعالجات الفكرية المعاصرة. حيث وجدت الثقافة العربية نفسها بلا ضابط يحدد مكوناتها و وجودها في عصر العولمة وتفجر المعلومات. مما يجعلها عرضة لأهداف الثقافة العالمية الجارفة. لذلك تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1986 في تقريرها النهائي خطة شاملة للثقافة العربية، وفيها تحدد مفهوم الثقافة العربية وترتبط بينها وبين الهوية العربية. جاء في التقرير أن ثقافتنا: « ترتبط بالهوية العربية حيث تمثل روح الأمة وأصالتها من ناحية، كما ترتبط بالمستقبل نظرا لدورها في التنمية الشاملة ووظيفتها في صناعة المجتمع وصوغ ملامحه وهويته وتماسكه من ناحية ثانية. فهي تشكل إذا ركن البناء الحضاري وأساس تماسك الأمة، تغرس جذورها في التراث الروحي والمثل العليا للأمة، وتبني فروعها في طموحاتها المستقبلية وما تتخذه لنفسها من أهداف إنسانية، وهي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل، صانعة بذلك الهوية المميزة للأمة العربية في انفتاحها العالمي»¹.

والهوية الثقافية العربية كتركيب معرفي هي الخصوصية والتفرد الثقافي العربي في القيم والمعايير والأخلاق، هي نتاج هذه المعتقدات من رؤية للكون والحياة والإنسان. والثقافة العربية بهذا المفهوم هي التي تضفي دورا هاما ووظيفة محورية للخلق والحفاظ على تماسك النظام العربي، وهذه الثقافة تكونت خلال مراحل تاريخية وصيرورة الأمة وتفاعلها التاريخي المتجذر في أعماق التاريخ الإنساني والحضاري.²

¹ . مصطفى حجازي وآخرون، مرجع سابق. ص 28.

² . مهدي زعموم، مرجع سابق. ص 26 .

وفي التقرير نفسه حددت خصائص الثقافة العربية التي تبرز مجموعة من الثوابت، وتتمثل فيما يلي:¹

- 1 . عراقية الثقافة العربية التي تطورت عبر ألوف السنين.
- 2 . ارتكازها على مجموعة من القيم الإنسانية مثل الحق والعدل والمساواة والكرامة واحترام المعرفة.
- 3 . اتسامها بالشمول في جميع المظاهر من آداب وعلوم وفنون وعمران.
- 4 . مقدرتها على التفاعل مع الثقافات الأخرى دون فقدانها لأصالتها وتميزها مما جعل لها بعدا عالميا.

والثقافة العربية بهذه الخصائص ثقافة تاريخية عريقة دون شك. يمكن أن نستنبط ونؤلف منها منظومة معيارية ذات مضامين إنسانية رائعة

وقد تمتلك ثقافتنا فعلا كل مقومات العالمية من حيث انطوائها على قيم التسامح والتنوع والتعدد والسلام وقيمة الحياة والسمو الأخلاقي. ولكن المشكلة في العرب الراهنين الذين تعنيهم الثقافة العربية، هم اليوم أضعف في مناحيهم الاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية والإعلامية، وبالتالي هم عاجزون كما نرى في الواقع عن تقديم ثقافتهم إلى العالم.² قد تبدو الصورة العربية للناظر قائمة وقاسية، لكنها ليست أكثر سوادا من الواقع العربي الراهن نفسه.

إن القوة التكنولوجية والإنتاجية والرفاهية المادية هي التي يحدد اليوم قوة الثقافة والأفكار، وقدرتها على الانتشار والحوار والتطور. فالمجال الاقتصادي له قوته الاقتصادية المصاحبة والمنبثقة عنه، ولذلك وبسبب الضعف والتأخر العربي الراهن نجد اليوم وبمعايير الانتشار والإنتاج أن هذه الثقافة العربية وتناجها الفكري محدود الفرص كونيا لأنها بالأساس محدودة محليا.³

لذلك فإن التحدي الذي تفرضه الحالة الكونية الجديدة هو تحد علمي تكنولوجي واقتصادي سياسي بالدرجة الأولى، وليس تحديا ثقافيا روحيا مجردا. أو قل إن التحدي الثقافي والحضاري هو نتيجة لصراع أعمق، اقتصادي سياسي في جوهره، تعمم وتتعملم فيه رؤى الأقوى مهما بلغ فيه موروثنا الثقافي التاريخي من سمو وإنسانية ومجد وعزة. وبالتالي فإن الحفاظ على الهوية والخصائص الثقافية الوطنية والقومية، أو تجديدها الفعال لا يضمنه ويكفله إلا القدرة على تجديد وتطوير القوى الاقتصادية والسياسية بالدرجة الأولى.⁴

1 . خليل أبو الأصعب، تحديات الإعلام العربي المصداقية، الحرية، التنمية، و الهيمنة الثقافية. دراسة في الإعلام، مرجع سابق. ص 49 . 50.

2 . سمير إبراهيم حسن، « الثقافة العربية بين الخصوصية و الكونية ». دراسات إستراتيجية مركز الدراسات و البحوث الإستراتيجية. العددان 14 و 15 السنة الخامسة، ربيع 2005. 165.

3 . سمير إبراهيم حسن، مرجع سابق. ص 165.

4 . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 167.

و قد أدى الوضع الراهن لثقافتنا العربية أن لا تصارع الثقافات القوية فقط، ولكنها تصارع أيضا قوة وقوى الثقافة العالمية من خلال المعلوماتية والثورة الاتصالية والتفجر التكنولوجي. فماذا عند الثقافة العربية اليوم من إسهام خاص تقدمه في حلبة الثقافة العالمية ووسط لجة الصراع وامتلاك الثقافات المهيمنة للوسائل المادية للبحث الثقافي ولمصادر المعلومات ولقوة الانتشار اللغوي وللاتصال المباشر بالتطورات العلمية والتكنولوجية للعصر، وأخيرا للحماية السياسية والاقتصادية التي توفرها لها قوى المهيمنة.¹

لقد نجحت عن هذا العجز العربي الراهن مشكلات كثيرة لحقت بثقافتنا القومية حملها لنا مؤتمر **مستقبل الثقافة العربية**² بالقاهرة الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة ووزارة الثقافة. ومن خلال هذا المؤتمر حاول المشاركون إحداث مراجعة كاملة لأوضاع ثقافتنا العربية المعاصرة. وقد جمع **برهان غليون**³ ما يفترض من إشكالية المؤتمر في التساؤلات التالية: « ما هي مشكلات الثقافة العربية؟ وهل هناك تفسير لأسبابها؟ وما هي التحديات الجديدة التي تطرحها العولمة على الثقافة عموما وعلى ثقافتنا بوجه خاص؟ وهل نستطيع أن نبلور أسئلة تحدد أجوبتها إستراتيجية ثقافية؟ وهل المثقفون هم فعلا خير وأفضل من يتكلم عن الثقافة؟ ».

الأسئلة مطروحة منذ سنوات على الفكر العربي، وثم محاولات جادة للإجابة عن مثل هذه الأسئلة وغيرها. فقد قدم **عبد الله عبد الدائم** ورقة إلى هذا المؤتمر تشخيص واقع الثقافة العربية الحالي بالعبارات التالية:⁴

- 1 . الثقافة العربية الإسلامية لم تنجح منذ أكثر من قرن حتى اليوم في صنع حدثاتها.
- 2 . الثقافة العربية الإسلامية ثقافة عريقة، هذه العراقة تمنحها القوة والقدرة على البقاء ولكنها كثيرا ما تكون عبئا ثقيلا ومعرقلا للتجديد والتجويد.
- 3 . ازدهار الثقافة العربية الإسلامية ينتسب إلى ماضيها البعيد... وهذا يخلق نوعا من الانتماء الماضي والمضوية.
- 4 . المشاركة الجماهيرية في بناء الثقافة العربية الحديثة المرجوة لا تزال محدودة جدا.
- 5 . محاولات تحديث هذه الثقافة لم تتم في معظم الأحيان انطلاقا من داخلها، بل تمت غالبا بحكم الاصطدام بالثقافة الغربية... وتكونت منذ ذلك الحين ثقافتان منفصلتان لا تلتقيان: ثقافة تخشى على التليد وتلتف حوله وتتفوق في داخله، وثقافة تؤثر الجديد ولو ضحت من أجله بالتليد. أما الثقافة التي حاولت التوفيق فلم تفلح في مهمتها حتى اليوم، كثيرا ما لجأت إلى التلفيق أو اللصق بدلا من الدمج العضوي.

¹ . حسام الخطيب، « العالمية والعولمة من منظور مقارني ». مرجع سابق. ص 236.

² . الذي عقد في: 14/5/1997. أمل فرح، تقرير عن مؤتمر « مستقبل الثقافة العربية»، المستقبل العربي، العدد 222، 171، 176. ص 11.

³ . انظر حسام الخطيب، « العالمية والعولمة من منظور مقارني ». مرجع سابق. ص 242.

⁴ . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 242.

6 . النظام العالمي الجديد وعولمة الاقتصاد والمال والاتصال تؤدي إلى هجمة شرسة على الخصوصيات الذاتية للشعوب وعلى الأمة العربية الإسلامية بوجه خاص والتي لا يكتمل عقْدُ العولمة إلا بالسيطرة على مواردها الغنية.

كما أن تيار العولمة الجديد بعنفوانه القوي المتلون هو أيضا من فرض على الكتاب العرب عقد مؤتمرات دورية تقويمية، والجدد في محاولة حماية ثقافتنا العربية من الانسلاخ والذوبان وسط تيارات ثقافية غربية عالمية جارفة، وتأكيد وجودها وقيامها في كيان الأمة وتفكيرها، والعمل على ترسيخها بين أبنائها. وليست المجتمعات العربية مستثنية أو مستثناة من المتغيرات المتواترة في العالم. لذلك وصف تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 حال الثقافة العربية اليوم بأنها «الآن قبالة ربح الثقافة الكونية وأذرعها الإعلامية الجبارة، وقواها الاقتصادية والمالية العملاقة».¹

فالثقافة العربية كما ورد في **برنامج الأمم المتحدة الإنمائي** وتقرير **التنمية الإنسانية العربية**:² «تجابه مشكلات الوحدة الثقافية الكونية وتعدد الثقافات والشخصيات الثقافية، ومشكلة الذات والآخر، ومشكلة الشخصية الحضارية وما ماثل هذا كله من مصطلحات أو مفاهيم تشي بالهواجس والمخاوف والمخاطر التي تتقلب في نفوس أبنائها. فهواجس انقراض اللغة أو الثقافة أو تضاؤل الهوية أو تبددها باتت هواجس شاخصه تفرض نفسها على الفكر العربي والثقافة العربية».

فبفعل ظاهرة العولمة تتعرض الثقافة العربية اليوم لخطر كبير. ولا تأتي هذه الخطورة من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما من الآليات والأدوات التي تستخدم لغرضها. فالعولمة ظاهرة تقفز على الدولة والوطن والأمة، وتعمل على إضعاف الدولة والتخفيف من حضورها مما يقود إلى استنهاض الأطر التقليدية السابقة على الدولة، كالانتماء للقبيلة والطائفة والتعصب المذهبي بقصد تمزيق المجتمع والقضاء على الهوية القومية والوطنية.³ إن التغيير الحاصل على مستوى البنية الأساسية للثقافة العربية حادث فعلا، ويمكن تلمس رموز هذا التغيير في التوجهات العلمية والأكاديمية، سواء على مستوى العلوم الطبيعية أو الإنسانية التي تدرسها كافة المؤسسات العلمية.

ويرى المفكر العربي **محمود أمين العالم** أن المعركة ليست معركة وحدنا، بل معركة شعوب العالم جميعا سواء النامية منها والمتقدمة، ومعركة كل القوى الديمقراطية والتقدمية في العالم بتياراتها الأيديولوجية وتنظيماتها

1 . برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية. 2003.

2 . نفس المرجع الأنف الذكر.

3 . سمير روجي الفيصل، «الثقافة العربية والقرن الحادي والعشرين». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، حزيران 2000، ص 58.

السياسية ونقاباتها وهيئاتها المدنية وعلمائها ومثقفوها المهمومين بالوضع العالمي المتردي والذي يشهد العالم اليوم مظاهر مقاومته.¹ لقد أدرك الجميع أن تيار العولمة يختلف بشتى أبعاده اختلافا جذريا عن جميع التيارات السياسية والفكرية الغربية التي أثرت في الفكر الإنساني الحديث، فقد اكتسح بسرعة فائقة الحواضر والبوادي وفرض نفسه عبر ثقافة الصورة على جمع الفئات مُدْشِنًا بذلك عصر ما بعد المكتوب.²

وفي ضوء تباين الآراء والمناظرات الفكرية حيال ما أفرزته الثقافة العالمية حول الأصالة والمعاصرة داخل المجتمعات المعاصرة، فقد تباين موقف المثقفين العرب من ثقافة هذه العولمة. ويمكن رصد كثير من المواقف المتسارعة، وربما أحادية الجانب تجاه العولمة بعامتها، وعولمة الثقافة بخاصة. فيذهب **الفريق الأول** إلى رفض العولمة الثقافية، والتي تهدف من وجهة نظره إلى إلغاء وطمس الهوية القومية العربية وإلغاء الثقافة العربية والإسلامية، مروراً بقيادة مشروع تخريب ثقافي، ودفع ثقافات غربية وعناصر ثقافية تتحرك باتجاه إلغاء كل ما هو محلي وأصيل، وانتهاء بتوجيه بعض الأقلام المأجورة لإظهار كل ما هو سلبي في الثقافة العربية الإسلامية من ناحية وإعلاء قيم الثقافة الغربية وتوسيع رقعة المستهلكين لها من ناحية أخرى.³ فلا شك عند هؤلاء أن العولمة الثقافية هي مكنن الخطر، وأنها بقدر ما تعني الهيمنة الثقافية الأمريكية عبر فرض النموذج الثقافي الكوني الأمريكي على الأمم والقوميات ومنها الأمة العربية، فهي تعني اجتثاث الثقافة العربية وتغييبها وإحلال الثقافة الأمريكية محلها.⁴

كما أنه على صعيد آخر فقدت الدول في ظل العولمة الثقافية القدرة على التحكم في تدفق الأفكار والقيم والقناعات فيما بين المجتمعات والأجيال، وفقدت الدولة السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات والذي يتم عبر وسائل الإعلام ووسائل وتقنيات جديدة. وهذا له تأثيره الشديد على فكرة الوطن والمواطنة لدى المتلقين وخصوصاً الشباب منهم. مما ينتهي الأمر بنا إلى الاضمحلال والتحلل في الثقافة العالمية، و فقد استقلالنا الثقافي ومعالم وجودنا.

أما ما يوحي التوجه العام نحو السعي إلى تقارب وربط الثقافات والحضارات من أجل تعزيز الهوية العالمية وربما أيضاً خلق عالم بلا حدود ثقافية، فهو مجرد وجه مشرق قد لا يتحقق أبداً. فالعولمة الثقافية يمكن لها أن تتجه نحو صراع الحضارات، ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات، ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية

1 . حسن عبد الله العايد، مرجع سابق. ص 81.

2 . ليلي شرف، «التغيرات العالمية وانعكاساتها على الدول النامية». مؤسسة عبد الحميد شومان، 2000/04/24.

3 . خلاف خلف الشاذلي، «المتجمع العربي بين مخاطر العولمة الثقافية وتحديات ثقافة العولمة». شؤون عربية. العدد 107، سبتمبر 2001، ص 96-97.

4 . الحبيب الجنحاني، «العولمة والفكر العربي المعاصر». مؤسسة عبد الحميد شومان، ربيع 2000، ص 1. وانظر حسن عبد الله العايد، أثر العولمة في

وجعلها الثقافة الأكثر رواجاً على الصعيد العالمي. فالعولمة الثقافية التي تمهد الطريق حالياً لترابط المناطق الثقافية بإمكانها أيضاً أن ترسخ انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة وتزداد انغلاقاً، وتستعد لمواجهة بعضها البعض.¹

ويتجه **الفريق الثاني** من المثقفين العرب إلى ضرورة الانفتاح على العولمة والعولمة الثقافية، فهي تتضمن بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار والبيانات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي، وبأقل قدر من القيود والعراقيل والضوابط. وعلى صعيد آخر فإن العولمة الثقافية تعني انتقال تركيز اهتمام ووعي الإنسان من المجال المحلي إلى المجال العالمي، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي. ففي ظل العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية، وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية التي ربما ستحل تدريجياً محل الولاءات والانتماءات الوطنية. ستعود الإنسانية النظر إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد. وتشارك مع بعضها البعض في قيم عميقة تتخطى كل الخصوصيات الحضارية والثقافية. ففي ظل العولمة الثقافية يكشف الإنسان بعده العالمي، ويتعرف على هويته الإنسانية أكثر من أي وقت آخر.

كما أن بروز الهوية العالمية في ظل العولمة عند أصحاب هذا الاتجاه لا يعني تلقائياً تراجع أو تهميش أو نفي الهوية الوطنية للفرد.² إن المواطنة العالمية تعني بروز جيل من المواطنين العالميين المنتسبين للعالم بقدر انتسابهم للوطن. لكن بروز الوعي بالبعد العالمي في الوجود الإنساني لا يعني عدم وعي الوطن، والولاء للإنسانية لا يعني سقوط الولاء للأسرة أو الجماعة أو الأمة.³

وهناك **تيار الوسط** في الثقافة العربية الذي يذهب إلى ضرورة الانفتاح مع أخذ الحذر والحيطه من العولمة الثقافية.⁴ والسعي للتأليف والمزج بين ما نأخذ من إيجابيات العولمة وما ندعه من سلبيات تكون خطرة على الهوية الثقافية العربية. فليس لهذا التيار أن يدعو إلى مصارعة عصر العولمة فيصرع الجميع و لا أن يتفاعل و يندمج فينسلخ من ثقافته. و لكن ما أعسر الطريق الثالث والتميز بين الغث والسمين، وصورة الحضارة اليوم تأخذ منهم اللبيب فتتركه حيراناً.

والناظر في المواقف الثلاثة من ثقافة العولمة تعكس لديه تحيزات أيديولوجية ومواقف مسبقة إزاء التحولات الدولية، وأحياناً عدم فهم للطبيعة المعقدة للعولمة كعملية تاريخية. فضلاً عن الانقسام والصراع داخل الثقافة العربية الناتج عن الاختلاف في التعامل مع الثقافة الغربية ومنجزاتها من جهة، والاختلاف في النظر إلى المكونات الأساسية للثقافة العربية من دين ورؤى للعالم و قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوك من جهة ثانية.⁵

¹ . انظر عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 76، 77، 78.

² . سالم يفوت، «هويتنا الثقافية والعولمة». مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد 11، سبتمبر 1998. ص 37، 43.

³ . انظر عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق. ص 76، 78.

⁴ . خلاف خلف الشاذلي، مرجع سابق. ص 96، 97.

⁵ . محمد شومان، «عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والمحاذير». مرجع سابق. ص 91.

لقد بات واضحا أمام حيرة مثقفينا ومفكرينا أننا أصبحنا مع مختلف شعوب الأرض في دائرة تأثير العولمة. ومع أن الناظر لا يختلف مع القائلين بالتأثيرات السلبية بل والخطيرة للعولمة على الهويات القومية والخصوصيات الثقافية المهددة، إلا أن كتابنا لا يرون في نزعات التوقع والانكفاء والخوف المبالغ فيه على الهوية الثقافية سوى ردود فعل سلبية، وربما ستارا يحجب الخشية من الأفكار النقدية العالمية والتي من شأنها زعزعة مواقع النخب السياسية والثقافية المتعاقبة.

هذا إلى جانب ما ينطوي عليه القائل بالتفوق والانقطاع من فهم للهوية ومكوناتها من منطلق أنها هوية مغلقة وأحادية ومنتهية ولا يمكن تعديلها. في حين تبين المعايير النقدية للعناصر التي تشكل الهوية من لغة وثقافة وانتماء مشترك يمكن أن تكون مركبة ومفتوحة ومرنة وقابلة لإعادة التشكيل. فلا مانع إذن من الحفاظ على الهوية والخصوصية، ولكن لا يعني ذلك طرح ثقافة الآخر لأن بها شوائب تتعارض مع واقعنا الحضاري وتراثنا الثقافي الأصيل. إن العزلة اليوم غير ممكنة، وهي مسألة مستحيلة عمليا لا ينفع معها التغزل بالتراث وبالماضي الذهبي. ولكن إذا كان لا بد من الانفتاح على الحضارات العالمية، ومنها الحضارة الغربية، فإن من الواجب الاحتراز الشديد من السقوط في التبعية.

فالمرحلة المقبلة تقتضي التفاعل مع المعطيات الجديدة لثقافة العولمة التي لم يعد الدخول فيها خيارا، وإنما ضرورة يفرضها الواقع والتطور العلمي والتكنولوجي حتى لا نوسم بالانعزالية.¹ وحتى يتيح الفرصة لرجل الشارع العالمي للتعرف على هذا القدر الهائل من العقلانية والتوازن والتعاضدية والصدق الذي تحمله ثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة. وحتى يمكن للمجتمع العربي الإسلامي أن يشارك مشاركة فعالة ومؤثرة في هذه المنظومة الإنسانية بكل أبعادها والحد من اندفاعها المدمر لجوهر الإنسان من ناحية أخرى.²

الثقافة العربية في مواجهة الثقافة الكونية

إن التغيير من الصفات اللازمة لكل الثقافات، وفي عصرنا الحالي عصر الاتصالات وانفتاح الثقافات أصبح التغيير أكثر وضوحا وأسرع حدوثا. يقول *أمانويل بوشيا دامس* Emmanuelle Damas³ « ويحس الجميع في الوقت الحاضر بالحاجة إلى تكوين هوية وطنية، وتثبيتها نسبة إليهم وإلى العالم. ويتجهون عامة للتعبير

¹. محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي المعاصر، 1994. ص 336. 340.

². خلاف خلف الشاذلي، مرجع سابق. ص 104، 105.

³. أمانويل بوشيا دامس، التنمية الثقافية تجارب إقليمية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983. ص 194.

عن هذه الحاجة نحو ثقافتهم التقليدية ليستمدوا منها الإلهام والعون. ولا يجهلون بالتأكيد أنه من غير المعقول العودة بالزمن إلى عهد ذهبي نعموا به في القرون الماضية، وما يريدونه فعلا هو تشييد مجتمع توافق مع نظام قيمهم الخاص، وتراثهم الثقافي الأصيل، وملاءمة هذا التراث مع الظروف الحالية. وهم يعنون في هذا الصدد المخاطر التي ترافق التقنية الجديدة ووسائل الإعلام الواسعة التي توشك بطريقة ما أن تؤدي إلى تفكيك أساليب الحياة والتفكير التي تجسد الطابع الوطني. لكن النتيجة الأشد خطورة كانت في حصر الثقافة بالتسلية كما كان جاريا في الدول الغربية».

إن تاريخ الثقافة العربية يؤكد على أن من إحدى سماتها الانفتاح على الثقافات الأخرى والتفاعل معها مع الحفاظ على خصوصيتها. وهذا يعني أن الذاتية الثقافية تقبل التغيير دون أن تقع في حزن التغريب، وهو يعني أيضا التواصل بين التراث والمعاصرة.¹

فالبحث عن السبيل لحماية الذاتية الثقافية هو بحث عن سبيل الالتزام بثوابت الثقافة، وإدراك أن أشكال السيطرة الثقافية وما يمكن أن تؤديه من تلوث ثقافي تفرض علينا السعي إلى التحرر من أسار التبعية الثقافية، التي ترمي إلى طغيان وسيطرة الثقافة الغربية على الثقافة العربية. وعلى الرغم من الحرص على ذاتية الثقافة واستقلاليتها إلا أن هذا لا يعني أن تأخذ الثقافة طرق الانغلاق، لأن ذلك يحول دون إمكانيات تطورها وإبداعها. فالثقافة تحتاج إلى التفاعل البناء بين الثقافات المختلفة.²

وعلى اعتبار أن مستقبل الثقافة العربية وفعاليتها ليس مرهونا بالتحديات الخارجية التي تحملها العولمة على أهميتها فحسب، بل يتصل بقدر هذه الثقافة على إقامة حوار داخلي بين اتجاهاتها وتياراتها وأفكارها. أي بقدرتنا كعرب على إعادة بناء وحدة الفضاء الثقافي العربي بما يضمن حرية تداول الأفكار والمنتجات الفنية والأدبية إلى جانب تدعيم النشاط الإبداعي وتحريره من الممنوعات والمحرمات، بحيث يصبح الحوار الثقافي والحضاري العربي مقدمة وشرطا لأي ممانعة أو مبادرة منتجة للتواصل مع الثقافات الأخرى.³

ولعل أولى خطوات الحوار والمصارحة، النقد الذاتي لمحتوى ثقافتنا العربية المعاصرة. فإذا التفتنا إلى ثقافتنا الجماهيرية الحالية مثلا نجد أنها في الأعم الأغلب محلية الطابع متدنية المستوى. وهنا لا بد من الاعتراف بأن هذه الثقافة تصدر في الأغلب الأعم عن فكر اتصالي سلطوي، يوقر وجهة النظر الواحدة ولا يقبل بوجهة النظر

1 . خليل أبو الأصعب، تحديات الإعلام العربي المصادقية، الحرية، التنمية، و الهيمنة الثقافية. دراسة في الإعلام. مرجع سابق. ص 47.

2 . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 47.

3 . كرم أبو حلاوة، مرجع سابق. ص 186 . 187.

الأخرى. فكر غير منفتح على الثقافات الفرعية بصورة بنائية ولا يعترف بالجمهور أو بالنقد المستقل.¹ يضاف إلى ذلك ضعف الروح المعنوية لدى رموز هذه الثقافة. وإن قراءة بعض تقييماتهم لحال الثقافة العربية كفاية أن تصيب الإنسان بالهلع والجزع والإحباط.²

إن التحدي الأكبر للأمة العربية الإسلامية في مسألة العولمة يصب كما رأينا في اتجاه المحور الثقافي، لأن مشروع العولمة في الأساس أو في جوهره هو ثقافي. يحاول نشر قيم المنظومة الغربية في العالم بحيث يتوحد العالم على هذه القيم. مما يفسح المجال لاختراق ثقافتنا العربية الإسلامية. وهذا التشخيص لا يعني بالضرورة الموقف السلبي أو الرفض لهذه العولمة، لأنها لم تستأذنا في دخولها إلى عقر دارنا وفي محيطنا الثقافي وعمقنا القيمي. ولكنها فرضت نفسها فعلا بحكم الاستعلاء والقوة والنفوذ والهيمنة التي يتمتع بها القطب الواحد (الغرب) ومركزه الآن أمريكا.

ولكن حتى ندرك بهذا التشخيص أننا في تحدينا أو على الأقل في مواجهة هذه العولمة الثقافية نحن بحاجة إلى إعادة قراءة تراثنا وثقافتنا، ومحاولة استجلاء عناصر قوتها وإبرازها حتى نستطيع لا نقول لصدها أو التصارع معها، وإنما لتقف معها موقف على قدر من التكافؤ. فالمطلوب إذن أن تحدد الدوائر كلها كما يجب، هناك دائرة في العولمة الثقافية يجب رفضها وتحصين ثقافتنا منها، وهناك دائرة للحوار والتآلف معها.³

الثقافة الإسلامية الدلالة والمشهد الراهن

تميزت الثقافة الإسلامية منذ عهدها الأول بروحها الإسلامية التي تتغلغل في نسيجها عبر العصور. لقد سبقت الإسلام ثقافات؛ فرعونية ورومانية وفارسية، وتعددت الرؤى الثقافية التي سبقت الثقافة الإسلامية. وكذلك عاصر الإسلام ومازال يُعاصر الثقافات الأوروبية. ولكن يظل للثقافة الإسلامية طابعها الإنساني والحضاري الخاص بها. لقد تفردت بقدرتها التاريخية على توحيد الشعوب الإسلامية واستيعاب الثقافات الغربية بوصفها مستودع الأصالة والانفتاح، وتكوين الشخصية وتمثيلها لخط الدفاع الأول والمواجهة للاستلاب الثقافي والوافد الدخيل والغزو الفكري. مما يعطي الأمل في الثقافة الإسلامية أنها إما غالبية أو صامدة لا تستسلم.⁴

إن انتشار الثقافة العربية الإسلامية في مختلف البلاد التي دخلها الإسلام جعل كثيرا من معالم الثقافات المحلية القائمة تتكيف مع مقومات الثقافة العربية الإسلامية، فأصبحت العادات والتقاليد والأعراف تنسجم في غالب

1. عصام سليمان موسى، مرجع سابق. ص 376.

2. حسام الخطيب، «العولمة والعولمة من منظور مقارني». مرجع سابق. ص 236.

3. نبيه بن عبد القدوس الأنصاري، «الثقافة و المثقف في ظل العولمة» الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث ، قبرص. ص 104.

4. راجع مصدق حسن، مرجع سابق. ص 141 و ما بعدها.

الأحيان مع ثوابت الثقافة العربية الإسلامية حتى ولو اختلفت فيما بينها في الممارسة والتطبيق. على أن هذا الاختلاف لا يصل إلى مجال العقائد والقيم والمقاصد كما هو الشأن مع الثقافات غير الإسلامية القديمة والحديثة.¹

فهذا الامتزاج والتلاقح أكسب الثقافة العربية الإسلامية ثراءً وغنى وقوة ومناعة، وهي خاصية فريدة تكاد أن تكون فريدة في التاريخ الثقافي الإنساني. ويأتي مصدر هذا التنوع الذي يطبع الثقافة العربية الإسلامية من طبيعة المبادئ التي تقوم عليها والمستمدة أساساً من جوهر الرسالة الإسلامية ذاتها.² إن من أهم خصائص الثقافة العربية الإسلامية الانفتاح على الثقافات الشرقية والغربية مع المحافظة على الأصول الثابتة من دون تجاوزها.³

وإذا كانت الثقافة الغربية على وجه الإجمال تستمد مصادرها من الفكر اليوناني والقانون الروماني والأدب اليوناني واللغة اللاتينية والتفسيرات المسيحية التي وصلتها.⁴ فإن مصادر الثقافة الإسلامية هي التي تصبغ ثقافتنا بصبغتها الإسلامية، وتستمد كيانها من القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية واجتهادات العلماء وعصارة الثقافات التي اختلطت بها وامتزجت عناصرها معها. فهي: «ثقافة مهتدية بالنصوص الثابتة من قرآن وسنة، وهي ثقافة من صنع الإسلام بالدرجة الأولى سواء في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أم في عقائدها وعباداتها وأخلاقها»⁵

إن ثبات وصدق مصادر الثقافة الإسلامية وعالميتها يجعلها قادرة على التعامل مع غيرها من الثقافات بندية كاملة، بل بمرجعية إلهية أكثر سموً وإنسانية. وذلك بعكس الثقافة الغربية المعاصرة التي تعامل غيرها من منطلق التعالي وعدم الندية، ومنطق الغطرسة والقوة وليس العدل والحق.⁶

وبهذا ظلت الثقافة الإسلامية تتسم بسمتين أساسيتين⁷؛ أولهما الثبوت فيما يتعلق بالمصادر القطعية وما جاءت به من عقائد وتشريعات وقيم ومنهج. وثانيتهما سمة التغيير فيما يتعلق باجتهادات المسلمين وإبداعاتهم وما ينتج عنها من اختلافات في الرؤى. ولكن إذا كان للثقافة الإسلامية هذا الشأن الواسع في منظومتها كثقافة أو في تاريخها العريق، فما دلالة مصطلح الثقافة الإسلامية وطبيعته في الفكر الإسلامي الحديث؟

¹ . الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أيسسكو، الرباط، 1997. ص 56.

² . عبد العزيز بن عثمان التويجري، مرجع سابق. ج 1 ص 49.

³ . نفس المرجع الأنف الذكر.

⁴ . أنور الجندي، معلمة الإسلام. بيروت: المكتب الإسلامي 1980. ج 1 ص 525.

⁵ . عبد الحميد أبو سليمان، «الأمة بين شريعتين». مجلة إسلامية للمعرفة، المهدي العالمي للفكر الإسلامي، هزندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

⁶ . نفس المرجع الأنف الذكر.

⁷ . الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أيسسكو. مرجع سابق. ص 56.

يقول محمد علي الحوات¹: « من بين التعاريف التي ينطوي فيها مفهوم الثقافة التراث المشترك الفكري والروحي والأخلاقي فضلا عن أنماط القيم والاتجاهات والأعراف التي تعد كلها نمط سلوك وطريقة حياة ومنهج عمل. أما الحضارة فهي غالبا ما تنصرف نحو المحددات المادية للثقافة كالعمران والمدنية وما تنطوي عليها ».

ومن ثم فإن الثقافة كمنظرة في المعرفة ومنهج في السلوك ومنهجية في الإنجاز وقدرة اجتماعية ذاتية متجددة على المواجهة والوقاية، هي قانون الحضارة المطرد. فمن أراد أن يبني الحضارة وأن يشارك بفاعلية في حركة التدافع والتداول الحضاري الإنساني، عليه أن يفهم قوانين الثقافة وأن يتحكم فيها بفعالية. فالفعل الحضاري الأصل الفاعل المطرد هو باستمرار محصلة فعل ثقافي أصيل وفعال ومطرد.

والثقافة التي تصنع الحضارة وتمنح المجتمع والأمة القوة والمكنة والنفوذ، هي الثقافة التي تغير تفكير الإنسان وسلوكه، وتشحذ قواه الذاتية في اتجاه الانسجام والتناغم مع سنن الله في الأنفس والآفاق والمداية والتأييد، والاستجابة الفعالة لحاجات وتحديات حركة الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد في عامله وعصره. و بهذا لم يكن مفهوم الثقافة الإسلامية عند أسلافنا بالضيق والانكماش الذي توصف به اليوم، بل كانت قد شملت مظاهر الوجود الإنساني على هذه الأرض وبعيدا عنها في معاده أيضا، وذلك هو العنصر الغائب في تعاريف كتابنا المحدثين الذين جردوا الثقافة الإسلامية من عنصر الحياة فيها، وألبسوها ألوانا من ثمارها التي ظهرت عبر الأزمنة والقرون. إن فكرة "المعاد" في المنهج الإسلامي هي التي تجعل لكل مخلوق غاية حتمية من وجوده، وهي تعمير الأرض وفق منهج "الصلاح" الذي سنه الخالق لعباده، وبرؤية شمولية لفكرة الصلاح التي تنتهي بالانتساب للخالق عز وجل.²

إن الإسلام كدين ومنهج لحتمية الوجود البشري هو الثقافة بعينها، لأنه يوافق الحقيقة من الوجود وينسجم معها، وحول هذا الإسلام نسجت الأمة العربية والإسلامية مفاهيمها حول العلم والمعرفة والأخلاق والتربية التراث والمدنية وسائر سمات الحضارة المتفاعلة مع هذا المنهج. فالإسلام روح إذا دب في الحضارة أصبحت الحضارة إسلامية، وإذا دب في الفكر أصبح الفكر إسلاميا، وإذا دب في الثقافة أصبحت الثقافة إسلامية.

يذهب صاحب كتاب "مدخل إلى الثقافة الإسلامية"³ أن الثقافة الإسلامية: « هوية الأمة الإسلامية والمكون الجوهري للشعوب الإسلامية. وهي التي تضفي على هذه الشعوب نوعية حياتها وأسلوبها المعيشي. وتمثل حصيلة تجارب الشعوب الإسلامية منذ عهود تاريخية. وكانت الأمة الفاعلة ذات الحضور العالمي، وشاركت بإيجابية متفتحة في العطاء الحضاري العالمي لشموليتها في مختلف مناحي الحياة من الفنون والشعر والأدب والتاريخ

1 . محمد علي الحوات، العرب والعولمة، شجون الحاضر و غموض المستقبل، مرجع سابق. ص 157.

2 . الطيب برغوث، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي. ط: 2. الجزائر: دار قرطبة للنشر و التوزيع، 2004. ص 64-65.

3 . راجع مصدق حسن، مرجع سابق. ص 6. 16.

والمخطوطات والمكتبات العامة والخاصة والمتاحف الأثرية وطرز العمارة وموروثها الروحي والمعرفي، وتراث الأنبياء والرسول والحكمة والفلسفة».

ويرى محمد سيد محمد في الثقافة الإسلامية: ¹ «الثقافة المشتركة للشعوب الإسلامية، والتي وإن اختلفت في صورها من مجتمع إلى مجتمع ومن جيل إلى آخر إلا أنها تشترك في السمات الإسلامية، ولا تتعارض بطبيعة الحال مع العقيدة الإسلامية. وما عداها لا ينتمي إلى الثقافة الإسلامية وإن ظل إلى جوارها». ومثال ذلك من واقع الحضارة الإسلامية «العمارة الإسلامية في مصر والشام والعراق جزء من الثقافة الإسلامية، لكن لوحات الفن السريالي والطبيعة الحية العارية ليست من الثقافة الإسلامية، وإنما هي امتداد للثقافة الغربية أوهي جزء من الثقافة العربية في مرحلة التبعية. وذبح الماشية في السودان والسعودية مثلا جزء من الثقافة الإسلامية ولكن تقاليد التباهي والإسراف في الأفراح ليس من الثقافة الإسلامية، وإنما من رواسب الماضي أو من طوارئ الحاضر. وهكذا يمكننا أن نبعد وأن نستبقي أي عنصر من عناصر الثقافة الإسلامية بردها إلى أصول العقيدة، فما اتفق معها هو منها وما اختلف معها فليس منها».²

وأقر مؤتمر القمة الإسلامية في دورته السادسة بـ *داسمار*³ مفهوم الثقافة الإسلامية كما يلي «هي التعبير عن مدى التقدم والرقي في مختلف جوانب الحياة البشرية و مجالاتها، وإبراز ما يبدعه الإنسان من خلال تفاعلاته مع الوجود المحيط به والذي سخره الله له ولترشيد عقيدته وقيمه الإنسانية وإبراز الخصائص الكامنة فيه من فكر وسلوك يتواءم مع الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمع وفق معايير ومضامين إسلامية تنبع من العقيدة الإسلامية الخالصة، وذلك انطلاقا من الكتاب والسنة النبوي الصحيحة، وبما تضمنته الشريعة السمحاء من نظم إسلامية وما أجمعت عليه المذاهب الفقهية والسلف الصالح والعلماء المعاصرون من مبادئ عامة للفكر الإسلامي في جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية».⁴

ويتوسع كتابنا في رسم مفهوم الثقافة الإسلامية ليشمل محصلة المعارف الإسلامية والأدبية واللغوية والعلمية والفلسفية والفنية التي نشأت وازدهرت في العالم الإسلامي نتيجة تفاعلها مع الثقافات الإنسانية الأخرى.⁵

1 . محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام. ط: 2. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986. ص 52.

2 . نفس المرجع الآنف الذكر.

3 . المنعقدة في شهر ديسمبر 1991.

4 . الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، مرجع سابق. ص 39.

5 . عبد الغفار مصطفى، صحافة الأطفال رؤية في الواقع والمستقبل. ط: 1. القاهرة: دار الأحمدي للنشر، 2007. ص 11.

وفي سياق محاولات ضبط دلالة مصطلح **الثقافة الإسلامية** أنكر مفكرون تناول هذا المفهوم وتداوله بين الفئات المستغربة بشكل جزئي مبتدل يشمل ما يطلق عليه العلوم الشرعية، وقد تجاهل أصحاب هذا المنزع الجوانب الثقافية والحضارية والإبداعية الأخرى في الثقافة الإسلامية؛ كالفنون الإسلامية من عمارة وخط وزخرفة يدوية، وعلوم اللغة كالآداب والشعر والرواية والقصة والمسرحية. والمعارف الحديثة وحتى تكنولوجيا المعلومات. وهذا ما يجعل الرؤيا أو الطرح الإسلامي غائبا عن الساحة الثقافية في هذه الجوانب. وهذا أيضا ما جعل البعض ينظر إليها كثقافة محدودة وقاصرة.¹

إننا إذا قدمنا في الأخير إلى ضبط وتحديد العلامة الفارقة في مفهوم الثقافة الإسلامية ودلالاتها وفق التصور الإسلامي فتجدنا أمام موصوف وهو الثقافة وصفة وهي الإسلامية، ومن هنا فإن الإسلامية علامة فارقة في الثقافة ودلالاتها «إن الإسلام العنصر الأساس في شخصية الثقافة الإسلامية ومنه تستمد قوتها وصيرورتها وتاريخها وواقعيتها، ويعتبر الإسلام إطارا مرجعيا لهذه الثقافة في مدلولها الخاص من حيث موضوعها وأهدافها وخصائصها ومصادرها، ومن خلاله تجابه التحديات والمكابدات النفسية والداخلية والخارجية، ويتم من خلال ذلك تحديد ملامح الشخص وشخصية الأمة الإسلامية وأسلوب حياتها».²

ومن خلال الحديث عن الثقافة الإسلامية وتعريفاتها وأطرها النظرية والتطبيقية في التصور الإسلامي يمكننا استخلاص الملامح التالية:³

1. إن الإسلام يمثل المرجعية الأساسية في الثقافة الإسلامية التي تؤسس قيمها وتصورتها وأهدافها من خلال أديبته ومقوماته وأفكاره وعقيدته.
2. خصائص الثقافة الإسلامية هي العالمية والشمولية والوسطية والواقعية والموضوعية والتنوع والوحدة.
3. إن الثقافة الإسلامية لا تقتصر على جوانب نظرية ذهنية تصورية فقط، بل تمتد إلى أن تكون نظرية في الممارسات الحياتية وسلوكيات المسلم.
4. إن الثقافة الإسلامية تمثل خط الصمود الأول في مواجهة التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية وأفراد المجتمع الإسلامي.

الثقافة الإسلامية والمشهد الراهن

¹ . انظر زكي مبارك، «الثقافة الإسلامية ومخاطر العولمة الثقافية». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 113.

² . مصدق حسن، مرجع سابق. ص 13 و ما بعدها.

³ . نفس المرجع الآنف الذكر.

جاء في كتاب **الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية** لمحمود الخالدي: « إذا جاز للمسلمين أن يفاخروا الأمم فهو في الثقافة. وبنظرة سريعة على ما تحتويه مكنتات أوروبا الجامعة من مؤلفات ومصنفات ودراسات أبداعها المسلمون في القديم ترينا حقائق يعجز العقل عن التصديق. وقد اعترف علماء الغرب قاطبة بمكانة الثقافة الإسلامية في جميع فروع المعرفة، لدرجة أننا رأينا الحياة الغربية تعجب من معالجات الإسلام للحياة. فالقانون المدني الألماني أخذ من قانون المعاملات العثماني اثنتين وسبعين مادة قانونية، وقانون المعاملات العثماني اعتمد كتاب المبسوط في الفقه الحنفي وهو للعلامة **أبو بكر السرخسي**، وقد عد ابن خلدون أول مؤسس لعلم الاجتماع، كما قيل عن الغزالي في التربية والكندي في الفلسفة، أما عن العلوم التجريبية فحدث ولا حرج، ففي الطب والفيزياء والكيمياء والصيدلة والرياضيات كان علماء المسلمين هم الأوائل»¹.

تطرب نفوسنا كثيرا عند قراءة هذه النصوص حول ما كان عليه واقع ثقافتنا الإسلامية، وكذلك يسهل علينا الحديث عن الثقافة الإسلامية بصفة التعميم والإجمال، وأيضا عند تشخيصنا لهذه الثقافة في تراثنا الديني وتاريخنا الحضاري تمكنا من تحديد معالم التفوق فيها والتميز. غير أننا إذا حاولنا في عصرنا الراهن التعرف على الثقافة الإسلامية أو وصفها كما نفعل معها في التراث وجدناها حينها كأنها كائن زبقي الملمس، وكثيرا ما نفتقد وجودها أصلا في منظومتنا الثقافية والفكرية المعاصرة.

ففي الدراسات الإسلامية المعاصرة **وُجُوهُ** واتجاهات كثيرة في تعريف الثقافة الإسلامية ورسم حدودها النظرية، توزعت بين النظريات السلوكية والاجتماعية والمعرفية والعلمية. وبين التصور الشامل والتركيز على جانب من جوانب عناصر الثقافة. ومن المفيد لأجل التحليل بيانها هنا على النحو التالي:²

1. **تعريف الثقافة الإسلامية بوصفها نظرية في السلوك**؛ ومن أوائل من نحا هذا الاتجاه **مالك بن نبي** ³ حيث عرف الثقافة: « مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه». كما عرف دلالتها في موضع آخر بأنها « أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى». وذهب **عزمي طه** وآخرون إلى أن الثقافة الإسلامية: « معرفة علمية مكتسبة تنطوي على جانب معياري مستمد من الشريعة الإسلامية ومؤسس على عقيدته، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود».

1 . محمود الخالدي، ط: 1، عمان: دار الفكر للنشر و التوزيع، بلا تاريخ. ص 5 . 6.

2 . مصدق حسن، مرجع سابق. ص 14 وما بعدها.

3 . انظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني، ص 93 . 94.

2. **تعريف الثقافة الإسلامية بوصفها مدخلا للمعارف والتصورات الإسلامية؛** فهي هنا تلك « المفاهيم الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة » وكذلك **رأها شعبان إسماعيل** « إدراك المفاهيم الإسلامية الصحيحة لجوانب الحياة المختلفة».

3. **تعريف الثقافة الإسلامية بوصفها نظرية في المعارف والقيم الاجتماعية؛** ومنها تعريف محمد النبهاني « الثقافة مجموعة من المعارف التي تسهم في تكوين الرؤية للإنسان، وتؤدي دورها في صياغة معالم شخصيته الذاتية وأفكاره وقيمه وسلوكياته». وعرفها **همام سعيد** وآخرون من حيث كونها نظرية للسلوك والقيم والعلاقات الاجتماعية بقولهم « الحالة الاجتماعية الواقعية التي تستمد قيمتها واتجاهاتها ومظاهر سلوكها من الإسلام عقيدة وشرعة».

4. **تعريف الثقافة الإسلامية باعتبارها علما قائما بذاته؛** ومن أوائل من اتجه إلى دراسة الثقافة الإسلامية بوصفها علما **راشد شهبان** إذ يقول: « الثقافة علم دراسة التصورات الكلية والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجية شمولية مترابطة».

غير أن الباحث لا يجد من هذه التصورات التعريفية العامة للثقافة الإسلامية وهي كثيرة في مكتبتنا العربية والإسلامية ما يؤسس لنظرية حقيقية في علم الأنثروبولوجيا الثقافية الإسلامية إلا ما طرحته **فلسفة مالك بن نبي**¹ ونظرته للثقافة في نسقها العام ضمن إطار الفلسفة الإسلامية، فهي غير بعيدة في قواعدها و أسسها الاجتماعية عما طرحه الفلاسفة وعلماء الحضارة في القرن العشرين. لأن الثقافة كظاهرة أنثروبولوجية اجتماعية لا يجب أن تقتصر على جوانب دون أخرى في التأسيس و التععيد كما يفعل أكثر كتابنا بوصفهم القاصر للثقافة واندفاعهم المتحمس.

إن الثقافة الإسلامية في هذا العصر لا تشكوا حالها وواقعها المتردي بقدر ما تشكوا قلة البحوث الجادة المؤسسة برؤى فلسفية وتنظيرية عميقة، يقلقها اندفاع أشباه المفكرين للحديث باسمها وتحديد بؤر الداء فيها في عصر لا يجب للعشوائية أن تكون فيه منهجا.

ينبغي أن يدرس موضوع الثقافة في مجتمعاتنا الإسلامية من منظور حضاري تربوي تجديدي. أي أن تدرس الثقافة ضمن الإطار الذي يحولها إلى موضوع للتجديد والتحضر والتربية الشاملة للمجتمع. وبهذا تصبح المسألة الثقافية هي الأساس الاستراتيجي الحيوي لأي تغيير أو بناء للإنسان المسلم المتحضر.²

¹ . راجع: مشكلة الثقافة وميلاد مجتمع، **مرجع سابق**.

² . عبد العزيز برغوث، نحو منظور حضاري في دراسة دور الدين في تشكيل القيم الثقافية. **مرجع سابق**. ص 96.

لقد تطور مفهوم الثقافة في عصر العولمة وما زال يتغير سريعا مع الألفية الثالثة وعصر مجتمع المعلومات. فهل يستطيع منظرونا في الثقافة الإسلامية مواكبة هذا العصر وقد خبروا خباياه الفلسفية والفنية والتكنولوجية والتصدي له بطرح مفاهيم مستحدثة حديثة أدوات هذا العصر، أم أن كتاباتنا حول منظومة الثقافة الإسلامية ستظل عرضة لكل راغب ومدافع؟.

يلخص نبيل علي صاحب كتاب " الثقافة العربية وعصر المعلومات " وضع الثقافة الإسلامية غير المبهج في عالمنا اليوم بقوله: «الفكر الثقافي الإسلامي يعاني من أزمت طاحنة على جميع الجهات؛ أزمت في فكر اللغة، وفكر التربية، وفكر الإعلام، وفكر الإبداع، والفكر الديني، فكر القيم وفكر معالجة التراث، والأدهى من ذلك هو الفقر الشديد الذي يعاني منه الفكر الفلسفي العربي، والتنظير الثقافي بالتالي. وفي ظلمة الخواء ترتع خفافيش الانتهازية الفكرية، ويتحول أنصاف الفلاسفة وأنصاف العلماء إلى أشباه أنبياء، ذوي سلطة معرفية أقرب ما تكون إلى السلطة الغيبية».¹

ثم يذكر آخرون أسبابا عديدة لما آل إليه وضع الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي اليوم، ومنها على وجه التحديد:²

- انفصام العلاقة بين كثير من المثقفين في العالم الإسلامي وبين مصادر الثقافة الإسلامية.
- ضعف الرؤية لدى بعض المشتغلين بالثقافة فيما يخص العالم الإسلامي وأولويات النهوض في هذا العالم ليصل إلى مصاف الأمم والدول المتقدمة فكريا وصناعيا.
- التباعد الكبير بين المثقفين في العالم الإسلامي وعدم معرفة بعضهم بعضا، والظروف الصعبة التي تعيشها الأوساط الثقافية في عدد كبير من دول العالم الإسلامي التي تحرمهم من مواصلة إبداعهم وإثراء وإغناء العمل الثقافي بما يخدم قضايا الثقافة الإسلامية.
- تقاعسنا في فهم علاقة الدين بالعقل يمثل عقبة كئودا أمام مسعى مجتمعاتنا العربية إلى دخول عصر المعلومات ذلك الذي تسوده القوى الرمزية، وهو ما يتطلب فهما عميقا لموقع الدين في منظومة هذه القوى الرمزية والذي يتطلب بدوره تجديد النظرة إلى نصوصنا الدينية بصفتها محور منظومتنا الدينية وهو ما يؤكد بدوره أهمية اللسانيات وتكنولوجيا المعلومات كأداة فعالة في تحقيق هذه المهمة.³

1 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، مرجع سابق. ص 179.

2 . عبد العزيز بن عثمان، مجلة الكلمة. مرجع سابق. ص 117.

3 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 425.

- افتقار كثير من الإسلاميين إلى العمق والاستيعاب في قراءة الحضارة الغربية وخاصة في جوانب الفكر الفلسفي، ويكتفي البعض بالمقارنات العامة تتوقف عند حدود المقارنة نتخذها ذريعة للانكفاء على الذات لا دافعا إلى مزيد من البحث والتنقيب وتحديد مواضع اللقاء والافتراق.¹

هذه العوامل مجتمعة مع غيرها تجعل بلا شك من الثقافة الإسلامية المعاصرة ثقافة غير قادرة على منافسة الثقافات العالمية التي تعيش ثورة في مجالات المعلومات والاتصالات، وفي ظل ما أصبح متعارف عليه بأنه عصر العولمة الذي انفتحت فيه الآفاق وأزيلت الحواجز وأصبح العالم فيه قرية كونية. هذا بلا شك يجعل من المجتمعات الإسلامية عرضة للتأثر بما ينتجه غير المسلمين من ثقافات، وبالتالي يؤثر على النظم المعرفية والقيمية في مجتمعاتنا، ويجعل هذه المجتمعات تعيش حالة انفصال وارتباك وتشويش نرى آثارها اليوم في شبابنا الذين بهروا بما تنتجه الحضارة الغربية، وأصبحوا يقلدون الغرب في أزيائهم وعاداتهم وفي سلوكهم، وابتعدوا عن الهوية العربية الإسلامية.²

إن الفكر الإسلامي وهو أداة الثقافة الإسلامية والمعبر عنها بحاجة للمزيد من المراجعات، ولمزيد من التجدد بما يستجيب للتطلعات الكبرى للإسلام ورسالته العالمية. فالفكر الإسلامي مدعو إلى أن يطرق باب العالمية وأن يكون مساهما بتكافؤ في حقل الثقافة العالمية جنبا إلى جنب مع المنظومات الثقافية والحضارية الأخرى.

لقد ظهر مؤخرا الاهتمام بأبحاث الثقافة الإسلامية وموضوعاتها وفعاليتها. وتم تقريرها في المتطلبات الجامعية، ولعل مرد ذلك يعود إلى الأسئلة الملحة والمستفزة عن الهوية الأمة الإسلامية وشخصيتها، والمشاكل السياسية والدينية والاقتصادية والنفسية التي يعاني المسلمون منها بعد البغي الإستعصالي (الاستعمار) الأوروبي للدول الإسلامية، وإزاحة السيادة الإسلامية في التشريع والقانون والحكم وإحلال نظم غربية محل النظم الإسلامية.

ولكن التجربة الأولى لتدريس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات العربية، التي وضعت برامجها وقررت ودرست دون التوفر على " **البعد الفكري** " يمنح الرؤية لأهدافها وغاياتها و وسائلها والقدرة على إِبصار ثمراتها وإنتاج عطائها، فانتهت على أن تصبح وكأنها مادة من مواد العلوم الشرعية أو جزءا منها، كل يدرسها في ضوء اختصاصه الأكاديمي، تفسيراً أو حديثاً أو غير ذلك.³

الثقافة الإسلامية والعولمة

1. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 425.

2. عبد العزيز بن عثمان، « ما السبيل لنهوض الثقافة الإسلامية نحو العالمية ». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 117.

3. كمال الدين جعفر عباس، الاتصال السياسي في البعد الفكري. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي، 2004. ص 80.

والحديث نفسه حول ما ذكرناه سلفا عن الثقافة العربية والعولمة¹ و فكرة الانفتاح على الثقافات العالمية ونبتذ التفوق والانعزالية في حذر شديد. غير أن ما نضيفه هنا أن الغرب يدرك اليوم أكثر من أي وقت مضى خطر المد الإسلامي بثقافته المائتة المتجددة و بذور الحياة فيه التي لا تفتنى أبدا. فهو ما يزال يمتد على طول رقعة جغرافية واسعة من القبلين واندونيسيا شرقا إلى شاطئ الأطلنطي غربا، ومن أواسط آسيا شمالا إلى جنوب الصحراء الكبرى.

ويصور الإعلام الغربي الإسلام وثقافته عائقا أمام مسيرة العولمة، وتهديدا لسلام العالم، فهو رغم ضعف أهله وهوانهم على العالمين الخطر الأخضر الذي يخشاه الفكر الغربي اليوم. فلم تستطع العولمة العالمية بترساناتها الإعلامية العملاقة ترويض أصوله رغم مظاهر التغريب المنتشرة بين المسلمين. إنها الحرب الباردة ضد الإسلام كما يراه إدوارد سعيد² ونوعا من العداء الفاضح من جانب واحد يبيده الغرب ضد الإسلام. وما يخشاه الغرب فعلا من الثقافة الإسلامية ملاحظته عالمية الإسلام التي تنطلق أساسا من عالمية الرسالة، ولكن المسلمين يفتقدون عمليا ما يثبت أقدام هذه العالمية على أرض الواقع، وفي مقدمة ذلك عالمية التنظيم الذي يساند هذه الدعوة والقدرة على إقامة حوار هادف مع الفكر العالمي الديني والثقافي خاصة الفكر الغربي ولا يحسب الغرب إلا والإسلام برسالته العالمية وبقيمه الإنسانية الكبرى قادر على دخول هذه المغامرة العالمية و الخروج منه منتصرا.

غير أن حرب العولمة على الثقافة الإسلامية قد تركت آثارا بالغة التأثير، وهي لا تزال تعمل على تعميق الاختراق الثقافي في المنظومة الإسلامية. لذلك فقد تركت العولمة الثقافية انعكاساتها الشديدة على المفاهيم و العلوم الإسلامية³:

أولا: انعكاسات العولمة على أصل العقيدة: لأنها تشمل على الدعوة إلى وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها وتهددها من أصلها. والعولمة تنظر إلى الأديان على أنها سواء، وأن الحق في هذه الدائرة نسبي بحسب اعتقاد كل أمة. ولا يصح في العولمة الفكرية والثقافية اعتبار دين الإسلام هو الحق الذي ليس بعده ضلال، ولهذا تشجع العولمة ما يسمى بـ "حوار الأديان" لا على أساس دعوة الأديان الأخرى إلى الإسلام، بل على أساس إزالة التمييز بين الإسلام وغيره بالحوار الذي يتوقعون أنه سيحمل المسلمين على التنازل عن اعتزازهم بدينهم واعتقادهم بطلان غيره. وتتجلى خطورة هذه الدعوة في كونها تنقض عقيدة الإسلام من أصله و قد قال الله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾⁴.

1 . انظر الصفحة 178 وما بعدها من هذا الفصل.

2 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 410.

3 . راجع عبد العزيز عثمان التويجري، العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية. مرجع سابق. ج 2. ص 272 . 276.

4 . آل عمران: 85.

ثانياً: انعكاسات العولمة على المفاهيم الأساسية للعقيدة: كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً. فالكون في نظر العولمة الثقافية لم يخلق تسخير للإنسان ليكون ميدان امتحان للناس، والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى، والحياة ليست إلا صراعاً، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذاته وشهوته ومنافعه، وليست الحياة سوى فرصة قصيرة لا ينبغي أن تضيع في غير اللذة والشهوة والجنس والمال والثروة والجمال، وليس وراءها شيء آخر. إن خطورة العولمة الثقافية تعمل على إعادة تشكيل المفاهيم الأساسية التي تشكل أصول عقيدة المسلم بل تنفضها وتستعيز عنها بمفاهيم غربية ملحدة لا تؤمن بوجود عبادة الله واتباع الوحي والاستعداد للآخرة والإيمان بالجنة والنار.

ثالثاً: انعكاسات العولمة على مبادئ الشريعة الإسلامية: وتحمل العولمة في طياتها نقضا لأحكام الشريعة الإسلامية بنشرها وفرضها مبادئ تخالف الشريعة مثل فرض المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، فهذا المفهوم منصوص عليه في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان ومقتضاه إزالة جميع الفوارق على الأحكام والحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، وهو الأمر الذي يتناقض مع الشريعة الإسلامية التي تقوم على أساس الفرق الفطري والخلقي بين الرجل والمرأة، ذلك الفرق الذي يقتضي اختلافاً في الأحكام والحقوق والواجبات. وإنما اقتصرنا على هذا المثال لأن مُمَيَّ مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة أضحت موجةً آخذةً في الصعود في العالم العربي والإسلامي، ولأنها قضية بالغة الخطورة، لأن الغرب يسعى من خلالها إلى إعادة تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمعات العربية والإسلامية وفقاً للمفاهيم الغربية.

أما موقف الفكر الإسلامي من ظاهرة العولمة فقد تعددت في صور كثيرة و تنوعت تبعاً لتعدد المنظومات المشكلة للفكر الإسلامي الحديث، وقد رأينا أن نلخصها في عدد من التصنيفات التالية:¹

- 1 . خطاب الرفض التام؛ على أساس أن العولمة ما هي إلا صورة متقدمة من العلمانية، حيث اتحدت القوى العلمانية في الداخل والخارج في أشكال عدة آخرها نظرية العولمة.
- 2 . خطاب رد الفعل: هناك من يعتبر المد الإسلامي رد فعل للعولمة هو يوشك أن يكون برنامجاً ناجحاً للحركة الإسلامية في المجالين السياسي والاجتماعي.
- 3 . خطاب عملية الإسلام: يرى الإسلام ديناً عالمياً، والإسلام هو الحل ليس بالنسبة إلينا فقط بل بالنسبة للمجتمع الإنساني بصفة عامة. ولا ينقصنا إلا وضع المنظومة الحضارية الإسلامية التي لا تجمع العرب والمسلمين فقط بل تجمع المستضعفين في العالم أجمع.

4 . خطاب " فلنأخذ منها بحذر": هناك فصيل من الإسلاميين يرى في العولمة خيراً لأمة المسلمين.

¹ . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، مرجع سابق. ص 407-408.

5 . خطاب تهدئة البال: في رأي الجابري أن العولمة لا تمثل خطرا على مستقبل الثقافة الإسلامية، وذلك لأن الثقافة لا تصنع مصيرها بنفسها بل بأهلها.

إن الحديث عن مخاطر عولمة الثقافة على الثقافة الإسلامية لا يعني أن ندير ظهورنا تماما لثقافة العولمة وللتطور والتحول الحادث بالفعل في مختلف مجالات الحياة من حولنا. ولكنه يعني ضرورة الدراسة المتأنية لاختيار ما يناسب وطرح ما لا يناسب جانبا، فالحفاظ على الهوية الثقافية لا يعني مطلقا كما قد يتصور البعض الانغلاق على الذات في العلوم والتقنية التي أصبحت ضرورية، وليست حكرا على مجتمع معين أو ثقافة بعينها.

وذهب مي فيلد *MAY FIELD* إلى «أن نقل التكنولوجيا إلى الدول النامية ليس هو الهدف النهائي، ولكن الأكثر أهمية هو خلق عقلية جديدة ورؤية جديدة للواقع والعالم، وأن الهدف الرئيسي يكمن في إعادة بناء البشر وهو ما انتهى إليه روستو *ros tow*¹ في مؤلفه "مراحل النمو الاقتصادي"، من أن سبب تخلف كثير من الدول النامية لا يرجع إلى نقص الموارد الطبيعية بقدر ما يرجع إلى إهمال الموارد البشرية. ولذا فإن مجتمعنا العربي يكون بحاجة إلى ثقافة العولمة بما تتضمنه من تدفق للمعلومات وتوطين للتكنولوجيا وتوسيع آفاق حرية التعبير»².

الثقافة الإسلامية بين العولمة وحوار الأديان:

في زمن العولمة لم تعد سياسة التفوق ممكنة للحفاظ على الهوية، وإنما هو زمن إعادة صياغة الهوية بناء على معطيات ليست هي الموروثة من محيط قديم مغلق، بل المطروحة اليوم في كل يوم من مصادر ثقافية متعددة .

هذا هو المستقبل الآتي في زمن العولمة والتقدم والمنطق وما يقابله من نزاعات في الانتماء والهوية حين لا تلغي الهوية الشخصية الآخرين، بل تعرف ذاتها بمقدار ما تعرفهم وتبلور ذاتها بمقدار ما تفهمهم. الطريق اليوم إلى تأكيد الذات ليس الانتماء الموروث المغلق الطائفي إلى دين سواه، بل هو بناء الذات انطلاقا من الدين والمذهب والثقافة الموروثة باتجاه الثقافة والدين كحياة بشكلها المعهود، وهذا الشكل الأخير لا يأتي من قراءة الذات فقط بل من فهم كل مطلق وخير من خبرات الآخرين، بحيث يحافظ دين المستقبل على الهوية ويلاقي بالمقدار ذاته الأول بالآخرين.

¹ . خلاف خلف الشاذلي، مرجع سابق. ص 99.

² . السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999. ص 49.

لكن العالم يتغير بعمق وبتسارع أكبر ، وشهد تحولات كمية غير مسبوقة. مما يدعونا لبذل جهد غير عادي لفهم عملية التغيير الجارية الآن والتعرف على اتجاه تطور المجتمعات الإنسانية وإدراك التحولات في نظمها السياسية وقيمها الروحية وكذلك فهم الثورة العميقة في مجالات المعرفة والتكنولوجيا.

إن هذا الجهد والفهم يتطلب متابعة دقيقة وناقدة لعالم يتسارع فيه التغيير وتتداخل فيه الظواهر الثقافية بالأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتتشابك فيه العلاقات الدولية وتصبح الحاجة ماسة لخلق تفاهم وفهم مشترك واحترام متبادل بين ثقافات هذا العالم. ومما لاشك فيه فإن تبادل وجهات النظر بين مثقفين وباحثين ودارسين عرب وغير عرب حول قضايا ثقافية وسياسية واجتماعية، يوفر قاعدة أساسية لفهم الحضارات وإيجاد التفاعل بينها، وهو تفاعل ضروري لعملية تشكيل مستقبل العالم، والحيلولة دون حدوث صدمات في العلاقات الثقافية والدولية.

غير أن السؤال في هذا السياق هو لماذا تزداد الآن الحاجة لحوار بين الحضارات؟¹ إن البشرية تعاني أزمات سياسية وانفجارات اجتماعية وهجرات سكانية وفجوات عميقة اقتصادية وتناقصا في الموارد الطبيعية، ودمارا متواصلا للبيئة وارتفاعا في وتيرة العنف والغلو. كما يشهد العالم تحولات كيفية غير مسبقة خاصة في مجالات الثورة التكنولوجية الثالثة، والتي يصعب دون إعمال العقل فهم تأثيرها في القيم والعلاقات والأفكار والثقافات. كما تبرز حقيقة إدراك الواقع والعلاقات والمشاعر والبناء الاجتماعي والحدود التي تقوم عليها الحضارات، ومدى تغير دلالاتها عبر الزمان والمكان. ومدى تأثير اتجاهاتها بالضغوط الخارجية والأزمات الداخلية ... وغير ذلك. كما يخشى أن يؤدي استمرار وجود الصور "النمطية" لحضارة عند أخرى إلى تغذية ضروب الكراهية الجماعية خاصة في المجتمعات التي تنتشر فيها الجهالة والتعصب والخرافات ، فيتحول الاختلاف إلى نزاع، وإذا نشب النزاع فقد يتحول إلى عنف إذا لم يكن هناك حوار " وثقافة حوار"، والتي تعلي من قيمة التسامح، وتحترم مبدأ كرامة الإنسان وحرية في الاختيار، وتقبل مبدأ التنوع التعددية الحضارية بدلا من فرض "النموذج" والمهيمنة.

وفي الوقت نفسه، فإن الحوار بين الحضارات أيضا يسهم في تثبيت السمة الرئيسية للثقافات الإنسانية وهي استجابتها للتطور والاعتناء بالتفاعل بينها ، كما يسهم الحوار في " عقلنة " النزاعات التي قد تنشأ أثناء تثبيت الهويات الثقافية لهذه الحضارات، أو التي تتوالد في ظروف الأزمات الاقتصادية نتيجة حدوث احتكاكات بين أبناء الحضارات المختلفة ... إن من فوائد الحوار وغاياته إبطال المناخات المفعمة بلا مخاوف ومشاعر العنصرية والكراهية، وتوفير المناخ الملائم لتبادل الوافد النافع من الثقافة والعلم والخبرة.²

¹ يوسف الحسن، « حوار الحضارات ... لماذا؟ ». ضمن كتاب: الإسلام والغرب، صراع في زمن العولمة. مجموعة من الكتاب. ط: 1. الكويت:

الناشر مجلة "العربي". ص 125 . 126.

² نفس المرجع الأنف الذكر. ص 126 . 127 .

وبالتالي لم يكن الحوار مجرد مناسبة احتفالية نشارك بها غيرنا من الحضارات ، وإنما هو ثقافة من حيث قدرة على الحكم على الذات وعلى الآخر وتقديره موضوعيا. فلا وجود لحوار من أجل ذات الحوار، وإنما الحوار دوما لمقاصد خاصة في زمن العولمة حتى يستطيع مخاطبنا التواصل معنا بهذا الشكل. فحين نتمكن من نقل قيمنا التي يشاركنا فيها الآخرون وشرح أهدافنا وهي قريبة من أهداف الآخرين، فنحن ننتظر منهم التواصل معنا بخصوص ما هو مشترك بيننا وبينهم، وهذا ضرب من المصالحة. فليس الفِرَادَة ما يحرك الحضارات وإنما المشترك.¹

وميزة ثقافة الحوار أنها تساعدنا على التحاور حول القضايا المشتركة وحول التحديات التي تواجهنا لتجعلها تحديات للجميع ومن ثمة تكون الحاجة إلى خطة عالمية مشتركة من صنيع جميع الشعوب والحضارات. فمع سيادة ثقافة الحوار لم يعد ممكنا تناول حوار الحضارات حسب اصطلاح المفاهيم تقليديا لأن المثقف أو العالم المفكر صار جمعا لأنه ينتمي إلى مؤسسات المجتمع المدني، ولأن الحوار صار سلاحا مجرد أمنيات. فاستلهم روح حضارتنا والتأكيد على رؤيتها فيما يتعلق بالتفاعل والتعايش بين مختلف الحضارات والأديان، وإسهام العالم العربي والإسلامي في الأنشطة الدولية المتعلقة بحوار الحضارات سيجعل ذلك التقارب بيننا وبين بعض الحضارات مؤثرا ومحددا في بعض العلاقات الدولية. وهذا إحدى الخيارات المثلى التي يجب أن ترقبها من حوار الحضارات.

فالحوار الذي نريده بين الحضارات إذن حوار يحول دون استمرار الحضارات في النظر إلى بعضها البعض من خلال مرآة مكسورة. حوار يقوم على الإيمان بوحدة الأصل البشري، وعلى مبدأ التعارف والتسامح الثقافي في مواجهة العنصرية ونفي الآخرين. حوار يؤكد المشترك الإيجابي بين الحضارات، ويقر بأنه لا وجود "لحضارة زائفة" ويزيل ويمحو "ذهنية المحاصر" في عقل بعض الحضارات. والحوار لا بد أن ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى وتجنب إصدار أحكام مسبقة عليها والاتفاق على إعادة صياغة صورة الآخر في إطار من التسامح، والرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية لإحداث التفاعل الحضاري، وقد تساعد في ذلك معطيات المجتمع العالمي الجديد القائم على إنتاج المعلومات وتداولها بشكل سريع وميسور وواسع يتجاوز الحدود الجغرافية للحضارات والثقافات.²

أما الذي دفع إلى طرح مسألة الحوار بإلحاح فقد تكون أسباب تعود إلى طبيعة العلاقات الدولية ذاتها وقد تكون هناك أسباب أخرى خاصة بالعرب والمسلمين وصلت إلى الاستعصاء بين بلورة مواقف وأعمال مشتركة متصلة بمسائل الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية والأمن وامتلاك التكنولوجيا، وأخرى قائمة حول تفعيل هذه

7 . محمد علي الكبسي، « ثقافة الحوار والتوازنات العالمية ». ضمن كتاب: ندوة فكرية دولية "حوار الحضارات". مديرية الثقافة في الرقة. ط: 1. دمشق:

دار الينايع، 2009، ص 160

² . يوسف الحسن، مرجع سابق، ص 126 .

الأهداف، وكيفية توفير ما يكفي من الوسائل لوضعها موضع التطبيق من جهة كونها قوام الوجود الإنساني، الذي ينحصر في السياسة الخارجية والأمن المشترك والمشاركة الدولية في التعامل مع الأزمات. وإذا ما رغبتنا في التحول إلى قوة سياسية على المستوى العالمي، فإن علينا أن نحرك حوار الحضارات للتحديث عن الحقوق من أجل توحيد النظرة إليها وتوحيد النظرة إلى المخاطر حتى لا يغلب خطر على خطر.¹

وأما التدافع بجنب الحوار فهما متلازمان في الوجود الإنساني بحسب السنن الإلهية التي تؤيدها التجربة التاريخية، إذ إن القرآن الكريم لا يتكلم على هذه السنن إلا من القصص التاريخي الذي يثبت أنها سنن لن تجد لها تبديلا أو تحويلا. فهما جوهر وجود الإنسان الواصل بين هذين الحدين، الواصل بينهما بعلاقتين مستمرتين في كل لقاء بين البشر في الحضارة نفسها أو بين أصحاب الحضارات المختلفة المتساوقة أو المتوالية بين الحدين النظريين في السلم والحرب المطلقتين.²

ولذلك يخشى البعض من التثاقف بين الحضارات، وهي الحركة الطبيعية، ويتربون "صداما محتملا" بينهما في العصر الذي انتفت فيه الحواجز واشتبكت الثقافات في حوار ومواجهات إجبارية بسبب وسائل الإعلام السريعة والبطيئة. ففي مقالته الشهيرة "صدام الحضارات"، يرى **صموئيل هنتغتون** **Huntington Samuel** أن صراع الحضارات هو خليفة الحرب الباردة، وأن عالم ما بعد سقوط الإتحاد السوفياتي سوف يكون عالما من المراكز الحضارية (إسلامية، كونفوشيوسية، غربية، ...). المتصارعة صراع الناب والمخلب و أن على متخذي القرار في الغرب أن ينتبهوا إلى هذه "الحقيقة" في صنع سياستهم الخارجية المقبلة وفقا لشعار عام هو "الغرب والبقية". وهكذا فإن **هنتغتون** يرى أن الصراع الرئيسي سيكون بين الغرب ونوع من التحالف الكبير بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية (الصينية)، الحضارة الكونفوشيوسية بقوتها الاقتصادية والعسكرية والحضارة الإسلامية النفطية وملاصقتها الجغرافية للغرب، فالصراع بين الغرب والإسلام عنده هو النموذج الأكمل لصدام الحضارات.

ووفقا لهذه الرؤية، فإن الصراع الطويل بين الإسلام والغرب (المستمر منذ ثلاثة عشر قرنا) هو مؤشر في حد ذاته على احتمال استمراره لفترة طويلة قادمة.³ وفي كتابه الشهير "نهاية التاريخ"، يرى **فرانسيس فوكوياما** **Fukuyama Francis** أن البشرية قد وصلت إلى نهاية المطاف و خاتمة التاريخ في المسألة السياسية وذلك بسقوط المعسكر الشرقي، والانتصار النهائي للديمقراطية الليبرالية الغربية على مستوى العالم، انتصارا نهائيا لا انحدار بعده.⁴

¹. محمد علي الكبسي، مرجع سابق، ص 156.

². أبو يعرب المرزوقي، «حوار الحضارات بين منطق التاريخ الطبيعي ونطق التاريخ الحضاري، محاولة في فهم فلسفة التاريخ القرآنية». ضمن كتاب: ندوة فكرية دولية "حوار الحضارات". مديرية الثقافة في الرقة. ط: 1. دمشق: دار البيان، 2009. ص 115.

³. سليمان إبراهيم العسكري، «ماذا يتبقى من نظرية صراع الحضارات». ضمن كتاب: الإسلام والغرب، صراع في زمن العولمة. مجموعة من الكتاب. ط: 1. الكويت: الناشر مجلة "العربي". ص 107.

⁴. تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر المعلومات. ط: 1. لبنان: بيروت دار الساقى. 1999. ص 45.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

قضايا الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية¹

القضية الأولى: الهوية الثقافية والخصوصية في ظل العولمة²

غالبا ما تشترك تعريفات الهوية في إبراز عنصري التميز والاختلاف، حتى يمكننا القول إن الهوية ظاهرة ماختلفة عن غيرها، أي إنها جملة الخصائص التي تنفرد بها وتختلف وتميز قياسا بغيرها. ومهما تشابه الناس واشتركوا في الخصائص الحضارية والثقافية التي تميز الإنسان من غيره من المخلوقات، فإنهم لا يعبرون عن أنفسهم إلا من خلال أشكال فردية شديدة الخصوصية وتميز بعضهم من بعض. إن ما نسميه الهوية الفردية هي مجموعة الخصائص الجسدية والنفسية التي يتميز بها كل إنسان بين أقرانه. فإذا ما انتقلنا من الأفراد إلى الأمم، لم تعد الهوية خاصة بالفرد بل هوية أمة بأكملها، أو ما يمكن أن نسميه الهوية القومية التي هي «مجموعة الصفات والسمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عن سواهم من أفراد الأمم الأخرى». ³

وتعود خصوصية الثقافة في جزئها الأكبر إلى تاريخها الاجتماعي الخاص باعتبارها نظاما اجتماعيا متطورا وإنتاجا فكريا ناميا، يحمل معه عبر الزمن تصورات ومعتقدات وطرائق وأساليب للتفكير والاستدلال خاصة بأفراد

¹ . استعنت في تحديد عناصر الثقافة بالمراجع التالية:

- عبد الله عبد الدايم، في سبيل ثقافة عربية ذاتية. الثقافة العربية والتراث. بيروت: دار الآداب، 1983. ص 26.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي في قسم كبير من الكتاب.

² . وتستعمل كلمة (هوية) في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة (identité_ identity) التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثله. وفي المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون. فالهوية هي: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة، المشتمة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات. ولذلك، فإذا اعتمدنا المفهوم اللغوي لكلمة (هوية) أو استندنا إلى المفهوم الفلسفي، فإن المعنى العام للكلمة لا يتغير، وهو يشمل الامتياز عن الغير والمطابقة للنفس. أي خصوصية الذات وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الأعيان من خصائص ومميزات ومن قيم ومقومات. (راجع مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. ط: بلا. اسطنبول، تركيا: المكتبة الإسلامية، بلا تاريخ. ج2ص998).

³ . محمد صالح الهرماسي، مرجع سابق. ص 20.

مجتمع معين. وتعني خصوصية الثقافة في جزئها الآخر التفكير من واقعها من خلال منظومة مرجعية خاصة تتشكل إحدائياتها الأساسية من محددات تلك الثقافة ومكوناتها، وفي مقدماتها الموروث الثقافي والمحيط الاجتماعي والنظر إلى المستقبل بل النظر إلى الإنسان والعالم والكون.¹

ونحن عندما نتحدث عن خصوصية مجتمع معين فإننا نتحدث في واقع الأمر عن اختلاف كل ثقافة في المصادر والروافد، الرؤية والمنهج والأسلوب، الفلسفة والتأكيدات والاتجاهات والتوجيهات وهذه هي العناصر الداخلة في المركب الثقافي المعقد.²

كما يمكن فهم خصوصية الثقافة باعتبارها تمثل نظام القيم الأساسي للمجتمع، وهذا يجعل كل نظام اجتماعي ثقافي يتميز بما يمكن تسميته الشخصية الأساسية. وهي جماع صفات وميول واتجاهات توجد بنسب وطرق مختلفة بين أفراد ثقافة ما، حيث يمكن تعميم خصائص سلوكية وذهنية على أغلب أو كل أفراد الجماعة. وهذا جانب مهم يؤكد التفرد والخصوصية، يساعد لاحقاً في تحليل دور الثقافة في عملية العولمة مهما كانت قوة عوامل الاقتصاد والإعلام.³ فثمة إذن علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة بحيث يتعذر الفصل بينهما، فلا هوية بدون منظور ثقافي، وما من هوية إلا وتستند إلى خلفية ثقافية.

والثقافة في عمقها وجوهرها هوية قائمة الذات. وقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة وذلك ما يعبر عنه بالتنوع في إطار الوحدة. فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة، تمتزج عناصرها وتتلاقح مكوناتها فتتبلور في هوية واحدة. وعلى سبيل المثال فإن الهوية الإسلامية تتشكل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام، سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها. فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وتلاقحت معها ساهمت في صياغة ثقافة إسلامية ذات هوية حضارية متفردة. وكذلك هو الأمر بالنسبة للهوية العربية الإسلامية، فهي جماع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية.⁴

ولتوضيح العلاقة بين الهوية والخصوصية في المغرب العربي مثلاً، يجدر التمييز بين العام والمشارك في هذه الهوية. ونقصد بذلك اللغة العربية والإسلام والثقافة العربية الإسلامية، حيث تشترك الأقطار المغاربية معاً في هذه

1. سالم ساري، «إشكالية الثقافة والحضارة»، مجلة البصائر، المجلد 2، العدد 1، آذار 1998، ص 101.

2. عبد الله بوجلال «العولمة وأثرها في الخصوصية الثقافية». المعيار. تصدر عن كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة . الجزائر . ص 155 - 158.

3. حيدر إبراهيم، « العالمية والعولمة من منظور مقارني»، عالم الفكر. مرجع سابق. ص 98 . 99.

4. عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق. ج 2 ص 57 . 58.

المكونات البنيوية، كما تشترك فيها مع أقطار الشرق العربي. وبين الخاص في هذه الهوية (العادات، والتقاليد، والذوق العام)، حيث للمغرب العربي خصوصية إقليمية تميزه عن المشرق، وخصوصية قطرية خاصة بكل قطر من أقطاره. فالخصوصية المغاربية (الإقليمية) جزء لا يتجزأ من الهوية العربية الإسلامية، والخصوصية الجزائرية أو التونسية (القطرية) هي أيضا جزء لا يتجزأ من هذه الهوية، ولكنه الجزء المتغير الذي يشكل تنوعا وإثراء داخل الهوية الواحدة. إن الخصوصيات الإقليمية كانت أو قطرية هي جزء من الهوية يتكامل ويتفاعل مع جزئها البنيوي الثابت، ويغني الهوية القومية الشاملة أيما أغناء.¹

ومن ناحية أخرى اتضح للدارسين في الهوية أن "الثقافة" عالمية من حيث الوظيفة، لأنها تتوجه إلى كل إنسان، وما يميزها كمركب مهم جدا هو تلازمها الدائم مع ظاهرتين متناقضتين كما أشار إلى ذلك **طه عبد العاطي نجم**، و هما خصوصيتها القومية من حيث "الإنتاج" من جهة وعموميتها الإنسانية أي الثقافية من حيث الدور والأداء والوظيفة. وبالتالي فالعنصر الهام في الإنتاج الثقافي هو خصوصيته وأصالته، أي هويته الثقافية التي تميزه، يقول **طه عبد العاطي نجم**² « ويشير مفهوم الهوية الثقافية أيضا إلى ظاهرتين متكاملتين هما إحساس داخلي بالجمعية أو التوحد مع ثقافة معينة أو ثقافة فرعية وإحساس خارجي مشترك مع الثقافات والقيم الأخرى. وبالرغم من الإسهامات العديدة في تحديد مصطلح الهوية الثقافية يصعب في الواقع رسم حدود الهوية أو الخصوصية الثقافية، لذلك يرى الكثيرون أن الهوية مفهوم إيديولوجي أكثر منه علمي، خاصة أن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومختلفة، فقد يعبر عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها».

وقد أدى هذا الجدل الدائر حول الهوية إلى بروز تفسيرات متعددة ومتباينة لمفهوم الهوية الثقافية تتضح لنا من الاتجاهات التالية:

1 . الهوية هي الثوابت هي الأصول: ويقول **محمد عمارة** في ذلك «هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تحلي مكانها لتقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها أي الهوية

¹ . محمد صالح الهرماسي، مرجع سابق. ص 35.

² . طه عبد العاطي نجم، مرجع سابق. ص 229.

كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز عن غيره وتتحدد فاعليتها ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات»¹.

2 . الهوية كمفهوم إيديولوجي: يرى **حيدر إبراهيم** أن «رسم الهوية أو الخصوصية هي مفهوم إيديولوجي أكثر منه علمي، خاصة و أن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومختلفة، فقد يعبر عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية أو الثقافية، وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها، لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل " هويته " حسب المراحل التاريخية و الظروف الحاكمة»².

غير أن بعض الباحثين يرون أن مفهوم الهوية يتماشى مع الإيديولوجية بمعناها السلبي أي تزييف الوعي، فالهوية غير موجودة و لكن تُخلق و تشكل اجتماعيا : معنى ذلك أنها: ظاهرة اجتماعية أو إنسانية مما ينزع عنها الطابع الميتافيزيقي الذي يضفي على الهوية صفات متعالية على الوجود الملموس . فالإنسان وفق ذلك الفهم يولد بهوية لا يستطيع منها فكاكا و كأنها خصائص وراثية وقد لازم مفهوم الهوية مضمون فلسفي وديني يؤكد على المقدس والدائم المنسق، أي غير المتناقض في معنى الهوية»³.

3 . الهوية والذات: وقد فسرت المعاجم الحديثة هذا الاتجاه من الهوية، فهي تعني الذات. وتفسر ذات الشيء حقيقته وخاصته، ففي قاموس مفاهيم وألغاز الفلسفة الحديثة نجد تحت كلمة "هوية" ما يعرف "الشيء في ذاته" دون اللجوء إلى عناصر خارجية لتعريفه، تستعمل أيضا للدلالة على الجوهر وهو ما لا يتدرج في الحدث ولا تدخل فيه المتغيرات الزمنية والعرضية والماهية. وعليه فالهوية هي كل مركب معقد شأنًا شأن الثقافة.

4 . الهوية كيان يصير ويتطور: هذا التطور والانكماش ينحى نحو اتجاهين أساسيين سلبي أو إيجابي. ونحو هذا المفهوم يذهب **محمد عابد الجابري** ، إذ يرى «أنها كيان يصير ويتطور وليست معطى جاهزا و نهائيا. وهي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم و تطلعاتهم. وكذلك باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما»⁴. وليس الفرد وحده يدخل في تصنيف معالم الهوية الوطنية، بل تشترك معه في الأمة أو المجتمع في تحديد ملامح ومعطيات الهوية» ومعنى هذا أن الفرد بهويته المتميزة والمستقلة والجماعة بهويتها المستقلة والمتميزة وكذلك

1 . محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع. 1999. ص 06.

2 . حيدر إبراهيم، «العولمة وجدل الهوية الثقافية»، مرجع سابق. ص 103.

3 . مهدي زعموم، مرجع سابق. ص 25.

4 . السيد ياسين وآخرون، العرب والعولمة. ندوة. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1998. ص 298.

الأمة بهويتها المستقلة والمتميزة تشترك كلها في رسم وتحديد معطيات وثوابت تلك الهوية من جميع جوانبها المادية والروحية وغيرها. فهذه المستويات الثلاثة التي لا يمكن اعتبارها قارة ولا ثابتة بل هي مد وحزر دائمين يتغير مدى كل منهما اتساعا و ضيقا بحسب الظروف وأنواع الصراع واللاصراع، تحركها المصالح الفردية الجهوية والوطنية والقومية»¹.

5. ويعتقد "بايارا" أن الهوية في أقصى أحوالها لا تخرج عن الإطار السياسي، فهناك علاقة بين التصورات الثقافية والممارسات السياسية والأساليب الشعبية في التحرك السياسي. ويبرهن "بايارا" على كلامه بالحروب التي شهدتها يوغسلافيا و القوقاز والجزائر. فقد انعقدت تلك النزاعات حول مفهوم الهوية وهي تستمد قوتها المهلكة من افتراض يزعم بأن الهوية الثقافية تقابلها بالضرورة هوية سياسية.²

وبناء على هذه التعريفات فإن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم هي القدر الثابت والجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به الشخصيات الوطنية والقوميات الأخرى.³ فالهوية الثقافية القلعة الأساسية التي يتحصن بها عبر التاريخ ضد الغزو بمختلف أشكاله وأنماطه، كما يمكن أن تكون وسيلة للتكيف مع المعطى الثقافي الذي يأتي به الغازي، بل يمكن أن تكون مرجعا في تمييز أفكار وثقافة الغالب الوقتي⁴

إذن فتوصيف الهوية الثقافية وتحديد لها ليس بالأمر اليسير، لأنها لا تتعلق بفرد أو جماعة، إنها تتعلق ببناء ونسق كبير داخل محيط كبير يضم كل العناصر الفاعلة في تأسيس هذا التحديد والتعريف بالهوية الثقافية. لكن إذا شئنا تقريب النظر إلى معنى الهوية فيمكننا توصيف الهوية الثقافية بأنها « النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة. فالهوية الثقافية في واقع الأمر جزء عضوي من فكرة الثقافة، لأنها مهما اختلفت أنواعها فإن التعبير عنها يظل ذاتيا بصورة من الصور».⁵

الهوية بين ثوابت الثقافة و متغيرات العولمة

1 . نفس المرجع الأنف الذكر. ص 299.

2 . طه عبد العاطي نجم، مرجع سابق. ص 229.

3 . عبد العزيز بن عثمان التويجري، الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي في ضوء فلسفة حوار الأديان والحضارات. في العولمة والهوية. الرباط:

أكاديمية المملكة المغربية، 1997. ص 166.

4 . محمد بن سميحة، « اللغة العربية في الجزائر من حملات التغريب إلى مخططات العولمة ». أعمال الملتقى الدولي في الجزائر "العولمة وأثرها في الثقافة

الإسلامية". منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ماي 2004. ص 215، 216.

5 . طه عبد العاطي نجم، مرجع سابق. ص 226.

ونحن نبحث في مكونات الهوية لا بد من التساؤل: هل هي مكونات ثابتة وأبدية أم إنها متغيرة؟ إن الهوية عرضة للتبدل والتحول والتحدد في ملامحها. لكن بعض مكوناتها تميل إلى الثبات وهذا ما نسميه المكونات الثابتة كالدين واللغة مثلا. وحتى هذه لا تسلم من التغير البطيء. تغير فهمها وتأويلها. ولكنها أقل تأثرا بالمتغيرات لكونها تدخل في صلب العقيدة. بينما بعضها الآخر يميل إلى التغير لأنه أكثر تأثرا بالمتغيرات باعتباره يقع خارج مجال العقيدة كالعادات والتقاليد والفن والحس الجمالي. فالهوية كغيرها من المفاهيم لها خصائصها التي تميزها وتصنفها وتحدد معيبتها وتشركها في صناعة ثوابت الثقافة. فلما كانت الثقافة «تمثل الأشياء الموروثة والمكتسبة، جاءت الهوية الثقافية لتشمل نموذجا ثقافيا مكتسبا وموروثا نابعا من الثوابت والمتغيرات التاريخية والطبيعية والبشرية والثقافية التي تتميز بالثبات النسبي، ولكن في الوقت نفسه تتميز بالتغير والتطور عبر العصور والقرون، وإن كان تغييرا تدريجيا وعلى جرعات ضئيلة وليس بالمتغيرات الجذرية الحادة»¹.

إذن الهوية الثقافية ليست نمطا جامدا ولكنها تتميز بالتغير والتطور عبر العصور والأزمان. وهي أيضا عملية منتجة باستمرار وليست ثابتة، وتبلور داخل الأشكال التنظيمية والنظم الاجتماعية والقواعد والقوانين وأنماط الحياة.

من خلال التحليلات السابقة أيضا تتبين ثوابت في الهوية لا نستطيع التخلي عنها أو القضاء عليها رغم صعوبة رسم حدودها بشكل مطلق، إلا أن العناصر الأساسية تبقى دون تغيير كي تحافظ على صورتها وواقعها. فمهما حدث من دخول المتغيرات سواء بالاحتكاك بالهويات الأخرى أو بتقبل بعض عناصر ثقافتها، فإن ذلك يقيها على ثوابتها ولا يغير في جوهرها. لذلك فإن التطورات العلمية وما يصاحبها من عمليات معرفية وحضارية لا يمكن لها أن تبدل هذه الهوية أو تغير النسق العقدي والحضاري الذي تسير عليه، لهذا فإن من الضروري العناية بالهوية الحضارية والوطنية وتأكيد ثوابتها حتى يكون هناك تعامل إيجابي مع متغيرات العصر.

أما المصادر التي تواجه الهوية وتضعف المناعة الثقافية لدى الفرد والمجتمع فهي كثيرة في عصر العولمة. ولكن المصدر الأساس الذي يأتي منه التحدي الأكبر لهوية الأمم والشعوب كافة يكمن في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، والتي ترمي إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، وتسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني. والخطورة في هذا الأمر أن قوة الإبحار التي تطرح بها هذه الهوية الشمولية ذات المنزع الغربي والأمريكي تحديدا تعمي الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هي مما يؤدي إلى توهم هذه الهوية المغشوشة، هي الهوية العصرية، الهوية الكونية، هوية التحديث والمدنية.

إن التزام العالم بأسره بانتهاج نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد، هو عمل ضد سنن الله في خلقه، بقدر ما هو خروج عن منطق التاريخ وقانون الطبيعة. ولئن كان مصير هذه السياسات الاستعمارية الجديدة

¹ . طه عبد العاطي نجم، مرجع سابق. ص 226.

سائرا إلى إفلاس لا محالة، فإن هذا لا يمنع من استمرارها إلى أمد قد يطول في طمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للهويات. و تواجه الخصوصيات الثقافية اليوم خطر حقيقي واقع فعلا وهو حقيقة واقعة قائمة في حياتنا نعيشها ونشاهد آثارها المدمرة للعقل وللوجدان.

ومهما تكن الألفاظ الجامعة التي يوصف بها هذا الخطر الذي بات ظاهرة تكتسح مناطق شتى من العالم بما فيها المناطق الأكثر نموا والأوفر تقدما في المجالات كافة، وأيا كانت طبيعة هذه الظاهرة وحجمها والأدوات التي تستخدم في تحريكها، فإن مما لا شك فيه، أن الهوية والثقافة، بخصوصيتهما ومكوناتهما ومقوماتهما، هما المستهدف في المقام الأول، وأن الغاية التي يسعى إليها الماسكون بأزمة السياسة الدولية في هذه المرحلة هي محاربة الهويات والتنوع الثقافي، والعمل على انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها لتندمج جميعها في إطار النموذج الأمريكي الأقوى إجمارا، والأشد افتتانا في هذا العصر.

وليست هذه ظاهرة ثقافية وفكرية وإعلامية فحسب كما يبدو من ظواهر الأشياء، ولكنها ظاهرة سياسية في المقام الأول، باعتبار أن الهدف النهائي الذي تسعى القوى المسيطرة على مقاليد النظام العالمي — الذي هو في حقيقة الأمر نظام غربي المتزع أحادي الرؤية تقوده دولة واحدة انفردت بالقوة الضاربة وبالتحكم في مسار السياسة الدولية — هو إخضاع حكومات العالم لمنطق القوة والهيمنة والسيطرة تحقيقا لغايات ذاتية تتعارض مع القانون الدولي والقيم الذاتية.¹

ونتيجة لانتشار الإمبريالية الثقافية الأمريكية، وفي ظل عولمة الإعلام نفهم أن هناك مجموعة من العمليات الثقافية والاقتصادية التي تظهر في إعادة إنتاج الرأسمالية العالمية و تكثيف إنتاجها بأقذار هائلة. وباسم الثقافة يتم انحسار الهويات الثقافية الخاصة في الثقافة المركزية، مع أن اللفظ سلبى (Accv btruration) ويعني القضاء على ثقافة لصالح أخرى وابتلاع ثقافة الأطراف داخل ثقافة المركز، فتبرز مفاهيم التفاعل الثقافي، التداخل الحضاري، حوار الحضارات، التبادل الثقافي. وهي مفاهيم تنتهي إلى أن «ثقافة المركز هي الثقافة النمطية ممثلة في الثقافة العالمية والتي على كل ثقافة احتذاؤها، وتنتهي أسطورة التعددية، كما عبر عنها "وليام جيمس": «ثقافة تبعد وثقافات تستهلك ثقافة تصدر و ثقافات تنقل».²

إن عملية انحصار الثقافات في ثقافة المركز هي في حد ذاتها آلية من آليات الاختراق والدمج الكلي لها في ثقافة المركز النموذجية التي تقوم بوظيفة الإبداع والإنتاج والإصدار. أما الثقافات الأخرى فهي مجرد حقول خصبة تزرع فيها كل منتجات و بذور الثقافة المركزية العالمية وكذلك هي مجرد ناقلة ومستهلكة نعمة. ففي كتاب ل: " *Jeremey Tunstall* " جيرمي تانستول، بعنوان " *The media are American* " "الإعلام والأمريكان"، قدم فيه

¹ . عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. مرجع سابق. ج 1. ص 43.44.

² . مهدي زعموم، برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري نموذج الرسوم المتحركة. مرجع سابق. ص 28.

الكاتب وصفا دقيقا ومقنعا للطريقة التي يتبعها متعهدو تصدير وترويج الإعلام الأمريكي، فقد طوروا استراتيجياتهم دوليا في مواجهة المنافسات العالمية من قبل فرنسا وبريطانيا مثلا. فقد عرف مصدرها الثقافة الأمريكية قوة تكنولوجيا الاتصال الجديدة. وتعتبر الهيمنة الإعلامية والثقافية التي تمارسها الولايات المتحدة أحد مظاهر آليات اختراق الثقافات الوطنية ومن بينها الثقافة العربية، وتنفق أمريكا سنويا من أجل ترويج ثقافتها حوالي 250 مليار دولار»¹.

وفي ظل هذا المناخ الدولي غير المستقر، يتعاضد الخطر الذي يهدد المجتمعات الإنسانية في خصوصيتها الثقافية والحضارية، وفي أمنها الفكري والعقائدي، وفي هويتها الوطنية وثقافتها القومية، وهو خطر يتضاعف بقدر ما تتضاءل حظوظ النجاح في كسر سورة الاندفاع لقهر إرادة الشعوب، وكبح جماح جنون التطرف في فرض النظام الأوحده على البشرية قاطبة. ومن هنا يكون الحفاظ على الهوية الحضارية الإسلامية وعلى الثقافة الإسلامية ضرورة حياة وواجبا إسلاميا في المقام الأول.²

والهوية الثقافية العربية الإسلامية شأنها شأن بقية الهويات العالمية، لم تسلم من مخاطر التكنولوجيا الإعلامية المتقدمة. وتحول المجتمع الإسلامي في المرحلة الراهنة يعيش بفعلها صراعا مزدوجا، صراعه مع ذاته في زمن العولمة وحضارة الثورة المعلوماتية المذهلة لتحقيق هويته المشتتة وخصوصا بين الشباب، وإعادة ربط حاضره ونظرته إلى المستقبل بماضيه وعقيدته من جهة، ثم صراعه مع الآخر على كافة المستويات في محاولة جادة لاستثمار قدراته وثرواته الطبيعية والبشرية للحد من الضغط والتبعية وآثار العولمة من جهة ثانية.

ارتبط سؤال الهوية عندنا اليوم بعملية العولمة باعتباره القضية المحورية، والذي يعبر عن التحدي الحضاري الحقيقي الذي يشهده العالم العربي والإسلامي. ويكاد يكون سؤال الهوية الهاجس الوحيد الثابت في أي معالجة لمسار العولمة. فقد بات موضوع الهوية واحدا من الموضوعات التي تنصدر النقاشات السياسية والفكرية العربية والإسلامية في العقود الأخيرة. ويبدو أن إثارة هذا الموضوع تأكيدا أو نفيا آخذ في التزايد مع التحديات التي تفرضها العولمة على الشعوب.

يمكن القول أن ما الأخطار المهددة لشخصية الأمة العربية الإسلامية اليوم أكبر من التي استهدفتها بالأمس من مكائد ومخططات الغزو الأوروبي. مما يستوجب استعدادا أكبر وتعبئة أعظم وتخطيطا أشمل، مما يجعل هذه المواجهة تركز على المرجعية الثقافية للأمة ممثلة في زائها الإيماني ورصيدها العلمي ومنظومتها القيمة وخصوصيتها الثقافية. إن

¹ . رشيد بشيش، « الرسوم المتحركة في التلفزيون الجزائري دراسة في القيم و التأثيرات ». (رسالة ماجستير في الإعلام و الاتصال. معهد الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر. 1996. 1997). ص 103.

² . عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. مرجع سابق. ج 1 ص 43. 44.

عملية تحصين الذات مما يهددها من المخاطر والآفات ينبغي أن تنبني على إخصاب هذه الذات وحمايتها تربويا وثقافيا واجتماعيا.¹

فهذه المخاوف وما صاحبها من محاذير تؤكد مدى حضور المسألة الثقافية في مكوناتها القومي، كما تؤكد مدى وعي المفكرين بانعكاسها على تطور حركة المجانسة الكلية والتوحيد الشامل، إن سؤال الهوية هو اليوم سؤال حقيقي ومصيري، إلا أنه ليس سؤالاً جديداً كما نرى. فمنذ أن عرف العرب الغرب المستعمر الذي فرض عليهم نمطه في الحداثة، أصيبوا بصدمة عميقة زلزلت كيأنهم ومزقتهم، وفرضت بقوة سؤال الهوية في مواجهة الآخر الغربي. ولم يكن السؤال في هذه الحالة يحتمل سوى إجابة واحدة هي: التأكيد على الهوية العربية الإسلامية، ولاسيما في مضامينها القومية والدينية الأكثر تعصبا ورفضاً للغرب وحداثته جملة وتفصيلاً. ولأنها كانت خط الدفاع الأول عن الذات القومية في وجه الغزو الاستعماري، فقد كانت الهوية مقبولة من الجميع حتى في صورتها الأكثر إمعاناً في المغالاة، والأكثر اندغاماً بالدين.²

وللأسف الشديد أن الفكر الثقافي الإسلامي منذ ما يربو على قرن بأكمله إلى حد الآن ما زال متمحوراً حول قضايا محلية، وما زال متقوقعا خلف قضايا ومطالب الهوية. ويدور حول الأسئلة العقيمة ذاتها، مثل الأصالة والمعاصرة، العالمية والمحلية، ماذا نحذر إلينا من الماضي وماذا وفد علينا من الغرب؟.

وبين اللائذ بأسوار الهوية من شرور العولمة، والمرتمي في أحضان العولمة تخلصاً من أصفاد الهوية، ثمة من يرى الحل في هوية منفتحة على العالم وقابلة للاغتناء والتجدد « لقد آن الأوان تجاوز هذه البديهيات الثقافية، فما من ذي عقل يرفض أن نجتمع بين أصالة هويتنا الحضارية ومعاصرة حياتنا الراهنة، وما من أحد يقبل أن نقف تائهين نصطنع تلك الحيرة بين اللاتاريخ واللاحاضر. لقد حسم غيرنا أمره في مواجهة هذه الأسئلة المفتعلة، رافضاً الإقرار بتناقضها الذي يوحى به ظاهر صيغتها».³

لا ننكر أن هناك حاجة أساسية لنا كعرب ومسلمين في الحفاظ على الهوية الثقافية، ولكن يجب أن نحدد المضمون الإيجابي والفعال لهذه الهوية. فشرط أساسي لحاظنا في العالم ليس أن نحافظ على هوية جامدة وميتة

ورتيبة، وأن نحمل أعباء التاريخ فوق ظهورنا خشية الاندماج أو التفاعل في المنظومة العالمية. ولكن الشرط الأساسي هو وجود هوية ثقافية وأخلاقية فاعلة ومتجددة ومستجيبة لمتطلبات الواقع ومتجهة للمستقبل أكثر مما هي مرتكزة

1. محمد بن سميعة، مرجع سابق. ص 155 وما بعدها.

2. محمد صالح الهرماسي، مرجع سابق. ص 17-18.

3. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 151.

للماضي. إن الإسلام بصفة عامة لا يخشى مغامرة العالمية، ولكن تبقى المشكلة في مستوى النخب والمؤسسات الإسلامية في مدى قدرتها على إدارة هذه المغامرة الكبرى أو مغامرة العالمية وهي مغامرة الحداثة. فنحن مدعوون اليوم إلى الدخول في مغامرة الحداثة ولكن بلغتنا ورموزنا ومنظومتنا القيمية والأخلاقية الخاصة.¹

إننا نخشى أن يؤدي حرص الشعوب الإسلامية على حماية ثقافتها القومية إلى الانغلاق الثقافي وقد تعددت النداءات والصحاح المحذرة من ذلك، وحتى من العقلاء في الغرب يقول البروفسور **باسكال** **Pascalie**² نائب مدير عام اليونسكو: «إن الثقافة القومية ليست مجموعة أحجار أثرية أو أبطال أو قيم فولكلورية يتم عرضها على السائحين، ولكن الثقافة القومية هي خلاصة الميراث الروحي للشخصية القومية، فهي تضم كل القيم الرمزية والمجسدة التي تتميز بها هذه الشخصية. فالثقافة القومية بمعناها التحرري هي ضد الشوفينية بشكل مطلق، ولا تقف عند نهاية محددة تغلق الطريق أمام المنتمين إليها وإلا فإنها تشكل تهديدا لحرياتهم وتطورهم». وإذا صحت نظرة الثقافات إلى الهوية و القومية يصبح رد الفعل تفاعلا والثبات تغيرا وتطورا مما يفضي إلى تراشح الثقافات ويحد من» هيمنة النظرة الثقافية التي تعتبر مفهوم الخصوصية مفهوما مركزيا يقوم على ثبات العناصر التي تتعدى مراحل التطور التاريخي فيصبح الأمر محسوما، ثبات الدين، ثبات الثقافة»³.

إن أهم خطوات المجابهة الفعلية لأي اختراق أن نبنى الإنسان البناء المتكامل ليكون في حجم التحدي، وتربيته على أخلاق عقائدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة، ولعل أهم مرحلة في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ المبادئ العامة للإبداع الحضاري الذي يكرم الإنسان كيفما كان نوعه ولونه وجنسه. فبدون هذه الخطوة الأساسية ومع تفشي آفة القطيعة بين العقيدة والسلوك في حياة المسلم المعاصر، لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلا في وجه الزيف الحضاري القادم. إنها التربية التي تمنحنا كذلك إمكانية الرؤية المستقبلية الحقة، كما تمدنا بكل الشواهد لفهم طبيعة وحقيقة الصراع مع الغرب.⁴

إن الهوية تعبير عن اعتزاز الإنسان بشخصيته و بانتمائه لجماعته ولوطنه وأمته. وما دامت الهوية مرتبطة بالشخصية سواء كانت فردية أو جمعية أو وطنية، و ما دام عولمة الثقافة تصطدم بحاجز أهم هو الإنسان من حيث هو كائن معقد حريص على هذه الخِصِصَة (التعقيد) فإن محوها يعني محو الشخصية وهذا مستحيل لأن حاجز الإنسان حاجز جبار يجعل من قابلية الثقافة للعولمة ضعيفة محدودة. لذلك فإن العولمة لن تستطيع بحال من الأحوال أن تكون نقيضا حقيقيا للهوية، ولن تتمكن من إلغاء حدود هويات الأمم والشعوب، أو تمحو ثقافتها التي هي

1 . رفيق عبد السلام، «كيف يرتق الخطاب الإسلامي إلى العالمية؟» الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 117.

2 . عبد المجيد البدوي، « العولمة الثقافية و وسائل الاتصال الجماهيرية »، مرجع سابق. ص 12.

3 . فهيمة شرف الدين، الثقافة والأيدولوجيا في العالم العربي (1990 _ 1996). ط: 1. بيروت: دار الآداب، 1993. ص 12.

4 . عبد العزيز اغيرات، «هويتنا الثقافية في خضم تحولات العولمة من الاختراق إلى المناعة». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

مصدر اعتزازها ورمز سيادتها وكرامتها. وهذا ما أكده سابقا المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو في دورتها الرابع عشر بتاريخ 1966/11/4 في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي:

- 1 . لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والحفاظة عليهما.
- 2 . من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.
- 3 . تشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع خصب وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزء من التراث الذي يشترك في ملكية البشر جميعا.¹

القضية الثانية والثالثة: الدين ونظام القيم في الثقافة الإسلامية

إن جوهر الثقافة ومكمن القوة فيها هو الدين في أصوله العقدية والأخلاقية، وفي ثوابته الفكرية والمنهجية والاجتماعية، ثم رشد الخبرة التاريخية والإنسانية. فالدين هو المكون والمقوم الأساس لهوية المجتمع والأمة، والمؤثر الرئيس في صياغة وتشكيل طبيعة النموذج الاجتماعي والحضاري الذي ينبثق منها أي من هذه الهوية، ويعبر عن مضمونها وطموحها وحقيقتها ورسالتها في الحياة.²

و لهذا فإن دراسة الدين والقيم وصلتها بالثقافة من المسائل العسيرة والمعقدة ليس فقط على المستوى النظري ولكن كذلك على المستوى العملي التطبيقي. ففهم الدين والثقافة والقيم وتفعيلها في حياة الناس يبدأ أولا وقبل كل شيء من تشكيل المنظور الحضاري العالمي المتكامل للتحليل والتوجيه ثم يتوجه إلى دراستها أخذا بعين الاعتبار فلسفة الأديان ، ووحدة الحق والحقيقة، وطبائع الأديان وفعاليتها الحضارية، وتأثير مفاهيم العولمة وطبيعة الظاهرة الثقافية.

الدين نسق من الرموز يرسخ لدى الإنسان حالات وجدانية ودوافع قوية، وذلك من خلال تشكيل رؤيته الكلية عن الوجود.³ فهو يشكل أصلا جوهريا في البناء الإنساني وفي العمق الوجودي لهذا الإنسان، يقول مالك بن نبي: «كلما أوغل الإنسان في الماضي التاريخي للإنسان، وفي الأحقاب الزاهرة لحضارته، أو المراحل البدائية وجد

¹ . محمد علي الفراء، «العولمة والحدود»، مرجع سابق. ص 89 . 90.

² . الطيب برغوث، مرجع سابق. ص 64-65.

³ . انظر في هذه الجزئية نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 415.

سطورا من الفكرة الدينية. وقد أظهر علم الآثار دائما . من بين الأطلال التي كشف عنها . بقايا آثار خصصها الإنسان القديم لشعائره الدينية، أيا كانت تلك الشعائر؛ ولقد سارت هندسة البناء من كهوف العبادة في العصر الحجري، إلى المعابد الفخمة جنبا إلى جنب مع الفكرة الدينية التي طبعت قوانين الإنسان بل علومه فولدت الحضارات في ظل المعابد كمعبد سليمان أو الكعبة. من هنالك كانت تشرق هذه الحضارات كي تنير العالم وتزدهر في جامعاته ومعامله، بل لكي تجزي المناقشات السياسية في برلماناته. فقوانين الأمم الحديثة لاهوتية في أساسها أما ما يطلقون عليه قانونهم المدني فإنه ديني في جوهره»¹.

لقد تفرد **مالك بن نبي** في الإشارة إلى الفكرة الدينية ومركزيتها في المنظومتين الثقافية والاجتماعية، حيث جعل من الدين أساس كل تغيير في حركة التاريخ. فهو يهتم به - في الغالب - من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغته للشخصية الحضارية وبناء العلاقات الاجتماعية. من هنا نجد أن الوظيفة الاجتماعية للدين تتحقق في شكل تركيب يهدف إلى تشكيل قيم تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني ينطبق على مرحلة معينة لحضارة، وهذا التشكيل يحول الإنسان العضوي إلى وحدة اجتماعية، ويجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة بساعات، وقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل، ومن التراب الذي يقدم في صورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط، مجالا مجهزا مكيفا تكييفيا فنيا يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعا لظروف عملية الإنتاج.² وهذه القدرة على التركيب ذات ارتباط بجوهر الدين وطبيعته تحتوي على جانبين:

- 1 . الجانب الغيبي المتمثل في العلاقة بين العبد والمعبود، وهذا الجانب هو الأصل في الحركة الاجتماعية بما يمنحه للفرد من دافعية، فالإيمان هو الذي يولد الاندفاع والحركة والتي تتجسد في فعل اجتماعي، بحيث تغدو كل علاقة غيبية وقد تجسدت في علاقة اجتماعية.
- 2 . الجانب الاجتماعي الذي هو ثمرة العلاقة مع المعبود.

وهكذا فالجانبان مترابطان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالجانب الاجتماعي من وجهة نظر مالك بن نبي مترتب على الجانب الغيبي، فالعلاقة الروحية بين الله - عز وجل - والإنسان هي التي توجد العلاقة الاجتماعية، وبواسطة شبكة العلاقات الروحية تتحقق شبكة العلاقات الاجتماعية، التي تتيح لهذا المجتمع أن يقوم بمهمته الأرضية، كما أن الجانب الغيبي هو الممد للمجتمع بالمبررات التي تحقق الإرادة الجماعية وتمكنه من أداء نشاطه المشترك.³

1 . مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 1984. ص 69.

2 . انظر نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. ط: 1. الدار السعودية للنشر و التوزيع، 1997. ص 110.

3 . نورة خالد السعد، مرجع سابق. ص 110.

ويفرّق مالك بن نبي بين صدق الفكرة الدينية وفعاليتها، فالدين وإن كان صحيحاً فإنه يفقد فاعليته الاجتماعية بسبب الإنسان الذي يحمله كالدين الإسلامي، وبذلك فالوظيفة الاجتماعية للدين رهن بممارسة الإنسان.

إن الدين بهذا الحضور وبهذا التأثير العام في نفسية الإنسان وفي وعيه وعقله وسلوكه وتفاعلاته الاجتماعية والحضارية له امتداد ثقافي وتأثير حضاري كبير فهو بهذا المعنى ليس مجرد قيم أو مبادئ أو طقوس أو تأملات نظرية ولكنه يتجسد فعلاً في إطار ثقافة معينة.

ومما لا شك فيه أن الدين مصدر أساسي للقيم الإنسانية الأخلاقية والثقافية على حد سواء، فهو حين يساهم في تشكيل هذه القيم ليس باعتبارها قيماً نظرية مجردة، ولكن باعتبارها قيماً وطاقات للتوجه والترشيد الإنساني. فالقيم الأخلاقية والقيم الثقافية ينبغي أن تؤدي دورها الفاعل في الوجود الإنساني بدءاً من إحداث التغيير اللازم في الوعي والشخصية والحركة الإنسانية وانتهاءً ببناء نظام فاعل للقيم الثقافية يكون بمثابة البناء الأساسي لكامل المجتمع.¹

وحين يمارس الدين دوره في التاريخ وذلك بتشكيل أو تفعيل أو تجديد القيم الأخلاقية والثقافية، يمارسه باعتباره منهاجاً وتصوراً كونياً شاملاً للحياة والإنسان والكون والزمان والأفعال البشرية.

إذن الثقافة الإسلامية هي في الحقيقة تعبر عن الثقافة التوحيدية التي تجسدت في الواقع الإنساني والاجتماعي والحضاري والثقافي الإسلامي. كما تعبر عن المنهج الإسلامي في توجيه الإنسان والأسرة والمجتمع والدولة ومؤسسات التربية والتعليم والاقتصاد والسياسة، أي المنهج المسؤول عن بناء المجتمع الصالح والمتوازن. وقد قدمت الثقافة الإسلامية للعالم تجربة ضخمة تمثل في الحضارة الإسلامية برؤيتها الكونية ونموذجها ومنهجها الأخلاقي والاجتماعي. ومن الأمثلة الرائدة في دور الدين في تشكيل القيم الأخلاقية والثقافة العملية عند المسلمين مسألة مقاصد الشريعة، فمقاصد الشريعة تعبر في عمقها وجوهرها عن نظام أخلاقي قيمى ثقافى متماسك وهذه المقاصد تعبر عن أرقى معاني القيمة الإنسانية في الوجود.²

القيم والثقافة

لكل ثقافة مجموعة من القيم تعمل أساساً على ضبط سلوك الأفراد وتعاملاتهم، وقد عرفها كتابنا تعريفات³ كثيرة و تناقلا ما ذكره الفلاسفة و المنظرون عن حدودها و مضامينها. والقيم تعمل كقوى اجتماعية في تشكيل اتجاهات

¹ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 116

² . نفس المرجع الآنف الذكر.

³ . وسنورد من هذه التعريفات ما نراه مؤثراً في مسيرة هذا العنصر التحليلية:

الاختيار عند الأفراد، فهي التي توجه السلوك الإنساني الذي يعرف على أنه العمليات التي تتم بين الفرد بكل مكوناته العقلية، والنفسية، والاجتماعية، والوسط أو البيئة بكل ما فيها من ظروف، ومواقف، وعناصر اجتماعية، وثقافية.¹ إن السلوك الإنساني هو أساس التفاعل بين الأفراد والجماعات، ولا يمكن الزعم بأن السبب في سلوك الفرد سبب مفرد بل هناك أسباب ومتغيرات عديدة تؤدي إلى هذا السلوك.²

فالقيم في الحقيقة هي العوامل أو القوى الحقيقية في حياتنا الاجتماعية، والقيم هي التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ، والقيم تعمل كمبررات أو كمرشد للسلوك. أن القيم هي ما ينبغي أن يكون أو الواجب أو المثال لأي تراث أو ثقافة. والقيم هي المدعمة للأنظمة الاجتماعية وهي التي تحدد وتحتفظ بالبناء الاجتماعي وذلك ما تحدته القيم من تماسك و انتظام ومن ثم فإنها تعمل وتحافظ للمجتمع على هويته. كذلك فإن القيم هي رموز أو صور للمجتمع في عقول أفرادها، فهي الإطار المرجعي، وهي التي توصل الفعل الاجتماعي لغاياته وأهدافه، وأخيراً فهي السياسات أو المعاني وراء الفعل الاجتماعي سواء في ثباته أو تغييره.³

ولأنه ينجم عن عدم ثبات القيم الأخلاقية بأن يصبح سلوك الإنسان معوجاً، لا بد من تثبيت القيم، ولكن ثبات القيم واستقرارها سوف يظل أمراً نسبياً سواء بالنسبة للإنسان واضع القيم أو بالنسبة لسائر القيم، إذا فإن الثبات ليس مطلقاً، فالمجتمع له دور عظيم في تثبيت القيم وأيضا في تطورها.

و ربما قد نتساءل كثيرا لماذا لم يكتب علماء الإسلام القدماء في القيم و لم يشيدوا لها أبواباً؟ يقول اللواء دكتور فوزي طایل - عليه رحمة الله - « يلحظ الباحث أن فقهاء المسلمين لم يفرّدوا أبواباً خاصة بالقيم لأن القيم الإسلامية هي الدين ذاته ؛ فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولمنهاد الحياة والمبادئ

1 . القيم هي الصفات الشخصية التي يفضلها أو يرغب فيها الناس سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة الاجتماعية في ثقافة معينة، وقد يكون موضوع

الرغبة مادياً أو علاقة اجتماعية أو أفكار عامة أو أي شيء يتطلبه ويرغبه المجتمع. (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق. ص160).

2 . القيم هي مجموعة من المعتقدات يشترك فيها أفراد جماعة ما، ويرغبون في ترويجها والحفاظ عليها مثل: الأمانة والحرية والمساواة والتسامح، وتقوم وسائل الإعلام بدور كبير في توضيح أهمية القيم. (حسن عماد مكاوي، ليلي حسن السيد، مرجع سابق. ص327).

3 . القيمة هي المرغوب فيه من الفرد أو الجماعة الاجتماعية، وموضوع الرغبة قد يكون مادياً أو معنوياً. (محمد احمد بيومي، القيم وموجهات السلوك الاجتماعي. مصر: دار المعرفة الجامعية، 2006. ص77).

أما حسين عبد الحميد احمد رشوان فقد ساق العريفات التالية:

4 . ذكر ج.ك فولسوم أن في دراسة الثقافة نتمم بالأنماط والقواعد أو المبادئ العامة للتعامل وهذا يتضمن دائماً القيم.

5 . وعرفها آرك بيرجس بأنها أي شيء قيمته قابلة للتقدير.

6 . أما هنري فقد عرفها بأنها شيء نرى فيه خير مثل: الحب والشفقة والهوى والقناعة والمرح والأمانة والدوق والترويح والبساطة.

7 . أما وليامز فكتب يقول بأنها مفهوم واسع وشامل له ميزة جذب الانتباه لإمكانية وجود عناصر قيمة في كل أنواع السلوك النظرية التلقائية. (مرجع سابق. ص160 وما بعدها)

1 . محمد أحمد بيومي، مرجع سابق. ص78.

2 . محمد البدوي الصافي، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية. الإمارات العربية المتحدة: دار القلم للنشر والتوزيع، 1996. ص17.

3 . محمد احمد بيومي، مرجع سابق. ص78-79.

العامة للشريعة، وهي العُمد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي؛ فهي ثابتة ثبات مصادرها وهي معيار الصواب والخطأ، بما يميز المؤمن الخبيث من الطيب، ويرجع إليها عند صنع القرارات واتخاذها ... وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي وما هو أخروي في كل مناحي الحياة»¹.

أما بحوث القيمة والقيم فقد تناولتها الدراسات المعاصرة لما حادت المعرفة الحديثة عن هدفها في خدمة جوهر الإنسان، ومس شرها جميع فروع المعرفة الإنسانية. فلم يجد الفضلاء إلا الخوض في تمييز نوع القيم التي تنادي بها شرائع البشر السمحة.

فإذا أخذنا علاقة الدين بالقيم بالثقافة في منظور **عزي عبد الرحمن**² فهي ذلك السلم من القيم، تسمو أو تدنو وفقا لعلاقة مع القيمة. كما أن الثقافة وفي أصلها ظاهرة دينية أخذت بعدا اجتماعيا بالممارسة إما في العلاقة مع القيمة الدينية الأصلية اقترابا منها وابتعادا منها.

والثقافة في جوهرها أيضا سلم يمثل مستواه الأعلى القيم، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، والإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم أو لا تتجسد أو تتجسد جزئيا. وكلما ارتقت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبطت بالدين بالضرورة. ويأتي العقل في مرتبة موازية ويمثل نشاطا منطقيًا يتعامل مع المسائل النظرية كالإدراك والفهم والتأويل، ويكون هذا النشاط المنطقي منطقيًا بالضرورة إذا كان وثيق الصلة بالقيم، ويكون هذا النشاط العقلي المستوى الذي ترتقي به الثقافة إلى الحضارة. فهو الذي يولد الآداب والفنون والفكر والمعرفة، أي أن الثقافة تتحول إلى حضارة بالنشاط العقلي المتفاعل مع المجال المعنوي والمادي في المجتمع. وقد يكون هذا النشاط مرتبطا بالقيم فيكون ترابطيا، وقد يتحرك في مجال لا يرتبط بالقيم فيكون غير مترابط.

يقول **عزي عبد الرحمن**: «يأتي في أسفل الثقافة حركة الإنسان وفعله أي سلوكه وكلما ارتبط فعل الإنسان وسلوكه بالعقل كان الفعل عقليا ومنطقيًا وكلما ارتبط بالقيم كان الفعل منطقيًا وقِيَميًا (القيمة أعلى من المنطق) وإذن فإن الثقافة سلم يتضمن أبعادا ثلاثة: القيم والمنطق والسلوك»³.

¹ - فوزي محمد طایل، كيف نفكر استراتيجيًا. القاهرة: مركز الإعلام العربي، 1997. ص 30 - 31.

² - عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال. مرجع سابق. ص 106.

³ - عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال. مرجع سابق. ص 106.

و لذلك أجمل كاتبنا علاقة القيم بالثقافة بالقول: إن الثقافة هي كل ما يحمله المجتمع (الماضي) وما ينتجه (الحاضر والمستقبل) من قيم ورموز معنوية ومادية، وذلك في تفاعله مع الزمان (التاريخ) والمكان (المحيط) انطلاقاً من بعض الأسس (القيم) التي تشكل ثوابت الأمة وأصولها (البعده الحضاري).¹

إن دور الدين إذن أساسي في تشكيل القيم الأخلاقية والثقافية لدى أفراد المجتمع وشرائحه المختلفة، وهذه القيم الثقافية تدخل في كل تفصيل من تفاصيل حياة الفرد والمجتمع. فالإنسان وشخصيته ووعيه وتفكيره وعاداته وتقاليده ومواقفه وسلوكياته وعلاقاته وأعماله ونشاطاته وحركاته وسائر وجوده إنما هي جزء من مفهوم ثقافة هذا الإنسان، والذي في الحقيقة يدخل في توجيه كل هذه الجوانب حين يحتضن الثقافة كلها ويتعهد بها بالبناء والتوجيه والترشيد وبهذه الصورة يكون الدين عاملاً أساسياً في أي ثقافة بالمفهوم الواسع للثقافة.

وفي تشكيل الثقافة وتحديدتها يؤدي الدين دوراً فاعلاً حين يقدم لنا الرؤيا الكونية والنموذج الحضاري، وإن الثقافة تؤدي دوراً ديناميكياً في صناعة الإنسان والمتوازن والفاعل فكرياً وروحياً ونفسياً وسلوكياً واجتماعياً. وإذا كانت الثقافة بذلك التعقيد والشمول فإن دور الدين في التوجه الثقافي للإنسان، وفي البناء الأخلاقي للمجتمع ينبغي أن يكون دوراً فاعلاً، وأن دور الثقافة في بناء الشخصية الإنسانية وتشكيل الجماعة البشرية المتماسكة حيوي وضروري كذلك.

الدين ومنظومة القيم في صلب الظاهرة الإعلامية

تعد علاقة الإعلام بالدين نموذجاً للعلاقة التبادلية بين الإعلام والثقافة. فالإعلام أداة فعالة للدعوة الدينية والحفاظ على التراث الديني من نصوص وطقوس وشعائر. ويشغل الدين مساحات لا بأس بها في قنوات الإعلام العربي المختلفة، كما يصدر عدد كبير من الصحف غير الدينية، ولكنها تساهم بصورة ما في تحقيق رسالة الإعلام

الديني¹ إما بتخصيص أبواب ثابتة ودورية للفكر الديني أو بالدعوة للمبادئ التي يدعو لها الإعلام الديني بشكل ضمني.²

¹ . عززي عبد الرحمن، «ثقافة الطلبة والوعي الحضاري ووسائل الاتصال: حالة الجزائر». المستقبل العربي. العدد 164، تشرين الأول/ أكتوبر، 1992.

وتخصص الصحف مساحات معينة للإعلام الديني في أحد صفحاتها الداخلية في صفحة تضم الخبر والمقال والحديث والدراسات والبحوث الدينية والفتاوى. وتخصص كل جريدة حيزا للشؤون الدينية يعمل به عدد من المحررين المتفرغين لشؤون الدين ونخبة من العلماء والمفكرين في مختلف جوانب الفكر الإسلامي. وتهدف الصحيفة الدينية لتوحيد الصفوف ومعالجة المشكلات الاجتماعية والدعوة إلى التمسك بالقيم الروحية.

وللمحافظة على هذه المبادئ تراعي الصفحة الدينية ما يلي:³

- 1 . المحافظة على القيم الدينية فلا تنشر ما يمس الأديان والعقائد.
- 2 . المحافظة على القيم الروحية فلا تنشر ألفاظ أو تعبيرات سوقية أو منطوية على معنى مبتذل.
- 3 . محاربة البدع والخرافات الدخيلة على الإسلام.
- 4 . تفسير الظواهر العلمية والطبيعية تفسيراً دينياً يكشف عن واقعية هذا الدين.

إلا أن هناك من يقف موقفاً معارضاً ضد البرامج وال فقرات الإذاعية والتلفزيونية الدينية، وكذلك الأبواب الصحافية الثابتة ذات التخصص الديني، ففي رأي هؤلاء أن في هذا التخصيص والتبويب توجهها علمانياً في فصل الدين عن الدولة. فهم يطالبون بإعلام ديني شامل.⁴ أو ما يعرف باسم **الإعلام الإسلامي**.

وقد أثار بعض الإعلاميين أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة العديد من الأسئلة والاستفسارات متسائلين هل هناك إعلام إسلامي وإعلامي غير إسلامي؟ أليس الإعلام هو الإعلام وفنونه ووسائله في الغرب هي نفس فنونه ووسائله في الشرق وفي أي مكان آخر، وهل يختلف تنفيذ التحقيق الصحفي أو المقابلة الإذاعية أو نشرة الأخبار التلفزيونية من بلد إلى آخر، أليست هي نفس الخطوات ونفس الأسلوب في التنفيذ؟⁵

يقول **كرم شلبي**: «إن هؤلاء ينطلقون من أساس أن الإعلام شأنه شأن أي فن أو حرفة يمكن استخدامه لأغراض إنسانية نبيلة لخدمة الإنسان وسعادته. إننا نتفق مع هؤلاء على أن حرفية الفنون الإعلامية قد لا تختلف

بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا واليمن. ولكننا نقول إن الخلاف الرئيسي والأساسي والهام هو مضمون المادة التي نقدم . بصرف النظر عن حرفية التنفيذ . والهدف الذي يخدمه هذا المضمون ويسعى إلى تحقيقه. ثم ما هو المسموح به وما

1 . الإعلام الديني هو إعلام متخصص، وقد يوصف كذلك بأنه نوع من الإعلام الثقافي ولكن طبيعة الجماهير التي يوجه إليها تختلف للإعلام هي نوعيته وترسم كميته ومن ثم ترسم الغرض الذي يخطط من أجله. (نوال محمد عمر، دور الإعلام الديني تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1984. ص 2).

2 . محي الدين عبد الحليم، **الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية**. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980. ص 284.

3 . نوال محمد عمر، دور الإعلام الديني تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية. مرجع سابق. ص 110 و 268.

4 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. مرجع سابق. ص 382. و ما بعدها .

5 . كرم شلبي، **الخبر الصحفي و ضوابطه الإسلامية**. ط: 2. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 1988. ص 10-11.

هو غير المسموح به أن الحلال والحرام، والمباح وغير المباح وفقا لشريعة الإسلام . في كل هذا . سواء بالنسبة للشكل أو المضمون أو الطريقة التي يتم بها التنفيذ. هنا يكمن الفارق بين ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي وهنا يكون الحد الفاصل بين المقبول والمرفوض وبين الممكن والمستحيل»¹.

وفي هذا السياق حيث الحث عن الصدق في أداء الرسالة الإعلامية و ما يحكمها من مبادئ الأخلاق و الفضيلة تطفو على ساحة الدراسات الإعلامية قضية القيم ومصدرها الدين وصلتها بالوسيلة والرسالة التي تحملها هذه الوسيلة الإعلامية.

ويبدو أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يتحمس كثيرا لمصطلح الإعلام الإسلامي بقدر ما شدته مضامين الرسالة الإعلامية. وسرعان ما تحول الجدل في البحوث الإعلامية والاتصالية حول القيمة. ولم تستهو فكرة الإعلام الإسلامي الإسلاميين أنفسهم، ولم نعد نشهد لهذا المصطلح في الدراسات الإعلامية وجودا. وتحول جهد الإعلاميين العرب إلى البحث عن قضايا الإعلام وغاياته. وكانت قضية القيم في الإعلام قد أسالت حبرا كثيرا.

ومن الباحثين الجزائريين المبرزين الذين تخصصوا في مجال الإعلام والقيم أو ما يعرف بالإعلام الثقافي الأستاذ عبد الرحمن عزري من خلال كتاباته عن الوسيلة هي الرسالة هي القيم. و يذهب إلى أن الوسيلة هي الرسالة هي القيم. أي أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع بالإنسان والمجتمع لارتقاء والسمو وهو ما ينعكس إيجابيا على محيط الإنسان المعنوي والمادي.

وإذا كان ماكلوهان McLuhan في مقولته الوسيلة هي الرسالة يعني واقع مجتمعه الآني. فإن عبد الرحمن عزري من خلال هذه مقولة "الرسالة هي القيم" يعني بها أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية والحضارية التي ينتمي إليها المجتمع. فالرسالة تكون هادفة نافعة إذا ما تمت في إطار أو تصور أو فكر أو انتماء، أي باسم أرضية تشكل المنطلق المعرفي المتناسك. لا أن تتوجه هذه الرسالة إلى استثارة العواطف أو الغرائز أو طلب استحابة مادية ظرفية آنية أن يكون هذا النمط من رسائل الاتصال تكامليا فيتضمن الاتصال السمعي البصري والاتصال المكتوب الاتصال الشفهي الشخصي وكل وسائل الاتصال.²

وعند قولنا أن الرسالة هي القيم، فمعنى ذلك المجال الذي تتحرك فيه نظرية عبد الرحمن عزري، الرسالة الإعلامية من جهة ومصدرها الإنسان والقيم من جهة أخرى ومصدرها الدين. وبعلاقة متعددة أن الإنسان أداة لهذه

1. كرم شلبي، الخبر الصحفي و ضوابطه الإسلامية. مرجع سابق. ص 10-11.

2. عبد الرحمن عزري، دراسات في نظرية الاتصال. مرجع سابق. ص 143.

2. نصير بوعلي، الإعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمان عزري. الجزائر: دار الهدى، 2005، ص 107.

القيم وينبغي أن يجسدها في رسالته الإعلامية أو الاتصالية. إن الاتصال المرئي من وجهة نظر **عبد الرحمن عزري** « يكون هادفا ودالا حضاريا إذا مكن الفرد من تحقيق ذاته غير المجدية والمتكاملة في أبعادها المعنوية والجسدية، والمجتمع من تحقيق الأهداف الرسالية والمعيشية المرتبطة بثقافته وأصوله ومصالحه»¹.

وتقوم هذه الرؤية في فكر **عزري عبد الرحمن** على جملة من الركائز وهي:

- أ - أن يكون الاتصال نابعا من الأبعاد الثقافية والحضارية التي ينتمي إليها المجتمع .
- ب - أن يكون هذا الاتصال تكامليا (كل وسائل الاتصال).
- ج - أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من الجمهور.
- د - أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع بالإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو.²

وخلاصة الحديث عن علاقة الدين بتكنولوجيا الإعلام والمعلومات أنه ما يزال عند الكثيرين محصورا في الأمور الخاصة بالنشر الإلكتروني الديني، ونشر الدعوة عن طريق وسائل الإعلام، وأثر وسائل الإعلام الجماهيري والانترنت في نظام القيم. أو بقول آخر تنحصر النظرة إلى هذه العلاقة في إطار ثنائية تكنولوجيا المعلومات كأداة للدين، وتكنولوجيا المعلومات كقضية أخلاقية، ولاشك في أن علاقة الدين بتكنولوجيا المعلومات تتجاوز هذه الثنائية، حيث أصبحت هذه التكنولوجيا تمس قضايا جوهرية في صلب الظاهرة الدينية ومنظومة القيم.³

إن المواجهة بين الدين وفكر عصر المعلومات ستدور رحاها على جبهة القيم والأخلاق بصفة أساسية. لقد أدركنا في دراساتنا الفلسفية أن التكنولوجيا سواء قامت على البحوث العلمية الجديدة أو على غيرها، ستظل فرعا من فلسفة الأخلاق لا من العلم كما يقول **بول جوفمان Gofman**. وأوضح دليل على صحة هذا القول، هو ما فجرته تكنولوجيا المعلومات متضافرة مع الهندسة الوراثية من قضايا أخلاقية عدة، بعد أن اقتربت التكنولوجيا من تلك المناطق الحميمية في عقل الإنسان وأنسجته وخلاياه، وهكذا أورقت شجرة الأخلاق فروعاً أخلاقية جديدة؛ من أخلاق البيئة، وأخلاق البيولوجي، وأخلاق المعلومات، وأخلاق الانترنت، وباتت معظم القيم السائدة بحاجة إلى مضامين جديدة، منها على سبيل المثال قيم الحرية والمساواة والعدالة، بل الأمن والأمان والثقة في الغير والتسامح مع الآخرين.⁴

القضية الرابعة: اللغة في منظومة الثقافة و الإعلام

1 . عبد الرحمن عزري، دراسات في نظرية الاتصال. مرجع سابق. ص 143.

2 . نصير بوعلوي، الإعلام والقيم، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزري. الجزائر: دار الهدى، 2005. ص 107.

3 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 409. 412.

4 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 402.

1 . محورية اللغة في منظومة الثقافة .

عدّ الأنثروبولوجيون اللغة أحد العناصر المكونة للثقافة، وذلك لاعتبارهم « اللغة نمطا هاما من الأنماط الثقافية التي تتكون من خلالها ثقافة مجتمع ما، بل تعد عند معظم الأنثروبولوجيين أهم هذه الأنماط لأنها تعتبر الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها¹ من ناحية، كما أن كل ما يكتسبه الفرد ويتعلمه من هذه الأنماط يصل إلى عقله ووجدانه من خلال اللغة من ناحية ثانية.

إن دور اللغة في المجتمع لم يقتصر على اعتبارها أداة للاتصال بين أفراد فقط، بل أصبحت تمثل جزءا أو عنصرا مهما من عناصر الثقافة.² بل هي أهم وأعظم العوامل التي أدت إلى تقدم الثقافة. وأن فهمها فهما جيدا يتوقف على فهم أنماط الثقافة السائدة في المجتمع الناطق بها. فدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا يعني شيئا أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي، وبالتالي لا يمكن تحديد مفردات اللغة ودلالاتها تحديدا دقيقا إلا بمعرفة البيئة الثقافية لهذه المفردات أو لهؤلاء الناطقين بها، وهذا ما يقصده الأنثروبولوجيون والاجتماعيون حينما ذهبوا إلى أن اللغة شيء أكبر مما نجده في المعاجم، وأن دراستها دراسة عميقة تحتاج إلى التعرف على الروابط اللغوية بين أنماط اللغة وأنماط الثقافة.³

ومن خلال اللغة يمارس أفراد المجتمع مجموعة من السلوكيات المادية والمعتقدات المعنوية التي تصل إلى عقلهم ووجدانهم.⁴ وبما أن الإنسان يكسب هذه السلوكيات والعادات والمعتقدات - التي هي عبارة عن ثقافة - بواسطة اللغة فقد « اعتبر الأنثروبولوجيون أن اللغة وعاء لهذه الثقافة⁵ . وعلى هذا الأساس المتمثل في الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة بني هؤلاء دراستهم لمختلف المجتمعات للتعرف على ثقافتها، حيث اعتبروا تلك العلاقة هي المفتاح الذي يساعدهم على الولوج إلى هذه المجتمعات ومعايشتها.⁶

كما ذهب الأنثروبولوجيون أيضا إلى أن اللغة أحد العناصر الأساسية الحاملة للثقافة، وذلك لأن « نشأة الثقافة ونموها لا يتم بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق التعاون والاتصال مع غيره، والعمل على تأصيل خبراته

¹ - كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق. ص 72.

² - ابراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن. ط: 4. بيروت: دار المعلم للملايين، 1927. ص 159.

³ .كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق. ص 60 . 67.

⁴ - نفس المرجع الأنف الذكر. ص 57.

⁵ - نفس المرجع الأنف الذكر.

⁶ .كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق. ص 60 . 67.

وحفظها، وتواصل هذه الخبرة واستمرارها من جيل إلى آخر». ¹ فإذا كانت الثقافة هي الآداب والفنون والمعارف التي تنتقل إلى عقل الإنسان ووجدانه، فإن هذا الانتقال لا يتم إلا عن طريق اللغة. ²

إن المجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء والعلاقات. وبما أن «ظهرت الثقافة قد ارتبط بظهور الرموز أو العلامات التي تكون نظام اللغة. وبما أن الثقافة ارتبطت بوجودها بوجود اللغة فإنه من أبرز مميزات الثقافة أنها خاصة بغيرها الكائن الإنساني وحده». ³

لقد لعبت اللغة أهم أدوارها في بناء التراث الاجتماعي البشري وذلك عن طريق نقل الأفكار والمعارف والاتجاهات والرموز بسهولة ودقة، ولولا قيامها بهذا الدور ما قدر للثقافة أن تظهر إلى عالم الوجود. فالدين والتاريخ والقانون والآداب لا تعرف إلا باللغة وفي اللغة، وكذلك العناصر المادية لها علاقة باللغة بل هي عبارة عن عناصر فكرية مجسدة في الأعمال أي قبل أن تكون أشياء ملموسة كانت أفكارا، ومن ثم فهي تعرف باللغة ⁴ بل هي جزء من نظام اللغة.

وتتكون اللغة من ألفاظ لها معانٍ مشتركة، أوضح ما يمثل فيها العنصر الرمزي الذي يميز السلوك الثقافي الإنساني، فاللون مثلا يشير إلى شيء محدد في كل ثقافة، ومثال ذلك اللون الأحمر الذي يدل على الخطر في ثقافة ما ويدل على التضحية والجهاد في ثقافة أخرى، وكذلك اللون الأبيض الذي يدل على الطهر والبراءة في ثقافة قوم ويدل في أخرى على الموت والمرض. ⁵ وإذا كان استخدام الرموز والمعاني المجردة يمثل جانبا من جوانب الثقافة لدى الإنسان، فإن «اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكنه من التجريد والسمو الفكري والاتصال الرمزي بكيفية لم يُوهبها سواه». ⁶ فاللغة هي نفوس أصحابها وقلوبهم، وعقولهم، وإذا لم تكن للإنسان لغته، فماذا سيكشف

عن حقيقته حيا، ناطقا، عاقلا، عالما، شاعرا، فاللغة هي التي تجعل الإنسان موصولا بسائر الأفراد في مجتمعه وموصولا بأسلافه في تاريخ واحد. ⁷

¹ - نفس المرجع الأنف الذكر. ص 58.

² - انظر: <http://membres.lycos.fr/mimbar/cours/laguage2.htm>.

³ - أحمد بن نعمان، مرجع سابق. ص 28.

⁴ - انظر عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، ص 74. نقلا عن: أحمد بن نعمان، مرجع سابق. ص 120.

⁵ - انظر أحمد بن نعمان، مرجع سابق. ص 121.

⁶ - نفس المرجع الأنف الذكر.

⁷ - أحمد بن نعمان، مرجع سابق. ص 123.

كما أن اللغة أو الكلمات تحمل مدلولات مختلفة تختلف باختلاف الثقافات، وهذه الألفاظ دوماً تعبر عن المعاني المختلفة التي تمتلكها كل ثقافة اتجاه هذه الألفاظ وما ترمز إليه بالنسبة لها. فكلمة (بقرة) و(خنزير)، هي بالنسبة للفرد في المجتمع الإسلامي توحى له الكلمة الأولى بمشاعر طيبة وتوحى الثانية بكل ما هو قذر وخبث ومحرم، وعكس ذلك عند الفرد في المجتمع الهندوسي، فإن الكلمة الأولى توحى له بمشاعر التقديس و المهابة في حين توحى له الثانية بمشاعر مختلفة لما أُوْحِتْ به إلى المسلم.¹ فالكلمات مشحونة بانفعالات مختلفة التأثير على الأفراد وهذه الكلمات تمثل طبيعة كل ثقافة وحاملة لها.

فالثقافات الإنسانية يتميز بعضها عن بعض، وتختلف في مدلولاتها ومضامينها من مجتمع لآخر، ولا تعبر عن تلك المضامين الثقافية إلا اللغة التي وعت معانيها، فمثلاً مضامين الثقافة العربية الإسلامية لا تعبر عنها -اصدق تعبير - إلا اللغة العربية و تعبر عن مضامين الثقافة الفرنسية اصدق تعبير اللغة الفرنسية.² فكل لغة تعبر عن ثقافة المجتمع الناطق بهذه اللغة.

فاللغة بهذا الشكل هي الوعاء الحامل للثقافة عبر الحضارات المختلفة ووعاء لحفظها أيضاً وذلك لأنها « مخزون التراث الإنساني على مدى الزمان وهي في ذلك السجل الحقيقي لحركة الإنسان في التاريخ الذي تنطبع على صفحاته كل الأحداث وكل التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية ». ³ وهذه الأحداث والتراكمات تنطبع على شكل كلمات تنتقل من حضارة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر لا تفتى، ولا تتوقف عن التعبير عن تلك الثقافات الإنسانية المختلفة، أصدق تعبير.

أما مشكلة طبيعة العلاقة بين اللغة والثقافة فقد أخذت النصيب الأوفر في بحوث العلماء. فهي « عند سايبير علاقة فاعلة ومتفاعلة في آن واحد». ⁴ ذلك لأن لغة أي المجتمع تعتبر مظهراً من مظاهر ثقافته ومحاوله فصل اللغة عن الثقافة يعد عملاً منافياً لطبيعة كل منهما.⁵

ولهذا يمكن أن نصف الثقافة بنفس الطريقة التي يمكن أن نصف بها اللغة، «فاللغة تظهر في شكل علامات أو كلمات مكونة من أصوات تحمل دلالات معينة والثقافة تظهر في شكل صور مادية لها قيمة دلالية أو استجابية من قبل الجماعات»⁶ وهذه القيم الدلالية والاستجابية تتم بلا شك بواسطة اللغة.

¹ - نفس المرجع الآنف الذكر. 121-122.

² - نفس المرجع الآنف الذكر.

³ - انظر: . http://: membres.lycos.fr/mimbar/cours/laguage2.htm.

⁴ - حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية. الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000، ص38.

⁵ - انظر كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق. ص58.

⁶ - انظر كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق. ص58.

وكذلك تظهر العلاقة التكاملية بين اللغة والثقافة في أن الثقافة تساعد على تطوير اللغة وذلك من خلال إمدادها بالمفردات والمعاني، ويتمثل إمدادها في المفردات من خلال الاختراعات الجديدة التي تبتكر لها أسماء جديدة كما أن «ضمور الثقافة وتوقفها عن الاختراع المادي والإنتاج الفكري يؤدي حتما إلى وقوف تطور اللغة في الدلالات والمعاني»¹. ويضيق أفق اللغة وتعجز عن التعبير عن الأشياء المستحدثة التي لم يكن لثقافة تلك اللغة فضل في اختراعها،² ومن ثم تعجز عن إيجاد مسميات لهذه الاختراعات. ولعل أوضح مثال على ذلك اللغة والثقافة العريبتان فعندما توقفت الثقافة العربية عن مواكبة التقدم التكنولوجي العصري في الاختراع، أثرت على اللغة العربية التي أصبحت تعاني من بعض القصور في التعبير عن المستحدثات من الأشياء التي اخترعتها ثقافات الغرب، وأصبحت المجامع اللغوية العربية تعاني مشكلات في كيفية تعريب المصطلحات الخاصة بتلك المخترعات في الثقافات الأجنبية.³

وكذلك في الوقت ذاته تغني اللغة الثقافة بما تضيفه إلى حصيلتها، من معارف وخبرات تعبر عنها في شكل كلمات ومصطلحات تنتقل بهذه المعارف والخبرات إلى العقول والقلوب والثقافة ومن هنا كان غنى اللغة واتساعها دليلا على عمق ثقافة الأمة، وكان فقرها وقلة حصيلتها اللغوية دليلا على ضمور الحضارة وضعف الثقافة.⁴

أما عن علاقة اللغة بمنظومة الاتصال الجماهيري، فاللغة هي أحد العناصر الرئيسية التي تشكلها، إذ أنها تشغل المكان الأساسي في جميع مجالات الاتصال " الصحافة . الإذاعة . التلفزيون . السينما . المسرح ". فاللغة هي صلب الرسالة الإعلامية بأبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية.⁵

2. اللغة الإعلامية العربية بين لغة الإعلام والأبعاد اللغوية للعولمة

يقول نسيم الخوري صاحب كتاب "الإعلام العربي وانحياز السلطات اللغوية" عن سلطان اللغة والعلاقة الوثيقة بل والمحكمة بين اللسان والسلطان: «هو الفصاحة في حد ذاتها ووضوحها وتضمنر قهر الآخر ودحضه. والفصاحة فعل تنوير أو إضاءة المبهم وإيضاحه حيث العلم والمعرفة، سلطان أي حجة ونور، ويصبح الكلام إذا شفويا أو مكتوبا فعل تنوير يقهر الظلام ويدحض الجهل الكامل وعدم المعرفة. ومن هنا كان الاهتمام بلغة الإعلام

¹ - احمد بن نعمان ، مرجع سابق. ص 120.

² - نفس المرجع الأنف الذكر.

³ - انظر مداخلة الشاذلي الفيتوري، «اللغة العربية والوعي القومي». بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، ط: 2. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986. ص 163.

⁴ - انظر: . http: membres.lycos.fr/mimbar/cours/laguage2.htm.

⁵ . عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000. ص 245.

بوصفها سلطة مدنية تدخل إلى كل بيت بلا استئذان حتى باتت من خلال وسائط الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة الرفيق اللازم لإنسان العصر الحديث و لاسيما من يعيش في الألفية الثالثة... به يقوى و به يضعف»¹.

فالإعلام هو أكثر الأنشطة الاجتماعية استخداما للغة منطوقة كانت أم مكتوبة. لذا تقع على لغة الإعلام مسؤولية النهوض بالأداء اللغوي للمجتمع ككل. وكما يمكن أن يفيد الإعلام اللغة ويعمل على توحيد استخدامها. يمكن لهذا الإعلام . إن قَصَد التزييف والتمويه . أن يضر باللغة أشد الضرر. فأكثر ما يضر اللغة كما يقول **جورج أورويل George Orwell** هو عدم الإخلاص ... لأن التضحية باستخدام العربية الفصحى في وسائل إعلامنا تعني نفس إحدى الدعامات القليلة الباقية في وحدتنا الثقافية.²

لقد بات تأثير وسائل الإعلام على الثقافة اللغوية ولغة الحديث كبيرا. حيث يتعرض الجمهور المستخدم لوسائل الإعلام والاتصال إلى العديد من الأنماط اللغوية التي تتفق أو تختلف أو تتشابه مع اللغة التي يستخدمها الناس، فتستطيع وسائل الإعلام من خلال كلمات الحوار أو الحديث أو اللغة أن تؤكد على معاني لغوية موجودة بالفعل و تثيرها، وهي بذلك تقوم بوظيفة لحفظ التراث اللغوي والثقافي للجمهور. ولكن عندما يتم استخدام كلمات ومصطلحات وتعبيرات لغوية جديدة في شتى وسائل الإعلام وتصبح النمط اللغوي الشائع في المنتجات اللغوية المختلفة تبدو هنا عملية التغير والتأثير على لغة الجمهور والمستخدمين وخاصة كثيفي الاستخدام. وعندما اتجه الصحفيون العرب مثلا إلى استخدام لغة بسيطة وابتعدوا عن اللغة العربية الفصحى والكلمات الصعبة غير المستخدمة ابتدعوا لغة جديدة لا هي عربية فصحى ولا هي عامية، وأطلقوا عليها لغة الصحافة، وكان من نتيجة ذلك اختلاف النمط اللغوي المستخدم في الصحف والمجلات عن الكتب الثقافية أو التعليمية والمتخصصة.³

وتمتاز اللغة الإعلامية بالمرونة والقدرة على الحركة، فهي لغة حركية، وهذه الصفة تتميز في استيعابها لمنجزات الحضارة وروح العلم وواقعية المجتمع الحديث. وهذه المرونة هي التي تكسيها جمالها، والجمال شرط أساسي لأي لغة. على أن اللغة الإعلامية العربية تؤثر الإفصاح في التعبير عن ذلك كله، تارة بالتنقيب في مكانز

اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات، مادية كانت أو معنوية وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة العربية الصميمة تسد الحاجة إلى التعبير الحضاري في حياتنا الراهنة.⁴

1 . عبد النبي اصطيف، « في لغة الإعلام » المعرفة. العدد 509، السنة 44، شباط 2006. ص 50 .

2 . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 378.

3 . منال ابو الحسن، مرجع سابق. ص 155 .

4 . عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام. مرجع سابق. ص 238.

إن اللغة العربية الإعلامية بنيت على نسق الفن الإعلامي بمفهومه الحديث، تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها، كما أنها تتمشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده. فالألفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم إلى الأشياء، ذلك أن تسميتهم لها باسم بعينه وفي إطلاق لفظ دون غيره عليه واختيار صفة من صفاته ما يدل على اتجاههم في التفكير وتقييمهم للأشياء.¹

لقد اتسعت اللغة العربية وتطورت منذ القرون الأولى لبناء الدولة العربية الإسلامية، لتلبي احتياجات المجتمع الجديد في تكوين الأنساق الثقافية الجديدة في الفلسفة والرياضيات والطبيعات والديانات بما يتلاءم مع الأوضاع الثقافية التي ضمت. في ذلك الحين. الاتجاهات الفكرية المتعارضة والمتناقضة.

ولم تتضح اللغة الإعلامية العربية إلا مع عمليات التطور الاجتماعي والثقافي والفكري الحديث ومنذ أوائل القرن التاسع عشر. وفي طيات الحركات الثقافية الاجتماعية أثرت اللغة العربية بألفاظ جديدة تناسب والعصر الحديث أفادت في نهضة الصحافة العربية التي راحت تعبر عن هذا التطور الاجتماعي والثقافي منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر بلغة طيبة و سهلة.

وأول مظهر إيجابي حققته الصحافة أنها مضت في استعمال اللغة العربية الفصحى في الخبر والتقرير والوصف والتعليق وكتابة المقال ذات المضامين المختلفة، وتحقيق التواصل مع الجماهير القارئة المتزايدة باستمرار. مضت الصحافة في هذا السبيل غير عابئة بالصراعات الفكرية الهامشية والمعارك الدائرة بين أنصار الفصحى وبين خصومها التي كانت تثار من حين لآخر حول جمود اللغة أو حول فقرها أو حول حيويتها وغناها أو حول تبسيط نحوها وصرفها أو حول إحلال العامية محلها. فضلا عن كون هذه الصحافة عبرت بالممارسة للكتابة بالفصحى المبسطة من الخيار الموضوعي الوحيد بالنسبة لتجديد اللغة وتطويرها واعتمادها ركيزة للقومية العربية وحبلا ممددا بين الأمة ودينها وتراثها.

ومن المؤكد أن الصحافة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية هي المؤثرة بصورة لا تنزع في رسم الكلمات والتعابير على ألسنة الجماهير التي تقرأ والتي تسمع وتشاهد بصورة مقترنة بالكلمة، فإن استعملت الصحف والإذاعة والتلفزيون الفصحى والصحيح من اللغة كانت خير معين على حفظ العربية وجريانها على الألسنة. وإن

هي استعملت اللغة مشوبة بالعجمة والأخطاء والركاكة كان دورها أقوى من كل عامل آخر في تعويد الألسنة على العجمة والأخطاء.² ومصدق ذلك أننا نشاهد ونسمع في أوساطنا في مختلف المستويات من الأخطاء ما أصبح

¹ . نفس المرجع الآنف الذكر.

² . وهناك طائفة من الأخطاء الشائعة في صحافتنا مردها إلى الجهل بالنحو العربي وبقواعد الصرف وقواعد التركيب في معان معينة، كالاستفهام والتأكيد والتقدم والتأخير والفصل والوصل والعطف والتأنيث والتذكير والجمع. فمن ذلك على سبيل المثال ما يخطئ فيه الكتاب عند إضافة العدد إلى

ثابتا وراسخا. وأمام هذا الوضع الذي لا حيلة في دفعه أو تغييره راج المثل القائل " خطأ مشهور خير من صواب مهجور " فهذا الوضع اللغوي يعمل على تفتيت حصاة اللغة وخلخلة بنائها من الداخل وإفساد أذواق المتعلمين.¹

ومن كان لهم إسهام في انتقاد " لغة الصحف " في نهاية القرن التاسع عشر الشيخ إبراهيم اليازجي 1906 في لغة الجرائد، وهي مقالات نشرها في مجلة " القضاء " قدم فيها نحو 364 تعبيراً ولفظاً مما كان يروج على أقلام الكتاب في الجرائد يومئذ مما هو غير صحيح من حيث قواعد اللغة و أساليبها واستمر هذا النزوع المعنى بالتصحيح ومتابعة الأخطاء إلى أواخر القرن الماضي.²

ومع ذلك فإننا يمكن القول إن الإعلام والصحافة بوجه خاص قد حققتا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة، وكل ما تنادى به الغيورون على هذه اللغة من وجوب تبسيطها، بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء، ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء، ومن وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد أو مستحدث في العلم والأدب والفن.³

إن اللغة الإعلامية هي نتاج تطور فكري وحضاري شهده العالم العربي منذ نشأة الصحافة العربية في منتصف القرن التاسع عشر، والأدب المسرحي والقصصي والأغنية العربية في بدايات القرن العشرين وحتى الستينات من القرن الماضي. ولقد تبع تلك الفترة اضمحلال ثقافي، إذ بدأ عهد الانكسار والأزمة في الثقافة

العربية والتي هي نتيجة لعدم مواءمة الحصاد الثقافي في تلك الحقبة ومواجهته للتغير المادي الذي طرأ على المجتمع، أي نتيجة لديناميكية التغيرات المادية المفرغة من المضمون الكيفي في الجوانب الثقافية القيمة.⁴

المعدود فيقولون " إحدى الحمامات " بدل " أحد الحمامات " و " أحد القلاع " بدل " إحدى القلاع " و " إحدى الشوارع " بدل " أحد الشوارع ". ومن ذلك ما بخطئ في الكتاب في صياغة اسم المفعول أو اسم الفاعل فيقولون " الواقع المعاش " بدل " المعيش " و " المديونية " بدل " المدينية " أو " الدين " و " المصان " بدل " المصون " و " المتوثى " بدل " المتوثي ". و يقولون " أعزب " بدل " عزب " و " عازب " و " مهول " بدل " هائل " و " شاب مستهتر " بالكسر بدل " مستهتر " بالفتح و " شئ مفلت للنظر " بدل " لاف للنظر " و " تجارة مرجحة " بدل " راحة ". (محمد الكتاني، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب. الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية. ص 207 . 208).

¹ . محمد الكتاني، مرجع سابق. ص 207 . 208.

² . مقدمة كتاب أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية. ط: بلا. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987. ص 196.

³ . عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام. مرجع سابق. ص 244.

⁴ . نسمة أحمد البطريق، مرجع سابق. ص 59 .

وربما كان من أهم ما يلفت نظر الدارس للغة الإعلام العربية في زمن الانتكاسة إلى اليوم مصطلحاته المستمدة من الإعلام الغربي والتي يقوم بإشاعتها في الحياة العربية بكل ما تنطوي عليه من تضمينات تعكس تفكير الآخر في قضاياها أكثر مما تفصح عن المنظور العربي الذي يفترض فيها أن تجسده. وكما يمكن أن يلاحظ أي مدقق في المصطلحات المتداولة في وسائل الإعلام العربية فإن هذه المصطلحات إنما تختزل في الواقع مفاهيم يسقطها (الآخر) على المنطقة، ويحاول أن يسربها إلى وعي أبنائها ليفكروا بها على النحو الذي يريده لهم ويخلصوا إلى تبني وجهة نظره فيما يجري فيها، وهذا ما يحدث فعلا في بعض الأوساط العربية الرسمية.¹

ولكن المفارقة المروعة ما تفعله وسائل الإعلام الصهيونية التي «تهدف إلى تقويض الحق العربي تتسرب وتنفذ إلى إعلامنا العربي ولغتنا الإعلامية وهنا تكمن الخطورة الكبرى». ومعنى هذا أن الإعلام العالمي ومن ضمنه اللوبي الصهيوني يستخدم الإعلام سلاحا في احتواء المنطقة العربية وتوجيه سياسات أنظمتها على مختلف الصعد.²

تذكر **بشينة شعبان** وزير الإعلام السوري أن «إعلامنا العربي في جوهره . هو إعلام متلق وغير صانع للخبر، مصادره غير عربية وهي وكالات الأنباء العالمية التي تصوغ الخبر بلغتها ومصطلحاتها وتبثها باستخدام التقنيات الحديثة عبر شبكة المعلومات. ويعمل إعلاميون على أخذ الأخبار دون مراجعة وتدقيق... مستخدمين اللغة والمصطلح المدسوسين والمصممين لتسطيح الحقائق وقلبها. والكارثة هي أننا نعتاد هذه اللغة ونستخدمها وكأنها اللغة الواقعية»³.

إنه من المؤسف ألا تتولى السياسات الإعلامية العربية هذا الموضوع الأهمية التي هو بها حري. وليست هناك خطة قومية متماسكة لخدمة اللغة العربية من قبل الأجهزة الإعلامية. لقد دلت دراسة قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أن وحدتنا اللغوية لا تقوم إلا على 7% تقريبا من مجموع الكلمات العربية التي نستعملها بيننا، بينما نحن متخلفون عن باقي المجموع بنسبة تتجاوز 93% من المادة اللغوية، إذ تشكل اللهجات الدارجة بمستوياتها المهذبة والمبتذلة الجانب الأعظم من لغة الحوار في برامج الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح.

إننا كمنظومة ثقافية وإعلامية لا نريد الاهتمام بما يقوم به العديد من الدول الصناعية شرقا وغربا لحماية لغتهم الوطنية من أجل حماية ثقافتهم والذود عن مصالحهم الحيوية. يجب أن تكون خدمة اللغة العربية هدفا رئيسيا من

1. عبد النبي اصطيف، مرجع سابق. ص 49.

2. نفس المرجع الذكر. ص 49.

3. انظر بشينة شعبان، «المصطلح الإعلامي ودوره السياسي في القضايا العربية الراهنة». دراسة فكرية . دمشق: العدد3. 2004/5/18. ص 93.

أهداف النظام الإعلامي العربي الجديد، وعنصراً أساسياً لضمان الأمن الثقافي والعربي. وضمان الأمن الثقافي يعني إيجاد مناعة إعلامية تقي من مخاطر الاختراق الثقافي وتسمح بالوعي والشعور الملموس بالوجود العربي وتساعد على تخليص العرب من مخلفات الاستعمار الثقافي الأجنبي.¹

وفي ظل ظاهرة العولمة سيكون هناك أبعاد لغوية سواء كانت العولمة وفاقاً أم صراعاً. فإن كانت "وفاقاً" فاللغة ذات شأن جليل في حوار الثقافات، حيث من المتوقع أن يتخذ أنصار العولمة من علوم اللغة مرتكزاً أساسياً لعولمة الثقافة، فهؤلاء العولميون لا يقرون بالخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب ويقفون بشدة ضد النسبية الثقافية والنسبية اللغوية بالتالي، وهم بلا شك سيجدون ضالتهم في التنظير اللغوي الحديث، حيث تتدرج جميع اللغات الإنسانية في إطار النظرية العامة للغة. لقد استوعبت هذه النظرية القواسم المشتركة بين اللغات، وكذلك مواضع اختلافها وتباينها. علاوة على ذلك، فقد تبنت هذه النظرية النموذج الذهني للغة الذي يفترض كونها غريزة إنسانية يشترك فيها البشر كافة.

أما إن كانت العولمة "صراعاً" فيقول **محمود أمين العالم** «أخذت العولمة السائدة تفضي بالضرورة إلى سيادة لغة من لغات هذه الدول المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة. ويؤكد المشهد اللغوي العالمي صحة ما خلص إليه محمود أمين العالم، لاسيما في مجال الإعلام والمعلومات، وجاءت الانترنت لتفتح بوابات الفيضان أمام تدفق معلوماتي هادر تطنخ عليه اللغة الإنجليزية، وهو الأمر الذي أثار الفرع لدى جميع الأمم غير الناطقة بالإنجليزية، وقد انتابها قلق شديد على مصير لغاتها القومية وهي توشك أن تسحق أمام الإعصار المعلوماتي الإنجليزي الجارف تحت ضغوط اقتصادية وسياسية وثقافية هائلة. إنها الصيغة اللغوية لمصطلح "الإمبريالية الثقافية"».²

وتتعرض العربية في ظل العولمة وثورة المعلومات لحركة تهميش نشطة بفعل الضغوط الهائلة الناجمة عن طغيان اللغة الإنجليزية على الصعيد السياسي والاقتصادي والتكنولوجي والمعلوماتي. وتواجه العربية في ذلك معظم لغات العالم، إلا أنها تواجه تحديات إضافية نتيجة للحملة الضارية التي تشنها العولمة ضد الإسلام، وبالتالي ضد العربية نظراً إلى شدة الارتباط بينها.³

إن اللغة العربية بلا شك هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بالهوية، وهي اللغة الإنسانية الوحيدة التي صمدت سبعة عشر قرناً سجلاً أميناً لحضارة أمتنا في ازدهارها وانتكاسها وشاهدنا على إبداع أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة و دليلاً على تبعيتهم وقد تخلفوا عن هذا الركب. والحرص على العربية ليس

1. مصطفى مصمودي، مرجع سابق. ص 269. 270.

2. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 227. 238.

3. نفس المرجع الآنف الذكر.

من أجل الناطقين بها فقط بل هو واجب الإنساني وروحي تجاه جميع المسلمين من غير العرب خاصة في ظل الحملة المسعورة لتفتيت التكتل الإسلامي في ظل العولمة. يقر الجميع بأننا نعيش أزمة لغوية طاحنة تفشت حتى كادت تصبح عاهة ثقافية مستديمة وكما يقول أمين الخولي « إن آفات حياتنا في جهرتها تعود إلى علل لغوية، تصدع الوحدة وتحرم الدقة وتبدد الجهد و تعوق تسامي الروح والجسم والعقل والقلب»¹.

وعلى الرغم من وضوح إعراض أزمنا اللغوية وجسامتها آثارها وكثرة المؤتمرات والندوات واللجان والتوصيات التي عقدت بشأنها تظل تلك الأزمة مستعصية على الحل. ويعكس جهد الإصلاح اللغوي في القرن الماضي وخطابنا اللغوي الراهن قصور معرفتنا بلغتنا، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة يعود في مقدمتها إلى خطأ التشخيص لدائنا اللغوي. فتارة يوجه الاتهام إلى مدارسنا وتارة إلى مجامعنا اللغوية وتارة إلى إعلامنا، بل وصل الأمر ببعض إلى إدانة اللغة العربية تحت زعم أنها تحمل بداخلها كوامن التخلف الفكري والعجز عن تلبية مطالب العصر، و يا له من اتهام جائر لهذه اللغة الإنسانية العظيمة. لقد حان الوقت للتصدي لهذه المفاهيم الخاطئة التي لا أساس لها من الصحة ولا سبيل إلى ذلك إلى من خلال التحليل الدقيق من خلال للعلاقة بين منظومة اللغة ومنظومة المجتمع من منظور ثقافي.²

وفي ضوء ما قيل فإن راهن العربية في أمس الحاجة إلى نظرة أشمل تتجاوز حدود الخطاب اللغوي الراهن، سواء من قبل اللغويين وأهل المعاجم وأئمة الجامعات. أو من قبل نقاد الأدب والتربويين والإعلاميين. لقد باتت إشكالية اللغة من الخطورة والأهمية، بحيث يصعب إرجاؤها أو تناولها من دون إستراتيجية واضحة للإصلاح اللغوي الشامل.

القضية الخامسة: التربية الإسلامية ومحوريتها في منظومة الثقافة

إن قيم التربية الإسلامية صفات إنسانية إيجابية راقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية، تؤدي بالمتعلم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها وهو الدين والعرف وأهداف المجتمع. وتصبح هذه القيم تربية كلما أدت إلى النمو السوي لسلوك المتعلم وكلما اكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيداً من القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وبين الخير والشر وبين القبيح و الجميل.

أما مصطلح **التربية الإسلامية** فقد غدا مصطلحاً تاريخياً يلجأ الباحث فيها إلى كتب التاريخ وكتب التراث لكي يتبين ملامحها ومعالمها في إطار غياب التربية الإسلامية الأصيلة عن مسرح واقعنا المعاصر. ورغم تلك الغيبة

¹ - مقدمة كتاب أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية. مرجع سابق.

² - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 231.

الطويلة للتربية الإسلامية والتي جعلتها تختلط في أذهان الباحثين وغير الباحثين ببعض أجزائها، كالتربية الدينية والتعليم الديني المتخصص لرجال الدعوة الإسلامية أو بعض مباحث الأخلاق والقيم. إلا أن المعنى الحقيقي للتربية الإسلامية يشير إلى أنها هذا النوع المتميز من التربية الذي ينتج لنا المواطن المسلم صاحب الرسالة والمنهاج الواضح في شتى مجالات الحياة، عقائد وعبادات وأخلاق ونظم. والذي يسعى جاهداً للتمكين لهذا المنهاج الإلهي في أرض الله الواسعة. ومن ثم فإن للتربية الإسلامية مفهوماً واضحاً ينبغي ألا يكون أقل وضوحاً لدينا من مفهوم التربية الروسية أو التربية الأمريكية أو غيرها من التربيات، وهي تربية لها ملامحها وسماتها ومميزاتها فهي تربية ذات فلسفة واضحة مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.¹

إن العملية التربوية بمفهومه الإسلامي الشامل من الركائز الأساسية التي تقوم عليها أية حركة تكون من غايتها إقالة الأمة من عثرتها، والعمل على النهوض بها وإمدادها بالفاعلية اللازمة التي تساعد على التحرر من كل أسباب الضعف والتخلف ومن كل عوامل القابلية للخضوع والاستسلام. إن هذه الأهمية للعامل التربوي الحق في حياة الأمة يفسر تلکم الدوافع التي تكمن وراء ما يخطط له الغزاة اليوم وهم يلقون بثقلهم في استهدافهم لهذا الميدان مضامين و مناهج وطرائق.² وثمة تداخل كبير بين مفهومي الثقافة والتربية عند كثير من كتابنا ومنظرينا، وربما مبعث ذلك التقارب الكبير بينهما لأهمية دور كل من الثقافة والتربية في بناء الشخص والمجتمع. فالثقافة تشكل قيم المجتمع ومظاهر السلوك، بينما التربية هي الوسيلة التي تعمم الثقافة بين أفراد المجتمع.³

وإذا شئنا نموذجاً كبيراً من كتابنا تبدو فيه ملامح التفريق والتمييز بين المجالين غير مستقرة، فإننا نجد مالك بن نبي على سعة فكره يُشَابِكُ بين خيوط الثقافة والتربية.

إنه لمن الصعب جداً تحديد مفهوم التربية بعيداً عن الثقافة في فكر مالك بن نبي، مما ينبثق بالتمازج الشديد بين معنى الثقافة ومعنى التربية التداخل الحاد بين قضائيهما. إننا نكاد نجزم أن مالك بن نبي لم يتحدّث عن موضوع التربية في مؤلفاته بشكل مباشر وصحيح. لتداخل معنى التربية مع معنى الثقافة عنده. وكأن التربية والثقافة توأمان متداخلان لا ينفصلان، فهما يشملان كل ما له مدخل في تكوين الإنسان، من حيث فكره، وروحه، وعواطفه، وأحاسيسه، ومهاراته العملية وسائر ملكاته.⁴

ويظهر هذا التداخل بين الثقافة والتربية عند بن نبي في قوله: «إن من أوليات واجبتنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نُحدِّدَها عاملاً تاريخياً لكي يفهمها، ثم نظاماً تربوياً تطبيقياً لنشرها بين طبقات

1. عبد الرحمن النقيب، «مدخل تأسيسي لمفاهيم المؤتمر. الأمة، الثقافة، التنمية»، الأمة وأزمة الثقافة. مرجع سابق. ج 1 ص 68.

2. محمد بن سميعة، مرجع سابق. ص 156.

3. مصدق حسن، مرجع سابق. ص 25-27.

4. انظر عبد المجيد عمر النجار، عوامل الشهود الحضاري. ط: 1. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999. ص 289.

المجتمع»¹. فالثقافة هي التي ترسم خط التربية، والتربية هي التي تنمي الثقافة. ولذلك نجد أن مالك بن نبي يحدّد الثقافة في شقّها التربويّ على أنّها عملية تثقيف.²

وفي اتجاه آخر من بحوثه نجده يحدّد الثقافة كمنهج تربوي يتجلى في عملية التركيب النفسي لعناصر الثقافة وتنظيمها في وحدة عضوية،³ أي في شخصية الإنسان بهدف تحقيق مشروع التغيير. فهي بهذا المعنى توجيه عناصر الثقافة نحو تكوين شخصية الفرد، بحيث ينسجم سلوك هذا الفرد مع أسلوب الحياة في المجتمع.

وعليه يمكن تحديد مفهوم التربية عند مالك بن نبي على أنّها: «عملية تثقيف متواصلة، وتمثل عملية التثقيف هذه في تلك العملية النفسية التي تقوم - في أولى مهامها - بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد، أي في بنية إنسان ما بعد الموحدين أو ما بعد الحضارة»⁴.

كما أن العملية التربوية إن لم تكن مستمّدة من الواقع الثقافي للمجتمع الذي تستهدف العمل فيه، فالثقافة في هذا الواقع مسؤولة عن التربية بكلّ وجوهها وبالنسبة لكلّ إنسان، وبذلك يكون الالتزام من التربية بقواعد الثقافة النابعة من الأرضية الفكرية للمجتمع هو طريق النجاح في بناء الإنسان وتغيير ذاته.⁵

غير أن أشد المحاور تركيزاً في ذهنية مالك بن نبي التربوية التي لها بعالم التربية صلة وثيقة لا تنفك عنها هو إلحاحه في كل ما أنتج من فكر على دور التربية الإيديولوجية أو التربية المفهومية كأساس في العملية الثقافية. ويقصد مالك بن نبي بالإيديولوجيا أو المفهومية، المنظومة الفكرية العامة المؤطرة للمجتمع.⁶ والتي تكمن وظيفتها في «تزويد المجتمع والأفراد بهويتهم الجماعية المميزة»⁷.

فلا يمكن تصور مجتمع حال من المنظومة الفكرية، التي تتمثل في مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تنتشر في ثقافة هذا المجتمع، والتي تشكل إطارها المرجعي، بحيث أنّها تحدد طبيعة علاقة الأفكار التي يحملها الإنسان بالمتعدد الديني أو المذهبي، بالعمل، بالأشياء، بالتاريخ، بالثقافة، بالآخر، بالأهداف المنشودة والوسائل الموصلة إليها، وبكل

1. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. مرجع سابق. ص 76.

2. نفس المرجع الآنف الذكر. ص 43.

3. نفس المرجع الآنف الذكر. ص 62.

4. محمد بغداد باي، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي. عالم الأفكار، 2006، ص 217.

5. انظر أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً. ط: 2. بيروت: دار النفائس، 1986، ص 219.

6. انظر محمد سبيلا، الإيديولوجيا نحو نظرة متكاملة. ط: 1. المركز الثقافي العربي، 1992، ص 4.

7. نفس المرجع الآنف الذكر.

شيء في الحياة، مما يدل على الطبيعة الكلية الشمولية لنماذج المنظومة الفكرية.¹ ذلك أن عملية الربط الحضاري للإنسان برؤية كونية معينة، هي العمل التاريخي الأول في حركة التغيير الاجتماعي.²

إذا نظرنا إلى واقع المجتمع الإسلامي المتخلف، وجدنا أن منظومته الفكرية قد فقدت وحدتها وفعاليتها على مستوى الفرد والمجتمع، وفقدت دورها الإيجابي، فأصبحت تركز التخلق والانحطاط. ونظرا لما تكتسبه هذه المنظومة المفهومية من أهمية بالغة في عملية التغيير، فإنه من العيب أن يجري التفكير بالتغيير لأي شيء قبل التغيير في الأساس، أي قبل التغيير في العقيدة التي يعتقدونها الناس.³ بمعنى المنظومة الفكرية للإنسان.

لذلك رأى مالك بن نبي ضرورة إعادة صياغة هذه المنظومة من جديد في الظرف التاريخي الراهن في المجتمع المسلم قبل كل شيء، ووضعها في موضعها الصحيح المتمثل في بعدها الوظيفي الاجتماعي، وليس في بعدها الروحي الخالص، أي « بربط أهداف السماء بضرورات الأرض ».⁴ فيصبح لها دور في خلق واقع اجتماعي جديد يعث على الحركة والنشاط في إطار المجتمع الإسلامي اليوم، الذي أنهكته ضروب العطالة التي أصبحت تشل نشاطه وتقعده عن تحقيق مآربه، وبذلك « فالأيديولوجيا ليست مجرد مجموعة من الأفكار والمعتقدات والاتجاهات التي تصور جمعا معيناً من الناس، وإنما هي حركة فكرية هادفة لها فاعلية إيجابية في الواقع الاجتماعي وفي العلاقات الاجتماعية، تنعكس روحها على التنشئة الاجتماعية، وبما يحدث تغييراً في القيم والعمليات الاجتماعية، ولهذا فإن انبثاق الأفكار والآراء المحركة في مجتمع يعد عاملاً لكثير من التغيرات في المجتمع، فالأيديولوجيا في النهاية هي قوة ثورية تؤدي إلى تغيير جذري في البناء الاجتماعي والسياسي ».⁵

وإن هذه المنظومة الفكرية هي التي تحدد نمط سلوك الفرد وفعاليتها من عدمها، إذ أن «محتوى عقل الإنسان هو الذي يقرر سلوكه الإنمائي أو غير الإنمائي. ذلك أن لكل ثقافة صيغها التنظيمية للفكر والحياة، وترتبط هذه الصيغ بمبدأ جامع يمثل هذه الثقافة، والمبدأ الجامع للصيغ التنظيمية للثقافة الحديثة هو مبدأ الفعالية. إذ أن قابلية أية ثقافة للحياة، وقابلية أي إنسان للتقدم متوقفة على قابليتها للفعالية، أي لاعتماد الصيغ التنظيمية الفكرية والحياتية للحد الأقوم أو الأقصى من الفعالية».⁶

¹ انظر حسن صعب، «الإنسان هو الرأس مال»، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، العدد الرابع، يناير/فبراير/مارس 1972، وزارة الإعلام. الكويت. ص128.

² انظر عبد العزيز برغوث بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري. ط: 1. سلسلة كتاب الأمة، قطر: مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، العدد: 21، 1995. ص120.

³ انظر محمود الخالدي، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989. ص51.

⁴ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع. مرجع سابق. ص79.

⁵ شبل بدران وأحمد فاروق محفوظ، أسس التربية. ط: 1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000. ص112.

⁶ حسن صعب، الإنسان هو رأس المال. ص128. نقلا عن محمد بغداد باي، التربية والحضارة. مرجع سابق. ص181، 182.

ولو استطعنا أن نخلل ونقارن بين واقع الإنسان المتقدم والإنسان المتخلف، لوجدنا أن التفاوت بين إنتاجية كل منهما، لا يرجع فقط إلى سكونية حياة المتخلف، وحركية حياة الإنسان المتقدم، وإنما يرجع أيضا إلى المفاهيم السكونية في ذهن الأول والمفاهيم الحركية في ذهن الثاني، وبما أن الطرق التقليدية للفكر والسلوك يمكن أن تتغير، فإن التحدث عن خصائص عقلية ونفسية للإنسان المتخلف والمتقدم لا تتناول خصائص جوهرية ثابتة، بل خصائص حركية عارضة في الحالين، وبناء على ذلك فإنه لكي يكون التغيير فعليا، لا بد أن يكون تحولا من التصور السكوني، والماضي، والتقليدي إلى التصور الحركي والمستقبلي والإبداعي للوجود، أي التحول من المفهوم الكينوني إلى المفهوم الصيروري للوجود.¹

وبناء على هذه الجزئية من التحليل فإن التربية الإيديولوجية من شأنها الاضطلاع بمهمة التغيير الفعلي، إذ أنها «تختص بالجانب الفكري (المفاهيمي) لدى الإنسان، أي بالوعي: الوعي بالذات كذات مغايرة لها خصوصيتها الثقافية والحضارية، وبجهاذا الذي تحكمه السلبية وبوضعها المتخلف، وبمسيرها المستقبلية الذي لا تتحكم في خيوطه، وبطبيعة الصراع الحضاري الذي تفرضه العولمة والذي يعمل على تكريس تبعية دول المحيط لدول المركز المهيمن».²

ولم يكن تخصيص مالك بن نبي لكتاب كامل حول مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، واعتباره الأفكار عالما قائما بذاته وأحد المقومات الثلاثة للثقافة، إلا دليلا على أهمية المنظومة الفكرية (المفاهيمية) البالغة، ومن ثم أهمية التربية المفهومية. لأن «كل فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكارا منافية لنا».³

إن الإنسان المسلم اليوم، لن يتولد لديه الإحساس العميق بثقل واقعه المتخلف ولن يبعث في نفسه الشعور بالقلق على المصير، ما لم يتنام في ذاته وشعوره الواعي بهذه الأسس وتداعياتها وأبعادها. فالذات القلقة عندما توضع أمام الأمر الواقع، فإنها سوف تراجع نفسها، وبالتالي تقرر في أعماقها أي البدلين التاريخيين الذين لا ثالث لهما تختار، إما التغيير الإرادي الذي يعيد لها هويتها الثقافية والحضارية، أو التغيير الذي يُفرض عليها من الخارج والذي يعرضها للمسح⁴ ويقودها نحو التبعية.

إن ما ينقص المسلم اليوم حسب ما أقره مالك وانتهى إليه، هو هذه الحالة القلقة المتولدة عن الوعي بالذات، التي من شأنها أن تغير من نظريته إلى حوادث التاريخ، وتمنعه من السقوط في برائن القدرية والاستسلام، فتوجه عالمه المفاهيمي نحو العمل المشترك وأهميته وشروطه، في إطار تداعيات واقعه التاريخي والحضاري، فينعكس ذلك كله على إرادته النائمة فينشطها ويقويها في سبيل تحقيق النهضة والتغيير.

¹ حسن صعب، الإنسان هو رأس المال. ص 128. نقلا عن محمد بغداد باي، التربية والحضارة. مرجع سابق. ص 181، 182.

² محمد بغداد باي، مرجع سابق. ص 182، 183.

³ مالك بن نبي، القضايا الكبرى. ط: 1. دمشق: دار الفكر، 1991. ص 196.

⁴ انظر محمد بغداد باي، مرجع سابق. ص 183.

وإجمالاً، يمكن بيان دور التربية الإيديولوجية في عملية التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، إذ أننا نجد أنها تقوم بوظيفتين، تنبئية وتحريضية¹ فهي تعمل على تنبيه الذات بما يعترضها من سلبيات، لهويتها وبإمكاناتها المادية والمعنوية، وتنبيهها بالخطر الذي يهدد وجودها كذات قائمة. وتعمل في الوقت نفسه على تحريض هذه الذات وعلى اختيار التغيير الإرادي كحل نهائي لواقعها المتخلف.

إن هذا الدور المنوط بالتربية الأيديولوجية في حقيقة الأمر، يتكامل مع دور أنواع التربية الأخرى، في بناء هذا النظام المفاهيمي، من أجل خلق المقاييس الذاتية، التي تمكن الإنسان المسلم اليوم من ضبط أحكامه وأفكاره والأشياء انطلاقاً من تقديره لقيمتها الحقيقية النظرية والعملية معاً، وهو الأمر الذي يضعه على الطريق الصحيح المؤدي إلى التغيير الاجتماعي المطلوب لدى مالك بن نبي.

أما عن تعزيز دور الإعلام في مواكبة العمل التربوي فلا بد من إشراك رجال التعليم في إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية. ومن هنا كان على التربية العربية أن تقدم برامج بديلة تستند إلى قيم الدين والتراث الحضاري العربي الإسلامي لمواجهة هذا السيل العارم من التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم عبر وسائل الإعلام، وبرامج تؤكد الهوية الثقافية العربية في جميع مناحي العملية التربوية، وتعزز القيم الروحية المستقاة من الدين الحنيف انطلاقاً من دوره في تاريخ الأمة العربية وتراثها وحياتها المعاصرة.²

قضية السادسة: التراث والإعلام المكتوب ومركزيته في الثقافة الإسلامية

1. مدلول التراث في التصور الإسلامي

يعرف إحسان عباس في دراسته "العربي الجديد وتراثه القديم" التراث بأنه «نتاج تراكمي لأمة من الأمم على مر الزمن، هو ضروب النشاط الإنساني في مجالات الفكر والأدب والأسطورة والدين والفن والعلم والعمارة، في صراع ذلك الإنسان مع واقعة المتغير المتطور، أو بعبارة أخرى أن التراث صورة الماضي، بما أن ذلك كذلك فإنه لا يمثل عصراً بذاته ولا مجتمعاً بذاته كما أنه ليس إيجابياً دائماً ولا سلبيياً على الدوام ومن ثم تتفاوت فيه القيم وتتعدد و تموت وتحيا لحساب الحاجات الإنسانية في البيئات المختلفة».³ وعلى هذا فالتراث الإنساني هو كل ما انتقل إلينا من الماضي وأنماط الحياة المادية والفكرية والاجتماعية، فهو إرث مخزون هائل ومؤثر في حياتنا.

¹ محمد بغداد باي، مرجع سابق. ص 184.

² راجع ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة مجموعة باحثين، مرجع سابق. ص 82.

³ إحسان عباس، العربي الجديد وتراثه القديم. مرجع سابق. ص 102.

أما التراث في التصور الإسلامي فهو كافة المظاهر المادية والفكرية والاجتماعية الموروثة من الماضي العربي الإسلامي ضمن الحضارة العربية الإسلامية التاريخية فما ورثه المسلمون من أجدادهم من قيم و آداب وأفكار وثقافة ومخطوطات وفنون ومبان أثرية وقواعد سلوك وأنماط عيش وتاريخ يسمى التراث الإسلامي . ويعد هذا التراث مصدرا خصبا من مصادر الثقافة الإسلامية. فليس التراث الإسلامي من المنجزات البسيطة التي تنتمي لأشخاص معينين ومكان محدد بل هو نتاج ثقافي ومادي واجتماعي معقد ويشمل مدن كبرى في إفريقيا وآسيا وأعراف وسلالات وأقوام وجماعات متباينة مما يعني ثراء أنماط الحياة وأسلوبها ونوعيتها لدى الشعوب المعتنقة لدين الإسلام¹.

إن التراث يحتل قيمة مرموقة لدى الشعوب العربية والإسلامية، فهو ذاكرتهم وإبداعهم وابتكارهم وتاريخ أجدادهم العلمي والتقني والثقافي. وهو التعبير الأمثل عن الهوية الثقافية لهذه الشعوب، وهو في الوقت ذاته المنجم الذي يلتجئ إليه المسلمون بمختلف مواقفهم ومواقفهم لإيجاد الحلول والإجابات عما هو معاصر والاحتماء به أثناء فرض النموذج الغربي على جغرافية العالم الإسلامي. وعليه فإنه لا يمكن اعتبار التراث مقولة مهمة بل هو أكثر المقولات حضورا في الوعي العربي المعاصر.

أما إذا خصصنا الحديث عن جانب التراث المعرفي الإسلامي فهو في جانب كبير منه تراث النص القرآني والنص الحديثي. وحول هذين النصين تفاعلت الذهنية الإسلامية في مختلف حقولها المعرفية: تشريعية قانونية فلسفية سياسية اقتصادية من حيث قراءة النص الديني و تأويله و تقديم شروحات له.² لقد كان النص الديني مشروعا ثقافيا أدواته العقل والواقع السائد، وهو نص سخي ومنجم لا ينفذ من المعاني والرؤى.

إن الاجتهاد العقلي الإسلامي في الحضارة السائدة آنذاك يشكل مصدرا للثقافة الإسلامية، فهذه التفاعلية بين النص والعقل شكلت موروثا عبر عن اجتهادات فلسفية وقانونية ومعارف متعلقة بالعلوم القرآنية والعلوم الحديثية الفقهية والسيرة النبوية والدراسات المنطقية والفلسفية والتاريخية. فإذا أضفنا إلى هذه التفاعلية الخبرات والموروث الإنساني والترجمات والرحلات فإننا أمام تراث ضخم يمكن أن يكون قيمة حية إذا ملكناه ولم يملكنا.³

ومن ثم فلا يقتصر مدلول التراث في التصور الإسلامي على منجزات العصر الثقافية والحضارية والمادية، بل إنه يشتمل على الوحي الإلهي أيضا وعندما نتبنى هذا التعريف الشامل للتراث، فإن النظرة إليه والتعامل معه لن

1 - انظر تفصيل ذلك مع عمر عبيد حسنة، الشكالة الثقافية مساهمة في إعادة البناء. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي، 1993. ص 68.

2 - مصدق حسن، مرجع سابق. ص 93.

3 - نفس المرجع الآنف الذكر.

يكون واحداً يستوي في ذلك عطاء الوحي المعصوم، ومدارك العقل المضمون، وذلك أن معيار القبول، والرد للوحي يختلف عن اختبار وسائل معطيات العقل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الوحي الإلهي لا يقبل الانتقاء، والاختبار والإلغاء، بل هي قيم خالدة معصومة مجردة عن حدود الزمان والمكان، وإطار يحكم الحياة التي يناط العقل بتطويرها داخله.¹

وتعود مركزية قضية التراث ومحوريتها في الثقافة العربية والإسلامية لعدة أسباب منها:

- 1 . اتساع التراث الإسلامي في مجاله المادي والفكري والاجتماعي وامتداد جغرافية هذا التراث
- 2 . أهمية التراث الإسلامي في اعتزاز الذات العربية بشخصيتها وعريبتها.
- 3 . حضور التراث الإسلامي في الوعي العربي المعاصر فهو ليس مقولة ماضية وحسب بل لديه من السلطة والهيمنة المؤثرة في الحاضر والمستقبل العربي والإسلامي.
- 4 . تمثيل التراث للذاكرة الجماعية التاريخية للشعوب العربية والإسلامية من جهة واعتباره المخزون الثقافي الحي للتغيير الاجتماعي الراهن وقضايا العصر من جهة أخرى.

2 . قراءة التراث في اللحظة الراهنة

إن اللحظة التاريخية التي نعاينها الآن وعن كتب، من سماتها الهيمنة الغربية على أصعدة مختلفة والتراجع العربي الإسلامي في كافة الأصعدة تقتضي من المسلمين عدم الاستغراق في مقولات الماضي وإلا تحول التراث إلى عبء معرفي حقيقي. لأن التراث من أكثر الصيغ الثقافية في تقدم نوعية الحياة الإسلامية المعاصرة والتخطيط المستقبلي في مواجهة مع كل وافد ودخيل والنزوع حيال الأوربية والأمركة. إن الالتجاء للتراث ليس إغراقاً للماضي بل هو بحث عن جوانب الفعالية في بنيته ومناهجه وقيمه والتي من شأنها أن تساهم في تجاوز المعضلات التي تواجهها الشعوب العربية والإسلامية من خلال الموازنة بين أدبيات الأصالة وأدبيات المعاصرة دون قطيعة بينهما.

إذا لا بد من إعادة قراءة التراث وفق اللحظة الراهنة والتحرر من كل السلبات التي تعيق التقدم الاجتماعي والتنمية في المجتمعات العربية والإسلامية. إن الفهم الواعي لا السكوني الشللي هو المطلوب الأولي في قراءة التراث وحسن توظيفه في اللحظة المعاصرة دون إقصاء وتهميش أو قطيعة، فالعصر الذي نعيش فيه يشكل تحدياً صارماً للثقافة الإسلامية في المجال الاتصالي والعلمي والتكنولوجي والأسري والبيئي.

¹ . عمر عبید حسنة، مرجع سابق، ص 68.

ويذكر السيد ياسين في كتابه "الديمقراطية وحوار الثقافات"¹ «الأصالة التي تدعو إلى العودة إلى التراث ينبغي عليها أن تحدد ما هو التراث على وجه التحديد، والتراث لعل أول موجه من موجات الإستراتيجية الحضارية التي ينبغي على المجتمع العربي أن يصوغها، هي بناؤها على قاعدة متينة من الفهم النقدي لتراثنا العربي والإسلامي. تراثنا زاهر بالخبرات والممارسات الفكرية والسياسية والاجتماعية ولا يكفي أن نحمله فوق أكتافنا ونتغنى به فيصبح تاريخنا عبثاً. بمصطلحات قسطنطين زريق . ، بدل أن يكون حافزاً، هناك إذن (التاريخ . العبء) الذي يمنع أصحابه من الحركة والذين يغرقون في تأمل ماضيهم الذهبي عاجزين عن التعامل الايجابي مع الواقع، وهناك التاريخ الحافز الذي يدفعك دفعها إلى الأمام في ضوء فهم نقدي للماضي لتجاوز السلبيات وتأكيد السلبيات»².

¹ . السيد ياسين، الديمقراطية وحوار الثقافات. ص 269.

² . قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، بيروت: دار العلم للملايين، 1964. ص 388.

المبحث الثالث

ثالثا: الثقافة الإسلامية والصحافة العربية المكتوبة، التحديات والمستقبل

1 - الثقافة الإسلامية في مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل

تعيش الثقافة الإسلامية منذ ما يقرب من قرنين وضعا متوترا نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية نتيجة تطور خاص قوامه التحديث والحداثة، تطور لم تعشه الثقافة الإسلامية بل بقيت بمعزل عنه تجتر وضعا قديما توقف عن النمو منذ قرون. فلم يكن الواقع الإسلامي ايجابيا إذ تشير الحركية بمجملها إلى إرتكاسات حضارية في السياسة والإنتاج، مما جعل دولنا دول خدمات واستهلاك، بحيث يصعب الحديث عن دور صناعي إنتاجي عربي إسلامي. يضاف إلى ذلك تشتت البنية العربية الإسلامية وإجهاضها بعدة هزائم. وهذا بحد ذاته علامة غير مبشرة لبدايات القرن الحالي الذي تصبح فيه السيادة للأقوياء معلوماتيا.

وقد أدى هذا الواقع إلى الاستغراق فيما يعرف في الدراسات الفكرية الحديثة بالانسلاب. ومصطلح الانسلاب في أبسط تعريفاته حسب أن تصبح شخصا آخر غريبا أكثر من كونك نفسك، وكذلك يمكن أن تعني أن تصبح خاصات بشخص آخر، وبمعنى آخر فإن هذا يعني انسلخ الشخص عن نفسه ليصبح خاضعا، وحتى متمثلا بشخص آخر. فهو إذن حالة نفسية تؤدي بالفرد إلى الانسلخ عن ثقافته وتبني ثقافة أخرى غريبة. وكذلك يفعل بالأمم والشعوب المستضعفة. و قد كانت الثقافة الغربية بلا شك عاملا مهما من عوامل وجوده وتمكنه بين الشعوب الإسلامية بفعل ما يعرف بالاختراق الثقافي الذي لم نستطع السيطرة عليه إلى الآن.

إن ما يجري اليوم في الوطن العربي والإسلامي يجعلنا ندرك أن الاستعمار القديم والاستعمار الجديد يستهدفان دوما صنع مناخ ملائم لانسلاب أفراد المجتمع المغزى. لأن مثل هذه الحالة الفكرية سوف توحد بين تطلعات المنسلب والمستلب وبالتالي فإن فرصة تحقيق مصالح المستعمر يمكن أن تتحقق وتستمر باستمرار الذهنية

المنسوبة التي تضمن سيطرة المستعمر. إن هذا المفهوم الامبريالي يرينا بوضوح كيف يتصور الغربيون مد نفوذهم الثقافي لا لشيء سوى السيطرة ونشر قيمهم الثقافية.¹

لكن يجب أن نشير أيضا إلى أن المناخ السياسي والاجتماعي نفسه الذي يعيش فيه المواطن في البلدان الإسلامية والعربية خصوصا يخلق جوا يهيئ لحالة الانسلاخ هذه ويدفع إليها. إن كبت الحريات والقمع الذي يلقاه مواطنونا نفسيا وجسديا، وإن الاحباطات التي يواجهونها على مستوى القضايا القومية، كل هذه العوامل تؤدي إلى خلق فرص تهيئ لقبول حالة الانسلاخ وتعزيزها.²

ولكن تعلم الأمم العريقة أن حركة التاريخ ما هي إلا سلسلة مترابطة الحلقات من التحديات. ولقد صدق فيلسوف التاريخ الحضاري الإنساني المعاصر، **أرنولد توينبي** Arnold Joseph Toynber، عندما صاغ نظريته الشهيرة التي أصبحت قاعدة من قواعد الفكر الإنساني خلال القرن العشرين، وخلاصتها أن الحضارات الإنسانية المتعاقبة منذ فجر التاريخ إلى اليوم هي نتيجة للتحدي والاستجابة له.³ إن الثقافة الإسلامية هي ثقافة شمولية وذات إمكانات كبيرة وقد استطاعت هذه الثقافة خلال التاريخ الإسلامي أن تواجه كثيرا من التحديات. وفي هذا العصر تعد الثقافة الإسلامية من أكثر الثقافات المعاصرة قدرة على الصمود وهي قادرة على تحصين نفسها من جميع أنواع الأخطار التي يمكن أن تأتي عن طريق ثورة المعلومات⁴ رغم حالات الانسياب التي تنخر أطرافها.

إن تحديات الحاضر والمستقبل تفرض على شعوب الأمة الإسلامية التصدي للامبريالية الثقافية أو كما أسماه **توماس ماك فيل** Toma's Mac File بالامبريالية الإلكترونية.⁵ التي تعني تدفق الثقافات والأفكار من وإلى الآخر ورفع كافة القيود والحواجز أمام حركة الثقافة والعلم والفكر والأيدولوجية. فهي ظاهرة عالمية ظهرت في عصرنا الحاضر وتختلف خطوطها من بلد إلى آخر. فلم يعد اليوم في ظل الشبكات الإلكترونية المتعددة وكذلك في ظل انتشار وتعدد القنوات الفضائية وضع الحواجز والقيود أمام الانسياب الثقافي مجديا، بل أصبح نقل وتدقيق الأفكار والمعلومات والرسائل وحتى الصور يتم بسرعة الضوء. ولا يمكن التعامل مع هذه التغيرات الجديدة إلا بعقلية جديدة و تفكير جديد. إنه مجتمع بلا حدود، وهذا ما سوف يؤدي إلى انحسار الخصوصيات الثقافية

1. صالح أبو الأصعب، «وسائل الإعلام الغربية و الانسلاخ الثقافي». مرجع سابق. ص 174 . 175.

2. عبد الله أحمد يوسف، «مستقبل ثقافتنا في ظل التغيرات العالمية الجديدة». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث. ص 143.

3. عثمان عبد العزيز التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. مرجع سابق. ص 77 . 2.

4. محمد فاروق النبهان، «الثقافة الإسلامية و العولمة من الممانعة إلى المؤكبة». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 120.

5. عبد الله أحمد يوسف، «مستقبل ثقافتنا في ظل التغيرات العالمية الجديدة». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 143.

والاجتماعية، وتقلص الحدود السياسية والثقافية والاقتصادية والمعرفية، وهو ما يشكل تحدياً خطيراً لثقافتنا وهويتنا الإسلامية.¹

إن الحديث عن الفكر الإسلامي في مواجهة العولمة الثقافية بوجه خاص هو حديث من قبل العمل الايجابي باتجاه مشروع نهوض إسلامي. غير أنه رغم الايجابية الظاهرة والتي يتمتع بها هذا الموقف في رؤيته لظاهرة العولمة لكنه على أرض الواقع لا يمتلك سوى فعلاً سلبياً يتسم بالرد السلبي تجاه الظاهرة تاركاً الفعل الواقعي المؤثر لقوى العولمة وإستراتيجيتها بل لأصحاب دعوة ضرورة الانضواء العربي في إطار العولمة، وهنا نكون وجهاً لوجه أمام الموقف الذي يرى في الظاهرة نفسها العولمة قدراً مطلقاً ومستديماً كتب على البلدان العربية بحيث يغدو التسليم به ومحاولة الاندماج فيه من قبيل تحويل الرذيلة إلى الفضيلة.²

إن التحدي والمواجهة الشاملة للهيمنة الثقافية والتخلص من التبعية الثقافية الحقيقية ورسم رؤى مستقبلية لواقع ثقافتنا لا بد أن تقوم في إستراتيجيتنا الإسلامية الحالية وفي الفترة المقبلة على الركيزتين التاليتين:³

الأولى: الفصل في أزمة الثقافة الإسلامية تجاه المعاصرة

يجب الفصل في أزمة الثقافة الإسلامية تجاه المعاصرة التي ما زالت قائمة، وعدم الإصرار على أن ما أنتجه المسلمون ثقافياً في عصور سابقة هو صالح لكل زمان. إن عدم الإصرار على هذه التصور السقيم والشعور الحقيقي بأننا ما لم ننتج ثقافتنا التي تعكس هويتنا الخاصة فإننا لن نكون منتجين لثقافة إسلامية، فهذا أمر ضروري حتمي في سنن التغيير كي تصبح وتغدو الثقافة الإسلامية مهياًة للاستفادة من ثمار ما بعد الحداثة.⁴ لن تكون المعاصرة بالعزوف عن الثقافات الأخرى والانطواء على الذات بل يكون بمواصلة التفتح مع التمييز الجيد بين النافع فيه والضار والملائم للثقافة القومية وحضارتنا وتوجهنا الاقتصادي والاجتماعي والفكري وبين ما هو غير ملائم لهذه المكونات.⁵

والثقافة العربية الإسلامية قادرة بهذا على الصمود في ميدان التدافع الحضاري لكنها تحتاج إلى من يوظفها التوظيف السليم وأن يجعلها ثقافة تعيش العصر وتحل مشكلاته و تتفاعل مع قضاياها لأن الذهاب إلى الماضي والعيش فيه لا يضمن السلامة الفكرية ولا السلامة الثقافية، لا بد من فتح أبواب الاجتهاد وتوظيف الاجتهاد ليناسب قضايا العصر ولوازمه.

1. عبد الله أحمد يوسف، «مستقبل ثقافتنا في ظل المتغيرات العالمية الجديدة». الكلمة. مرجع سابق. ص 143.

2. عبد الله بوجللال، «الآثار الاجتماعية والثقافية للإعلام في ظل العولمة». مرجع سابق. ص 265.

3. بعد القراءات الطويلة للحلول التي نص عليها مفكروننا في العالم الإسلامي انتهيت بعد قراءة متأنية إلى إرجاعها إلى هاتين النقطتين الأساسيتين.

4. السيد محمد حسين الأمين، «شرط المعاصرة في الثقافة الإسلامية للاستفادة من ثورة المعلومات و مواجهة تحديات العولمة». الكلمة. تصدر عن منتدى

الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 139.

5. نصر الجويلي، «الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر». مجلة الهداية. العددان 1. 2، السنة 2000. ص 85.

لقد صار مستقبل ثقافتنا اليوم رهيناً ببنائها الداخلي. ولكي نؤسس ثقافة مستقبلية بانية في ضوء الانفجار المعرفي المعاصر واكتساح ثقافة الغرب القومي ومقوماته، وفي إطار العولمة، لا بد من إخضاع معارفنا وما نتلقاه من معارف إلى عمليات نقدية صارمة ومتكررة، ولا بد من أن نظور مداركنا يوماً بعد يوم في هذا الاتجاه، فالنقد هو جزء من تصورنا العقدي الذي سطره المنهج القرآني والتجربة النبوية.¹

وفي هذا يمتلك العلمانيون أغلبهم جرأة كبيرة في نقد التراث والكسب الإسلامي عبر التاريخ، قد يصل نقدهم حد التشكيك في الثوابت إما جهلاً أو تبعية ثقافية للآخر. لكن الأکید أن مجموعة من الدراسات النقدية من هذا النوع مخصصة في منطلقاتها وجادة في منهجها ولا بد من الاستفادة منها لتدريب العقلية الإسلامية على التفكير بصوت مرتفع والنقد و المراجعة والتصحيح حتى نعمل على تشييد وتأسيس معمار ثقافي مستقبلي واعد.²

وداخل هذا السياق لا بد أن يصوب مفهوم الحداثة لدى بعض المستلبين من العرب الذين ينادون بالانسلاخ عن ذاتنا والتكسر لأصولنا وإحلال النموذج الغربي في جميع مظاهر حياتنا محل خصوصياتنا، بينما الحداثة في جوهرها ليست كذلك، إنما هي تفتح واع على مستجدات العصر وتفاعل بناء مع تجارب الآخرين على أساس من الأصول والمنطقات، اعتزازاً ووفاء غيرة وتفصيلاً.³

الثانية: التكامل في البحث عن البدائل للأزمات الحضارية على قاعدة التحول من إستراتيجية رد الفعل إلى إستراتيجية الفعل

وليست البدائل على مستوى التفكير هينة لأن هذه العولمة ليست فكراً إيديولوجياً ولا هي شعار أو كتابات. هذه منظومات وشبكات معقدة جدا بحيث لا تقف أمامها حدود ولا سدود و ليست هناك أي حواجز أمامها. لذلك كانت البدائل المطروحة اليوم عربياً وإسلامياً لا تفي بالغرض أبداً. لأنها لم تتجاوز ردود الأفعال وحالات القلق السلبي والخوف من الثقافة الغربية، وهو خوف وقلق مفهوم ومبرر ولكن المهم هنا هو التريث في صناعة الأفعال ووضع البدائل فيما يتعلق بالتحديات الثقافية التي تواجه الأمة الإسلامية في عصر العولمة بتداسر وفهم طبيعة وميكانيزمات العولمة لنستطيع من خلاله الحد من تأثيرها السلبي.

إن المنهج الذي دعا إلى اعتماده المفكرون في وضع البدائل لمعالجة المشكلات الناتجة عن اكتساح نظام العولمة للهوية والثقافة الإسلامية في هذه المرحلة الدقيقة يقوم على قاعدة التكامل في البحث عن الحلول للأزمات الحضارية والمشكلات الثقافية، وينطلق من الرؤية الشمولية للواقع المعيش بحيث لا يمكن بأي حال الفصل بين

1. محمد همام، «مستقبل حضارتنا رهين بنائها الداخلي». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث. ص 131.

2. نفس المرجع الأنف الذكر.

3. محمد بن سميعة، مرجع سابق. ص 159.

الأوضاع السياسية والاجتماعية وبين الأوضاع الثقافية والفكرية والإعلامية. لأنه لا سبيل إلى تقوية الذات بتحسين الهوية والثقافة والحفاظ عليهما في ظل أوضاع غير منسجمة مع طموح الأمة.¹

أما بالنسبة لخطة العمل لتنشيط الثقافة العربية والإسلامية التي تقوم بها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة **الأييسيسكو ISESCO** ، وكل الأنشطة التي تقوم بها المنظمة وكل البرامج التي تنفذها تصب نظريا في هذا المجال. فهي تسعى لتنمية العالم الإسلامي ثقافيا وتربويا وعلميا. وقد تمكنت من وضع الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي وأقرت هذه الإستراتيجية في القمة الإسلامية السادسة التي عقدت في **داكار Dakar**. وعقد المؤتمر الإسلامي الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي في نوفمبر 1998 في **الرباط** بالمملكة المغربية. وفي هذا المؤتمر أقرت آليات تطبيق هذه الإستراتيجية الثقافية، وشكل المجلس الإسلامي الأعلى للثقافة الذي يتكون من تسع دول أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. وستصبح المنظمة هي الأداة أو الجهاز المتخصص لتطبيق هذه الإستراتيجية بالتعاون من المؤسسات الثقافية في جميع أنحاء العالم.²

إلا أن ما يؤخذ على جهد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة **الأييسيسكو ISESCO** غياب الإرادة لدى الدول المشكلة لهذه المنظمة لإحداث تغيير شامل وفق تصور ومخططات التغيير للنهوض بالثقافة الإسلامية، والالتزام بالثوابت في مجال الثقافة، والنضال من أجل الالتزام بهذه الثوابت الذي يمثل شرطا أساسيا للنهوض القومي الإسلامي. وهذا الوضع من غياب الإرادة و قلة الالتزام هو في ذاته من تأثيرات العولمة على دول المنطقة العربية والإسلامية. إذ تمنع الدول الكبرى تنفيذ تطبيق روح البدائل والحلول بالضغط على الدول العربية والإسلامية المتحمسة في مجالات الاقتصاد والتربية والبحث العلمي بهدف عرقلتها للوصول إلى تنفيذ آليات النهوض بالثقافة الإسلامية.

آليات النهوض بالثقافة الإسلامية

إن الحديث عن مستقبل الثقافة الإسلامية في ظل ثورة المعلومات وتحديات العولمة وعلى ضوء الركيزتين السابقتين يستوجب ضبط آليات النهوض بهذه الثقافة لتأخذ مكانها ضمن هذه العولمة والتي نذكرها فيما يلي:

1 . صياغة دقيقة لأطر الثقافة الإسلامية العامة مع إعادة صياغة مفردات الثقافة الإسلامية بما يتناسب ولغة العصر، بالرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة المطهرة والسيرورة العطرة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة

¹ .عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. مرجع سابق. ص 58.

² . عبد العزيز بن عثمان التويجري، « ما السبيل لنهوض الثقافة الإسلامية نحو العالمية». **الكلمة**. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث. ص 118.

والأئمة الذين يمثلون الثقافة الإسلامية خير تمثيل. وإعادة بناء مناهج التربية وتطوير النظم التعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من مؤسسات التعليم، وأن تكون هذه المؤسسات مؤهلة لممارسة الثقافة الإسلامية على أرضها وفقا لأطر ثقافية أصيلة تعتمد على الإنسان العربي المسلم. كما يجب أن نؤمن بأن الثقافة الإسلامية تحتاج إلى تطوير الإنسان¹ لكي يستطيع أن يبدع ثقافة قادرة على الصمود قادرة على النمو، لا بد أن تعتمد على تجربة الإنسان.

2 . يجب أن تتجاوز الثقافة العربية في زمن العولمة الأطر التقليدية التي عرفتها طوال القرون الماضية، وأن تقتحم المجالات التي يحتملها منطلق التطور وتفرضها آليات العصر الحديث. لا بد من أن نعطي لهذه الثقافة القدرة على النمو الطبيعي عن طريق الاعتراف الحقيقي بدور العقل في إنماء الثقافة الإسلامية. ولا بد أيضا من الاعتماد على العقل البشري والتجربة الإنسانية، فلا يعني الحفاظ على الثقافة الإسلامية أن نرفض العولمة من ألفها إلى يائها في أزمنة ضعفنا، أو نرفض المنجزات الحضارية الصناعية لنبدأ من الصفر. ما نرفضه من العولمة أن تلغى شخصيتنا لنلبس شخصية الغرب أو أن نحارب الثوابت في ثقافتنا لصالح بناء الذات في سياق الرأسمالية الانتحارية.

إن الثقافة العربية الإسلامية تحتاج إلى إنهاض الهمم وتحريك كوامن الإبداع وإمكاناتها في عقول المثقفين ونفوسهم وهو مطلب جوهري في عملية البناء، كما تحتاج إلى تشجيع عملية التواصل الثقافي والتعاقد الفكري بين المثقفين في العالم العربي الإسلامي فيما بينهم ومع غيرهم من المثقفين في بلاد العالم بالتفاعل الواعي مع ثقافات الأمم الأخرى، لبلورة مشروع ثقافي إسلامي موحد يتناول قضايا العصر ومستجدات الأحداث. إذ علينا أن نواكب التطورات العلمية والفكرية والثقافية وهذا يتطلب تفتح الجامعات على بعضها وعقد الندوات العلمية والمؤتمرات الثقافية وإقامة حوارات مشتركة وزيادة مراكز الأبحاث والدراسات.

إن بلورة مشروع ثقافي إسلامي موحد لا يعني إطلاقا إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، وإنما السعي وراء تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة من التفاعل الإيجابي والحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة لتوظيف العطاء الحضاري الضخم الذي هو بين أيدينا، لبناء ما يوائم ويناسب الواقع الذي نعيش فيه ونستشرف المستقبل الذي نتجه نحوه متمسكين بأدوات العصر ووسائله. هذا هو الأساس الذي به نتحرك وهذه هي الآلية الفاعلة التي تنقلنا من حالة الركون والسكون إلى حالة الإبداع والعطاء والتأثير في الثقافات الأخرى.

¹ . محمد فاروق النبهان، «الثقافة الإسلامية و العولمة من الممانعة إلى المؤكبة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث. ص 120.

3 . لا بد من إعادة النظر في تراثنا الحضاري الضخم وتفحصه واستخلاص ما يصلح لأن يكون منطلقاً للأمة الإسلامية لتدخل ميدان العالمية. فالأمة الإسلامية تمتلك ثقافة قوية تتمتع بإمكانيات تفوق غيرها من الثقافات المعاصرة، وتستند إلى أسس قوية راسخة تؤهلها للمشاركة في العولمة الثقافية من دون خوف أو تردد إذا ما هيأت حكومات هذه الدول الاستعدادات العلمية والفنية والبشرية لإحداث العولمة المطلوبة. والحق أن لا خيار لنا أن لا نخطط لعولمة ثقافتنا، ولكن هذه العولمة تتطلب إصلاح الوضع على مستوى الداخل لتكون الدول الإسلامية ومن ثم الأمة الإسلامية مؤهلة لمخاطبة الخارج. فلا بد من إيجاد **كمنولث إسلامي** حقيقي وجاد وفي مستوى التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.¹

4 . تعظيم المشاركة الإيجابية للثقافة الإسلامية في استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلوماتية. ولا بد من تطوير هذه الإمكانيات عن طريق التقنيات العلمية والتكنولوجيا المعاصرة وخاصة ما يتعلق بالإعلام ووسائل الاتصال الحديثة المتطورة وشبكاتها المتنوعة، وهو ما يجعلها قادرة على توجيه تفكير الإنسان وسلوكه نحو التمييز بين المفيد وغير المفيد في الإنتاج الثقافي والاقتصادي وإدراكه لحاجياته الضرورية ونظرتة إلى المنتج والخدمات وإقباله واختباره لها ويكون وفق المعايير التي تخلقها الثقافة.²

إن الإعلام هو لغة هذا العصر وعلينا التعامل معه كأولية أساسية تدفع بالثقافة الإسلامية نحو الانتشار العالمية و ذلك بإعادة بناء السياسات الإعلامية على جميع الأصعدة والوسائل لتمثل الثقافة الإسلامية أصدق تمثيل، ولتكون قادرة على خدمة هذه الثقافة وعولمتها فلا بد أن توظف أجهزة الإعلام التوظيف الصحيح لنشر ثقافتنا الإسلامية. وأن يكون الإعلام قادراً على ربط حياتنا بأصولنا الحضارية كإيجاد قنوات فضائية عربية وإسلامية تشيع أديباتنا وأفكارنا وفنوننا في العالم. ويكون وسيلة لتحديث تطوير الخطاب الثقافي الإسلامي بما يتلاءم وروح العصر لكي نكون مؤثرين بثقافتنا وفكرنا وليس مجرد متأثرين بالثقافات الأخرى، لا بد أن نحدث خطابنا الثقافي.

5 . خلق قواعد متينة للبحوث العلمية والمعلومات عن طريق تأسيس مراكز المعلومات كوحدة اتصال مع العالم الغربي وجسر تواصل مع تكنولوجيا الكمبيوتر والانترنت، والتفكير الجدي في الاستفادة القصوى من شبكة الطرق السريعة للمعلومات بعقد الاتفاقات مع أكثر من مصدر للمعلومات بالتعاون في تبادل المعلومة وتصديرها للآخر وفق رؤية هذا التكتل ومنظومته الثقافية، والمشاركة الفعالة في تطوير التقنية إلى المستوى الذي ي

1 . سيار جميل، «الثقافة الإسلامية و الاختراق الثقافي في ظل العولمة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات و الأبحاث ص 146.

2 . نصر الجويلي، «الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر». مجلة الهداية. ص 85.

جمع الأمة الإسلامية مشاركا حقيقيا في هذه المجالات بدلا من أن تلعب دور المتلقي فحسب.¹ والتحول من كوننا عناصر مستهلكة فقط تطلب المعلومة إلى مصادر للمعلومات لتحقيق الاستقلالية والاعتماد على الذات وهذا يتطلب مضاعفة الجهود وتجمع القوى والإمكانيات في سبيل تبليغ ونشر الثقافة الإسلامية عبر الشبكات الإلكترونية والقنوات الفضائية المؤثرة في صناعة الرأي العام العالمي والدخول بها إلى بنوك المعلومات ومراكز الأبحاث ووحدات التوثيق والدراسات، باعتبار أن الثقافة الإسلامية لها من العناصر الحضارية مما يجعلها مرجعا إنسانيا. ليتحقق لأمتنا تنمية أفضل و مواكبة عادلة مع الحضارات و الأمم الأخرى.

6 . خلق شروط المناعة التي يستوجبها ضمان الأمن الثقافي العربي الذي يتمثل في الحفاظ على مقومات هذه الثقافة في أبعادها ومجالاتها ومظاهرها وتعبيراتها المختلفة وتأهيلها من خلال سعي قومي مشترك لأداء دورها التاريخي والحضاري في سياق المعاصرة عن طريق المشاركة الفعالة والقادرة على المستوى القومي والعالمي في التصدي للقضايا العربية والدولية في صورة تنظيمية مخططة.

والأمن الثقافي العربي الإسلامي في مفهومه العريض لا يعني بدوره الانكماش أو المصارعة، بل هو يتمثل في تنمية الثقافة العربية الإسلامية في صورة جماعية بالقدرات القومية، وفي الاعتماد على اللغة العربية التي هي لسان ثقافة الأمة وهويتها التاريخية وأساس مناعتها. لذلك حماية الأمن الثقافي يمرُّ حتما بحماية لغتنا القومية باعتبارها وعاء الثقافة التاريخية المستقبلية على السواء.²

7 . تعميم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في الدول العربية والإسلامية والتضامن و وحدة الصف العربي لتكوين وحدة إقليمية قادرة على العيش في ظل عالم لا يتسع للضعفاء وللأمم المفككة. وإعادة بناء الهياكل التنظيمية والسياسية والإدارية في الدول الإسلامية وفقا لأطر الثقافة الإسلامية. وإزالة جميع المتناقض منها أو الدخيل عليها في هذه الهياكل. كما يجب أن نتكفل اقتصاديا وتجاريا بتأسيس كتلة اقتصادية عربية إسلامية تساعد حركة الثقافة.

وأخيرا نعتقد أنه سيصبح للثقافة العربية الإسلامية معنى مهما إذا تخلصت هذه الثقافة من كل أمراضها وأكدت وجودها ببنية اقتصادية قوية تسيطر على إنتاجها واستهلاكها وبنظام سياسي عقائدي مستمد من القرآن الكريم وتفاعلاته الحضارية وبتكريس الوحدة والديمقراطية والتربية الأصيلة. وعلى الرغم مما نراه من قتامة واقع الثقافة الإسلامية وما تعانیه من مشكلات فلا بد أن ندرك بالأمل و بتنمية الإحساس في نفوس الأفراد بالخصوصية الثقافية والمميزات الحضارية للأمة الإسلامية أن المستقبل هو للأمة العربية الإسلامية وأن أصالة الثقافة الإسلامية تجعلها قادرة على تجاوز المحن العظام في قرننا الحادي والعشرين.

1 . سعيد فكرة، «العولمة وانعكاساتها على الثقافة الإسلامية». أعمال الملتقى الدولي في الجزائر " العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية " . مرجع سابق. ص 279 . 280.

2 . انظر مصطفى المصمودي، مرجع سابق. ص 267 . 268.

2 - الصحافة العربية والثقافة الإسلامية التحديات والمستقبل

إن أول ما نلاحظه في هذا الجانب من الدراسة أن المعالجة الفكرية قد شملت وسائل الإعلام برمتها والحديث عنها جميعا ككتلة موحدة ضمن منظومتنا الثقافية المعاصرة، لهذا السبب لم يخصص الكتاب الحديث عن الصحافة المكتوبة دون سواها من وسائل الإعلام الأخرى. ولعله صار بديهيا أن أخطر ما تستعمله أيديولوجية العولمة الجديدة في هذه الحرب الثقافية ووسائل الإعلام السمعية والمرئية والمقروءة دون تمييز. خاصة مع تنامي انتشار الصحافة الالكترونية والهوائيات الفضائية بداخل المجتمعات الإسلامية من جراء الغياب شبه الكبير للوسيلة الإعلامية المحلية التي تتكفل بتحقيق الإشباع الثقافي للمواطن المسلم، إضافة إلى ما تعرفه غالبية البلاد العربية من انحلال على مستوى القيم والأخلاق والسلوك من جراء الغياب الكبير للترتبية العقائدية التي تمنح المسلم كل مقومات المناعة الحضارية مهما بلغت درجات الغزو الحضاري وتنوعت أساليبه ومناحيه وقنواته.¹

إن رصد واقع الصحافة وسائر أجهزة الإعلام في الوطن العربي و الإسلامي في هذه السنوات الأولى من الألفية الثالثة يؤكد مدى تنصل هذه الأجهزة وتخليها عن دورها الرئيس في خدمة الثقافة الإسلامية والتنوع بعناصرها وقيمها وإعلامها. فهذا الإعلام بكل أدواته ينحو بشكل كبير نحو العلمانية مبهورا بالصورة الغربية أسلوبا وقيما ويطرح الثقافة في معزل عن الهوية الإسلامية. إن أكثر أجهزة الإعلام تمتهن وتفضل صناعة المتعة على أي شيء آخر ولو كان رفيعا، فليس للمنهجية وجود في برامجها وليس في وضوح الهدف هو الآخر أمرا مرسوما في مسيرتها. ولذلك فبالرغم مما يبذل من جهود وأموال طائلة نجد هذه الأجهزة لا تحقق الشيء الكثير في بناء شخصية المواطن العربي، ولا تقدم له وجبة عادلة من الثقافة الأصلية المنتمية، إنما تتركه مشلولاً غير قادر على الاختيار أو المواجهة.²

قد نبين شروط التخلص من أكبر هزيمة إعلامية نعاني منها الآن، أعني الاستسلام لهذا الضرب الوهمي من العولمة المضمون حاصلًا ومطلقًا و وحيدًا بعد أن أدركنا طبيعة العولمة بصنفيها، صراع إرادات بين ضريين من العولمة؛ إحداها تفسد الوجود الإنساني الحضاري والتاريخي، والأخرى تُثمر الوجود الإنساني فتصلحه. وإنما العولمة الثقافية ستصطدم بحاجز قوي هو الإنسان، وهذا الحاجز الجبار يجعل من قابلية الثقافة للعولمة ضعيفة محدودة.³

إن نقطة البدء في قيادة المنظرين الإعلاميين العرب لهذا الصراع، هي المشاركة النقدية في الجدل العالمي الدائر حول إشكاليات العولمة والقضايا والتحديات التي تطرحها على شعوب العالم.⁴ ويتصور الباحثون العرب أن طرح هذه

¹ . عبد العزيز انميرات، « هويتنا الثقافية في خضم تحولات العولمة من الاختراق إلى الممانعة» الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث. ص 136.

² . إياد أحمد الشايخ، « أي ثقافة نريد في عصر المعلومات وتحدي العولمة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث. ص 112.

³ . انظر عبد المجيد البدوي، مرجع سابق. ص 11.

⁴ . وقد كان لبعض المراكز العلمية عندنا دور في إثراء هذا المجال، فقد انتهى المشاركون في المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون أن العولمة تمثل أحدث مظاهر الهيمنة الغربية في عالم أحادي القطب. وإن هذه الهيمنة تتبدى عبر السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية وامتلاك وسائل الاتصال

الإشكالات يساعد في فهم وتحليل اتجاهات وأمط التفاعل بين عولمة الإعلام بثقافته الأحادية والهوية الثقافية العربية. ومن ثم تحديد الفرص والمخاطر والخيارات المتاحة أمام الثقافة العربية. ومثل هذه الإشكالات؛ مناقشة مستقبل علم الإعلام أو الاتصال، التأثير الإعلامي والثقافة، عولمة الإعلام وحرية الإعلام، الفرص والمحاذير، وغيرها من القضايا.

وباعتبار أن مستقبل الثقافة العربية وتفعيلها ليس مرهونا بالتحديات الخارجية التي تحملها العولمة على أهميتها فحسب، «بل يتصل بقدرة هذه الثقافة على إقامة حوار داخلي بين اتجاهاتها وتياراتها وأفكارها، أي بقدرتنا كعرب على إعادة بناء وحدة الفضاء الثقافي العربي الإسلامي بما يضمن حرية تبادل الأفكار والمنتجات الفنية والأدبية، إلى جانب تدعيم النشاط الإبداعي و تحريره من الممنوعات والمحرمات بحيث يصبح الحوار الثقافي الحضاري العربي مقدمة وشرطا لأي ممانعة ثقافية أو مبادرة منتجة للتواصل مع الثقافات الأخرى»¹.

فلا بد من إحداث الموازنة التقريبية إذن، والمقارنة الجادة في جدل نافع بين واقع الإعلام العربي بين الخصوصيات الثقافية الإسلامية والثقافة العالمية. ومدى موقع هذه الخصوصية في وسائل الإعلام العربية، ومقدار الانصهار الحضاري عبر هذه الوسائل. ولسنا نسلك هنا طريق التعسف في استنطاق القراءات العربية، أو إحداث المقارنة التي نبرز من خلالها تفوق الطرح الرفض لآثار العولمة الثقافية عبر وسائل الإعلام العربية على أنصار العولمة والمتحمسين لها. فليس هذا أو ذاك من أهداف ومرامي هذا البحث. وإنما نبتغي تحقيق هدفنا المنشود، وهو أن نبين بما لا يدع للشك أو الريب انطلاقا من الآثار الإعلامية مقدار النفع وقيمة الضرر اللذان ينتجان من احتكاكنا الحتمي بالعولمة.

ولذلك أدركت القيادات الإعلامية في الدول العربية أهمية الإعلام ليس في مواجهة آثار الثقافة العالمية فحسب، وإنما المساهمة في التمييز بين ما تحمله هذه الثقافة. وتؤكد أن للإعلام العربي ومنه الصحافة المكتوبة دور مهم في الحفاظ على الشخصية والهوية، ومقاومة التأثيرات الفكرية المعادية والهدامة.

وفي سياق الجدل والنقاش حول العولمة فإن المتخوفين من مخاطر عولمة الإعلام على الثقافة الإسلامية والتعددية الثقافية، واحتمال ظهور التنميط أو التوحيد الثقافي، ينطلقون من مسلمة نظرية هي التأثير الطائفي لوسائل الإعلام التقليدية والأحدث كالوسائل المتعددة على حياة الفرد والمجتمع. أما غير المتخوفين من عولمة الإعلام فإنهم

والإعلام واحتكار المعلومات. وعلى الرغم مما تتيحه العولمة من ميزات الاتصال وتبادل، إلا أنه ينبغي تأكيد مخاطر العولمة على العالم العربي من حيث تهديد الهوية الثقافية. وقد دعا المشاركون إلى تعزيز آليات حماية الخصوصية الثقافية من خلال الاعتناء باللغة، وتحديث وسائل ومضامين تدريسيها، وتعميق ملامح الثقافة العربية الإسلامية، والعمل على إيجاد صيغة إعلامية مشتركة تصون الخصوصية وتواكب العصر في مواجهة وسائل الإعلام الأجنبية. (انظر: توصيات مؤتمر الثقافة والإعلام بين الواقع والطموح. القاهرة: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1997).

¹ . حامد خليل، «الثقافة العربية وحوار الحضارات». ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر السنوي الثالث للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية. مؤتمر الثقافة والإعلام بين الواقع والطموح. القاهرة: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1997. ص3.

ينطلقون من مسلمة مضادة ترى أن تأثير الإعلام محدود. والغريب أن بمقدور كل فريق الاستناد إلى أطر نظرية ودراسات إعلامية كثيرة تؤيد وجهة نظره وموقفه. والملاحظ أن حقل الإعلام والاتصال لم يبلور نموذجاً أساسياً أو حتى نظرية شاملة تقدم فهماً كاملاً لعمليات التأثير الإعلامي. ويدور جدل ونقاش حول حقيقة التأثير ومدى التأثير الذي تحدثه وسائل الإعلام. فهناك من يركز على آثار الإعلام والاتصال على القيم والاتجاهات وأنماط السلوك لدى الفرد، فيما تركز نظريات أخرى على تأثير الإعلام والاتصال في المجتمع والثقافة والمنظمات الاجتماعية، ومن الصعب وربما من غير المنطقي القول إن إحدى هذه النظريات صحيحة وبقية النظريات خاطئة.¹

إن إعادة النظر والنقاش في هذا المقام لا تعني رفض حقيقة وجود عدم توازن وعلاقات الاستغلال بين أطراف عملية العولمة الإعلامية، ولكنها تعني عندنا التحليل النقدي الواعي لطبيعة التحولات المسارعة في العالم، والنظر إلى تفاعلات الإعلام والاتصال والثقافة في إطار عملية العولمة من خلال أطر ومقارنات جديدة تسمح لنا بفرز خيارات وبدائل عديدة ومتنوعة.

وهنا تبرز المسؤولية الكبرى التي تقع على وسائل الإعلام العربية في مواجهة التحديات العولمية الجديدة. وهي في أبسط أدوارها تقوم بتبسيط المعرفة العلمية وتوصيلها إلى مختلف الشرائح والمستويات الجماهيرية من خلال الإعلام المقروء والمرئي والمسموع. وهو ما يعرف بالبديل الإعلامي. حيث يقوم المنظرون العرب من الإعلاميين ومؤازرة الفئات والنخب الفكرية الواعية، برفع التحدي ومواصلة بذل الجهد لإيجاد وحلق أساليب حديثة، تجمع بين رد مخاطر العولمة الثقافية والحفاظ على مكتسباتها الحضارية باعتبارها إراثاً إنسانياً عاماً.

كما يتصور الإعلاميون أن الحل لهذا الأمر من الجانب الإعلامي، هو التخطيط وتحديد احتياجات الجمهور العربي الذي نسعى للوصول إليه. والإنتاج العربي والاستثمار فيه النافع من خصوصيتنا في إبداع جيد، والانفتاح على المواد الجيدة والممتازة والعالية النوعية التي تكون رزقاً لهذا الإنتاج.

ويلاحظ المتلقي العربي الإشكاليات والمخاطر والتحديات الأخلاقية والاجتماعية الناتجة عن الإنجازات في مجال الإعلام العالمي. ولعل أخطر تلك التحديات هو ما قد يتعرض له المكونات الأساسية للثقافة العربية الإسلامية ممثلة في الدين واللغة العربية والوعي التاريخي بالذات الأخر. ويقابل ذلك على مستوى المنطقة العربية المعوقات التي تحول دون قيام وسائل الإعلام العربية بأدوارها المفترضة، والتي يكمن بعضها في طبيعة العمل الإعلامي ذاته، كما يرجع بعضها إلى سطوة المصالح التي تجسدها الحكومات والجهات الخارجية.

لقد بدا الواقع العربي . على مستوى رسمي وشعبي . واقعا مزمزقا فيه التناحر السياسي الذي ينعكس على الواقع الثقافي والإعلامي.² إن المقومات الثقافية والقيم الحضارية التي تشكل رصيدنا التاريخي، لن تغني ولن تنفع بالقدر

¹ . محمد شومان، «عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والتحديات». مرجع سابق. ص 93.

² . انظر صالح خليل أبو أصعب، تحديات الإعلام العربي. مرجع سابق. ص 74.

المطلوب والمثمر والفاعل في مواجهة العولمة الثقافية، ما دامت أوضاع العالم الإسلامي على ما هي عليه، في المستوى الذي لا يستجيب لطموح الأمة.

وفي ظل ظروف العولمة، حيث لم يعد هناك مجال للكيانات الصغيرة، وإنما للتجمعات الكبيرة، فإن تحديات المستقبل تفرض على شعوب الأمة العربية وقادتها السعي إلى التضامن و وحدة الصف لتكوين وحدة إقليمية قادرة على تحقيق تلك المسؤوليات والالتزامات التي اقترحها خبراء الاتصال العربي كي نقدم إعلاما عربيا قادرا على استثمار العولمة الثقافية.

لكننا على المستوى المحلي العربي، وبفعل الاختراق الثقافي. وبالنسبة لنوعية السوق فإن هناك تكالب لتقديم ما يرغب فيه الجمهور. وتعميم الإعلام والاتصال المحلي أو المعولم لثقافة الاستهلاك والمتعة، وتقديم مضمون كالذي نراه سيئا ومحبطا ويقتل فينا ملكة الإبداع والتفكير، مضمونا يعاون على قتل الوقت ولا يضيف شيئا مفيدا.

بل إننا لو اتجهنا إلى الشباب العربي باعتباره أهم أهداف الإعلام المعولم، فإنه يبدو مهددا أكثر من غيره بمخاطر هذا الاختراق على النحو الذي يبرزه محمد عابد الجابري حين يؤكد خصوصية العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية عندما يتعلق الأمر بالوطن العربي: «فالاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام، بل إنه سلاح خطير يكرس الشائبة والانشطار في الهوية الوطنية والقومية، ليس الآن فقط بل وعلى مدى الأجيال الصاعدة والقادمة». وعلة ذلك عنده «أن الوسائل السمعية والبصرية، المرئية واللامرئية التي تحمل هذا الاختراق وتكرسه إنما تملكها وتستفيد منها فئة معينة هي النخبة العصرية وحواشيها، هي التي تستطيع امتلاكها والتعامل مع لغتها الأجنبية بحكم التعليم العصري الذي تتلقاه. أما عموم الشعب وعلى رأسه النخبة التقليدية فهو في شبه عزلة، يجتر بصورة أو بأخرى ثقافة الجمود على التقليد. والنتيجة استمرار إعادة إنتاج متواصلة ومتعاطمة للشائبة نفسها، ثنائية التقليدي والعصري، ثنائية الأصالة والمعاصرة، في الثقافة والفكر والسلوك».¹

والتأمل فيما يتلقاه الشباب العربي اليوم من خلال وسائل الإعلام الوطنية (العربية)، يتبين أن هذه الوسائل نفسها ترسخ هذا التناقض الخطير داخل الثقافة الوطنية. فهي من ناحية تكثر من بث أفلام العنف والجريمة والانحراف الحملة بالقيم السلبية وتشغل كل فترات الإرسال بالممنوعات والمواد الإشهارية المثيرة التي تضرب على وتر الغرائز والشهوات. وهي من ناحية أخرى تعرض برامج دينية تلقى إقبالا ملحوظا من قبل الشباب كالحصص التي يقدمها «

¹ محمد عابد الجابري، العرب والعولمة: العولمة والهوية الثقافية: تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي. مرجع سابق. ص 302. 303.

الدعاة الشباب « وبعض الفقهاء والمختصين في شؤون الدين، التي باتت تستقطب جيل المستقبل، فهي ظاهرة لافتة للانتباه على اعتبار استقطابها أعدادا كبيرة من الشباب العربي المسلم داخل البلاد العربية وخارجها.¹

إننا أمام برجة متناقضة يتقاذف فيها الشباب العربي الأغاني الماجنة وأفلام العنف والإثارة والإعلانات الحاملة، وبرجة روحانية وعقائدية تتحدث عن مثل سامية وقيم عليا. إنه تأسيس « لتناقض داخل الثقافة القومية حيث يث الجهاز ذاته المسلسلات والإعلانات التي تمجد الخيانة وسلوكيات الانحراف، وفي الوقت ذاته يعرض لبعض الماداة الدينية التي تبشر بقيم النقاء والطهارة، الأمر الذي خلق لدى المشاهد حالة من الحيرة والارتباك أو حالة تتساوى فيها كل القيم، منحرفة كانت أو سوية، وهو ما يجعل المشاهد يقبل القيم المنحرفة كما يقبل القيم السوية».²

وفي ظل هذا النموذج من تأثيرات العولمة الثقافية على الصحافة المكتوبة وإعلامنا العربي وما خلفته من تناقضات عميقة على مستوى التفكير الجاد النافع، القومي الوطني، أخذ المعنيون من رجال الإعلام والباحثين في تقديم صيغ وتصورات لبناء استراتيجيات بديلة للعولمة الإعلامية الراهنة في عالمنا العربي، وتكون حلا لمعضلتنا الإعلامية تجاه الثقافة الإسلامية. وإن حماية الهوية الإسلامية ومواجهة الاختراق الفكري الأجنبي هما من الاختيارات الرئيسية التي يجب أن تقوم عليها أية سياسة إعلامية عربية يمكن تصورها في المستوى القومي.

وإنه من الضروري هنا الحذر من السقوط في الوصفات الجاهزة عند الحديث عن مستقبل الإعلام العربي في ظل العولمة الثقافية والتحول الاقتصادي والاجتماعية التي تهز العالم اليوم، فليس هناك وصفة سحرية، وليس هناك في تاريخ تطور المجتمع البشري حل جاهز. إنما نحن في حاجة إلى دقة التحليل ورسالة الفهم من طرف المختصين في مجال الإعلام العربي والعالمي وتحديد الإطار المطلوب لإعلام معاصر واع له دوره في عملية النماء والبناء:

1 - التفاعل الواعي بين الثقافة الإسلامية وعملية العولمة في الإعلام بتعظيم المشاركة الايجابية للثقافة الإسلامية في استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلوماتية. ويتطلب ذلك تطوير القدرات الاتصالية والإعلامية والمعلوماتية العربية. وفتح حوار فعلي تشارك فيه كل فعاليات المجتمع العربي وخاصة قوى المجتمع المدني للاتفاق على أسس وضوابط ثقافية لعملية التفاعل بين الثقافة الإسلامية وعملية العولمة في الإعلام.

2 . تطوير الإعلام العربي وتحقيق المناعة الإعلامية وفق سياسة إعلامية عربية موحدة، تشرف عليها هيئات فكرية واعية قادرة على تشخيص الواقع الإيديولوجي للقوى العالمية، مع ضرورة إعادة صياغة دور الإعلام العربي في أقاليمه المختلفة بمضامينه الإسلامية لإذابة الحواجز الفكرية والنفسية بين أبناء الشعب العربي. وتحصين الإنسان العربي والمسلم باعتبار الإعلام خط الدفاع أمام التيارات المتلاطمة التي تحاول زعزعة قيمه وشخصيته وهويته، وهذا دور

¹ . المنجي الزيدي، مرجع سابق، ص 222.

² . نفس المرجع الآنف الذكر.

المثقفين العرب في التوعية بمخاطر عولمة الإعلام، والسعي في الوقت نفسه للاستفادة من الفرص التي تتيحها و تعظيم مشاركتهم فيها.

3 . اتخذ إجراءات حمائية على غرار ما قام به البرلمان الأوروبي في 1996، عندما قرر إلزام صناعة السينما والتلفزيون بتخصيص 51 % من برامجها للإنتاج الأوروبي.¹ وكذلك ما قامت به فرنسا لحماية صناعة السينما حيث فرضت ضريبة قدرها 11 % على بطاقات الدخول إلى دور العرض تستخدم في دعم صناعة السينما الفرنسية.

4 - يتعين على أجهزة الإعلام في الأقطار العربية إلى جانب اهتمامها بالقضايا القومية التي تتعلق بالعالم العربي ككل أن تهتم في الوقت نفسه بالقضايا المتعلقة بالهوية المحلية والقطرية، واحترام ودعم التنوع الثقافي العربي الإسلامي في إطار وحدة الثقافة العربية الإسلامية. لأن أي مجموعة بشرية مهما قل عددها وصغرت رقعتها الجغرافية لها شخصيتها ومميزاتها التي تنصهر في صلب القطر الواحد. وتكون بالتالي هي أساس الهوية الوطنية التي تثري بدورها التراث الحضاري العربي بأوجهه المتعددة.

5 . اللجوء إلى التعددية الإعلامية في الوطن العربي وإفساح المجال لإعلام الخاص للقيام بدوره الإعلامي والثقافي في التوجيه والإرشاد نحو ثقافة إسلامية أصيلة، وذلك بالتقليل من الاحتكار الشديد للحكومات في هذا المجال وإتاحة مساحة كبيرة من الحرية الإعلامية والفكرية لرجال الإعلام والثقافة والفكر، وتشجيعهم ماديا ومعنويا لخلق نهضة إعلامية ثقافية عربية وإسلامية تشد المواطن العربي وتلبي احتياجاته ورغباته المعرفية والإعلامية والترفيهية في إطار مبادئه وقيمه وظروفه الاجتماعية.²

6 . لا يمكن أن تكون موضوعات الثقافة الإسلامية المطروحة من خلال الإعلام موروثات ميتة تثير الملل ويعرض عنها المتلقي للرسالة الإعلامية مستمعا كان أم قارئاً أم مشاهداً. بل واجب رسالة الإعلام في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ أمتنا أن تسهم في خوض الحرب النفسية كأفضل ما يكون ذلك، فالإعلام له دوره المميز في شحذ الحمم ومنع الإحباط من التسلل إلى النفوس بالعودة إلى الدين والتاريخ.³ وبالمقابل لا يصح أن نسلم بالأتروحات الإعلامية الوافدة المستوردة لأنها قائمة على قيم مؤسسة وفق مفاهيم لا تتناسب مع مبادئ و قيم مجتمعاتنا.

وخلاصة هذا الفصل ومن خلال الطرح السابق يتضح أن الثقافة العربية تعد جزءا محوريا من الثقافة الإسلامية وبالتالي فإن تحدي العولمة قد طال الاثنين معا. من هنا كان لا بد من البحث عن سبل لتنمية هذه الثقافة

¹ . انظر محمد شومان «عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية». ضمن المؤتمر السابع للمجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان: "العولمة والهوية الثقافية". سلسلة أبحاث المؤتمر السابع. المشرف العام: جابر عصفور. المجلس الأعلى للثقافة. أبريل 1998. وانظر ندوة العولمة وقضايا الهوية والثقافة، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. 16. 12 أبريل 1998.

² . عبد الله بوجللال، «الآثار الاجتماعية والثقافية للإعلام في ظل العولمة». مجلة المعيار. مرجع سابق. ص 260.

³ . أسعد السحمراني، مرجع سابق. ص 135.

والوقوف على عوامل القصور والضعف فيها الذي انتهى بها إلى ثقافة شبه فولكلورية عديمة الوظيفة في ظل تصارع قوى الثقافة العالمية من خلال المعلوماتية والثورة الاتصالية والتفجر التكنولوجي.

وقد تباينت الآراء والمناظرات أيضا حيال ما أفرزته العولمة حول موضوع الأصالة والمعاصرة ؛ فراحت خطابات المفكرين تتراوح بين الرفض التام للعولمة والانفتاح وخطاب الوسط، وكلها خطابات تبحث عن موقع للثقافة الإسلامية في ظل تحديات عصر المعلوماتية.

وقد تعددت وتنوعت تأثيرات العولمة على الثقافة الإسلامية في جوانب كثيرة. لذلك بات من الضروري في زمن العولمة إعادة صياغة الذات والهوية وفق منطق العصر، ومحاولة التفاعل مع الآخر من خلال منافذ متعددة يأتي في مقدمتها الإعلام وخاصة الصحافة المكتوبة، عن طريق الضخ المتزايد للمادة الإعلامية التي تخدم مضمون الثقافة الإسلامية من طرق التعريف بقضاياها وموقعها. ويبرز في هذا السياق دور الصحافة المكتوبة في التعريف بقضايا الثقافة والمشاركة في الجدل الدائر حول إشكاليات العولمة والتحديات التي تطرحها على العالم الإسلامي وطرح البدائل التي تحفظ الهوية والخصوصية الإسلامية.

القادر للعلوم الإسلامية

هوامش الفصل الرابع

المراجع ذكرت لأول مرة

1. السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
1. خلاف خلف الشاذلي، «المجتمع العربي بين مخاطر العولمة الثقافية وتحديات ثقافة العولمة». ملف خاص. شؤون عربية، العدد 107. سبتمبر/أيلول 2001. جمادى الثانية 1422.
1. كمال الدين جعفر عباس، الاتصال السياسي في البعد الفكري. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي، 2004.
1. عبد العزيز بن عثمان، «ما السبيل لنهوض الثقافة الإسلامية نحو العالمية». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. الخالدي محمد، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية. ط: 1. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
1. انظر زكي مبارك، «الثقافة الإسلامية ومخاطر العولمة الثقافية». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط: 1998.
1. محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلانية في الإسلام. ط: 2. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
1. الطيب برغوث، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي. ط: 2. الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2004.
1. عبد الحميد أبو سليمان، «الأمة بين شريعتين». مجلة إسلامية للمعرفة، المهدي العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.
1. أنور الجندي، معلمة الإسلام. بيروت: المكتب الإسلامي 1980. ج 1.
1. الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إسكوكو، الرباط، 1997.
1. نبيه بن عبد القدوس الأنصاري، «الثقافة والمثقف في ظل العولمة» الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، قبرص.
1. أمانيويل بوشيا دامس، التنمية الثقافية تجارب إقليمية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983.
1. محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي المعاصر، 1994.
1. سالم يفوت، «هويتنا الثقافية والعولمة». مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد 11، سبتمبر 1998.
1. الحبيب الجحاني، «العولمة والفكر العربي المعاصر». مؤسسة عبد الحميد شومان، ربيع 2000.
1. ليلي شرف، «التغيرات العالمية وانعكاساتها على الدول النامية». مؤسسة عبد الحميد شومان، 2000/04/24.
1. سمير روجي الفيصل، «الثقافة العربية والقرن الحادي والعشرين». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، حزيران 2000.
1. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية. 2003.
1. أمل فرح: تقرير عن مؤتمر «مستقبل الثقافة العربية»، المستقبل العربي، العدد 222، 171، 176. الذي عقد في: 14/5/1997.
1. سمير ابراهيم حسن، «الثقافة العربية بين الخصوصية و الكونية». دراسات إستراتيجية مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية. العددان 14 و 15 السنة الخامسة، ربيع 2005.
1. مؤتمر القمة الإسلامية في دورته السادسة بها/سما المنعقدة في شهر ديسمبر 1991.
1. عبد الغفار مصطفى، صحافة الأطفال رؤية في الواقع والمستقبل. ط: 1. القاهرة: دار الأحمدي للنشر، 2007.
1. قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، بيروت: دار العلم للملايين، 1964.
1. عمر عبيد حسنة، الشاكلة الثقافية مساهمة في إعادة البناء. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي، 1993.
1. مالك بن نبي، القضايا الكبرى. ط: 1. دمشق: دار الفكر، 1991.
1. شبل بدران وأحمد فاروق محفوظ، أسس التربية. ط: 1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000.
1. انظر محمود الخالدي، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989.

برغوث عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري. ط: 1. سلسلة كتاب الأمة، قطر: مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، العدد: 21، 1995.

- حسن صعب، «الإنسان هو الرأس مال»، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، العدد الرابع، يناير/فبراير/مارس 1972، وزارة الإعلام. الكويت.
- محمد سبيلان، الإيديولوجيا نحو نظرة متكاملة. ط: 1. المركز الثقافي العربي، 1992.
- أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا. ط: 2. بيروت: دار النفائس، 1986.
- محمد بغداد باي، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي. عالم الأفكار، 2006.
- عبد المجيد عمر النجار، عوامل الشهود الحضاري. ط: 1. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.
- بثينة شعبان، «المصطلح الإعلامي ودوره السياسي في القضايا العربية الراهنة». دراسة فكرية. دمشق: العدد 3. 2004/5/18.
- محمد الكتاني، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب. الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
- عبد النبي اصطفيف، «في لغة الإعلام» المعرفة. العدد 509، السنة 44، شباط 2006.
- الشاذلي الفيتوري، «اللغة العربية والوعي القومي». بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، ط: 2. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.
- حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية.

– انظر: <http://membres.lycos.fr/mimbar/cours/laguage2.htm>.

- ابراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن. ط: 4. بيروت: دار المعلم للملايين، 1927.
- كرم شلي، الخبر الصحفي و ضوابطه الإسلامية. ط: 2. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 1988.
- محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980.
- نوال محمد عمر، دور الإعلام الديني تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضارية. القاهرة: مكتبة نغمة الشرق، 1984.
- فوزي محمد طایل، كيف نفكر استراتيجيا. القاهرة: مركز الإعلام العربي، 1997.
- محمد البدوي الصافي، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية. الإمارات العربية المتحدة: دار القلم للنشر والتوزيع، 1996.
- محمد احمد بيومي، القيم وموجهات السلوك الاجتماعي. مصر: دار المعرفة الجامعية، 2006.
1. حامد خليل، «الثقافة العربية وحوار الحضارات». ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر السنوي الثالث للمركز العربي للدراسات إستراتيجية.

مؤتمر الثقافة والإعلام بين الواقع والطموح القاهرة: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1997.

1. عبد العزيز انميرات، «هويتنا الثقافية في خضم تحولات العولمة من الاختراق إلى الممانعة» الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. إياد أحمد الشايخ، «أي ثقافة نريد في عصر المعلومات وتحدي العولمة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. سعيد فكرة، «العولمة وانعكاساتها على الثقافة الإسلامية». أعمال الملتقى الدولي في الجزائر العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية.
1. سيار جميل، «الثقافة الإسلامية والاختراق الثقافي في ظل العولمة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. عبد العزيز بن عثمان التويجري، «ما السبيل لنهوض الثقافة الإسلامية نحو العالمية». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. محمد همام، «مستقبل حضارتنا رهين بنائها الداخلي». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
1. نصر الجويلي، «الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر». مجلة الهداية. العددان 1، 2، السنة 2000.
1. السيد محمد حسين الأمين، «شرط المعاصرة في الثقافة الإسلامية للاستفادة من ثورة المعلومات و مواجهة تحديات العولمة». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

1. محمد فاروق النبهان، «الثقافة الإسلامية و العولمة من الممانعة إلى الموكبة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

1. عبد الله أحمد يوسف، «مستقبل ثقافتنا في ظل المتغيرات العالمية الجديدة». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

القسم الثاني

نتائج الدراسة التحليلية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتناول هذا القسم عرض نتائج الدراسة التحليلية لمحتوى الصحف المدروسة وشكل موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة خلال الفترة الزمنية للدراسة. وقد اعتمدت الباحثة في معالجة البيانات على برنامج (SPSS) لتحليل بيانات الدراسة التحليلية في إطار الإجابة على التساؤلات، بحيث تتناول النتائج الرقمية التكرارات والنسب المؤوية المتصلة بكل فئة من فئات التحليل،. وقد تم توزيع كل ما سبق في فصلين أساسيين هما:

الفصل الخامس: النتائج الخاصة ب: فئات محتوى الاتصال.

الفصل السادس: النتائج الخاصة ب: فئات شكل الاتصال.

الفصل الخامس

النتائج الخاصة بفئات محتوى الاتصال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يهدف هذا الفصل للإجابة على تساؤلات الدراسة التي تتعلق بمضمون المادة الإعلامية أو المعاني التي تتضمنها حول الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، مما يفيد في توصيف قضايا الثقافة الإسلامية وتأثيرات ظاهرة العولمة عليها. بالإضافة إلى التعرف على التصنيفات المختلفة لفئات محتوى الاتصال، ومن ثم مقارنة المستويات المختلفة لمضمون كل صحيفة. وقد تم التطرق لهذه العناصر من خلال عدة مباحث وهي:

المبحث الأول: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالثقافة الإسلامية في صحف الدراسة.

المبحث الثاني: فئات قضايا البعد الثقافي للعولمة في صحف الدراسة.

المبحث الثالث: فئة موضوع تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة في صحف الدراسة.

المبحث الرابع: فئة سياق المضمون في صحف الدراسة.

المبحث الخامس: فئة المفهوم والتعريف.

المبحث السادس: فئة التوازن في التغطية.

المبحث السابع: فئة اتجاه المحتوى (الاتجاه نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها).

المبحث الثامن: فئة الفاعلون.

المبحث التاسع: فئة المصادر الإعلامية.

المبحث العاشر: فئة المجال في التغطية (منشأ المعلومة الجغرافي).

المبحث الأول

أهم الموضوعات والقضايا المتعلقة بالثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة

يتناول المبحث الموضوعات الرئيسية والفرعية وكذلك القضايا المتعددة ذات العلاقة بالثقافة الإسلامية، ومدى تركيز كل صحيفة على موضوعات بعينها أو إغفالها لأخرى. ومن الجدير بالذكر أن كل دراسات تحليل المضمون تولى أهمية لهذه الفئة وذلك لما تحويه من دلالات اتصالية بالغة الأهمية في التعرف على السياسات التحريرية للصحف، وكذلك التعرف على النوايا الحقيقية للقائم بالاتصال تجاه قضايا الثقافة الإسلامية محل الدراسة. ذلك أن التركيز المستمر على بعض الموضوعات أو القضايا دون غيرها عند هذه الصحيفة أو تلك يؤدي بالضرورة إلى زيادة التعرض المكثف إلى مفاهيم معينة.

وقد قامت الدراسة بحصر جميع الموضوعات المتعلقة بالثقافة الإسلامية في عصر العولمة في الصفحة الثقافية في صحف الدراسة الخمس (الشروق اليومي ، الخبر، الأهرام، تشرين، الرأي العام). وقد بلغت في عينة الدراسة مجتمعة (477) كما يبينها الجدول التالي رقم (02):

جدول رقم (02)

عدد الموضوعات في صحف الدراسة

النسبة (%)	عدد الموضوعات	الصحيفة
30,2	144	الأهرام
22,4	107	الشروق اليومي
20,3	97	تشرين
15,9	76	الرأي العام
11,1	53	الخبر
100,0	477	المجموع

وكان تقسيم تلك المواد الصحفية حسب التصنيفات المختلفة للموضوعات كما وردت في استمارة التحليل للتعرف على عدد تكرارات كل نوع من جهة، ونسبته إلى غيره من الأنواع في الصحيفة من جهة ثانية، ونسبة كل نوع إلى غيره في صحف الدراسة مجتمعة من جهة ثالثة، وهو ما توضحه بيانات الجدول التالي رقم (03):

جدول رقم (03)

توزيع أنواع الموضوعات الرئيسية والمحاور الفرعية والقضايا الخاصة بالثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

ارسم هنا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ارسم هنا

ارسم هنا

ارسم هنا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن خلال بيانات الجدول السابق يتبين لنا مدى تركيز صحف الدراسة على كل نوع من الفئات أو التصنيفات المختلفة لفئة الموضوع (فئة الموضوعات الرئيسية، وفئة المحاور، وفئة القضايا). وهو ما ستعالجه الدراسة من خلال المحاور الثلاثة التالية:

أولاً: توزيع الأنواع الرئيسية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.

بالنظر إلى بيانات الجدول السابق رقم (03) يتضح لنا أهم الموضوعات الرئيسية التي تعرضت لها صحف الدراسة لدى تناولها لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة. وقد عمدت الباحثة تسهيلاً لعرض البيانات إلى إبراز تلك الموضوعات في الجدول التالي رقم (04):

جدول رقم (04)

توزيع الأنواع الرئيسية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.

المجموع	صحف عربية								صحف جزائرية				نوع الموضوع
	الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق		الصحيفة		
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك			
28,1	966	26,8	205	17,7	65	33,4	465	23,1	36	25,6	195	الهوية	
20,2	696	13,2	101	13,3	49	28,0	390	15,4	24	17,3	132	الدين	
16,9	581	22,5	172	28,8	106	4,6	64	38,5	60	23,5	179	اللغة	
15,6	537	17,4	133	21,7	80	11,8	164	15,4	24	17,8	136	التراث	
10,0	345	7,7	59	8,7	32	13,8	192	5,8	9	7,0	53	القيم	
9,2	318	12,3	94	9,8	36	8,5	118	1,9	3	8,8	67	التربية	
100	3443	100	764	100	368	100	1393	100	156	100	762	المجموع	

تشير معطيات الجدول إلى أن صحف الدراسة قد اهتمت بشكل كبير جداً بموضوعات الهوية، حيث بلغ عددها في صحف الدراسة (966 تكرارا) من أصل (3443 تكرارا) مقابل (318 تكرارا) حول موضوعات التربية، وهي أدنى مستويات الاهتمام في صحف الدراسة مجتمعة، أي بفارق (648 تكرارا). وهذا يوحي بمدى ارتفاع درجة الاهتمام بموضوعات الهوية في عينة الدراسة مجتمعة من جانب، وحيث تكاد تشمل ثلث مساحة النشر من جانب آخر. وفي المقابل تدل الأرقام على انخفاض سلم الاهتمام والعناية بموضوعات التربية والتنشئة بما تمثله من قيمة بمفهومها الحضاري المعاصر وليس كما نظر إليه القائم بالاتصال في صحف الدراسة.

أما موضوعات الثقافة الإسلامية الأخرى فقد احتلت مرتبة متباينة بين الاهتمام المقبول والإهمال المردود، وذلك دلالة على الاضطراب الشديد في السياسات التحريرية للجرائد العربية في أقسامها الثقافية. حيث برزت صفة التفاوت الشديد في النظر إلى أهمية قضايا الثقافة وموضوعاتها في صحف الدراسة، ومن ثم اختلافها في أسلوب العرض والنشر مما يؤثر على المتلقي القارئ إما سلبا أو إيجابا. والجدول التالي رقم (05) يبرز ترتيب موضوعات الثقافة الإسلامية حسب أولويتها عند القائم بالاتصال في صحف الدراسة.

جدول رقم (05)

ترتيب موضوعات الثقافة الإسلامية حسب درجة الاهتمام في صحف الدراسة

الرتبة	الجميع		نوع الموضوع
	%	ك	
1	28,1	966	الهوية
2	20,2	696	الدين
3	16,9	581	اللغة
4	15,6	537	التراث
5	10,0	345	القيم
6	9,2	318	التربية
-	100	3443	المجموع

من خلال هذه الأرقام يتضح أن صحف الدراسة قد جعلت من المادة التحريرية لموضوعات الدين بمفهومه الشامل والجزئي في المرتبة الثانية من درجات الاهتمام والأولوية بعد موضوعات الهوية التي أشرنا إليها سابقا. حيث وردت نسبة موضوعات الدين 20,2 % أي بفارق نسبة 7,9% عن موضوعات الهوية التي بلغت 28,1%. وهي نسبة تعد معتبرة كثيرا في درجة التوجه والاهتمام.

ولعل ما يفسر هذا الفارق الكبير بين موضوعات الهوية وموضوعات الدين على أهميتها في عينة الدراسة ما تعيشه المجتمعات العربية من أزمة الهوية في العصر الحديث. فكثرة الكتابات العربية وشدة إقبال القائم بالاتصال على هذا النوع من المواد التحريرية يدل على أن موضوع الهوية بات واحدا من الموضوعات الأساسية التي تتصدر النقاشات السياسية والفكرية العربية في العقود الأخيرة. ويبدو أن إثارة هذا الموضوع تأكيدا أو نفيًا آخذ في التزايد مع تزايد التحديات التي تفرضها العولمة على الشعوب، ذلك أن الهوية في رأي بعض الباحثين والمفكرين آلية دفاعية متينة تحمي

أصحابها من غزو العولمة المتوحشة، ومن هيمنة الثقافة الواحدة.¹ و لأجل هذه المكانة للهوية في الفكر المعاصر، نلاحظ بشدة قوة إقبال الجرائد العربية على موادها وتقديمها على غيرها من المواد حتى وإن كان ذلك الدين بقدسيته.

ورغم أن موضوعات الدين على أهميتها قد شملت نسبة 20,2% من إجمالي موضوعات الثقافة الإسلامية، فإن موضوعات اللغة والتراث وهي من عناصر الثقافة النافذة أيضا قد اقتربت نسبتها من المتوسط الحسابي لكل نسب أنواع الموضوعات وهو 16,7%. أي بقسمة النسبة المئوية الكاملة 100 على عدد عناصر الثقافة الست (6) أي (100/6). أو بقسمة عدد المواد الـ 3443 على عدد أنواع موضوعات الدراسة الست (6)، إذ نلاحظ أن متوسط عدد المواد المنشورة 575 مادة. حيث جاءت الأولى بنسبة 16,9% من إجمالي النسب المئوية، و15,6% لفئة التراث. وهذا يدل على عدم تجاوز حد الاهتمام والعناية من طرف القائم بالاتصال من جهة أو التفريط من ناحية أخرى. لكن تبقى طبيعة هذه النسبة المئوية ومدى تحقيقها لغرض وجودها كإحدى مقومات الثقافة غامضا لحد الساعة إذ يتضح ذلك في جدول لاحق.

أما آخر مراتب موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة فكانت حول القيم والتربية، حيث تعرض القائم بالاتصال للقيم في صحف الدراسة الخمسة بـ (345 تكرارا) من أصل (3443 تكرارا) أي بنسب 10,0%. أما موضوعات التربية فكانت نسبتها 9,2% فقط كما أشرنا إلى ذلك في بداية التحليل. ولو تمعنا في طبيعة موضوعات الثقافة الإسلامية وهي الدين والهوية والقيم واللغة والتربية والتراث لوجدنا العناصر الثقافية ذات البعد القيمي الإنساني هي موضوعات القيم والتربية. وقد يتساءل الدارس عن سبب عدم مقارنة نسبة موضوعات القيم والتربية لباقي عناصر الثقافة الإسلامية الأخرى حسب ما ورد في الجدول رقم (5).

واعتقد أن سبب ذلك لا يخرج عن جهل الفكر الإعلامي العربي الحديث عن مكانة القيم والتربية في الفكر الإسلامي وعلوم التربية الحديثة. فخصائص القيمة في الإسلام ترتبط بخصائص الرسالة المحمدية، فإذا كانت هذه الرسالة ربانية وأريد بها هداية الإنسان وكانت خاتمة الرسالات لأن الله جعل فيها عناصر بقائها وشمولها للناس كافة في مختلف الأزمنة والأمكنة فقيم الإسلام بحكم مصدرها الرباني تتصف بالمطلقية والتعالى والثبات ومن ثم فهي قيم تريد أن تتجاوز الواقع الإنساني لا على معنى أنها جعلت لغير الإنسان لأنها وإن كانت متعالية فإنها تتجه إلى كائن أرضي لذلك فإنها تحمل في ذاتها وإن كانت صعبة المنال إمكان تحقيقها في الواقع، ولكنها بمثابة المثل العليا التي ينشد الإنسان بلوغها.

أما التربية فيشهد التاريخ قديمه وحديثه على محوريتها في صنع الإنسان وبناء المجتمع، وقيمة الإنسان هي حصاد معارفه وحضارة المجتمع. بدورها. هي المحصلة الجامعة لمعارف أبنائه التي وهبتها إياهم التربية، يؤكد ذلك — إيجابا — الموقع البارز الذي تحتله التربية في دساتير الشعوب، وموثيق الثورات، وشعارات حركات الإصلاح الاجتماعي والديني، واستراتيجيات التنمية. ويؤكدده — سلبا — الدور الذي لعبته وتلعبه التربية في مخططات الهيمنة

1. محمد صالح الهرماسي، مرجع سابق. ص 17.

على الشعوب من استعمار وعمولة اقتصادية وغزو ثقافي ومعونات وقروض دولية. و هذا شأنها، كان لا بد أن تصبح التربية شاغل الجميع: الحاكم والفيلسوف، والعالم والشاعر، والمصلح والثائر، ورائد الرأي ورجل الشارع.

وبالطبع كان على الإعلامي ونحن خاصة في عصر العمولة الإعلامية أن لا يكون بمنأى عن هؤلاء جميعا. لأن قوة الإعلام الحديث صارت السلطة الموجهة في شؤون الحياة كلها، فإذا اتجه القائم في الإعلام العربي نحو قضايا التربية واتخذ له دورا فاعلا فيها سيحقق الفعلية المرجوة من الإعلام العربي في خدمة قضايا أمته ولاسيما تلك التي ترتبط بمفاهيم التربية والتنشئة والتعليم والتي تنعكس آثارها مباشرة على الفرد والمجتمع.

وإذا كانت مكانة القيم والتربية لها كل هذا القدر كما رأينا، فمن العجب ألا تنتج صحف العينة لهذين المحورين الأساسيين من محاور الثقافة الإسلامية إلى درجة أن يعطي القائم بالاتصال لها ذلك المعامل الضعيف وتلك النسبة التي لم تتجاوز 10,0%.

وفي آخر هذا التحليل الإحصائي لبيانات الجدول السابق، يمكننا ذكر المتوسط الحسابي للنسب المئوية المذكورة، و أن نقف على اهتمام القائم بالاتصال تجاه كل عنصر من عناصر الثقافة الإسلامية الستة. حيث يظهر المتوسط الحسابي بنسبة 16,7% ومن ثم نستطيع الخروج بالمقارنة بين المتوسط الحسابي وما ورد في الجدول رقم (05). والجدول رقم (06) يبين فارق الاهتمام بين المتوسط الحسابي ونسب موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة:

جدول رقم (06)

فارق الاهتمام بين المتوسط الحسابي ونسب موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة

النسب	المتوسط الحسابي	فارق النسبتين	الناتج
			نوع الموضوع
28,1	16,7	11,4	الهوية
20,2	16,7	3,5	الدين
16,9	16,7	0,2	اللغة
15,6	16,7	1,1-	التراث
10,0	16,7	6,7-	القيم
9,2	16,7	7,5-	التربية
100	—	—	المجموع

يمكن أن نستخلص من الجدول رقم (06) والذي يشمل إحصاءات للعينة المختارة أن فارق الاهتمام للمادة

التحريرية الخاصة بموضوعات الدراسة قد توزع إلى فئات ثلاثة:

1. الموضوعات ذات الفارق الكبير الأكبر من المتوسط الحسابي وهي الهوية والدين. فقد زاد اهتمامها على المتوسط الحسابي مثلما هو واضح في الجدول مما يدل على الاهتمام النوعي الواضح من قبل القائم بالاتصال في صحف الدراسة.

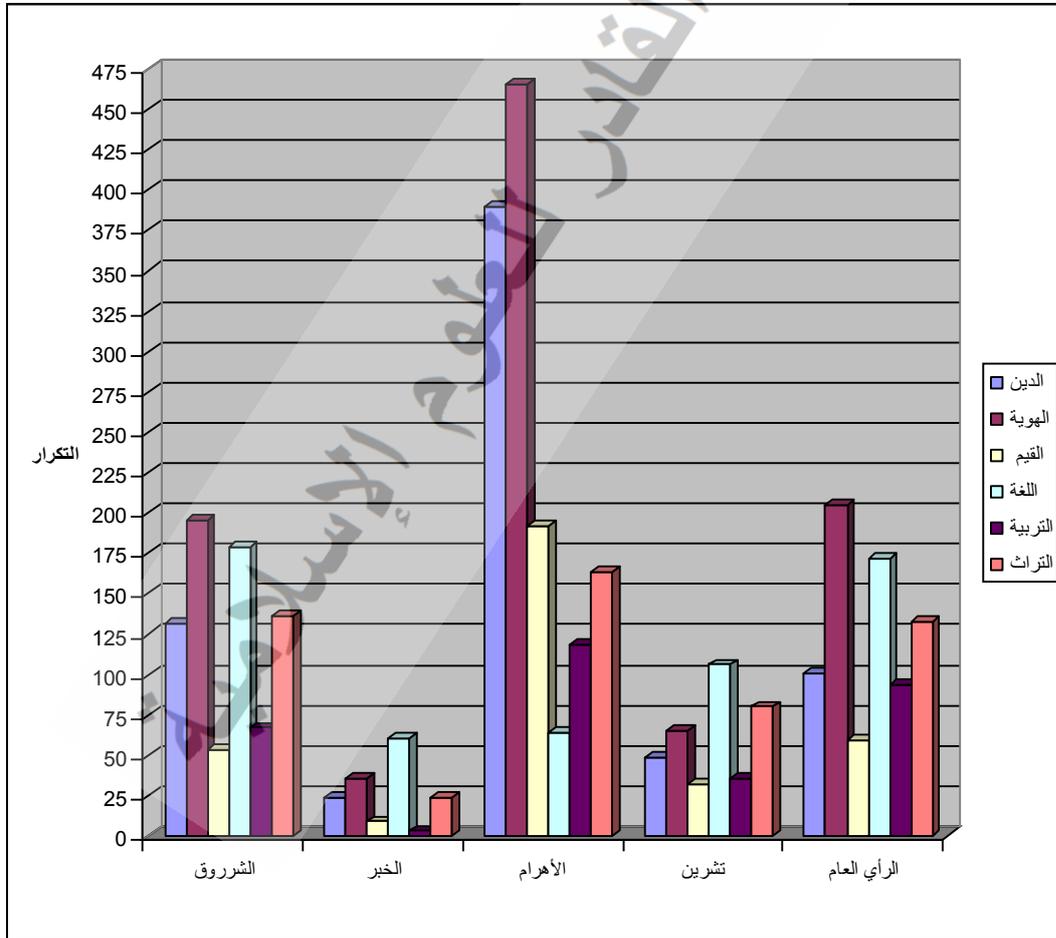
2. الموضوعات القريبة من فارق الصفر بالنسبة للمتوسط الحسابي سواء بالزيادة أو النقصان. وهي موضوعات اللغة والتراث مما يدل أيضا على الاهتمام المقبول من قبل القائم بالاتصال في صحف الدراسة.

3. الموضوعات ذات الفارق الكبير الأقل من المتوسط الحسابي وهي موضوعات القيم والتربية مما يدل على عدم العناية والاهتمام من طرف القائم بالاتصال في صحف الدراسة.

وبناء على ما سبق نورد الشكل التوضيحي التالي رقم (01) الذي يوضح توزيع أنواع الموضوعات الرئيسية في صحف الدراسة.

شكل رقم (01)

يوضح توزيع أنواع الموضوعات الرئيسية في صحف الدراسة



تشير العينة المختارة من الصحف الخمسة كما هو مبين بالجدول إلى توزيع حجم المادة التحريرية تبعا لنوع الموضوعات الرئيسية للثقافة الإسلامية، وهي توجي بالملاحظات التالية:

1. ارتفاع تكرارات موضوعات الهوية بشكل واضح عن سائر الموضوعات والعناصر الثقافية الأخرى، تليها تكرارات موضوعات الدين، ثم بشكل متقارب تكرارات موضوعات اللغة والتراث وأخيرا وبشكل منخفض جدا تكرارات موضوعات القيم والتربية.

2. اختلال درجة عناية اهتمام الصحف عينة الدراسة فيما بينها في مجمل قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، حيث يشير الجدول الإحصائي السابق تقدم جريدة الأهرام المصرية على سائر الصحف الأخرى من حيث حجم التكرارات والالتفاف حول موضوعات وعناصر الثقافة الإسلامية. فقد سجلت النتائج 1393 تكرارا حول موضوعات الدراسة. بينما سجلت نتائج صحيفة الخبر 156 تكرارا فقط حول كل موضوعات الثقافة الإسلامية في طول الفترة الزمنية محل الدراسة والمقدرة بسنة كاملة تتوسطها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهذا له دلالات كثيرة على عدة مستويات كما سنحدد ذلك في جدول لاحق. بينما أظهرت النتائج تساوي صحيفتي الشروق اليومي الجزائرية والرأي العام الكويتية في عدد تكراراتها حول موضوعات الثقافة الإسلامية، حيث خرجت الرأي العام بـ 764 تكرارا مقابل 762 تكرارا لجريدة الشروق اليومي الوطنية.

وتأتي في المرتبة ما قبل الأخيرة جريدة تشرين السورية بـ 368 تكرارا، أي حوالي نصف درجة اهتمام كل من صحيفتي الشروق والرأي العام. وكان ظهور نتائج جريدة تشرين السورية على هذه الصورة ضعيفا، إذ كانت نسبة تكرارات قضايا وموضوعات الصحيفة كما سيرد في جدول القضايا 10,7% أي في المرتبة ما قبل الأخيرة في ترتيب صحف العينة. فرغم أن صحيفة تشرين كثيرا ما مثلت السياسة السورية في رفعها لشعار القومية والعروبة والالتفاف حول الماضي العربي الإسلامي العريق، غير أن ما تظهره النتائج الإحصائية يظهر التباين الشديد بين ما تحمله رياح السياسة وما آل إليه الإعلام العربي المتأثر بتيارات العولمة. وبالرغم من ذلك فلن نتسرع في استخلاص النتائج من هذا الشكل الأول إلا إذا عرشنا على سائر الأشكال والجدول الأخرى لنلاحظ مدى فاعلية هذا الحجم التكراري في حد ذاته في تبيان مقدار مكانة الثقافة الإسلامية في صحف الدراسة.

3. أظهرت نتائج الدراسة المستخلصة من الجدول رقم (04) والذي شمل إحصاءات للعينة المختارة اتفاق صحف العينة كل على حدا أثناء معالجتها لموضوعات الثقافة الإسلامية. إذ حلت تكرارات موضوعات الهوية بنسب متقاربة في كل صحف الدراسة بالنسبة إلى إجمالي اهتمام كل صحيفة بموضوعات الدراسة، وكذلك سائر تكرارات الموضوعات الأخرى. وهذا يدل على أن التفكير العربي المعاصر مؤسس على تصور مشترك لمجمل القضايا الراهنة، وعلى رأس هذه القضايا معضلة الهوية. فالمجتمع العربي الحديث ما زال في صراع مستمر على هذه الهوية، ومما عمق

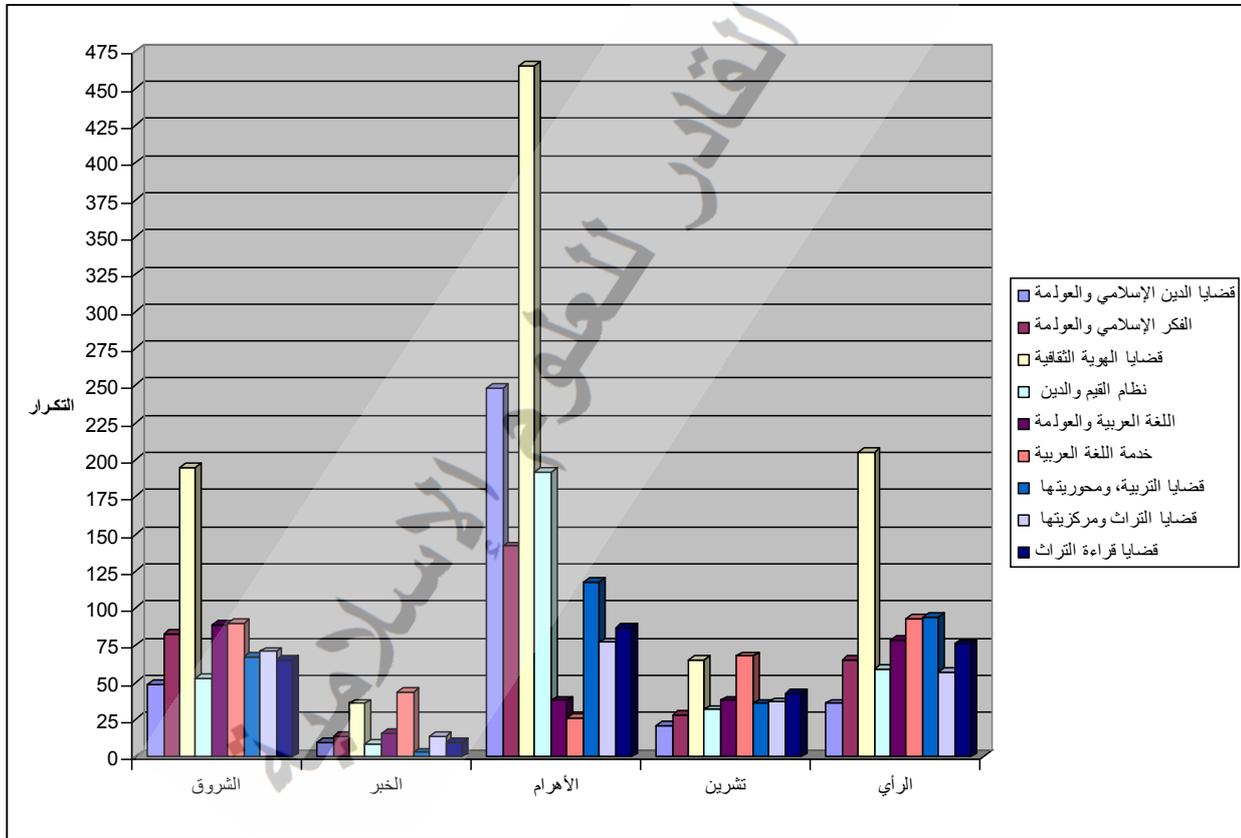
المشكلة نحوها تأثير أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما بعده، فهناك الكثير من الآثار العميقة التي خلفتها هذه الأحداث منها ما ظهر جليا ومنها ما يزال في فترة المحاض.²

ثانياً: توزيع محاور موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة

اعتمدت الدراسة على تقسيم أهم الموضوعات الرئيسية لعدد من المحاور وذلك حسب ما يتطلب موضوع الدراسة الذي صنف الأنواع الكبرى لموضوعات منظومة الثقافة، ثم وزع كل من هذه الموضوعات إلى محاور رئيسية تمكنا من الولوج إلى تحليل أجزاء الموضوعات بما يحقق الهدف من هذه الدراسة. وبالنظر إلى بيانات الشكل رقم (02) يتضح لنا أهم المحاور التي اشتملت عليها الدراسة، ويوضح أكثر تكرارات محاور موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.

شكل رقم (02)

يوضح محاور موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.



يمكن أن نستخلص من الشكل رقم (02) والذي شمل التكرارات للعينة المختارة وجود الاختلاف والتباين بين صحف الدراسة فيما بينها حول درجة الاهتمام عند كل محور من محاور الثقافة الإسلامية بقضاياها، وقد أسفرت نتائج الدراسة حسب كل محور وفي كل صحيفة عن التحليل الإحصائي التالي:

². جريدة الرأي العام، العدد (12633) في 2002/1/21، ص 17.

1 . محور الدين والعولمة: أظهرت النتائج أن هناك تفاوتاً واضحاً في حجم المادة التحريرية تبعاً لنوع التغطية بالصحف وفقاً للتصنيف الذي أعدته الدراسة، وتفسير ذلك يظهره الجدول رقم (07) كما يلي:

جدول رقم (07)

مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور الدين والعولمة

الدين		الموضوع		المحور والصحيفة
%	ك			
35,6	248	الأهرام	الدين الإسلامي والعولمة	
7,0	49	الشروق		
5,2	36	الرأي		
3,0	21	تشرين		
1,4	10	الخبر		
20,4	142	الأهرام	الفكر الإسلامي والعولمة	
11,9	83	الشروق		
9,3	65	الرأي		
4,0	28	تشرين		
2,0	14	الخبر		
100,0	696	مجموع		

. صحيفة الأهرام: يشير الجدول إلى الاهتمام البالغ بهذا المحور في جريدة الأهرام المصرية، سواء في مستوى قضايا الدين الإسلامي أو في جانب الفكر الإسلامي والعولمة. حيث حازت صحيفة الأهرام لوحدها على نسبة 56 % أي ما يفوق اهتمامات باقي الجرائد العربية عينة الدراسة مجتمعاً (الشروق اليومي والخبر وتشرين والرأي العام). ولعل سبب اهتمام الأهرام دون سائر الصحف العربية الأخرى بهذا المحور يعود إلى سببين أساسيين:

الأول: لأن الأهرام ظلت دوماً جريدة العرب الأولى التي يقصدها الكتاب و المفكرون منذ عام 1876م والتي تعد من أقدم الجرائد العربية وأشهرها، وهي أول جريدة عربية تستمر بالصدور منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، ثم تحولت اليوم ضمن الصحف العالمية الواسعة الانتشار. فكان لزاماً على القائمين على الثقافة في الصحيفة أن يقدموا بالبحث والنشر أكثر محاور الثقافة الإسلامية تداولاً بين المثقفين وهو محور الفكر الديني الحديث بين الفلسفة القديمة ومتغير العولمة الثقافية في العصر الراهن. وأن تكون هذه المقالات التحليلية والنقدية للمفكرين والخبراء والمختصين.

السبب الثاني: إنما أكثر القائم بالاتصال في هذه الصحيفة من المواد التحريرية، واتسع البحث والنشر في الجريدة حول محور الدين الإسلامي وفكره وفلسفته، لأن علاقة الدين الإسلامي بالثقافة أكثر تعقيداً وتشعباً، سواء

من منظور الفكر الديني أو العلماني أو القومي. فالإسلام في الفكر الإسلامي دين ودينا، وبناء على ذلك فهو يحتوي الثقافة بأسرها في عبادته. والإسلام كما يقول "حسن حنفي" ليس فقط نظاما أخلاقيا، بل أيديولوجيا أيضا ونظاما اقتصاديا واجتماعيا... غير أن الفكر العلماني لدينا ما زال يسود موقفه تجاه الدين التشويش والاضطراب، وما زال متشبها بأفكاره التي لا يمل اجترارها بخصوص علاقة الدين بالمجتمع دون اعتداد بالقضايا المستجدة... وما من أحد يستطيع تجاهل الدور المتعاظم الذي يلعبه الدين في معظم المجتمعات العربية أو إغفال دوره في التصدي لثقافة العولمة الكاسحة.

. صحيفتنا الخبر والشوق اليومي: من خلال الأرقام السابقة يتضح لنا أن المادة التحريرية بصحيفة الخبر كانت أقل حجما مقارنة بمثيلاتها في صحف العينة، وهي أقل الصحافة العربية التفاتا لقضايا الدين في صفحاتها الثقافية، حيث لم تتعد نسبة اهتمام الصحيفة بقضايا الدين الإسلامي بقسميه 3,4 % فقط مقارنة بغيرها من الجرائد العربية الأخرى. وربما سبب ورود هذه النسبة المتدنية في صحيفة الخبر لا يخرج عن خط الجريدة وسياستها التحريرية تجاه محور الدين ورؤيتها لفلسفته المعاصرة. كما أن خط الجريدة التحريري القائم على تغليب القلب الخبري في الصحيفة أثر على قسمها الثقافي، فلم يعد الاهتمام بقضايا الثقافة العربية أو الإسلامية أو حتى عامل الدين له أولوية في سياسة الجريدة.

وإذا أجرينا مقارنة سريعة بين جريدتي الخبر والشوق اليومي نلاحظ أن جريدة الشوق قد تعدت نسبتها 18 % اهتماما بقضايا الدين الإسلامي، أي بفارق 15,5 % عن صحيفة الخبر، وهو فارق كبير جدا يدل على عناية واهتمام جريدة الشوق بهذا المحور. ولعل سبب هذا التوجه من صحيفة الشوق نحو عنصر الدين أنها ذات اتجاه عُروبي قومي تهتم بأكثر قضايا الثقافة فاعلية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وهو عامل الدين. وفي هذا الاتجاه نشرت جريدة الشوق اليومي مقالا تعقيبا على سياسة رئيس الجمهورية نحو مسار الثقافة في الجزائر، ففي « المجتمع الجزائري تتمثل الثقافة مسألة إشكالية بامتياز نظرا لاتصاله بالمعضلة اللغوية وبأزمة الهوية، وبالتالي لا يمكن طرحها على صعيد الإنتاج الثقافي بالمعنى الكلاسيكي. الثقافة منظور إليها من هذه الزاوية لا يمكن وضعها إذن من حيث سلم الأولويات في المرتبة السادسة عشر،³ لأنها وثيقة الارتباط بالأزمة الوطنية، ومن ثمة يتعذر معالجة هذه الأخيرة دون الأخذ بعين الاعتبار الجذور الثقافية للأزمة»⁴.

ثم تذهب الصحيفة في تحليلها للمسألة الثقافية في الجزائر أن «التحارب التاريخية تؤكد أن الأطروحات الثقافية، لاسيما اللغوية منها هي أولى المؤشرات للتغييرات السياسية الكبرى المستقبلية. ويبدو من خلال تعامل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة مع اللغة العربية بوصفها لغة وطنية ورسمية في البلاد ومع الإسلام بوصفه دين الدولة، أنه يراهن

³ . لقول رئيس الجمهورية في جولة له إلى مدينة وهران: «الثقافة تأتي ربما في المرتبة السادسة عشرة من حيث الأولويات بالنسبة لي».

⁴ . جريدة الشوق، العدد (312) في 11/12 / 2001 . ص5.

على الدين كرابط وحيد بين الجزائريين أكثر منه على اللغة التي تتميز ممارستها لها على أرض الواقع بالازدواجية، سواء في الداخل أي في تواصله مع الجزائريين أنفسهم، أو في الخارج أي إعطاء الأولويات للثابت الديني على حساب الثابت اللغوي، إن كان هذا الرابط الأخير لا يزال يتمتع بهذه الصفة في منظور الرئيس أو على الأقل في ممارسته اللغوية⁵.

. صحيفتا تشرين السورية والرأي العام الكويتية: وإذا كانت الصحف العربية الأخرى وهي جريدة تشرين والرأي العام لم تبلغ نسبتها مع جريدة الأهرام، حيث وصلت الأولى إلى نسبة 7,0% والثانية 14,5% وهما معا بلغتا نسبة 21,5% وهي أقل بكثير من جريدة الأهرام، غير أنها الثلاثة أي الأهرام وتشرين والرأي العام حققت نسبة بلغت 77,5% من جملة اهتمامات الصحف العربية بعنصر الدين في الثقافة العربية الإسلامية، وهي نسبة عالية جدا تدل على أن الصحف العربية تولي هذا المحور الثقافي المقدس عند عامة المتلقين عناية خاصة جدا واهتماما كبيرا من طرف القارئ بالاتصال. فالدين معطى كوني ووجودي أصيل في التجربة الإنسانية بأبعادها الحضارية والثقافية والأخلاقية والعلمية والعمرائية. فهو يشكل أصلا جوهريا في البناء الإنساني وفي العمق الوجودي لهذا الإنسان. لذلك تعكس هذه النسبة المثوية سياسة الصحف العربية التحريرية وخاصة صحيفة الأهرام في تجسيد هذا المحور الأساس في الثقافة الإسلامية.

وإذا وزعنا النتائج السابقة على خارطة الجغرافيا العربية، فإننا ننتهي من خلال الجدول التالي رقم (08) إلى ترتيب صحف الدراسة الأكثر عناية بهذا المحور الأساس في الثقافة الإسلامية، ومن ثم مدى ما تثيره هذه النسب من جدل ومناقشة داخل الساحة الثقافية في البلدان العربية.

جدول رقم (08)

ترتيب صحف الدراسة الأكثر عناية بمحور الدين في الثقافة الإسلامية.

بلد الصحيفة	المرتبة	النسب	النتائج
مصر العربية	1	56,0	الصحيفة الأهرام
الجزائر	2	18,9	الشروق
الكويت	3	14,5	الرأي العام
سورية	4	7,0	تشرين
الجزائر	5	3,4	الخبر
—	-	100	المجموع

ويتضح لنا من الجدول أعلاه أن صحيفة الأهرام المصرية احتلت المرتبة الأولى بحجم 56,0%، بينما جاءت صحيفة الشروق في المرتبة الثانية بحجم 18,9%، وتليها صحيفة الرأي العام في المرتبة الثالثة بحجم 14,5%، بينما احتلت صحيفة تشرين حجم 7,0%، وفي المرتبة الأخيرة صحيفة الخبر بحجم 3,4%. ولعل سياسات الصحف العربية لها دور في ظهور هذه النتيجة على سطح التحليل الإعلامي.

2. محور الهوية الثقافية: الهوية الثقافية في تعريفها الأكاديمي هي ما يمنح الناس مشاعر الانتماء والأمن والاندماج بالجماعة، حيث تزودهم بالمعايير المشتركة التي تمكنهم من التواصل والتفاعل وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة، وبإمكانية التوقع بسلوك الآخرين مما يساهم ببناء شعور الثقة بين الناس. ومكونا الهوية تشير إلى ما يمكن تسميته بالرأسمال الاجتماعي، حيث تساهم الهوية إلى درجة كبيرة في التمييز بين الجماعات.⁶ ومن هذا الفهم فإن المحافظة على الهوية الجماعية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمطلب الاستقلالية الثقافية، فالثقافة والهوية مفهومان يجعلان إلى الواقع نفسه.

أما إذا أمعنا النظر في توزيع هذه العناية الإعلامية على الصحف الخمسة محل الدراسة، وبناء على أن المتوسط الحسابي لدرجة الاهتمام في الصحف الخمسة هو 20,0%، فإننا ننتهي إلى النتائج التي يبينها الجدول رقم (09):

جدول رقم (09)

يبين مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور الهوية

الهوية		الموضوع	
%	ك	المحور والصحيفة	
48,1	465	الأهرام	الهوية الثقافية
21,2	205	الرأي	
20,2	195	الشروق	
6,7	65	تشرين	
3,7	36	الخبر	
100	966	مجموع	

⁶ . سمير ابراهيم حسن، الثقافة والمجتمع. ط: 1. دمشق: دار الفكر، 2007. ص 432.

نستنتج من خلال الجدول رقم (09) الملاحظات الإحصائية التالية:

أ . ما يمكن تسجيله إيجاباً للأهرام المصرية أنها حصلت على درجة عالية جداً من حجم الاهتمام بعنصر الهوية، حيث بلغت نسبتها 48,1 % وهي تكاد تفوق الجرائد الأخرى بدرجتين ونصف من درجات الاهتمام باعتبار المتوسط الحسابي، وهذه دلالة واضحة على أن الصحيفة تركز في المقام الأول على هذا المحور، وأن سياستها تهتم بإبراز عنصر الهوية على صفحات الجريدة.

ب . تدلنا الأرقام على أن نصيب تغطية صحيفتي الشروق اليومي الوطنية والرأي العام الكويتية لقضايا الهوية وموضوعاتها مقبولة جداً إذا قيست بالمتوسط الحسابي لدرجات الاهتمام، حيث بلغت في الأولى 20,2 % وفي الثانية 21,2 %، أي بزيادة درجة واحدة على جريدة الشروق الجزائرية. وهذا الاهتمام الحسن من جريدتي الشروق والرأي العام يعكس حسن سياسة الصحيفتين التحريرية تجاه الثقافة الإسلامية فيما يخص الهوية.

وفي هذا السياق الدال على الاهتمام بقضايا الهوية نشرت صحيفة الرأي العام مواداً إعلامية عن أثر العولمة على الهوية العربية الإسلامية، منها ما ورد: « إن المواردية في مناقشة قضايا الثقافة بشكل علمي صحيح ستؤدي إلى زيادة الحركات المطالبة بالحقوق الثقافية للأقليات، ما يعني زيادة في نسبة الأحزاب المذهبية والعرقية، وهذا كله يؤدي في نهاية المطاف إلى انخيار الثقافة العربية وتحويلها إلى فسيفساء من ثقافات مشوهة، وهي لا تستطيع تطوير المجتمعات نتيجة لانغلاقها ثقافياً على ذاتها. وما نشاهده الآن ليس أكثر من شهادة على أن العرب يسرون على عكس اتجاه حركة الزمن عالمياً، ففي حين تنتشر عدوى الوحدة في غالبية مجتمعات العالم ينزلق العرب في الانقسام وهم يسرون في الطريق نفسها التي تسير فيها أوروبا الشرقية. والسؤال هل كانت المنظومة العربية رديفة للمنظومة الشمولية في أوروبا الشرقية، وعندما انهارت الأخيرة فقدت المنظومة العربية صوابها وبدأت تظهر أمراضها الثقافية التي حاولت مداراتها بعيداً عن الأعين، أم أن عصر الدولة القومية قد انتهى وبدأ عصر الأقليات الثقافية العربية ».⁷

ج . لقد بينت الدراسة أن صحيفة تشرين السورية تعد من أضعف الصحف العربية اهتماماً بموضوعات الهوية على صفحات جريدتها، حيث بلغت 6,7 % فقط، أي بأقل من 13,3 % من مستوى المتوسط الحسابي المقدر بـ 20,0 %.

د . أما جريدة الخبر الجزائرية فهي الأضعف على الإطلاق من جهة الاهتمام بنشر المادة الإعلامية حول الهوية العربية الإسلامية، ولم تتعد نسبتها 3,7 % من درجات الاهتمام. وهذا الانخفاض الشديد في نسبة الاهتمام ليس لأنها قد غلبت الاهتمام بالقضايا الثقافية الأخرى، وإنما هي ظاهرة عامة في خط الجريدة حول الثقافة العربية والإسلامية عموماً. حيث نقلنا عن جدول سابق أن اهتمامها بموضوعات الثقافة جاء في المرتبة الأخيرة إذ لم يتجاوز معدل 3,4 % . وهذه النسبة الضئيلة جداً لها دلالات مستقبلية عدة؛ أهمها أن الموقف يدعو إلى أهمية تقييم

⁷ . جريدة الرأي العام ، العدد (12379) في 13/ 5/ 2001. ص23.

الصفحة الثقافية من قبل رئيس التحرير إن كانت الجريدة لا تزال على صورتها التي ظهرت في هذه الدراسة، إذ أن ما تم تسجيله هنا لا يوجد له نظير في البلاد العربية الأخرى من حيث توجه هذه الصفحة.

3. محور نظام القيم والدين:

تناولت الفلسفة موضوع القيم فيما عرف بفلسفة القيم وأدرج بعض الفلاسفة القيمة في إطار علم الوجود، كما أدرجوا الحق في إطار علم المنطق والخير في علم الأخلاق والجمال في علم الجمال ... فاعتبروا الوجود قيمياً. ونجد في هذا الفرع من المعرفة - أي الفلسفة - من يرى أن القيمة تظهر في " الأفعال و الأشخاص والموجودات "، و من يرى أن القيمة ليست من الموضوعات العقلية التي تتطلب البرهنة عليها لإثباتها، فهي تتجاوز العقل ولا يستطيع العقل أن يحيط بها وإن كان هو الذي يجعلنا نقاد إليها ونخضع له بأنواره. ولعل أقرب نزعة فلسفية إلى مقارنتنا للقيمة تلك التي تجعل كل شيء في الوجود داعياً إلى الحياة السامية غير موجه إلى سفلياتها، أو تلك التي ترى أن القيمة لا تتجلى إلا عندما تصفو فيها نفوسنا ويتعالى وجودنا إلى القيمة.⁸

ورغم هذه الأهمية للقيم في الفكر الفلسفي والإعلامي الحديث، فإننا نجد صحف العينة لم تتعرض لها بالمواد التحليلية إلا بنسبة 10,0 % فقط. وهي نسبة تعد ضعيفة وأقل من المعدل المتوسط بكثير والمقدر بـ 16,7%. والجدول رقم (10) يبين تفصيل معالجة صحف الدراسة لهذا المحور.

جدول رقم (10)

يبين مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور القيم

القيم		الموضوع	
%	ك	المحور والصحيفة	
55,7	192	الأهرام	نظام القيم والدين
17,1	59	الرأي	
15,4	53	الشروق	
9,3	32	تشرين	
2,6	9	الخير	
100	345	مجموع	

⁸ . عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز. مرجع سابق. ص 127. 128.

من خلال الجدول رقم (10) الذي يعرض نسب توزيع محور القيم في صحف العينة، تبقى جريدة الأهرام الأعلى نسبة في هذا العنصر أيضا حيث بلغت 55,7%، بينما لم تبلغ سائر الصحف العربية الأخرى نصابها المتوسطي والمحدد بـ 20%. فقد حصلت صحيفة الرأي العام الكويتية على 17,1% ، وتليها جريدة الشروق اليومي بـ 15,4%، وبعدها جريدة تشرين السورية بـ 9,3%، وأخيرا وبفارق كبير ودون عامة الجرائد الأخرى تأتي جريدة الخبر بـ 2,6%. وتعني هذه النسبة في جريدة الخبر أن هذه الصحيفة لم تتعرض لموضوعات القيم طول مدة الدراسة إلا النزر القليل، رغم أن عامل القيم يعد من أساسيات الفكر العالمي الإعلامي المعاصر.

4. محور اللغة العربية والعولمة:

تعد اللغة من أهم عناصر الثقافة إطلافاً، فهي ليست مجرد وعاء الفكر أو أداة التواصل، بل هي التي تشكل رؤيتنا وسلوكنا وعليها يتوقف أداؤنا الاجتماعي الشامل، لذا لا يجوز أن نفصل بين أزمات واقعنا وأزمة لغتنا. وأزمتنا اللغوية تعوق فهمنا لتراثنا، ونماء أدواتنا الفكرية، وقدرتنا على اللحاق بركب العلم المنطلق. وهي بلا شك تقلل من فاعلية حوارنا مع أنفسنا ومع الآخرين. وبالنسبة إلى استخدام صحف الدراسة لمحور اللغة العربية والعولمة فإن يوضح نسبة كل صحيفة حول محور اللغة وذلك كما يلي:

جدول رقم (11)

يبين مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور اللغة

اللغة		الموضوع	
%	ك	المحور والصحيفة	
15,3	89	الشروق	اللغة العربية والعولمة
13,6	79	الرأي	
6,5	38	الأهرام	
6,5	38	تشرين	
2,8	16	الخبر	
16,0	93	الرأي	
15,5	90	الشروق	
11,7	68	تشرين	
7,6	44	الخبر	
4,5	26	الأهرام	
100	581	مجموع	

رغم الأهمية الكبرى التي تكتسبها اللغة كإحدى مقومات الثقافة المعاصرة الأكثر حساسية، فإننا نجد صحيفة الأهرام والتي تصدرت الجرائد الأخرى في كل قضايا الثقافة وعناصرها، نجدها قد ابتعدت كثيرا عن متوسط سلم درجة الاهتمام، إذ لم تتعد سواء في فئة موضوعات اللغة العربية والعمولة أو فئة موضوعات خدمة اللغة العربية معا 11,0 % فقط. وهذه المرة الأولى التي تتقدمها جريدة الخبر الجزائرية التي بلغت نسبة عنايتها بهذا العنصر 38,5 % وهي نسبة عالية جدا. أما مبررات ورود هذه العلامات في الجريدتين فنحملها في النقاط التالية:

. تحسب جريدة الشروق اليومي ومنذ نشأتها على التيار القومي العروبي، إذ كثيرا ما دافعت عن وضعية اللغة العربية في الجزائر وخصوصا حول موضوع إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر، وذلك من خلال نشرها المتواصل لموضوعات تدافع فيها العربية ولاسيما نقد السياسات الإصلاحية التي تتقدم بها في كل مرة الوزارة الوصية، مما حول صحيفة الشروق اليومي بموادها التحريرية الكثيرة المدافع الأول عن اللغة العربية في الجزائر. ثم ما فتئت أن تحولت الشروق من الجرائد الأولى الناطقة بالعربية، وهي تغطي اليوم ما يزيد على 549000 نسخة يوميا. الأمر الذي جعل الصحيفة باتجاهها نحو الدفاع عن اللغة العربية في مواجهة حقيقية مع تيار الفرونكفونية الواسع الانتشار في الجزائر.

. أما تقهقر نسبة صحيفة الأهرام حول محور اللغة إلى حد العشر، فقد يعود ذلك إلى أن جريدة الأهرام ولأجل صيتها العربي الواسع لم تفتح المجال أمام الكتاب العرب في إظهار آثار العمولة على اللغة بسبب كثرة الكتابات حول ما يظنه القائم بالاتصال عناصر الثقافة الأخرى الأكثر إلحاحا، كقضايا الهوية والدين وغير ذلك. إذ رأى تأخير ذلك مناسب مع وضع الثقافة الراهن. كما قد يعود الأمر وهو الغالب في ظننا أن سياسة الصحيفة لم تتنبأ إلى خطورة اللغة كعنصر ثقافي وتأثيره على الثقافة ذاتها، فأساس الداء في أزمتنا الثقافية وتخلف تعليمنا وصعوبة تحقق رغباتنا يكمن في أزمتنا اللغوية التي لم تترك جانبا من الثقافة إلا وتناولته، وشواهدا كثيرة وعميقة.

وتأتي صحيفة الرأي العام الكويتية في المرتبة الثانية من ناحية اهتمامها بموضوعات اللغة في منظومة الثقافة الإسلامية، إذ وردت نسبتها قريبة جدا من صحيفة الشروق اليومي، حيث بلغت بشقيها ؛ اللغة العربية والعمولة، وخدمة اللغة العربية حد 29,6 %، وهذا المعدل المرتفع في درجة الاهتمام بحسب سياسة الجريدة والقائم بالاتصال فيها، إذ أدرك طبيعة الصراع الحضاري والثقافي في عصر العمولة. حيث تشهد حضارة اليوم حركة نشطة للعودة الكثير من جوانبها السياسية والمعرفية والاقتصادية والأخلاقية. وجاءت تكنولوجيا المعلومات والهندسة الوراثية لتضع اللغة على قمة الهرم المعرفي. وهكذا أصبحت اللغة رابطة العقد للخريطة المعرفية والركيزة الأساسية لفلسفة العلم.⁹ وعلى هذه الصورة ذهبت صحيفة الرأي العام تنشر مواد موضوعات اللغة للرأي العام.

أما جريدة تشرين السورية فقد كان اهتمامها بهذا المحور مقبولا، إذ وصلت نسبة درجة عنايتها بموضوعات اللغة في صفحتها الثقافية 18,2 %، وهو توجه مرض في ظل الظروف التي تمر بها الحالة الثقافية العربية الراكدة. ولعل طريقة طرح الجريدة لقضية اللغة العربية في عصر العمولة هو الأمتع والأعمق من سائر طروحات الصحف العربية

⁹. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 228.

الأخرى. وقد انطلقت الصحيفة في سياستها تجاه هذا الموضوع أن ثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها. واللغة - بلا منازع - أبرز السمات الثقافية. وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبها نخبة لغوية وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعاً لغوياً حتى قيل: إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية. وعلى مثل هذا الطرح كانت صحيفة تشرين تقدم موادها التحريرية التحليلية لمنظومة اللغة ضمن سياق الثقافة.

ولو نظرنا إلى نسبة صحيفة الخبر الوطنية فإنها تظل الأقل اهتماماً عن سائر الصحف محل الدراسة، فنسبة 10,4% التي ظهرت بها الجريدة من معالجتها لقضايا اللغة العربية لم تزد عن اهتمامها بمحور خدمة اللغة العربية، أي محور الشعر والنشاطات الأدبية. أما الكتابات الجادة حول موضوع اللغة العربية والعملة فإننا لا نجد من دراسة ذات بال، ولا يعود الأمر إلى فقر الأقلام المحررة لهذا المحور اللغوي بقدر ما يرتبط بسياسة الجريدة التي تعمدت مثل هذه الموضوعات، ولم تجهد نفسها في البحث عن البدائل التحريرية حول منظومة اللغة ومركزيتها في الثقافة المعاصرة. أما إذا عدنا إلى حقيقة تلك النسبة التي ظهرت بها صحيفة الخبر وهي 10,4% فيما يخص هذا العنصر، فإنها في حقيقتها لا تعبر عن ذلك مطلقاً.

وفيما يلي الجدول رقم (12) الذي يبين ترتيب صحف الدراسة فيما بينها واهتمامها بهذا المحور.

جدول رقم (12)

ترتيب صحف الدراسة ومدى اهتمامها بمحور اللغة العربية

اللغة		الموضوع	
النسبة	ك	المحور والصحف	
30,8	179	الشروق	اللغة العربية
29,6	172	الرأي العام	
18,2	106	تشرين	
11,0	64	الأهرام	
10,4	60	الخبر	
100	581	المجموع	المجموع

و خلاصة هذا المحور أن المواد التحريرية التي ظهرت في صحف العينة ومن ورائها القائم بالاتصال فيها قد تنبعت إلى محورية هذا العنصر في صلب الثقافة العربية والإسلامية. وانتهت صحف الدراسة في مجملها في موادها التحريرية أن اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحاضر جماعتها وتاريخها. فتاريخ اللغة يكاد أن يكون هو تاريخ شعوبها، ونحن نتاج لغتنا، فكما يقول الفيلسوف الألماني **ولهايم همبولدت Wilhelm Humboldt** صاحب نظرية الحتمية

اللغوية " إن الناس هم تبع في تفكيرهم ومشاعرهم ونظرتهم للكون للعادات التي اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة " لذا فاللغة تسمو بأهلها مع سموهم وتنحط الشعوب مع لغاتها وبلغاتها.¹⁰

5. موضوعات قضايا التربية ومحوريتها:

جدول رقم (13)

يبين مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور التربية.

التربية		الموضوع	
%	ك	المحور والصحف	
37,1	118	الأهرام	التربية، ومحوريتها
29,6	94	الرأي	
21,1	67	الشرق	
11,3	36	تشرين	
0,9	3	الخبر	
100	318	مجموع	

يظهر الجدول رقم (13) السابق أن نسبة اهتمام الصحف العربية بقضية التربية جاء في أدنى اهتماماتها، فلم يزد على 9,2 % مما يدل على تلك الرؤى القاصرة عند القائم بالاتصال حول عنصر التربية بمفهومه الشامل الواسع. فالتربية ثورة، وثورة التربية كما قيل هي شرط لكل ثورة. ويشهد تاريخنا العربي والإسلامي الحديث كيف كانت التربية ركيزة أساسية من ركائز ثوراته،... كيف سعت كذلك مخططات الاستعمار في ذلك على تقويض النزعات الوطنية والقومية مستخدمة سلاح التربية؛ ويكفي شاهدا على ذلك ما فعله الاستعمار البريطاني في مصر والاستعمار الفرنسي في الجزائر، والاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، وما قامت به بعثات التبشير في مدارس الشام وجنوب السودان.¹¹

¹⁰ . نبيل علي، العرب وعصر المعلومات. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1994. ص 347.

¹¹ . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 290 - 291.

ورغم كل تلك الأهمية فلم تعط الصحف العربية عينة الدراسة هذا العنصر الثقافي حقه من النشر والتحرير. بل اختلفت نسبتها كثيرا فيما بينها حول مدى اهتمام صحفنا بهذا المحور. التالي والجدول رقم (14) يوضح مدى عناية الصحف العربية عينة الدراسة بمحور التربية فيما بينها.

جدول رقم (14)

ترتيب صحف الدراسة فيما بينها ومدى اهتمامها بقضية التربية

المرتبة	النسبة	الصحف
1	37,1	الأهرام
2	29,6	الرأي العام
3	21,1	الشروق
4	11,3	تشرين
5	0,9	الخبر
-	100	المجموع

يدل هذا الجدول على التباين الشديد بين صحف الدراسة حول موضوع التربية، فإذا قدمنا إلى توزيع النسبة المئوية التي حصل عليها محور التربية من بين موضوعات الثقافة الإسلامية الأخرى وهي 9,2%. فإننا نجد جريدة الأهرام قد حصلت على نسبة 37,1% وهي تمثل أعلى نسبة من بين عينة الدراسة، حيث فاقت غيرها بمعدل 17,1% عن المتوسط الحسابي. وحصلت الرأي العام على 29,6% وهو معدل جيد أيضا حيث فاق المتوسط الحسابي بـ 9,6%. بينما حصلت الشروق اليومي الوطنية على 21,1% وهي نفسها تقريبا النسبة المتوسطة مما يدل على أن الصحيفة لم تقصر في عنايتها بهذا المحور مقارنة بمثيلاتها. أما صحيفة تشرين فقد كان لها معدل 11,3% وهو أقل بكثير من المعدل المتوسطي.

وإذا كانت بعض الصحف قد تجاوزت أو اقتربت نسبة اهتمامها من معدل المتوسط الحسابي 20,0% فإن جريدة الخبر الوطنية تكاد تنعدم فيها موضوعات التربية على مدار فترة الدراسة. فنسبة 0,9% تعد في حقيقة الأمر الانعدام التام بهذا المحور الحيوي في الصحيفة، وتزداد الصورة قتامة حول جريدة الخبر عندما نستذكر المعدل المتدني لاهتمام الصحف العربية بهذا العنصر مقارنة بموضوعات الثقافة الأخرى وهي نسبة 9,2%.

6 . محور التراث: تعد قضية التراث من القضايا الفلسفية المعاصرة التي كثر فيها الجدل والحديث على اعتبار أن التراث هو الجامع بين الأصالة والمعاصرة، ومن المنطقي أن يكون موقفنا من التراث انعكاسا لموقفنا من

الماضي، وعلاقة هذا الماضي بماظرنا ومدى تأثيره في توجهات مستقبلنا. وأما إعلامنا العربي فهو بصورة عامة يتخذ من تراثنا موقف العارض والزائر، تطوف كاميراته بصحون الجوامع و زدهات المعابد وشواهد المواقع الأثرية. وتنقل ميكروفوناته الغناء الشعبي وشعرنا الفولكلوري وهلم جرا. ولكن - غالبا - ما يتم ذلك دون تعميق وعرض لمآثر هذا التراث في سياق ثقافي الشامل الذي يعين المتلقي على تذوقه واستيعابه.¹²

أما مقدار ظهور هذا المحور في صحف الدراسة فإن النسب قد ظهرت على الشكل الآتي في الجدول رقم (15).

جدول رقم (15).

يبين مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور التراث

التراث		الموضوع	المحور والصحيفة
%	ك		
14,3	77	الأهرام	التراث ومركزيته
13,2	71	الشروق	
10,6	57	الرأي	
6,9	37	تشرين	
2,6	14	الخبير	
16,2	87	الأهرام	قراءة التراث
14,2	76	الرأي	
12,1	65	الشروق	
8,0	43	تشرين	
1,9	10	الخبير	
100	537	مجموع	

وقد وردت قضية التراث في عينة الدراسة وفي الصحف الثلاث الأهرام والشروق والرأي العام بنسب متقدمة جدا، حيث عاجلت صحيفة الأهرام التراث في صفحاتها بنسبة 30,5%، بينما تعرضت صحيفة الشروق اليومي للتراث على صفحاتها اليومية بنسبة 25,3%، وذهبت صحيفة الرأي العام إلى نسبة 24,8%، وهذه النسب الثلاث تعبر عن مدى استيعاب القائم بالاتصال لأهمية موضوعات التراث في الصحافة العربية، ولاسيما أن نسبة معالجة قضية التراث بالنسبة لباقي موضوعات الثقافة الإسلامية هي 15,6% حسب ما ورد في الجدول

رقم (04)، وهذا يدل على أن المعالجة الصحفية لعنصر التراث في الكتابات العربية ترقى ولاسيما في صحف العينة الثلاث إلى رتبة الجيد والحسن عندما يكون معدل المتوسط الحسابي هو 20,0%.

¹² . نبيل علي، الثقافة العربية في عصر المعلومات. مرجع سابق. ص 385.

أما صحيفة تشرين السورية فقد كان اهتمامها بقضايا التراث أقل من المتوسط، حيث وردت نسبة 14,9% فقط، أي بفارق 5,1% عن المعدل، وفي هذا تقصير من القائم بالاتصال في هذه الصحيفة حول قضايا تراثنا وثقافتنا العربية الإسلامية. بينما لم تشارك جريدة الخبر بموادها التحريرية في خضم هذا الجدل الدائر حول التراث في صفحاتها إلا بقدر، حيث لم يرد عن مشاركتها إلا نسبة 4,5% وهذا معدل ضعيف جدا إذ يبعد عن متوسطه بـ 15,5%. وهذا يعني أن اهتمام الصحيفة لم يركز في المقام الأول على قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة. و يوضح ترتيب كل قضايا التراث في صحف الدراسة. والجدول التالي رقم (16) يوضح حجم الإهتمام الحقيقي لصحف الدراسة بهذا المحور.

جدول رقم (16)

ترتيب صحف الدراسة فيما بينها ومدى اهتمامها بقضية التراث

اللغة		المحور القضايا والصحيفة
النسبة	ك	
30,5	164	الأهرام
25,3	136	الشروق
24,8	133	الرأي
14,9	80	تشرين
4,5	24	الخبر
100	537	المجموع

ثالثا: توزيع قضايا موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة

لجأت الباحثة إلى تصنيف الفئات الفرعية للموضوعات إلى عدد من القضايا التي ترتبط بكل فئة من الفئات الفرعية للموضوعات والمحاور الرئيسية، وقد بلغ عدد تلك القضايا أربعة وخمسين قضية (54). ويمكننا التعرف على القضايا والأهمية النسبية التي حازت عليها كل قضية من خلال بيانات الجدول الرئيس رقم (03). بعدما قامت الباحثة بوضعها في جدول فرعي مستقل هو جدول رقم (17) وذلك تسهيلا لقراءة البيانات وعرضها ومن ثم تفسيرها .

جدول رقم (17)

القضايا التي تندرج تحت الموضوعات الفرعية للثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.

.....ارسم هنا.....

.....ارسم هنا.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

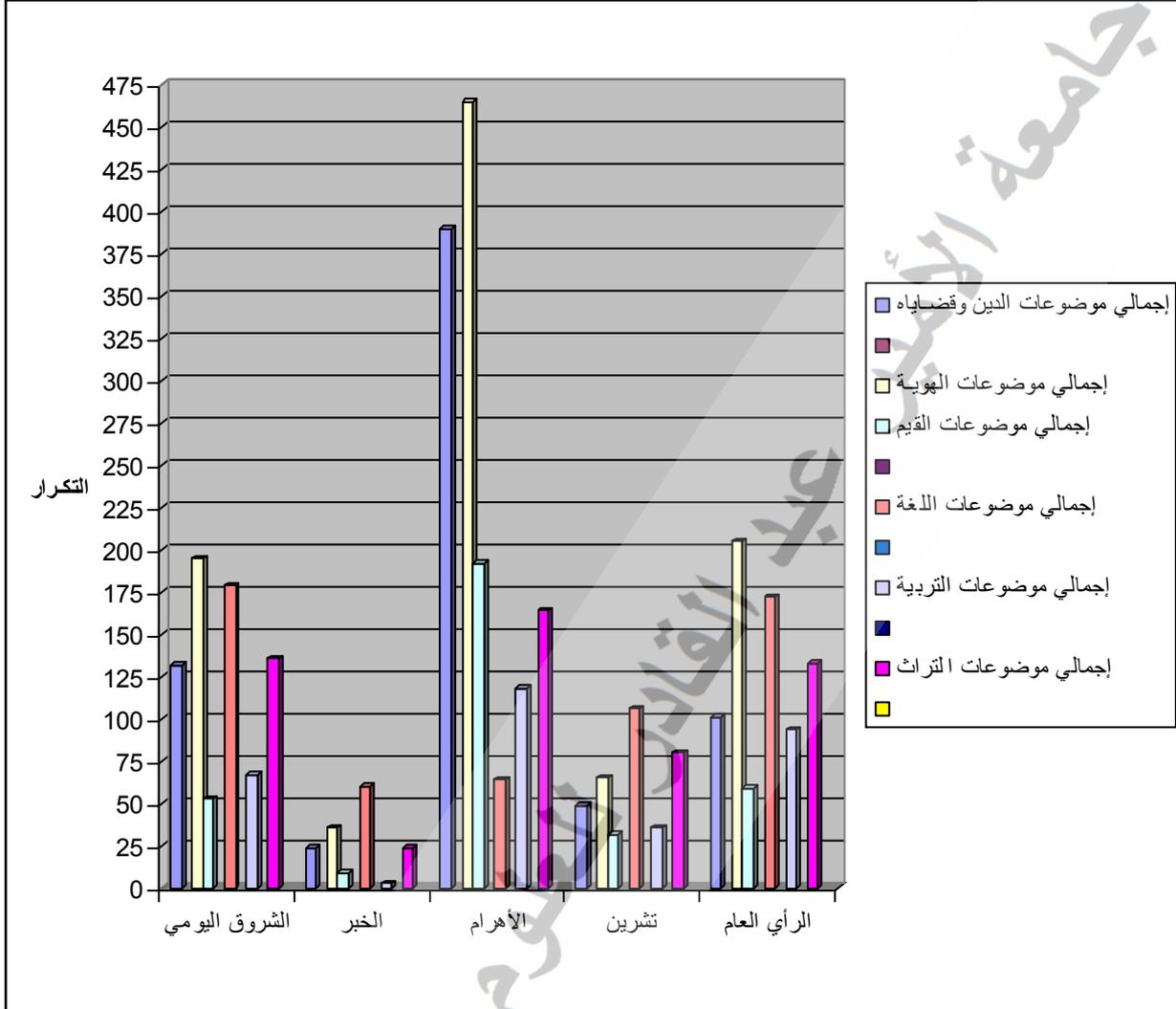
.....ارسم هنا.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والشكل التوضيحي التالي رقم (03) يوضح القضايا التي تندرج تحت الموضوعات الفرعية للثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.

شكل رقم (03)

يوضح القضايا التي تندرج تحت الموضوعات الفرعية للثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة.



بالنظر إلى الجدول رقم (17) حول قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة، وأيضا الشكل الثالث السابق نستنتج مجاميع تلك القضايا في كل صحيفة والتي تشير إلى دلالات وتوحي بقراءات قد تؤثر على مسيرة العمل الصحفي مستقبلا.

ويشير الجدول إلى أن تكرارات قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة قد وصلت إلى (3443) تكرارا موزعة على الصحف الخمس، وسوف نقوم بإعادة ترتيبها على حدة في جدول فرعي مستقل تسهيلا لقراءتها وذلك حسب ترتيب مجاميع صحف العينة في الجدول التالي رقم (18):

جدول رقم (18)

ترتيب صحف الدراسة حسب تكرارات قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العمولة

المرتبة	النسبة	التكرارات	النشائج الصحف
1	40,5	1393	الأهرام
2	22,2	764	الرأي العام
3	22,1	762	الشروق
4	10,7	368	تشرين
5	4,5	156	الخبر
-	100	3443	المجموع

تشير العينة المختارة من الصحف الخمسة كما هو مبين بالجدول رقم (18) إلى توزيع حجم المادة التحريرية تبعاً لتكرارات قضايا الثقافة الإسلامية ونسبها، إذ يشير الجدول إلى البون الواسع بين تكرارات صحيفة الأهرام وتناولها للموضوعات الفرعية للثقافة الإسلامية وبين سائر الجرائد الأخرى وخصوصاً جريدتي تشرين السورية والخبر الجزائرية، إذ بلغ عدد تكرارات الأهرام 1393 أي بنسبة 40,5 %، بينما بلغت تكرارات جريدة الخبر مثلاً وقد رتبت في آخر الترتيب ب 156 تكراراً، أي بنسبة 4,5 % . وهذا يدل على أن جريدة الأهرام قد اهتمت بموضوعات الثقافة الإسلامية أكثر من جريدة الخبر بجوالي تسعة أضعاف وهذا يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية:

. هل هناك اختلاف حول ماهية الثقافة عند القائم بالاتصال في الجريدتين إلى حد يلتف فيه القارئون على جريدة الأهرام حول تلك المفاهيم بهذا الكم من المعالجات الثقافية، بينما قد ترك القارئون على الخبر تداول معالجة قضايا الثقافة إلى درجة الهزال؟.

. هل خط جريدة الخبر التحريري نحو مفهوم الثقافة والثقافة الإسلامية شاحب إلى درجة أنه يثبت صفحة الثقافة في صحيفته ثم لا يذكر عن الثقافة بمفهومها المعرفي الصحيح إلا النزر القليل؟

لا يمكننا طبعاً الإجابة عن هذين السؤالين لأنها بحوزة القائم بالاتصال أساساً في صحيفة الخبر، وما دور هذه الدراسة هنا إلا وصف الحالة الإعلامية وتحليل نتائجها.

أما إذا رجعنا إلى صحيفة تشرين السورية فإن تكراراتها الـ 368 تكاد تبلغ نصف المتوسط الحسابي لمجمل التكرارات وهو الـ 688. لكننا لا نستطيع طرح التساؤلات نفسها التي كانت مع جريدة الخبر على صحيفة تشرين السورية، وذلك لاعتبارات كثيرة لعل أبرزها أن صحيفة تشرين السورية حكومية وهي لسان حال

السياسة القائمة في سورية إلى تنادي بالعروبة والقومية. فليس من المقبول أن يختل لديها مفهوم الثقافة في عصر العولمة وأن يكون خط سياسة الجريدة مناوئاً للثقافة عموماً؟.

أما صحيفتي الشروق والرأي العام الكويتية فقد ناسب كثيرا عدد تكراراتهما ما ورد في جدول الترتيب رقم (18) حيث بلغ عدد تكراراتهما 764 و 762 على الترتيب وهذا يفوق معدل المتوسط الحسابي الـ 688 تكرارا. فالصحيفتان في سياسة تحريهما قد واكبنا التطور الحاصل لمسيرة الثقافة والثقافة الإسلامية في عصر العولمة.

وعلى مستوى القضايا الفرعية لموضوعات الثقافة الإسلامية فقد أسفرت عمليات التحليل الإحصائي للجدول رقم (17) حسب قضايا كل محور على النتائج التالية:

1 . قضايا محور الدين الإسلامي والعولمة:

الدين له امتداد ثقافي وتأثير حضاري كبير، فهو بهذا المعنى ليس مجرد قيم أو طقوس أو تأملات نظرية، ولكنه يتجسد فعليا في إطار ثقافة معينة. فالدين يتطلع إلى أداء دور حيوي فاعل في الحياة البشرية يمكن أن نسميه الفاعلية الحضارية للدين، وهذه الفاعلية لا تحقق في كامل تشكيلها ووظيفتها إلا في إطار ثقافي شامل يعيش فيه الإنسان.

إن البحث عن الهويات الشخصية في دنيا العولمة اليوم، قد طرح الدين بوصفه الحل الأفضل، فالانتماءات الدينية تحافظ لشعوبها على الخصوصية وتنقذها من الذوبان والانصهار في ثقافة العولمة. كما أن انتكاس السياسة والحركات الحزبية في العالم وسيطرت التجمعات المهنية والاقتصادية، أي تبديل الأيديولوجية بالاقتصاد من حيث الأهمية، كل ذلك جعل الشعوب تتمسك بالأفكار الدينية على أنها الوحيدة التي ترعى القيم الإنسانية.¹³

وعليه فإن محور الدين في هذه الدراسة وفي استمارة التحليل وبهذا المفهوم قد شمل على إحدى عشرة فئة تشكل تصورا دقيقا لقضايا هذا المحور الأساس في منظومة الثقافة الإسلامية. ومن خلالها تستطيع الباحثة قياس درجات الاهتمام بالنسبة للقوائم بالاتصال والسياسات العامة للصحف العربية تجاه الثقافة الإسلامية. وتنقسم هذه الفئة إلى اتجاهين أساسيين:

- . اتجاه قضايا الدين الإسلامي والعولمة.
- . اتجاه قضايا الفكر الإسلامي والعولمة.

أ . اتجاه قضايا الدين الإسلامي والعولمة:

¹³ . المتربوليت بولس يازجي ، دور الأديان في مستقبل الحضارات . أي دين و أي دور .. دمشق: دار البنايع . 2009 . ص 146 .

فإذا تعننا فيما أسفرت عنه نتائج الجدول السابق، فإن فئة " الإسلام وواقع الأحداث المعاصرة " تشكل نسبتها الأعلى في عينة الدراسة مقارنة بنسب القضايا الست الأخرى حيث بلغت 3,1 % بالنسبة لإجمالي كل قضايا الثقافة الإسلامية التي أثارها الدراسة. تليها قضايا " الإسلام والإرهاب كإحدى ردود الفعل على العولمة " بنسبة 1,7 % وبصورة قريبة جدا من هذه الفئة فئة " الإسلام والعولمة " بنسبة 1,6 % .

وتعد المواد التحريرية لقضايا هذه الفئات الثلاث هي الأكثر معالجة وانتشارا في هذا المحور ، وسبب ذلك حسب واقع الأحداث في فترة الدراسة توجه القوى العالمية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية نحو تطبيق النظام العالمي الجديد، أو ما عرف اختصارا "بالعولمة" بكل تجلياتها وصورها وبمفهومها الشامل سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الإعلام أو الثقافة أو في باقي قطاعات المعرفة الإنسانية الأخرى.

وسوف نستدل على قوة هذا التوجه من صحفنا العربية بقطعتين تحريريتين من مواد مقالين لجريدي الأهرام والشروق الوطنية حول الفئة الأكثر تداولاً في كتاباتنا العربية. يقول **فهمي هويدى** صاحب المقال في صحيفة الأهرام: « بعد 11 سبتمبر ازدادت الجرأة علينا و اتسع نطاقها. في السابق كان الذي يهاجم الإسلام والمسلمين نفر من المتعصبين إلى جانب الأبواق وثيقة الصلة بإسرائيل. لكننا بعد ذلك التاريخ بدأنا نسمع أصواتا لبعض السياسيين وبعض كبار المثقفين المحترمين الذين انضموا إلى الحملة، فهذه السيدة مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة كتبت مقالا في صحيفة " الجارديان " انضمت فيه إلى جوقة الحذرين للغرب من "الإرهاب الإسلامي"، ووصف الناشطين الإسلاميين في مربع الأصولية باعتبارهم نموذجاً للبلشفية الجديدة " في تعبير عن الاستسلام التام للمزاعم الإسرائيلية التي ما برحت تلح على أن الإسلام وريث الشيوعية في تهديد الغرب. وهذا وزير العدل الأمريكي ينقل على لسانه قوله " إن الإسلام دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه إلى الموت من أجله وهو الكلام الذي رددته محطات البث الإذاعي المسيحية، ووصفه المعهد العربي الأمريكي بأنه "عدائي " .»

ثم يردف الكاتب بالقول: « الذين حولوا لأنفسهم حق تغيير الأنظمة لم يترددوا في محاولة إعادة تشكيل العقول ، في تعبير يضيف الغطرسة والاستقواء، ويؤكد أن الإدارة الأمريكية مصرة أن تطلب وحدهم أن يغيروا، أما السياسة الأمريكية فهي منزهة ولا شيء فيها للمراجعة أو التغيير. يركزون على التعليم في البلاد العربية والإسلامية والتعليم الديني بوجه أخص، ويطالبون بأمرين أولهما مراجعة مناهج التعليم الديني وتنقيتها مما يتصورون أنه يؤثر بالسلب على علاقة المسلمين بغيرهم، أو يخرضهم ضد إسرائيل أو يستحثهم على الجهاد. أما ثانيهما فهو تأمين كل المدارس الدينية والمساجد التي يربطها المجتمع منذ قرون بحيث يتم إخضاعها للإشراف الحكومي. وهي المطالب التي بدأ تنفيذها علنا في باكستان واليمن ودون إعلان في دول أخرى.

قدمت السفارة الأمريكية إلى إحدى الدول العربية مذكرة تضمنت " اقتراحات " محددة في المراجعة المطلوبة وصلت إلى درجة تحديد ساعات تدريس مواد الثقافة الإسلامية في المدارس والمعاهد الدينية، لكنني . يقول صاحب المقال . شتمت رائحة التهديد والغطرسة في رسالة وجهها الكاتب الأمريكي طوماس فريدمان إلى وزارة

الشؤون الإسلامية في إحدى الدول العربية ونشرتها صحيفة نيويورك تايمز في 12 / 1 الماضي . عام 2002 . ، وفيها يحذر من أن المدارس الدينية في بلده تعلم الطلاب أن غير المسلمين أقل شأنا من المسلمين، وينبغي عليهم الدخول في الإسلام أو مواجهته، وبعد أن يدعو إلى إعادة النظر في هذه المناهج ويطالب بتفسير الإسلام بصورة تساعد على نشر التسامح الديني (مع إسرائيل بطبيعة الحال) فإنه استخدم لغة التهديد قائلا إنكم إذا لم تفعلوا ذلك فسوف تعتبر بلدكم مصدرا لأموال وعقيدة أولئك الذين نشن عليهم الحرب الحالية تماما مثلما نظرنا إلى الإتحاد السوفياتي أيام الحرب الباردة»¹⁴.

كما ورد في صحيفة الشروق الوطنية مقالا تحليليا حول فئة " الإسلام وواقع الأحداث المعاصرة " ينتقد صاحبه موقف المثقفين الجزائريين من الأحداث المحيطة بهم. وكان عنوان المادة التحريرية: " مثقفون لم تحركهم الحرب ضد أفغانستان فأين يتموقع المثقف الجزائري من الأحداث؟ ". حيث ذكرت الصحيفة أن «مثقفينا وحتى الهيئات التابعة لها صامتة لا يرون ربما في أنفسهم الكفاءة اللازمة على اتخاذ موقف مناسب يرفع عن الإسلام وعن العرب هذه التبعية، فالمثقف الذي يفترض فيه أن يكون أكثر تحررا من السياسي الذي يظل رهين حسابات مركبة ليس من السهولة الإفلات منها دون أن يخلف هذا الإفلات أضرارا على القطاعات الأخرى، فهو وحده يظل المسؤول أمام شعبه على ترجمة ما يردده الشارع الذي بدا في قتل هذه المواقف أكثر شجاعة، فهو في كل العالم الإسلامي قد حسم موقفه من الحرب الدائرة رحاها في أفغانستان وسمها باسمها الحقيقي وعرف بأنها ليست في الواقع سوى حربا ضد العالم الإسلامي ..»¹⁵.

ثم تسترسل الصحيفة في عرض مادتها التحليلية بحماسة شديدة في كشف حال المثقفين الجزائريين بقولها: « لقد كان ينتظر أن يبادر بعض المثقفين خاصة المتواجدين على رأس بعض الهيئات الثقافية إلى اتخاذ مواقف صريحة لا مواربة فيها بعد اندلاع هذه الحرب الظالمة، لكن لا شيء من ذلك قد حدث. ولقد حاولنا من جهتنا أن نعرف أين يتموقع المثقف الجزائري في هذه الظروف التي تورط فيها الجميع دون أن يريد. لكن اتضح لنا أن المثقف الجزائري يعيش خارج تأثير الأحداث، فهو من جهة يشككي الإقصاء والتهميش وعدم الاستشارة، ومن جهة أخرى لا يقوى على مواجهة مثل هذه الأحداث. لن يشككي المثقفون بعد اليوم من تبعيتهم للسياسيين والسير مجبرين تحت مضلاتهم، فهم قد أقصوا أنفسهم بأنفسهم من تفعيل المشهد العام أو المساهمة ولو من بعيد في موازنة وضع قد يضطر فيه السياسي للمداهنة حرصا على مصالح البلاد»¹⁶.

ثم ينتهي صاحب المقال بخلاصة أن « شعوب العالم الإسلامي والعربي أدركت بحدسها أن الحرب ليست أبدا ضد الإرهاب، وعرفت أبعاد مؤامرة يرسم خطوطها الغرب بإحكام وبتواطؤ مع أنظمة عربية باعت نفسها للشيطان

¹⁴ . جريدة الأهرام، العدد (42078) في 19 / 2 / 2002. ص 11.

¹⁵ - جريدة الشروق اليومي، العدد (286) في 13 / 10 / 2001. ص 14.

¹⁶ . نفس المرجع الأنف الذكر.

.. وحده المثقف الجزائري رغم المعطيات التي مجوزته يعجز عن حسم موقفه ولو مع نفسه " فالأكل مع الذيب والبكاء مع الراعي " هي أفضل الطرق للعيش في زمن تسييد الفكر الغربي على الحضارة الإسلامية العربية¹⁷.

أما عن طبيعة النسب المثوية التي ظهرت بها قضايا محور الدين الإسلامي والعمولة فإن الفئة الأولى ومن ناحية عناية الناشر بـ " الإسلام وواقع الأحداث المعاصرة " قد فاقت كثيرا الفئات التالية لها، وخاصة أنها من القضايا الحساسة جدا في الكتابات العربية والإسلامية المعاصرة، وفي السياسة الدولية والمحلية.

فقضايا " الإسلام والإرهاب كإحدى ردود الفعل على العمولة " وقضايا " الإسلام والعمولة " مازالتا منذ الشروع في تطبيق النظام العالمي الجديد منذ مطلع هذا القرن إلى يومنا هذا من القضايا الأكثر تداولاً وانتشاراً في أروقة السياسة والاقتصاد. ومع ذلك كان اهتمام الصحف العربية أقل بكثير من المتوقع، حيث طغت قضايا واقع الأحداث المعاصرة، إذ فوجئ القارئ بالاتصال في الصحافة العربية بالكم الهائل من الأحداث مطلع هذه الألفية وأبرزها تجليات العمولة المفاجئة في الاقتصاد، حيث غدا العالم قرية صغيرة تحكمها إقطاعيات إمبريالية معدودة، أو في السياسة الدولية وأبرزها احتلال العراق وأفغانستان، أو في الثقافة والإعلام حيث تحول العام العربي والإسلامي نحو الغرب ينهل من كل ما أفرزته الثقافات الغربية من الغث والسمين. وهكذا راوح الإعلام العربي والصحافة العربية على وجه الخصوص مكانه متعرضاً لكل حدث أو واقعة مدفوعاً إليها بالقول دون أن تكون لنا استراتيجية إعلامية محددة يرسم من خلالها الأهداف والغايات.

إن قضايا الإسلام والعمولة تعد في عصرنا من القضايا الأبرز على مستوى ثقافات شعوبنا العربية، ولذلك فإن الصحافة العربية والقائم بالاتصال فيها ما فتئ يُظهر المواد التحريرية الخاصة بهذه الفئة استجابة للواقع الإعلامي العربي والدولي.

أما باقي قضايا فئات هذا المحور وهي: " الإسلام وتكنولوجيا الاتصال في ظل العمولة " و " الإسلام والأديان الأخرى " و " الإسلام والدعوة في ظل العمولة "، فإن نسبها وردت متقاربة فالأولى نسبتها 0,6% أما الفئة الفرعية الثانية فمعدلها 1,1% وأما الثالثة فوردت 1,3%.

أما الفئة الأولى فخلاصتها أن الدين بات يستخدم ثمار العقلانية والوسائل المتطورة. فالأمريكيون مثلاً اليوم حملتهم التبشيرية بواسطة الوسائل المطورة للإعلام والاتصال، واليوم ينسق مسلمو أندونيسيا مع الأزهر في القاهرة عبر وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة، وما كانت تستخدمه العقلانية من أفكار حول تعارض الدين والعلم في بعض المواضيع فصل الدين فيها. ولأجل ما تعانيه الإستراتيجية الإعلامية العربية من فقر في هذا المنحى، ظهرت نسبة هذه الفئة ضعيفة إلى حد 0,6% رغم أهميتها الاستراتيجية في عالم العمولة.

وحول الفئة الفرعية الثانية أشارت جريدة الخبر إلى « الصراع الحضاري الذي يعيشه . العالم الإسلامي . اليوم ممثلا في صراع الديانات ... أن الحملات التي تطل الإسلام تعود إلى تخوف الغرب المسيحي من انتشار هذا الدين كما يحدث اليوم في أمريكا، حيث يظل الصراع القائم بين الغرب المسيحي والعالم الإسلامي يأخذ طابعا حضاريا ودينيا بالأساس، ويبقى الإسلام بريئا من أنه دين عنف أو حرب كما تحاول الأوساط الإعلامية الغربية تقديمه لأنه يظل دائما يؤكد أن دين حب وتسامح». ¹⁸

ومع أن محور الدين الإسلامي والعولمة هو ثاني محور في سلم العناية والاهتمام في الصحف العربية بعد محور الهوية الثقافية كما ورد في الجدول رقم (05)، ومع ذلك يشدنا في هذه النسب الثلاث السابقة ضعفها الشديد والخاصة فئة " الإسلام وتكنولوجيا الاتصال في ظل العولمة " حيث لم تشر الصحف العربية إلا شذرا. ولعل سبب ذلك كما أراه جهل القائم بالاتصال بقيمة الكتابة في هذا العنصر، وليس أدل على ذلك من نسبة 0,0% من درجة الاهتمام التي وردت في جريدة الخبر الوطنية، إذ لم تشر ولو ببضعة من الأسطر حول هذه القضايا المعاصرة. وقد بينا في مبحث نظري سابق تحت عنوان " الدين والقيم في صلب الظاهرة الإعلامية " قيمة تكنولوجيا الاتصال في الظاهرة الدينية. ¹⁹

إن الصراع الفكري في ساحة الإعلام يستلزم أن يقدم ما يكتب وما يعرض في وسائل الإعلام بعقلية عربية إسلامية ملتزمة بقضايا أمتنا العربية والإسلامية وتراثها وعقيدها وتاريخها المجيد المليء بالبطولة والمآثر الإنسانية والشخصيات الخالدة التي تركت بصماتها التي لا تمحى على تاريخ البشرية.

ب . قضايا الفكر الإسلامي والعولمة:

إذا نظرنا إلى مجمل القضايا الواردة في هذا المحور وهي:

- . تجديد الفكر الإسلامي.
- . الفكر الإسلامي والعالمية.
- . المد الإسلامي والغرب.
- . قضايا أخرى.

نستنتج أن الصحف العربية أولت بالعناية والاهتمام قضايا " تجديد الفكر الإسلامي " في صفحاتها الثقافية، حيث قاربت نسبتها 4% من مجمل القضايا المثارة في استمارة التحليل، بل هي النسبة الأعلى إطلاقا حسب الجدول

¹⁸ . جريدة الخبر، العدد (3109) في 4 / 3 / 2001 . ص 19.

¹⁹ . راجع الفصل الثالث الصفحة

الإحصائي السابق رقم (17) وقد أدركت صحف الدراسة أهمية هذا العنصر في تشكيل ذهنية العربي المسلم المعاصر، وخصوصا أمام التحولات الجذرية التي تحملها رياح العولمة الثقافية ونظرة الغرب للعالم الإسلامي.

كما ساهمت صحيفة الأهرام كثيرا في إثراء هذه الفئة، وربما نستشهد بنموذجين برزا في الصحيفة في هذا الباب؛ حيث ساقّت الجريدة سلسلة مواد تحريرية حول حديث القرآن عن الناس والإنسان لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق رحمه الله في فترة الدراسة، وكان حديث الشيخ عن تحديد المفاهيم.²⁰

أما النموذج الثاني ما أورته الصحيفة أيضا عن سلسلة مواد تحريرية في تجديد الفكر الإسلامي. وعنوان السلسلة " من أسرار القرآن الإشارات الكونية في القرآن الكريم، ومغزى دلالاتها العلمية " للعالم زغول النجار.²¹ وهدف هذه السلسلة تبيان معجزات الخالق سبحانه في كونه الفسيح، والذي يتطابق فيه مع بعض ما أنجزه العقل البشري في عصر الإنجازات العلمية والتكنولوجية، حيث بلغ الإنسان المعاصر في مجال علوم الطبيعة والحياة مبلغا لم تعرفه البشرية من قبل. فهذه الإنجازات جاءت برهانا صادقا على صدقية ما جاء به الوحي الشريف. وهكذا أقدمت صحيفة الأهرام على نشر موادها التحريرية لغاية إظهار ديناميكية الفكر الإسلامي ومسايرته لتطور الفكر الإنساني ودحضا للأفكار التي تتهمه بالسكونية والانكفاء على الذات.

أما نسبة اهتمام كل صحيفة بهذا العنصر الحيوي على حدا فقد أظهرت الدراسة تقدم جريدة الخبر الجزائرية بنسبة 5,1% تليها جريدة الشروق بـ 4,7% ثم الأهرام المصرية بـ 3,8% ثم 3,5% لجريدة الرأي العام الكويتية، وأخيرا 2,4% لجريدة تشرين السورية.

وقد لاحظنا أن جريدة الخبر الوطنية بنسبها المتدنية في كل ما ذكرنا من جداول سابقة كانت قد تقدمت على كل الجرائد العربية الأخرى في هذه الفئة من فئات الفكر الإسلامي. وإذا نظرنا إلى جريدتي الخبر والشروق اليومي الجزائرية التي تناولت موضوعات هذه الفئة بنسبة مرتفعة أيضا وهما من الجرائد الوطنية، وقد تعادلت درجة اهتمامهما بما ورد من نسب في مجموع الجرائد العربية الثلاث الأخرى (الأهرام، الرأي العام، تشرين) أي 9,8% للجرائد الجزائرية مقابل 9,7% للجرائد العربية.

ومن أمثلة المواد التحريرية التي نشرت في جريدة الشروق اليومي حول فئة " المد الإسلامي والغرب " الفرعية ما أورده الصحيفة عمّا « أعلن في الدوحة أن وزراء الثقافة في الدول الأعضاء في منظمة التربية والتعاون والثقافة

²⁰ . جريدة الأهرام، العدد (41919) في 13 / 9 / 2001. ص 10 .

²¹ . نفس المرجع الأنف الذكر. ، العدد (41825) في 11 / 6 / 2001. ص 12. وأيضا العدد (42049)، في 21 / 1 / 2002. ص 12 .

والفنون " أيسيسكو " سيبحثون في اجتماعهم المقبل صورة الإسلام والعالم الغربي وما يتعرض له من تشويه. وذلك للبحث في عدة مسائل تتعلق بالعمل الثقافي الإسلامي في الغرب، واستراتيجية الثقافة للعالم الإسلامي. وقال رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر **محمد الغماري** أن وزراء الثقافة سيبحثون في عدة مسائل من بينها: الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي والتشويه الإعلامي للإسلام والحضارة الإسلامية في ظل المتغيرات الدولية²².

وعن هذه الفئة أيضا ساقط صحيفة الأهرام عن موضوع نظرة الغرب للإسلام والمسلمين مواد إعلامية. فالغرب كما ورد في الجريدة أراد طرح ورقته السامة للتداول: هل الإسلام يشكل إرهابا على الحضارة الغربية أم لا؟ هل تواجه أوروبا تهديدا جديدا من المسلمين بعد زوال الخطر الشيوعي الذي كان قائما زمن الاتحاد السوفيتي؟ هل نعلن عن حرب صليبية ونحوضها أم نعلن عنه ونقدم اعتذارا سريعا؟ هل نعرف الإرهاب فنميز بين القتل الإجرامي والنضال الوطني أم نضع الجميع في سلة واحدة؟ هل يدخل القمع الصهيوني للشعب الفلسطيني في دائرة الأعمال الإرهابية أم أن الكيان الصهيوني خارج القوس.²³

2. قضايا الهوية الثقافية:

سجلت الجداول السابقة النسبة الأعلى لقضايا الهوية الثقافية بالنسبة لباقي أنواع الموضوعات الخمسة، إذ بلغت 28,1 % وهي تعد نسبة عالية جدا من درجات الاهتمام. والتفات الصحافة العربية حولها خصوصا عندما أدركنا أن المتوسط الحسابي لأنواع موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة الست حدد بـ 16,7 %، أي تكاد موضوعات الهوية وقضاياها في الصحافة العربية تبلغ الضعفين في سلم العناية والاهتمام. لكن كيف وردت قضايا الهوية الثقافية فعليا وعلى وجه التفصيل في صحف الدراسة؟.

هناك ثلاث فئات أساسية تقدمت على غيرها من الفئات بما يتجاوز نسبة 3,0 % وهي قضايا " الثقافة والهوية والخصوصية " بنسبة 3,7 %، وفئة " قضايا الهوية الثقافية بمعنى الثوابت والوصول " بنسبة 3,2 %، وفئة " قضايا الهوية الثقافية بمعنى الذات " بنسبة 3,8 %. فهذه الفئات الثلاث إذا نظرنا في استمارة التعريفات²⁴ الإجرائية لفئة التحليل فإننا نلاحظ الترابط الشديد والتكامل بين مضامينها حول فكرة الهوية أو ما يعرف بالخصوصية. وبالتالي كانت نتيجة تحليل مضمون هذه الفئات مرتفعة جدا مقارنة بفئات مجمل القضايا الأخرى،

حيث حصل ثلاثتها على 10,7 %، وهذا يدل على عمق الأزمة التي يعيشها المجتمع العربي والإسلامي حول الهوية ومفهوم الخصوصية والثقافة الذاتية لشعوب الدول العربية، وما ذلك إلا من إفرازات العولمة الثقافية التي تقوم على إحياء الفردية والذاتية في دول العالم الثالث. فالعولمة الثقافية تسعى إلى نحر الهوية القومية الوطنية عبر الاستلاب

²² . جريدة الشروق، العدد (340) في 12/15 / 2001. ص 14 .

²³ . جريدة الرأي العام، العدد (12597) في 12/16 / 2001. ص 17 .

²⁴ . راجع استمارة التعريفات الإجرائية الصفحة

والتهجين وفرض نسق واحد من القيم، والتي من جرائها شهد العالم انفجارا ضخما للانفعالات المستقبلية من أي عقاب ضابط على حد إعادة الاعتبار المعرفي على كلمة " قبائل " التي تعد كلمة مفتاح في فهم حروب الهويات.²⁵

أما عن اهتمام صحف الدراسة فيما بينها بهذه الفئات الثلاثة التي تشكل مجمل اهتمام الصحف العربية، فإننا نستخلص ذلك من خلال الجدول التالي رقم (19).

جدول رقم (19).

يبين توزيع قضايا الهوية الثقافية الثلاثة في صحف الدراسة

المجموع	صحف عربية						صحف جزائرية						القضايا
	الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق اليومي		القضايا		
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك			
34,6	128	38,2	29	29,0	9	32,1	51	35,7	5	37,8	34	قضايا الثقافة والهوية والخصوصية	
30,0	111	28,9	22	32,3	10	29,6	47	35,7	5	30,0	27	الهوية الثقافية بمعنى الثوابت والأصول	
35,4	131	32,9	25	38,7	12	38,4	61	28,6	4	32,2	29	الهوية الثقافية بمعنى الذات	
100	370	100	76	100	31	100	159	100	14	100	90	المجموع	

تشير العينة المختارة من الصحف الخمسة كما هو مبين في الجدول الدال على توزيع حجم المادة التحريرية

تبعاً لقضايا الهوية الثقافية الثلاثة في صحف الدراسة إلى الملاحظات التالية:

. احتلت الفئتان " الهوية الثقافية بمعنى الذات " و " قضايا الثقافة والهوية والخصوصية " المرتبة نفسها تقريبا

من حيث العناية وتوجه القارئ بالاتصال في صحف الدراسة، حيث ظهرت الأولى بـ 35,4% والثانية بـ 34,6%.

وهذا له دلالة كبيرة تلخص في عمق الفراغ الذي يعيشه المواطن العربي عقب ظهور الثورة

التكنولوجية الحديثة، أو قل الثورة الإعلامية المعاصرة التي قلبت موازين الشعوب في مفاهيمها التقليدية كالهوية والخصوصية والذات.

. تأتي فئة " الهوية الثقافية بمعنى الثوابت والأصول " في المرتبة التالية للفئتين السابقتين، وهي قريبة جدا في معدلها عما سبق حيث قدرت نسبتها بـ 30,0%، وهذا أيضا يضاف للمفاهيم التي ذكرت آنفا. حيث شكلت هذه الفئات الثلاث الظاهرة في الجدول أعلاه مجمل الفئة الأم وهي فئة " الهوية " .

غير أننا نشير في هذا الموضوع إلى أمر ذا بال، فكثرت المواد الإعلامية في صحف العينة حول موضوعات الهوية وقضاياها لا يدل بالضرورة على اضطراب الهوية ذاتها، فالأزمة ليست في الهوية، ولكنها المأزوم غير القابل على استيعاب المتغيرات، وإنتاج عقل جديد وثقافة جديدة، فيضع اللوم على المتغيرات، ويتشبه بصفات ثقافية لهوية مفترضة ومتعالية ومفارقة لا توجد إلا في ذهن المتعاملين معها في انفصام شبه كامل عن السلوك ذاته، وهنا تكمن الأزمة الحقيقية.

وخلاصة القول أن لعلماء الاجتماع في قضية تداول موضوع الهوية موقف يختلف جذريا عما يراه الإعلاميون وبعض المفكرين، حيث يذهب هؤلاء إلى أن من المحافظة على الهوية كثرة السؤال عنها في زمن العولمة ودفع ما علق بها من شبهات، سواء في صحافتنا العربية أو في كتاباتنا الفكرية. غير أن خلاف هؤلاء يرون أن الهوية هي متغير اجتماعي مثل أي متغير آخر، ومحاولة تثبيتها ذهنيا ضمن عناصر منتقاة يقضي عليها في النهاية، من حيث إرادة المحافظة عليها. فالحرص البالغ فيه يؤدي في الغالب إلى النتيجة المتخوف منها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الهوية ممارسة وسلوك قبل أن تكون تصورا ذهنيا، ومن خلال الممارسة تتكون الهوية وتثري. نعم هناك سمات عامة لأية هوية متحدث عنها، ولكن هذه السمات تكتسب من خلال تفاعل الجماعة مع بعضها البعض، وليس من خلال التركيز والانتقاء لعناصر دون أخرى من عناصر الهوية، وتثبيت هذه العناصر إلى درجة السمو المطلق والقداسة المفترضة. ومن يمارس هويته لا يسأل عنها وعن طبيعتها وشكلها، إذ أنه يمارسها على أرض الواقع، إلا إذا كان ضائعا؛ فالضائع وحده هو من يسأل عمن يكون.

فالهوية جزء من النسيج الثقافي للجماعة، يمثل ما أن الشخصية جزء من النسيج النفسي للفرد والذي هو أي النسيج بدوره متفاعل أو يفترض أن يكون متفاعلا مع متغيرات الحياة إجمالا. ولا يتساءل عن الهوية وهاجسها إلا من كان لديه شيء من الفصام بين الممارسة وما في الذهن من تصورات غير قادرة على استيعاب تغييرات الممارسة وآلياتها، ولعل هذا هو الوضع العربي إجمالا، سواء في الخطاب الثقافي العربي أو في الخطاب السياسي، وذلك ما يقودنا إلى قضية العولمة وعلاقتها بالثقافة الذاتية والهوية، وإلى ما هو مثار حول الخصوصية، أو هوس الخصوصية بمعنى أصح.²⁶

²⁶ . تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة. مرجع سابق. ص 19.

أما ما ورد من تكرارات أوردتها صحف الدراسة فإننا نجد دوما جريدة الأهرام تتصدر عينة الدراسة من حيث التداول والاهتمام، حيث بلغت تكراراتها حول هذه الفئات فقط 159 تكرارا من أصل 370 تكرارا، تليها صحيفة الشروق بـ 90 تكرارا، ثم صحيفة الرأي العام 76 تكرارا، أما صحيفة تشرين فكانت تكراراتها 31 تكرارا، وفي المرتبة الأخيرة تأتي الخبر بـ 14 تكرارا من أصل 370 تكرارا وهو مجموع تكرارات الفئات الهوية الثلاث التي وردت في الجدول السابق. أما عن النسب التفصيلية للفئات الثلاث وتكراراتها كما وردت في الجدول، فإنها أتت متقاربة جدا فيما بينها، وذلك لتقارب نسبها الكلية إلا ما كان من جريدة الخبر مثلما أسلفنا سلفا.

فبالنسبة للفئة الأولى " قضايا الثقافة والهوية والخصوصية " دعمت صحيفة الشروق الجزائرية صفحاتها الثقافية بكثير من النماذج التحريرية الدالة على اهتمامها بهذا الاتجاه من قضايا الهوية، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بما له صلة بهوية الفرد والوطن. وقد وظفت ورقة الهوية حسب الجريدة طوائف في المجتمع الجزائري تغذى من أطراف خارجية تعمل باستمرار على نشر بذور الفتنة بين الجزائريين. حيث نشرت صحيفة الشروق اليومي موادا تحليلية حول حقيقة الهوية التي ينسب إليها الجزائريون، وحول نسبتهم وانتمائهم العربي الإسلامي. وكأن القائم بالاتصال يريد دفع ثقافة التشكيك عند القارئ المتلقي حول ما يعرف بالثوابت الوطنية، فكان المقال بعنوان " انتظروا .. الطوفان على الأبواب " يقول كاتب المادة: « تتجذر - ثقافة التشكيك - بسرعة كبيرة تغذيها الكتابات الموجهة من داخل الوطن وخارجه، وتغذيها بعض الصحف سيئة النوايا والتي نجعل على وجه التحديد من يقف وراءها. ودعم هذه "النزعة التشكيكية" الانفجار الأمني والاقتصادي والاجتماعي حتى بات الناس يصدقون كل ما يسمعون ولا يجادلون أبدا في أفكار التشكيك التي تجذرت وانتشرت بسرعة كبيرة.

وقد تبنت هذه "الثقافة المسمومة" أسس بناء الأمة فأحكمت فيها المعاول. فاللغة العربية أصبحت لغة التخلف، والدين الإسلامي أصبح مصدر الإرهاب، والسياسوية والاستقلال الوطني مشكوك فيه وقد يكون هدية من ديغول، والثورة الجزائرية قامت على الإجرام والاعتقال والتصارع والانقلابات، والمجاهدون أمسوا مستغلين من ذوي الصفقات المشبوهة، والأمير عبد القادر ماسوني سلم الجزائر إلى فرنسا، وعبد الحميد بن باديس "أنديجاني"، وهواري بومدين ديكتاتوري، والشعب الجزائري لا هو عربي ولا بربري ولا فرنسي وإنما هو خليط لا نظير له لا في عالم البشر ولا الحيوان.

وجملة الثقافة المسمومة مست كل قطاعات البلاد فقوضت البناء الوطني من ألفه إلى يائه، فكل شيء اهتز لينقلب على جذوره. ومادام خطر التسمم الثقافي قد وصل إلى هذا الحد فإن مهمة المواجهة في هذه الحالة ليس من مهمة الصحافة ولا رجال السياسة، وإنما هي مهمة رجال الثقافة، إن كان في هذه البلاد رجال ثقافة يؤمنون بمواجهة الخطر الدايم على الأمة وحاضرها ومستقبلها، تبدأ من القصة والمقال والكتاب والفيلم والمسرحية

والأغنية والمحاضرة والندوة، يواكبها الدعم الإعلامي بالتوصيل والعمل السياسي بالقرار والتمثيل وإلا فانتظروا الطوفان عن قريب.²⁷

أما الفئة الثانية " الهوية الثقافية بمعنى الثوابت والأصول " فقد ورد أيضا حولها في جريدة الشروق موضوعا يعد من الموضوعات الشائكة جدا في الجزائر، وهو موضوع الأمازيغية والعروبة كإحدى مقومات الشخصية الجزائرية. وقد وردت المواد التحريرية التي نشرتها الصحيفة على الشكل التالي: « إن الموضوعية والوفاء للجزائر يقتضيان طرح العلاقة بين الأمازيغية والعربية في إطار تكاملي ما دامت الجزائر تتسع لهما. فالأمازيغية لنا والعربية لنا، وجاء في القرآن الكريم ما يضمن التنوع اللغوي حينما ذكر الله أن اختلاف ألسن آية من آياته، كما أن الإسلام جاء لنشر الهداية وليس لبسط سيادة قوم على قوم آخرين، فالعبرة بالتقوى وهكذا. فإن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ليس لها أبواب ولا تقصي اللغات الأخرى وهذا ما يفسر تعايش اللغتين في وئام طيلة قرون... ومهما يكن من أمر فإن المهم اليوم هو العمل على ترقية الأمازيغية والعربية في إطار تكاملي بعيدا عن التشنج والإقصاء، فوحدة الجزائر في تدعيم تنوعها الثقافي الأمازيغية والعربية وجهان لشخصية واحدة. إنها الهوية الجزائرية " التي لانفصام لها "».²⁸

أما في صحيفة الرأي العام الكويتية فقد ساقَت مادة تحريرية في ذات الفئة وفي الموضوع نفسه أيضا، حيث ذهبَت الجريدة واصفة نار الاحتجاج المندلعة في الجزائر التي جاءت من الجمر الثقافي المتأجج تحت رماد المواربة الرسمية في معالجة القضية منذ العام 1980، وهي في الأصل كانت تعيش بهدوء في النسيج الجزائري، لكن الهموم اليومية والمشاكل الوطنية جعلتها بعيدة عن الأنظار. فالصراع على السلطة بين الجماعات الإسلامية والجهاز السياسي الحاكم لم يعد هو القضية الأساسية في جزائر اليوم، لأن الانفجار الثقافي للبربر بات يهدد وحدة الدولة، ويعيد طرح الهوية الوطنية على بساط البحث. وإذا كانت رموز السلطة قد أنكرت في السابق وجود المشكلة، فهي الآن تواجه نارها من دون القدرة على إخمادها لا بالقوة، والجزائر الآن نموذج لجملة من ألغام ثقافة الأقليات في العالم العربي، ولهذا لا يمكن ترك المسألة على كواهن الخطاب الرسمي للدولة، لأن هذا الخطاب يتجاهل الثقافة كعامل رئيسي، لا بل كعامل وحيد في عملية بناء الدولة وبلورة الهوية. منه تكتسب السياسة لغتها والاقتصاد هويته، وتجاهل الثقافة يعني إحالة الدولة إلى واجهة غير حقيقية للمجتمع الذي تمثله.²⁹

أما عن فئة " الهوية الثقافية بمعنى الذات " فقد أوردت صحيفة الرأي العام أيضا مواد إعلامية تحريرية حول الهوية الثقافية البربرية في الجزائر و الانفجارات السياسية في الوطن العربي. حيث أوردت الجريدة مقولة

²⁷. راجع الشروق، العدد (101) في 3 / 3 / 2001. ص 14.

²⁸. نفس المرجع الأنف الذكر. ، العدد (181) في 6/11 / 2001. ص 14.

²⁹. جريدة الرأي العام ، العدد (12379) في 13/5/2001. ص 23.

عثمان سعدي الشهيرة عن عدم وجود هوية ثقافية بربرية، وفي ذلك بعض الصواب يقول صاحب المقال، لأن الثقافة هي فعل التراكم اليومي لتجارب المجتمع، وهذا التراكم يؤدي إلى إنتاج إضافات دائمة على الثقافة وهذا الأمر يساعد على تطورها. إلا أن إنكار الخصوصيات الثقافية في الأنظمة الشمولية أدى إلى انفجارات سياسية كان من نتائجها اندلاع سلسلة من النيران الثقافية القلوية في أنحاء العالم كافة. ولم يسلم العالم العربي من هذه النيران إلا أن المعالجات لم ترتق إلى المستوى الذي يمكن أن يعزز فعلا الهوية الثقافية للمجتمعات، لأنها اعتمدت على جعل هذه المعارضة الثقافية في مواجهة الهوية الدينية للمجتمع وهي في الواقع ليست حقيقية لأن الدين أحد مكونات الهوية الثقافية.³⁰

وأما إذا عدنا إلى باقي فئات قضايا الهوية الثقافية الثمانية، فتكاد نسبتها تكون متساوية حيث تجاوز أكثرها نسبة 2,0 % بقليل، وهي نسب عالية أيضا إذا قيست بباقي القضايا الأخرى، حيث شكلت في مجملها 17,3 % . فإذا أضفنا لها 10,7 % نسبة القضايا الثلاث الأخرى كانت نسبة موضوع الهوية لوحده 28,1 %.

ولعل أنسب نموذج للمواد التحريرية المنشورة في صحف الدراسة حول هذه الفئات الخاصة بالهوية، ما ورد في جريدة الشروق اليومية الجزائرية في فئة " المصادر التي تواجه الهوية في عصر العولمة " تحت عنوان " الأمازيغية بين تنطع المعارضين وغلو الأنصار"، يقول كاتب المادة: «المعارضون للأمازيغية يعتبرونها نتاجا استعماريًا يعمل دائما على ضرب اللغة العربية ودعم اللغة الفرنسية، وحثهم في ذلك أن الأمازيغ قد تخلوا بمحض إرادتهم عن لغتهم منذ القديم ليعتنقوا اللغة العربية ولم تثر القضية الأمازيغية إلا منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر. وبعث هذه القضية الآن هو بهدف الحفاظ على قاعدة هامة للفرنسية في الجزائر، وآخر دليل يؤكد ذلك تعبئة الإعلام الفرنسي الذي صور انتفاضة منطقة القبائل على أنها انتفاضة عربية أمازيغية ضد القمع والاستبداد العربي.

ونتيجة لهذا التصور فإن أنصار هذا التيار المعارض للأمازيغية ينظر بعين الريبة والحذر إلى وطنية مواطني منطقة القبائل التي لا تكتمل حسب قناعاتهم إلا بالتنازل عن الأمازيغية، كما أن الوحدة الوطنية تبقى مهددة مادام أن هناك من يرفع لواء الأمازيغية. فالوحدة حسب هذا التيار تتمثل في الأحادية اللغوية والثقافية لذلك فأنصاره لا ينظرون بعين الرضا إلى إدراج الأمازيغية في الدستور ولا يقبلون "ضرة" للغة العربية. فالهوية الجزائرية عربية إسلامية وليس إلا، وما عدا ذلك لا يعدو أن يكون إلا محاولات استعمارية لزعة الاستقرار في الجزائر».³¹

3 . قضايا نظام القيم في الثقافة الإسلامية:

يعد هذا المحور من أقل محاور الثقافة اهتماما من طرف الصحف العربية، حيث لم يزد على نسبة 10,0 % من أصل المتوسط الحسابي المقرر بـ 16,7 % لكل نوع من أنواع موضوعات الثقافة الإسلامية، أي أقل بـ 6,7 %

³⁰ . جريدة الرأي العام ، العدد (12379) في 13/ 5/ 2001. ص 23.

³¹ . جريدة الشروق، العدد (181) في 11/ 6/ 2001. ص 14.

من معدله المتوسطي. أما توزيع هذه النسبة الضئيلة على قضايا هذا المحور وموضوعاته فإننا نلاحظ أن الصحف العربية كان تركيزها على موضوعات تدل على محورية القيم في الثقافة الإسلامية حيث وصلت نسبتها إلى 3,4%.

وتنفرد في هذا المحور بالطرح والبيان والمناقشة صحف العينة العربية الثلاثة: الأهرام وتشيرين والرأي العام، حيث حصل الثلاثة على نسبة 12,3% مقابل 4,1% للصحف الجزائرية الشروق اليومي والخبر، من أصل النسبة السابقة 3,4%، وهذا يعني أن الصحافة الوطنية قلما تهتم في صفحاتها الثقافية بموضوعات القيم ومحوريتها في الدين والثقافة الإسلامية.

وفي هذا المحور " قضايا نظام القيم في الثقافة الإسلامية" سوف نستشهد بمواد تحريرية إعلامية حول بعض فئات هذا المحور وخاصة فئة " قيم العولمة بين الوسيلة والرسالة " فقد أوردت صحيفة الشروق مادة تحريرية في مقال حول الوضع العالمي الراهن وحرية التعبير تحت عنوان " من حرية التعبير إلى حجب المعلومات وتصنيع الإجماع " حيث « تمخضت التفجيرات التي استهدفت مركز التجارة العالمي والبانغون يوم 11 سبتمبر 2001 عن متحولات عميقة في المشهد الإعلامي العالمي عبر مختلف وسائله وقنواته، امتدت مفعولاتها بالإضافة إلى بروز جوقة متناسقة في عزفها غير المنفرد تشير إلى إلغاء المختلف، إلى تحجيم وتكميم الأصوات المغايرة والتي لم تنسجم مع هذه الجوقة العالمية التي ترمي إلى حشد وتصنيع الرأي العام باتجاه ما تريد واشنطن القيام به من رد على من تعتقد أنهم قاموا بتلك الهجمات. لقد استهدفت حرية التعبير بشكل مباشر بعد أن كانت مستهدفة بطرق ملتوية كان قد وصفها الكاتب المشهور نعوم تشومسكي Chomsky Noam بتصنيع الإجماع الذي صار موضوع كتاب له بهذا العنوان يتحدث فيه عن وظائف ودور الإعلام ووسائله في قولبة عقل رجل الشارع في الغرب بمهارة فائقة ودهاء مخاتل يعمل في كل حرية على أن لا يظهر معاكسا لمبادئ حرية التعبير، وتعددية الأصوات التي تبني عليها الحضارة الغربية في عصر العولمة شعاراتها وخطابها الإعلامي، كما لا يشعر المتلقي بتلاعبات تتضمن حجب المعلومات. وقد أكد: " إن مالا يتحدث عنه السياسيون الأمريكيون هو أهم بكثير مما يتحدثون عنه في العن " ³².

وفي هذا السياق أوردت الصحيفة مقالة " صامويل هانتغتون " Huntington Samuel: « إن على صناعات القوة في الولايات المتحدة أن يبتكروا أنماطا من ممارسة القوة مما يمكن استشعار نتائجها لكن لا يمكن رؤيتها. فالقوة تظل صلبة طالما بقيت في الظلام، وإذا تعرضت لضوء الشمس فإنها تبدأ بالتبخّر» ³³.

³² . جريدة الشروق، العدد (286) في 13 / 10 / 2001. ص 15.

³³ . جريدة الشروق، العدد (286) في 13 / 10 / 2001. ص 15.

ولو نظرنا في ذات الفئة وفي ذات الصحيفة فإن جريدة الشروق الجزائرية في موادها التحريرية ترى أن الخطاب الإعلامي الجزائري عاش « ردحا طويلا من الزمن ضمن إجراءات نمط معين من التفكير والتحليل وصناعة القوالب الخبرية والصور النمطية، الأمر الذي جعله خطابا إعلاميا روتينيا وبيروقراطيا، وخاضعا خانعا للسلطة ويفتقد كل عناصر الإعلام الموضوعي والحر النزيه، ومن ثم صارت تنطبق عليه مقولة **دوغلاس كيلر Douglas Killer** أن ترسيخ الصور والقوالب الخبرية المشبعة بالدعاية تؤدي إلى إنتاج نمط خاص للخطاب الإعلامي، مقنع يشحن الأفكار والصور والذرائع بالأضاليل والأكاذيب التي تهدف إلى دفع الناس أو المتعرضين لتدفق المعلومات كي يوافقوا على سياسات وأفعال معينة، أي يقوم بعملية اغتصاب الجمهور من خلال إنتاج صور تبسيطية مشوهة وأحادية الجانب

34 «.

أما جريدة الرأي العام فقد أوردت في فئة " قيم العولمة بين الوسيلة والرسالة " أيضا لونا آخر من ألوان التأثير الإعلامي للعولمة الثقافية على ثقافتنا وفي واقعنا الفكري والأدبي والفني. فمع أن الصعود ضد قانون الجاذبية مثل بأعباء السقوط كلها فهو غاية لا يجيد عنها أحد، لكن الصعود كما يقولون غالبا ما يتطلب الانحناء إنحناء القامة والهامة معا، ويتطلب التخلي عن هذه القيمة الأخلاقية أو تلك عن هذا المبدأ أو ذلك لا يهم فتلك هي قواعد اللعبة، وما أكثر هؤلاء الذين يجيدون هذه اللعبة وقواعدها وتلك موهبة لا تستحق الاحترام في مطلق الأحوال.

والمثير للسخرية والأسى أن تسود قواعد هذه اللعبة في مجال الفكر والأدب والفن، حيث تختفي الحدود بين من يعلم ومن لا يعلم، بين العادي والمبتدل، وبين الأصيل والإبداعي والمبتكر، فلا يبق هناك لا أعلى ولا أسفل، ولا جيد ولا رديء إلا لؤلئك الذين استطاعوا أن يتربعوا على كرسي مريح في مؤسسة ثقافية أو نافذة إعلامية، أو لمن استطاع إيجاد ثقب للولوج إلى غرفة الكرسي. أما من لا يتقنون قواعد اللعبة ولا يجيدون الصعود إلى أعلى لا لأن الصعود ضد منطلق الجاذبية، بل لأنه في هذه الحالة أشبه بالقفز إلى أعلى في حال السقوط.³⁵

وفي صحف عينة الدراسة أيضا انعدمت نسبة بعض الفئات الدالة على القيم إلى درجة الصفر أو تكاد، ومثال ذلك معدل 0,0% لجريدة الخبر الوطنية عند التعرض لفئة "الدين والقيم وصلتها بالثقافة"، ونسبة 0,5% و 9,0% لجريدتي تشرين والرأي العام حول الفئة ذاتها، وأيضا نسبة 0,0% لجريدة الخبر حول قضايا تكنولوجيا الإعلام في صلب الظاهرة الدينية، ونسبة 0,3% لجريدة تشرين، و 0,5% لكل من صحيفتي الشروق

34 . جريدة الشروق، العدد (340) في 15/12/2001 . ص 15 .

35 . جريدة تشرين، العدد (7971) في 7/4/2001 . ص 7 .

والرأي العام حول الفئة نفسها. أما باقي فئات القضايا الأخرى في صحف الدراسة التي تتناول نظام القيم والدين في الثقافة الإسلامية فتتراوح بين ما ذكرناه سلفاً من النسب العليا والدنيا حول هذا المحور.

4. قضايا اللغة العربية والعولمة:

- وتتوزع هذه الفئة في الجدول الإحصائي إلى فئتين رئيسيتين:
- قضايا اللغة العربية والعولمة في منظومة الثقافة الإسلامية.
- قضايا خدمة اللغة العربية في النظام الإعلامي العربي الجديد في ظل العولمة.

أ. قضايا اللغة العربية والعولمة في منظومة الثقافة الإسلامية :

حيث نالت الفئتان الأوليتان الحظ الأوفر من الدراسة في صحفنا الوطنية والعربية، وهما فئة " اللغة الوعاء الحامل للثقافة " وفئة " التكامل بين اللغة والثقافة ". إذ حصلت الأولى على معدل 2,9% والثانية على 2,7% من النسبة المئوية لمجمل قضايا الثقافة الإسلامية المذكورة في الجدول رقم (17) وهذه الفئتان تعد موضوعاتهما من القضايا العامة التي كثرت الكتابة فيها منذ عصر ما قبل العولمة، بل هي أقرب إلى البحوث الاجتماعية الأكاديمية منها إلى واقع اللغة الحالي. ودليل ذلك أننا إذا التفطنا إلى الفئة الثالثة من فئات هذا المحور وهي فئة " اللغة العربية والأبعاد اللغوية للعولمة ، فإننا نجد أنها حيوية لصيقة بالواقع اللغوي المعيش، وما تعانيه سائر النظم اللغوية البشرية من تضيق ومحاولات المحو والانقراض من قبل المنظومات الثقافية العالمية الحاملة لفكر العولمة، ومع ذلك فإننا نجد صحف الدراسة لم تبحث الموضوع إلا بنسبة 1,0% مقابل 5,6% نسبة الفئتين السابقتين.

وكل هذا يدل على القصور و اختلال الرؤيا لمفهوم اللغة في عصر العولمة لدى القائمين على الصفحات الثقافية في صحفنا العربية، فالأبعاد اللغوية للعولمة قد تتخطى مفهوم اللغة أو السيطرة اللغوية لأمة من الأمم لصالح أخرى. فإذا كانت النهضة اللغوية مشروطة بنهضة الحضارة الإنسانية وشهدنا ذلك في حضارتنا العربية والإسلامية، وإن الصراعات المتعددة الجوانب ومن ضمنها الصراعات الثقافية والفكرية تؤدي بالضرورة إلى صراعات لغوية، فإن حجم التحدي والمهام الملقة على اللغة العربية اليوم كبير. لأن تكنولوجيا المعلومات تضع اللغة في قمة الهرم المعرفي، إنها الرابطة والأساس في الخريطة المعرفية.³⁶

وأما النماذج اللغوية التي ساققتها صحف العينة عن هذا المحور الهام من محاور الثقافة وقضاياها، فقد نُحَصِّص منها المواد التحريرية التالية حسب ترتيب ورود الفئات الفرعية في الجدول:

1. فئة اللغة العربية الوعاء الحامل للثقافة:

³⁶ . جريدة تشرين، العدد (7971) في 2001/4/7. ص 10.

ورد في جريدة الرأي الكويتية مواد تحريرية كثيرة عن هذه الفئة، ومن أفضلها مقال بعنوان " العرب وتعريب العلوم الحديثة "، يقول فيه الناشر: « لعل حقيقة الدور الريادي للترجمة في سعيها التعتري نحو " الإبداع " مواكبة عربية لتحويلات العصر لم تكن يمثل هذا الوضوح الذي برز جلياً خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين المنصرم. فمع الاحتدام المتواصل لوتيرة الطفرات المعلوماتية والاتصالية وتسارع إيقاع المستجدات العلمية والتكنولوجية وعمليات عولمة النشاط الاقتصادي للمجتمعات المعاصرة، بدأت تتضح أكثر فأكثر الحقيقة القائلة بأن الترجمة هي أهم المفاتيح الأساسية لعملية تفعيل مواكبة ثقافتنا وتعليمنا وإبداعنا الثقافي. والعلم بمستجدات العصر وأنها . الترجمة . الجسر الذي يصل الثقافات الإنسانية بعضها ببعض، وأداة فاعلة بالغة التأثير للتبادل الحضاري ولإغناء فعالية لغتنا العربية في التعامل مع المعطيات المتجددة لعلوم العصر ». ³⁷

2 . فئة التكامل بين اللغة والثقافة :

وفي جريدة الرأي العام أيضاً وردت عن فئة التكامل بين اللغة والثقافة حيث أن التحديات الصارمة التي فرضتها أجنحة العمل المجتمعي العربي التحويلات الهائلة لنهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين وعوده الإنسانية الواسعة والحتمية التي لا مهرب منها أن تكون طرفاً مؤهلاً وفاعلاً ضمن سيرورة هذه التحويلات أكدت الحاجة الملحة أكثر من أي وقت مضى على تفعيل حركة الترجمة إلى العربية ووضعها ضمن أطر تنظيمية ومؤسسية فاعلة توظف الجهد الإبداعي للمترجمين العرب من أجل وصل المواطن العربي وثقافتنا العربية بالحركة المتدفقة لإبداعات العصر واكتشافاته في مختلف فروع المعرفة والثقافة. وربما تمثلت إحدى أبرز الإيجابيات القليلة التي يتمحور عنها المشهد الثقافي العربي الآن في ذلك الاهتمام الأكثر جدية ومبادرة لدى الأوساط الثقافية العربية بقضية الترجمة وبدورها الحيوي في استجماع وتفعيل عتادنا الفكري والإبداعي لمواكبة موجات التحول المعرفية الهادرة التي تأخذ عالمنا إلى تَعوُّم صارم الخطى ملتبس الملامح والرؤى. ³⁸

3 . فئة اللغة العربية والأبعاد اللغوية للعولمة

وهي فئة هامة جداً وردت حولها مواد تحريرية كثيرة. وخلاصة الأبعاد اللغوية لظاهرة العولمة أنها سواء كانت وفاقاً أم صراعاً فاللغة في كلتا الحالتين شأن خطير. فإن كانت " وفاقاً " فاللغة ذات شأن جليل؛ حيث من المتوقع أن يتخذ أنصار العولمة من علوم اللغة مرتكزاً أساسياً لعولمة الثقافة... أما إن كانت العولمة " صراعاً " فدعنا نستهدى هنا بما أورده **محمود أمين** ³⁹ العالم في صدد دفاعه عن الخصوصية اللغوية يقول: أخذت العولمة السائدة تفضي بالضرورة إلى سيادة لغة من لغات هذه الدول المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها

³⁷ . جريدة الرأي العام، العدد (12308) في 3 / 3 / 2001. ص 20 .

³⁸ . جريدة الرأي العام، العدد (12308) في 3 / 3 / 2001. ص 20 .

³⁹ . أحد المفكرين العرب صاحب دراسات إعلامية كثيرة منشورة.

وقيمة الخاصة، إن معنى ذلك هو تهميش اللغات والثقافات القومية واحتوائها واستتباعه كمدخل لاستتباعها اقتصاديا وثقافيا.⁴⁰

فإذا حاولنا معالجة مثلا مصطلح " الإرهاب " وهو من المصطلحات اللغوية الشائعة التوظيف في وسائل الإعلام العربية والعالمية، ثم نظرنا كيف تم تحديد إلحاقه بالعرب والمسلمين، لوجدنا موضوعا يجد ذاته يثير التساؤل والاستغراب وترسم كيفية تداوله عربيا ودوليا إشارة استفهام كبيرة؟ ... وهو بلا شك من هندسة وتصنيع الصهيونية التي راحت تصدره عالميا وبشكل ناجح معتمدة في ذلك على ما كان يجري في السبعينيات وما بعدها من نشاطات قتالية مستهجنة، ومستغلة إياها في تشويه القضية الفلسطينية وتجيرها لصالح الصهيونية في الذهنية الغربية التي هي في الأصل ذهنية متحمسة للصهيونية ومعادية لكل ما هو عربي في ثقافته وتاريخه وجغرافيته وإنسانيته و وجوده وبقائه. وبعد ذلك استشرى هذا المصطلح واستشرى كالوباء، وأصبحت تلوكه الأقلام السياسية والإعلامية والإعلانية والأدبية والفكرية وغير ذلك. وراح يستخدم حسب الأهواء والمصالح العالمية بعد أن تم إلصاقه بالعرب والمسلمين بعناية وإتقان، واستقر في ذهنية الكرة الأرضية أن الإرهاب هو العرب والمسلمون وأن العرب والمسلمين هم الإرهاب.⁴¹

نموذج ثان عن هذه الفئة في صحف العينة يبين الأبعاد اللغوية للعبارة. وذلك ما نشر في صحيفة تشرين أيضا عن مصطلح " المغرب العربي " في استعمالنا السياسية والإعلامية، حيث حاول الاستعمار الفرنسي بشق السبل أن يطمس ويقضي على كل ما يتعلق بالهوية العربية في المجتمع المغربي ومنها محاولته القضاء على اللغة العربية هناك. وقد نجح في ذلك إلى حد ما وهذا ما دفعه إلى طمس التسمية المعروفة والمتداولة تاريخيا ومجتمعيا وهي تسمية المغرب العربي، والاستعاضة عنه بمصطلح يبعد الشعور بالانتماء العربي، وهو مصطلح الشمال الإفريقي. ومع مرور الأيام والسنين أخذ يتصاعد في الانتشار والاستمرار، حتى أصبح هو المصطلح السائد حاليا في زمن الإعلام والتقنية الاتصالية الحديثة. حتى بتنا نحن العرب لا نذكر دول المغرب العربي في وسائلنا الإعلامية والثقافية إلا باسم " دول شمال إفريقيا " مع أن شمال إفريقيا لا يضم سوى دول المغرب العربي إلى جانب مصر وليبيا.⁴²

وخلاصة الحديث عن هذا القسم من محور اللغة في الثقافة العربية الإسلامية أن اللغة العربية بلا شك هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بالهوية، وهي اللغة الإنسانية الوحيدة التي صمدت

سبعة عشر قرنا سجلا أمينا لحضارة أمتها في ازدهارها وانتكاسها وشاهدا على إبداع أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة.

⁴⁰ . نبيل علي، الثقافة العربية في عصر المعلومات. مرجع سابق. ص 232.

⁴¹ . جريدة تشرين، العدد (7971) في 2001/4/7. ص 9.

⁴² . نفس المرجع الأنف الذكر.

ب. قضايا خدمة اللغة العربية في النظام الإعلامي العربي في ظل العولمة:

ويبدو من خلال الجدول السابق أن الحلقة الأضعف في النظام الإعلامي العربي الجديد في صحف الدراسة هي فئة " محور اللغة العربية وتكنولوجيا الاتصال" حيث لم تتعد هذه الفئة عتبة 0,4 % وهي تعد نسبة شاحبة جدا إذا ما قيست بالنسبة الكلية لمحور اللغة العربية والعولمة والتي حصلت فيه على نسبة 16,9 % والتي تعد نسبة مقبولة جدا إذا ما قورنت بمعدل المتوسط الحسابي 16,7 % .

إن هذه النقطة الهامة في منظومة الإعلام العربي المعاصر ظلت طوال فترة الدراسة وفي أغلب صحف العينة لا تراوح نسبة الصفر إلا قليلا، فقد اهتمت صحيفة الأهرام بقضايا هذا المحور بنسبة 0,1 %، أما صحيفة الشروق فكانت 0,4 % وارتفعت النسبة إلى 0,5 % لكل من جريدتي تشرين والرأي العام، بينما انفردت جريدة الخبر الجزائرية بنسبة 1,3 %، وحاصل مجموع هذه النسب هو 2,8 % من أصل 0,4 % المذكورة سلفا. وهذا يدل على خلل رهيب في أحد أهم أوجه العربية الحديثة، إذ لم تدخل اللغة العربية في حيز تكنولوجيا الاتصال. فأهميتها التكنولوجية لا تتبع فقط من علاقة اللغة بتكنولوجيا الطباعة والاتصالات والبرمجيات، بل أيضا من الدور الخطير الذي تلعبه اللغة حاليا في تنوير معمارية الكمبيوتر إلى درجة اعتبار كمبيوتر الجيل الخامس حاسبا لغويا في المقام الأول. حيث الهدف منه . كما خلص البعض . هو كسر حاجز العزلة اللغوية التي تعاني منها اليابان أملا في السيطرة على سوق المعلوماتية العالمي، والذي يعد فيه تعامل تكنولوجيا المعلومات مع لغات العالم المتعددة عاملا حاسما في تحقيقي هذه السيطرة.⁴³

وقد ذهبت جريدة تشرين في عدد لها إلى أن اللغة العربية في عصر المعلوماتية تواجه تحديات حقيقية، وكي تبقى كائنا حيا لا بد للعربي أن يمتلك قواعد لغته من نحو وصرف وتوليد وحركة ونحن بحاجة إلى أن نستغل الثورة الرقمية في كسر الهوة:

. بين اللغة والمعارف الحديثة بما تطرحه من معطيات ومصطلحات .

. بين العرب قارئاً أو كاتباً وبين لغته وقواعدها .

كما تتساءل الجريدة: من أين نبدأ وكيف نستفيد من قدرات الثورة الرقمية ومن وسائل الاتصال الحديثة في بث الحياة والحركة المتجددين في العربية مع الحفاظ على جوهرها وهويتها.⁴⁴

أما النصيب الأكبر من اهتمام صحف الدراسة بقضايا خدمة اللغة العربية فقد نالته موضوعات الأدب والكتابات النثرية والروايات والقصص وما دار حولها من مؤتمرات وأيام دراسية بنسبة 2,6 % . وكذلك موضوعات الفن بنسبة 2,1 %، وبنسبة أقرب موضوعات الشعر والقصائد المنشورة في صفحات الجرائد موضوع الدراسة. وكان

⁴³ . نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، مرجع سابق. ص 349.

⁴⁴ . جريدة تشرين، العدد (7971) في 2001/4/7. ص 10.

مسار الصحف في هذه الفئة كما تعبر الكتابة **زهور ونيسي** في جريدة الشروق اليومي أن الفن والثقافة هما وسيلتان لتغيير العالم ككل، والكتابة هي الحياة، وهي أيضا هوس، توتر، ومعاناة تأخذ أبعادا متشعبة، ولحظة الكتابة هي أصدق لحظات الحقيقة، لأنها تخرج من القلب دون قيود وخلفيات، لأن المؤلف يكتب ما يريد دون تأثير الآخرين، أو الخوف أو الحذر مما سيقوله.⁴⁵

وفي جريدة الشروق اليومي أيضا أوردت مادة تحريرية منقولة عن الكاتبة نفسها زهور ونيسي حول إجابتها عن سؤال حول العلاقة بين السلطة والكتابة، اعتبرت الكاتبة أن «الكتابة هي سلطة أقوى من أي نظام سياسي لأنها تخاطب الروح والفكر وليس المادة، والمتقف هو الذي ينير الطريق للسلطة ويساعدها على تجاوز المحن والأزمات. لذلك فالأزمة التي يتخبط فيها الوطن العربي ككل هي ثقافية وفكرية محضنة، خصوصا وأن معظم الوزارات الثقافية في هذه البلدان ليست فاعلة وإنما شكلية فقط، فواقع الأدب سواء في الجزائر أو الدول العربية يعكس ما تعيشه من تقهقر وتدهور وأزمات مستمرة، أما الحرية فمحكوم عليها بالإعدام، وعلى المرأة في ظل هذا الصراع أن تواجه الدهنيات القديمة بواسطة العلم».⁴⁶

كما ركزت عينة الدراسة في هذه الفئة على ظاهرة المقروئية وعلاقتها بالذوق، ففي جريدة الشروق اليومي نشرت مواد إعلامية حول الظاهرة، وهي تذهب إلى أن الإنسانية والجمالية كانت سببا في خلود نصوص أدبية كثيرة، حيث عملت على صنع مقروئية للكاتب الفلاحي، ولو لم يفلح هذان العنصران لكانت كثيرا من الروايات الجزائرية الأيديولوجية نموذجاً والتي قد طبعت مرارا وترجمت إلى لغات عديدة وتناولها نقاد اشتراكيون روايات علمية. لكنها لم تكن رائعة ولا أكثر مقروئية في الجزائر ناهيك عن العالم العربي فقط إلا (ذاكرة الجسد) للشاعرة والروائية أحلام مستغاني، فقد صنعت هذه المرأة بروايتها ما لم تصنعه كل الروايات الأيديولوجية والروايات الرديئة في الجزائر، ولا أعني بهذا أنها رائعة علمية، فحسبها أن تكون جزائرية عربية وكفى».⁴⁷

كما كثرت أيضا المناقشات اللغوية والمجادلات الأدبية كمواد إعلامية تصب في خدمة اللغة العربية وقضاياها، ومن ذلك رؤية عرضتها عينة الدراسة في جريدة الشروق عن " رولان بارث " Roland barthes للغة، فهي عنده « ليست رجعية ولا تقدمية، وإنما هي فاشية، وذلك أن الفاشية لا تعرف فقط بمنعها القول بل

بإجبارها على القول. إن اللغة تدخل في خدمة السلطة بمجرد استخدامها وأن استخدامها الفاعل للتعبير عن العلم الحيني لا غير ».⁴⁸ ... ويخالف صاحب المقال مقولة " رولان بارث "، بل يرى أن الأدباء لا يغيرون اللغة إنما يغيرون

⁴⁵ . جريدة الشروق، العدد (157) في 13 / 5 / 2001. ص 15.

⁴⁶ . جريدة الشروق، العدد (157) في 13 / 5 / 2001. ص 15.

⁴⁷ . جريدة الشروق، العدد (236) في 13 / 10 / 2001. ص 15. في مقال بعنوان " المقروئية والذوق قراءة رؤيوية في موقع النص ".

⁴⁸ . جريدة الشروق، في مقال بعنوان " المقروئية والذوق قراءة رؤيوية في موقع النص ". العدد (311) في 11/11 / 2001. ص 15.

طريقة ووظيفة الكلمات بداخلها، وبمنحوتها مدلولات جديدة ويجررونها من أسرها الاصطلاحي، ويرمون بها في فضاء دلالات أخرى أكثر شمولية. وهكذا فنزار قباني مثلا لم يأت بلغة جديدة، لأن اللغة كما أسلفنا ملك مشاع. أما طريقة القول فهي ملك خاص. ... إن النظريات الغربية في مجال العلوم الإنسانية ليست هي دائما صائبة، وعلينا أن نأخذ الفكر الغربي من موقع الدارسين الناقدين له وأن لا تكون علاقتنا به علاقة معلم بتلميذ.⁴⁹

كما كان اهتمام صحيفة الرأي العام في جزء من صفحاتها بما ينشره الكثير من الشعراء والكتاب المبتدئين الذين يقعون في شرك الحداثة السلبية عبر انقيادهم لنصائح تعبر عن فكر أصحابها فقط، تحثهم على الإغراق في الرمزية وتهميش عقل المثقفي بما نسميه الارتقاء بأبعاد الشعر. ما خلق شرخا هائلا في مفاهيم هؤلاء المبتدئين بعد ما فقدوا شيئا مهما اسمه تلقائية الشعر.⁵⁰

ولو عدنا إلى المحورين الباقيين وهما محور "اللغة العربية وتحديات العصر" و محور "قواعد اللغة العربية"، حيث حازت الموضوعات الأولى على نسبة 1,9% بينما الثانية فقد فاقت الصفر بقليل، إذ بلغت 0,3%. وحين المقارنة بين هذين المحورين يمكننا فهم وجهة نظر القائم بالاتصال في هذا الموضوع، إذ لم تعد قواعد اللغة التعليمية أو النظرية محل بحث أو نظر بالنظر إلى التحديات التي تواجه العربية في عصر العولمة. ولم يعد مناسبا في خضم الأحداث والأزمات التي تمر بها الأمة العربية الإسلامية الحديث عن القواعد العربية البحتة في الصحف العربية، بل كل ما يشغل المفكرين واللغويين ورجال الثقافة العربية هو الحديث عما يواجه العربية من تحديات جسام منذ أعلن عن تطبيق النظام العالمي الجديد، ومنذ أن سرت وتشكلت معالم الثقافة العالمية في عالمنا العربي والإسلامي وخاصة بعد ظهور الشبكة العالمية للمعلومات "الأنترنت" لتفتح بوابات الفيضان أمام تدفق معلوماتي هادر تطغى عليه اللغة الإنجليزية، وهو الأمر الذي أثار الفزع لدى جميع الأمم غير الناطقة بالإنجليزية. وقد انتابها قلق شديد على مصير لغاتها القومية وهي توشك أن تنسحق أمام الإعصار المعلوماتي الإنجليزي الجارف تحت ضغوط اقتصادية وسياسية وثقافية هائلة. إنها الصيغة اللغوية لمصطلح "الانبريالية الثقافية" الذي شاع استخدامه هذه الأيام.⁵¹

أما آخر المحاور في هذه الفئات فهو محور الفن، وتمثل الفنون أهم سلع صناعة الثقافة التي تمثل بدورها أهم صناعات عصر المعلومات، وليس أمامنا في حالنا هذه إلا بديلان: إما أن ننتج فنا متميزا وإما أن نستورده على حساب مزيد من اختلال ميزان مدفوعاتنا ماديا وثقافيا. وبناء عليه من الخطورة بمكان أن يستمر غياب الحوار بين فنوننا والتكنولوجيا في عصر المعلومات.

وقد وردت نسبة الفن في صحف الدراسة بنسبة 2,1%، وهي نسبة مقبولة جدا إذا ما قورنت بنسب الفئات الأخرى. وقد ذكرت جريدة تشرين موادا تحريرية في مقال لها حول الفن التشكيلي بعنوان: "أجسد في أعمالي

⁴⁹ . نفس المرجع الآنف الذكر.

⁵⁰ . جريدة الرأي العام، العدد (12560) في 2001/11/9. ص 24.

⁵¹ . نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات. مرجع سابق. ص 233.

الهوية والشخصية والتراث العربي الأصيل"، يقول الفنان التشكيلي الذي حاورته الجريدة في حديثها الصحفي: من الواجب علي أن أجسد في أعمالي الهوية والشخصية والتراث العربي الأصيل... لاشك أن الغرب له إمكانات تقنية عالية يمكن أن تلعب في مشاعر الفنان الشرقي وشخصيته، هنا يجب علي الحذر من الهيمنة الدعائية ضد تراثنا العربي الإسلامي، وهنا أيضا تكمن قدرات الفنان التشكيلي ووعيه الثقافي والفكري في الوقوف في وجه التحديات ضد التراث العربي لكي يستطيع إيصاله إلى المتلقي العربي .

ثم يواصل الفنان التشكيلي حديثه الصحفي: إن أي عمل فني تشكيلي يصل إلى العالمية عندما يعالج حقيقة الواقع الإنساني عن طريق أحاسيسه وانفعالاته الداخلية السابقة، فالعمل التشكيلي الفني عندما تتوفر فيه الشروط الكاملة يصل، واللوحة في المفهوم الذوقي هي قول ملا يقال إلا بالخط واللون. فالزهد في روحانية الحرف العربي هي أهم السمات في قوة التعبير في موروثنا الحضاري العربي الإسلامي، وهذه الخاصية يفقده الفنان أو الإنسان الغربي".⁵²

5. قضايا التربية ومحوريتها:

إذا انطلقنا في تحليلنا لهذا المحور بسؤال أساس وهو: هل تحلت المنظومات الإعلامية العربية عن تداول مفاهيم التربية إلى الحد الذي يجعل من عنصر التربية أقل شأنًا من سائر عناصر الثقافة الأخرى، بل والأضعف نسبة ووجودا في الصحف العربية؟ فأين هي مفاهيم التربية في صفحات جرائدنا؟ أين مفاهيم التربية الخلقية والمدنية والعلمية من الصفحات الثقافية في صحفنا العربية؟.

لقد تدنت العناية بعنصر التربية في صحفنا العربية بنسبة 7,5% عن معدلها الحسابي المتوسط، وهذا له دلالات كثيرة لا تخرج عن تأثيرات العولمة الثقافية على مجتمعاتنا الحديثة وعلى صناعات السياسة الإعلامية العربية. ولم يدرك بعد ساسة الإعلام عندنا أن أزمة مجتمعنا العربي المتفاقمة هي في جوهرها أزمة تربوية، وليس لنا سوى التربية مخرجًا لانتشال أمتنا العربية من أزمتها الراهنة؛ فالتربية هي مداخلنا إلى تنمية شاملة وصامدة، ودرعنا الواقعي ضد الاكتساح الثقافي في عصر العولمة.

ومن جهة تناول الإعلام في عينة الدراسة، ولو نظرنا إلى نسب التفاوت بين فئات هذا المحور الحيوي من محاور الثقافة فإننا نجدتها متقاربة جدا، حيث تحوم نسبها بين 1,3% إلى 4,2% في كل فئات موضوعات التربية، وذلك حسب ما يورده الجدول رقم (20) التالي حيث يسجل فارق نسبة الفئة بالتي تليها:

جدول رقم (20)

يسجل قيمة الفارق بين النسب

الفارق	النسب	القضايا
0,1	1,3	مفهوم التربية وما يميزه عن الثقافة
0,1	1,4	الإعلام والعمل التربوي في التصدي للعلامة الثقافية
0,3	1,5	العملية التربوية بمفهومها الإسلامي الشامل
1,0	1,8	التربية الإسلامية وبناء الشخصية
—	2,8	الأفكار والمفاهيم كإحدى مقومات التربية والثقافة
—	9,7	المجموع

لقد كشفت الدراسة وفقا للتصنيف المتبع أن حجم المادة التحريرية الخاصة بمحور التربية هي الوحيدة التي التزم فيها القائم بالاتصال وفي كل الصحف العربية الخمسة بالتوازن في التغطية، حيث عولجت موضوعات هذا المحور في أبواب ومساحات خاصة في الصفحات الثقافية في هذه الصحف. غير أن ما يشد انتباه الناظر للجدول رقم (17) التقارب الشديد في مستوى التغطية لموضوعات التربية وقضاياها. إلا ما ورد في جريدة الخبر الجزائرية التي انفردت بنسبها الصغرى في كل قضايا التربية الواردة في استمارة التحليل، وهذا يدفعنا إلى للدّش والحيرة. إذ كيف بجريدة واسعة الانتشار والصيت داخل الوطن وخارجه لا تتعرض بالتناول لعنصر من أهم عناصر الثقافة وهو التربية وفي طول مدة الدراسة المقدرة بسنة؟ ولماذا غابت أو غيّبت قضايا التربية في هذه الجريدة من صفحاتها الثقافية، أم أن قضايا الفن والفنانين التي حازت في صفحة الجريدة رقما مرتفعا من التكرارات حالت دون وجود موضوعات التربية في صفحات جريدة الخبر؟.

وعلى خلاف ما ورد في صحيفة الخبر، فقد كثرت في جريدة الشروق اليومي المواد التحريرية الدالة على هذا المحور، على اعتبار أن جريدة الشروق الوطنية هي الحاملة لراية الدفاع عن العربية المعاصرة. ويتجلى ذلك في مناقشاتها الطويلة حول منظومة التربية في الجزائر، وما يطرأ عليها من تغيير وتحديد في البرامج التي تحكمها الأيديولوجيات والرؤى الشخصية أكثر من الدراسات الاستطلاعية للخبراء والمختصين. وما يلاحظ في الجريدة وفي كل حواراتها وما تنشره من مواد أنها تؤمن بالطرح الموضوعي للمساجلات والنقاشات والتوجه الحيادي والهادف لوسائل الإعلام خير سبيل لتصحيح كثير من الشعارات التي ظلت براءة توهم بالصواب ذلك بأن مدرسة بدون إعلام يخدمها هي مدرسة مشلولة عن أداء مهامها على الوجه المطلوب.⁵³

أما أعلى نسبة في هذا المحور من محاور الثقافة الإسلامية فهي الخاصة بفئة " الأفكار والمفاهيم كإحدى مقومات التربية والثقافة"، حيث وردت 2,4% من النسبة الإجمالية لكل القضايا الفرعية الواردة في جدول الفئات.

وقد ساقّت جريدة الرأي العام مقالا في هذه فئة عن وجود مشكلة في العالم العربي بخصوص الثقافة، إذ هناك فقر في الوعي الثقافي لدى المواطن العربي ولدى المسؤول العربي، والثقافة مهمشة في كل الدول العربية باستثناء بعض الدول، أن الثقافة تأتي في أولوية متأخرة مقارنة مع الأولويات الاقتصادية والسياسية، والسبب في ذلك هو الفقر لدى الجمهور والأنظمة السياسية بأهمية دور الثقافة. ولو أعطيت الاهتمام الذي تستحقه ستكون هي القاعدة التي تبنى عليها الإصلاحات الاقتصادية والسياسية وغيرها. وهذا يجعلنا نعتقد أننا نستحق أن نحتفي بإعلان عواصمنا عواصم للثقافة العربية من أجل محاولة تعميق الوعي بالثقافة، ومحاولة نشر الوعي الثقافي، وعلى الأقل لفت الأنظار نحو الثقافة وربطها بالتنمية الشاملة ودورها في تعزيز التضامن العربي.⁵⁴

6. قضايا التراث:

يعد التراث في الفكر الفلسفي العربي المعاصر تاريخا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا زاخرا، ترك أساطير ومخطوطات ومؤلفات و شروحات وسير تفاسير وفلسفات وعلم كلام وفقه وأحكام وشرائع استنبطها الأئمة المجتهدون ويخضع لها جميع المكلفين. ولأجل هذه الأهمية وردت قضايا التراث بنسبة متوازنة مع نسب الموضوعات الأخرى للثقافة الإسلامية حيث بلغت 6, 15 % . وانشطرت قضايا التراث في استمارة التحليل على قسمين:

- . قضايا مركزية التراث.
- . قضايا قراءة التراث في اللحظة الراهنة.

أ. قضايا مركزية التراث:

وشمل هذا العنصر " التراث في الوعي العربي والمعاصر "، " مدلول التراث في التصور الإسلامي "، و " التراث المعرفي الإسلامي "، و "قضايا أخرى". حيث حصلت هذه الفئات في مجموعها على نسبة 5, 7% من أصل 6, 15 % أي بفارق 1, 8% لصالح قضايا القسم الثاني الخاصة بهذا المحور. وتعني هذه المعدلات أن القائم بالاتصال قد وفق في توزيع درجات الاهتمام بالتساوي بين القسمين السابقين حيث وردا متقاربين جدا. بيد أن ما يشدنا في هذا القسم الأول أن فئة " مدلول التراث في التصور الإسلامي " وردت بنسب منخفضة جدا في

صحف الدراسة، حيث سجل في الجدول نسبة 8, 0 % ، بحيث وردت نسبة 0, 0 % في جريدة الخبر، ثم 3, 0 % في جريدة تشرين، و 7, 0 % في جريدة الرأي العام، و 9, 0 % في جريدة الأهرام، وانفردت جريدة الشروق اليومي الوطنية بـ 2, 1 % وكلها نسب متدنية لا ترقى إلى مستوى عنصر دراسة التراث في التصور الإسلامي.

وتعد الفئة الأولى في هذا المحور المركزي وهي "التراث في الوعي العربي المعاصر " من أهم الفئات الفرعية إطلاقا في الفكر الفلسفي المعاصر، وقد حصلت في جدول الإحصاء على معدل 2, 8%. وفي هذا السياق نشرت

⁵⁴ . راجع جريدة الرأي العام، العدد (12502) في 13/9/2001. ص 17.

جريدة الشروق الوطنية في فترة الدراسة مواداً تحريرية حول التراث والوعي العربي المعاصر، منها ما نشرته عن رؤية المفكر العربي المغربي محمد عابد الجابري للتراث والحداثة في الفكر المعاصر تحت عنوان " خلفية الخطاب الفلسفي العربي المعاصر وفق تصور جزائري وإشكالية المرجعية الفكرية في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر"،⁵⁵ فالتراث طالما أخذ كسببية بحث لتوفره على شحن وجدانية متلازمة وبطاريات أيديولوجية مبطنة من خلال مناقشة الأستاذ الدكتور بغيرورة حول مناقشته لمشروع المفكر العربي المغربي محمد عابد الجابري كنموذج عاملي محور حول ما يسمى تجاوزاً " نقد العقل العربي" وعلاقاته بالتراث والحداثة، جاء في الصحيفة: «تبدت مهمة الجابري في إيجاد سياق نظري يؤاخي بين التدوينات واستمراريات العصرنة في التراث، ويعدد فواصل الذات والموضوع في عملية النقل الشكلاني من حقل معرفي إلى آخر ومن ثقافة على أخرى تتوازن فيها وحدة الفكر تاريخيته وفلسفته القارئة. استوعب الجابري حسب الأستاذ بغيرورة الحداثة كنسق مرتفع يرتقي بالتراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة وهي تقتضي: الانتظام النقدي في التراث العربي، حداثة المنهج والرؤيا والهدف، التصور المتحرر من شوائب العاطفة والانتماء، التحلي عن الإطلاعية والاتسام بالابتدائيات المعقلنة الفاعلة لا المنفعلة»⁵⁶.

أما فئة " التراث المعرفي الإسلامي " فتعد في جدول الإحصاء من أكبر النسب المئوية حيث سجلت 3,1% من مجموع النسب الكلية لكل الفئات الفرعية في الجدول رقم (17) وفي هذا السياق نشرت صحيفة الخبر مواداً إعلامية حول هذه الفئة في فترة الدراسة، ولعل أفضل هذه المواد ما أشارت إليه الجريدة في حديثها عن برنامج عربي لحفظ " ذاكرة التاريخ "، وذهبت إلى « أن الجزائر تتوفر على مخزون كبير من المخطوطات التي تتعلق بالعلوم العربية والإسلامية، وهي متواجدة بالزوايا والمساجد تحت قبضة حواص. وأشار الدكتور بسام الدغستاني عضو الوفد العربي المتخصص في المخطوطات والآثار الإسلامية وعضو مجمع المساجد بالإمارات العربية في سياق حديثه عن أهداف زيارة الوفد للجزائر أنه سيتم في المرحلة الأولى تصوير أمهات المخطوطات باستعمال أحدث وسائل التكنولوجيا ووضعها على أقراص مضغوطة حسب هويتها وشكلها ورونقها الأصلي مع إمكانية طبعتها لاحقاً، ذلك بتجليدها وزخرفتها حسب مناطق انتمائها حفاظاً على الهوية وشخصية المخطوط، وهو ما ترمع هيئة الثقافة والعلوم الأومية والعربية القيام به على مدى خمس سنوات. وقال في ختام ندوته الصحفية أن نجاح العملية يحتاج إلى كسب ثقة ومصداقية مالكي هذا التراث الفكري بالأساس»⁵⁷.

ب. قضايا قراءة التراث في اللحظة الراهنة:

ويشمل هذا العنصر " قضايا التاريخ العربي الإسلامي " و " محور العادات والتقاليد " و " محور الفكر العربي والتاريخ " و " محور الآثار العربية والعمران " و " قضايا أخرى ". حيث وردت النسب المتعلقة بالتاريخ أعلى نسب هذا المحور، إذ بلغت في مجموعها 5,0 % من مجموع 8,1 % الخاصة بهذا القسم الثاني من محور التراث.

⁵⁵ . جريدة الشروق، العدد (101) في 3 / 3 / 2001. ص 14.

⁵⁶ — جريدة الشروق، مرجع سابق. ص 14.

⁵⁷ - جريدة الخبر، العدد (3165) في 13 / 5 / 2001. ص 19.

ويلحق بهذا المحور ولأجل تصحيح المفاهيم أيضا للقارئ العربي وخاصة مع انتشار تقنية الشبكة العنكبوتية " الأنترنت " وتمكين المستعمل العربي لهذه التقنية من الاطلاع على الصحيفة الإلكترونية، عمدت صحيفة تشرين السورية إلى نشر مواد تحريرية تاريخية في فترة الدراسة وفي صفحة خاصة محورها الرئيس دراسة حول الحركة الصهيونية. وكيف حاول اليهود تطويع التاريخ ومخاطبة الفكر العربي والغربي على السواء من الأسبقية التاريخية لليهود في حقهم في تكوين وطن قومي يجمعهم. وقد أثبتت الصحيفة عناوين عدة حول هذا المحور الأساس من مثل: " المؤرخون الجدد " و " رحلة البحث عن سرديّة جديدة لتاريخ إسرائيل " و " من تاريخ العلاقات الصهيونية النازية و " موضوع " فشل سياسة الاغتيالات الإسرائيلية".⁵⁸

كما لم يسلم هذا المحور من النسب البيضاء أو ما يقارنها خاصة محور " العادات والتقاليد " بنسب 4 0,2% ومحور " العمران العربي " 0,2% ومحور " القضايا الأخرى " 0,9%. كما ورد محور " الآثار العربية " بنسبة متدنية أيضا حيث وردت 1,6% فقط. وفيما يلي نماذج من مواد تحريرية من عينة الدراسة حول فئات الفكر العربي والتاريخ والآثار العربية وفئة فن العمارة، لنلاحظ طبيعة سرد وتحليل هذه المواد الإعلامية في صحف الدراسة:

ورد في صحيفة الشروق اليومي في فئة " الفكر العربي والتاريخ " أن السياسة الاستعمارية في الجزائر ظلت تحافظ على ثوابت معينة يمكن لنا وصفها باستراتيجية الاستعمار العامة. « فقد عمل الغزاة منذ أن وطئت أقدامهم هذه الأرض على محاربة الشعب الجزائري بكل ما أوتوا من قوة مادية، وعلى ضرب مقوماته الروحية التي تفقد كل وسائل المقاومة الأخرى بدونها أية أهمية أو فاعلية. . . . ويقوم العمل الروحي على شقين يتمثل الأول في هدم البنيات الثقافية والروحية والأنظمة والتقاليد الاجتماعية التي كانت قائمة قبل الغزو من جهة، والثاني يتمثل في إحلال بنيات أخرى محلها تستمد مقوماتها من البنيات الثقافية والروحية والتقاليد الاجتماعية الأوروبية المسيحية من جهة أخرى

59
«.

أما فئة الآثار فأوردت صحيفة تشرين السورية حولها مواداً تحريرية كثيرة حول الأهمية الاستراتيجية لهذا الفئة في خضم التنافس الحضاري الحاصل اليوم، فعالم اليوم المشحون بالصراعات المعرفية والثقافية يتطلب التأهب والدفاع عن الوجود حيث تتجلى الأوابد الأثرية معينا وحصنا منيعا وشاهدا على إرادة النهوض الحضاري، والمشاركة في إنتاج المعرفة التي تشكل سبيلا من السبل المتعددة للخلاص من الهيمنة والتبعية الغربية التي شكلتها معرفة الآخرين. فالعلم والمعرفة إنما يكونان بالبحث والإنتاج المعرفي التي تنجزه المؤسسات الوطنية القادرة على خدمة مصالحنا وأهدافنا... أدركت أمم العالم الفوائد العديدة للآثار والممتلكات الثقافية في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

⁵⁸ . جريدة تشرين، العدد (8131) في 13 / 10 / 2001. ص 9.

⁵⁹ . جريدة الشروق، العدد (361) في 13/9/2001. ص 15.

والتربوية والعلمية والسياحية والدولية. فقد أصبح الكثيرون يتحدثون عن الآثار وأنواعها وتاريخها وخصائصها الفنية وقيمتها الجمالية مما أسهم جدياً في رفع المستوى الاجتماعي ونشر المعرفة وتنمية الذوق الفني والحس الجمالي.⁶⁰

وفي فئة " فن العمارة " ساقط أيضاً صحيفة تشرين موضوعات عدة وفي صفحات متخصصة غير ثابتة عن أهمية هذه الفئة في العصور القديمة، أو حتى في استمرار فن العمارة وما يحمله من دلالات تاريخية كالهوية العربية الإسلامية في العمارة الحديثة. وكانت المواد الإعلامية المنشورة قد أخذت العناوين التالية: "عمارة متكاملة شكلاً ومضموناً تحترم البيئة والتراث، وتحفظ كرامة الإنسان " كما ساقط الصحيفة عنواناً آخر " التأكيد على ضرورة أن تكون العمارة ابنة البيئة تكتنز على شخصية إنسانها وقيمه المادية والروحية ".⁶¹

وخلاصة محور التراث كما ذكر الدكتور نبيل علمي: إن علينا - في إعلامنا - أن نعيد اكتشاف تراثنا العربي والإسلامي، وما أروع أن نتحول في بساتين التراث الفارسي والتركي والفرعوني والبربري والطوراني نلتقط من زهورها باقات إبداعية نمزجها باستخدام تكنولوجيا الوسائط المتعدد. لقد عجزنا عن تفجير الشحنة الإبداعية الكامنة في تراثنا العربي والإسلامي لأننا قد حرمانه حقه في الحوار مع تراث الآخرين.⁶²

المبحث الثاني

فئات موضوع قضايا البعد الثقافي للعولمة في صحف الدراسة

يهدف هذا البحث الكشف عن حقيقة البعد الثقافي للعولمة. والتعرف على أهم القضايا الخاصة بالبعد الثقافي الذي تم تناوله في المواد التحريرية المدروسة ولاسيما أن العولمة عملت على تعميق وتكثيف الوعي العالمي، أي

⁶⁰ . جريدة تشرين، العدد (8028) في 11/6/2001. ص 12.

⁶¹ . جريدة تشرين، العدد (8155) في 11 / 11 / 2001. ص 9.

⁶² . نبيل علمي، الثقافة العربية في عصر المعلومات. مرجع سابق. ص 386.

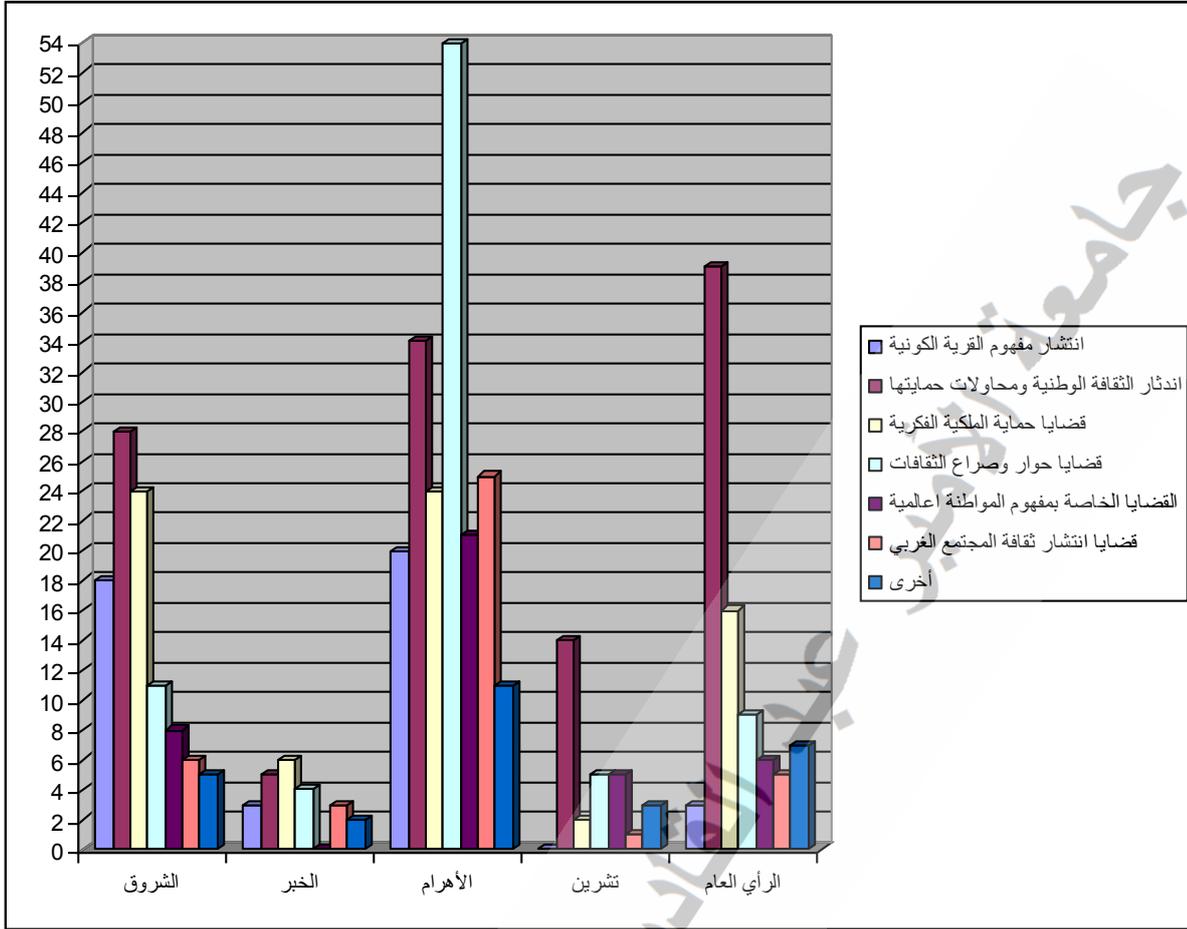
بمعنى أدق أوجدت اتجاهها متزايدا نحو عوامة الثقافة. وفيما يلي عرض للنتائج الخاصة بالبعد الثقافي في الجدول التالي رقم (21):

جدول رقم (21)
البعد الثقافي للعوامة في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف
		الرأي العام		تشيرين		الأهرام		الخبر		الشروق		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	البعد الثقافي للعوامة
10,3	44	3,5	3	0,0	0	10,6	20	13,0	3	18	18	
28,1	120	45,9	39	46,7	14	18,0	34	21,7	5	28	28	اندثار الثقافة الوطنية ومحاولات حمايتها
16,9	72	18,8	16	6,7	2	12,7	24	26,1	6	24	24	قضايا حماية الملكية الفكرية
19,4	83	10,6	9	16,7	5	28,6	54	17,4	4	11	11	قضايا حوار وصراع الثقافات
9,4	40	7,1	6	16,7	5	11,1	21	0,0	0	8	8	القضايا الخاصة بمفهوم المواطنة العالمية
9,4	40	5,9	5	3,3	1	13,2	25	13,0	3	6	6	قضايا انتشار ثقافة المجتمع الغربي
6,6	28	8,2	7	10,0	3	5,8	11	8,7	2	5	5	أخرى
100	427	100	85	100	30	100	189	100	23	100	100	المجموع

ومن خلال هذه الأرقام الواردة في الجدول يتضح لنا أن المادة التحريرية حول قضايا " اندثار الثقافة الوطنية ومحاولات حمايتها " كانت أكبر حجما مقارنة بغيرها من الفئات الأخرى، بل ابتعدت هذه الفئة في حجمها ونسبتها كثيرا عن حجم الفئة الموالية لها وهي فئة قضايا " حوار وصراع الحضارات والثقافات " رغم أهميتها في الفكر الفلسفي العالمي الحالي. وهذا يشير إلى مدى التفاف الشعوب العربية حول ثقافتها المتنوعة ومحاوله حماية هذه الثقافات من الاندثار من جراء تأثيرات العوامة الثقافية. والشكل التالي رقم (04) يوضح بالتفصيل البعد الثقافي للعوامة في صحف الدراسة.

شكل رقم (04)
يوضح البعد الثقافي للعوامة في صحف الدراسة



بالنظر إلى بيانات الجدول السابق والشكل رقم (04) نجد نتائج فئة البعد الثقافي للعملة في صحف الدراسة تشير إلى تقدم بعض القضايا على أخرى، بل انشطرت قضايا هذه الفئة إلى جدولين متباينين؛ قضايا البعد الثقافي ذات الصدارة والاهتمام في صحفنا العربية، وقضايا البعد الثقافي التي لم تلق العناية من القائم بالاتصال في ذات الصحف.

أما الأولى فتضم قضايا " اندثار الثقافة الوطنية ومحاولات حمايتها "، وقضايا " حوار وصراع الثقافات "، وقضايا " حماية الملكية الفكرية " حيث نالت ثلاثتها على نسبة 64,4 % وهي نسبة تحمل العديد من الدلالات على مستوى تطور ظاهرة التفكير والتنمية البشرية لدى الناشر العربي وبالتالي المثقف العربي الذي كان وراء ذلك النمو في الممارسة الفكرية تجاه القضايا المعاصرة ولاسيما الحساسة منها كقضية " اندثار الثقافة الوطنية ومحاولات حمايتها " في ظل العالم المعولم ثقافيا اليوم، والذي تسعى القوى العالمية اليوم الاستحواذ على الثقافات الوطنية لإذابتها في بوتقة الثقافة الغربية.

وقد أظهرت النتائج أن هذا العنصر لوحده قد شمل نسبة 28,1%، وهي نسبة في غاية الأهمية تدل على الوعي الشديد في صحفنا العربية بما تحمله ثقافة العالم الواحد من نوايا شديدة القسوة في نزع ثقافات العالم المتعددة واستبداله بالأحادية الثقافية الغربية، وهذا مناف لطبيعة الوجود البشري أساسا. فالعولمة تسعى إلى تشجيع الانقسامات القومية والدينية والعرقية والثقافية باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، مؤكدة على صراع الثقافات في مسعى إلى تفتيت الكيانات الكبيرة القائمة على أساس التعدد الثقافي والقومي والديني. ومن جهة ثانية تعمل على توحيد العالم على ثقافة أمريكية واحدة. وهذا المنحى ليس جديدا في السياسة العالمية للدول الكبرى، فلكي تعيد تشكيل العالم عليها تفكيكه هذا هو جوهر السياسة الأمريكية في هذه الحقبة من الزمن.

كما سعت العولمة الثقافية إلى تغريب الثقافات الوطنية من خلال آليات أصبحت أكثر قوة، مثل وسائل الإعلام والتقنية الحديثة واحتكارها على مستوى المعرفة وعلى مستوى التشغيل. وكان لصناعة الثقافة دور مهم في هذا الإطار حيث تم توجيه نمط الثقافة من منطلق ما بعد الحداثة نحو إعادة إنتاج وتقوية منطلق الاستهلاك لدى الشعوب.⁶³

أما ما يدفعنا حقا للدَّهْشِ هو ما ظهر من نسبة عالية لقضايا " حوار وصراع الثقافات "، والتي نالت من الجدل والخصومة بين المفكرين العرب ومثقفهم على صفحات الجرائد الشيء الكثير بين مؤيد ومعارض. فنسبة 19,4% من أصل النسبة الكلية 100% توجي بقوة الجدل الدائر بيننا وبتفوق قوى الثقافة العالمية في إثارة الموضوع بين الحضارتين الإسلامية والغربية. وخصوصا إذا أدركنا أن المتوسط الحسابي لدرجة الاهتمام في هذه الفئة هو 14,2%، أي بزيادة 5,2% عن حسابها المتوسطي.

وأعتقد أن سبب هذا التوجه في صحفنا العربية نحو موضوعات حوار وصراع الحضارات والثقافات هو فكرة التثاقف والحوار التي نادى بها المجموعات البشرية والقوى العالمية على السواء. والتثاقف في مفهوم منظري الحضارات عملية تتم في الحركة بين الانفتاح على الآخر وبين العودة إلى الذات. وهي حركة ثقافية طبيعية تقود

إلى السمو بكل هو إنساني عام واختياره، وطرح كل ما هو محلي أو ظرفي في الثقافات، فليس من علاقة على الصعيد الإنساني إلا ومن شأنها التأثير المتبادل.

أما الصراع بين الحضارات فقد أوعز المفكر الغربي **صموئيل هنتنغتون** Huntington Samuel ذلك إلى أن المصدر الأعمق للصدام في هذا العالم الجديد لن يكون في الدرجة الأولى أيديولوجيا أو اقتصاديا، بل ستكون الثقافة هي المنبع المهيم على الانقسامات والصدامات الكبرى بين البشر. خالصا إلى التأكيد على أن صدام

⁶³. أحمد مجدي حجازي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث. مرجع سابق. ص 110.

الحضارات سيسيئر على السياسة العالمية وستكون الحدود الثقافية بين الحضارات في الوقت نفسه خطوط القتال فيما بينها.

وذهبت صحيفة الرأي الكويتية في تحليلها لمقولة **هنتنغتون** بقولها: وعلى خطورة تصديق المقولة والأخذ بمحتواها واعتبار أن الصراع في العالم بات يدور بين الحضارة الغربية المسيحية المتقدمة والحضارة الشرقية العربية الإسلامية المتخلفة وثقافات الحضارتين المتواجهتين بالتالي؟ وعلى خطورة الوثوق بأن الغرب المسيحي المتقدم سيقضي على الشرق المسلم العربي المتخلف كما قضى من قبل على المعسكر الاشتراكي وتقويض زعامته المتمثلة بالاتحاد السوفيتي؟ وعلى خطورة الانجرار في منطق كهذا والتحشيد بين الشعوب من الطرفين للقتال والمواجهة... فإن الأخطر والأعتى يكمن لا في تأييد أو معارضة المقولة الراهنة، ولا في إبراز صحة ما تذهب إليه أو نفي إدعاءاتها ورؤيتها... بل في حال أخرى تبدو غريبة ولكن فيها يكمن خبث لعين ينطلي على الكثيرين بتنبه منهم أو دون تنبه والذي يمكن أن نختصره بالقول الآتي: أيا كان رأيك ببضاعتنا... روج لها.⁶⁴

وقد كانت الصحف العربية وقبلها الغربية والكتابات الأجنبية قد روجت كثيرا لهذه المقولة ومن بينها صحف العينة. وإن كان ما ينشر في مجمل الصحف انعكاسا حقيقيا لنوع ثقافة المجتمع المروجة، ولذلك ظهرت نسبة موضوعات حوار وصراع الحضارات في جدول الإحصاء عالية مرتفعة.

ولو عاودنا النظر في آخر القضايا تقديما في القسم الأول من هذه الفئة لوجدنا قضايا " حماية الملكية الفكرية " والتي حازت على نسبة 16,9% أي بزيادة 2,7% من درجات الاهتمام على معدل المتوسط الحسابي، وهذا يدل على أن حماية الملكية الفكرية أضحت الآن من أكثر قضايا العولمة التي تثير النقاش على المستوى الدولي نظرا لارتباطها الشديد باتفاقية " الجات " وضرورة تطبيقها خلال السنوات السابقة. وبالتالي كان من الطبيعي أن تظهر في العينة بصورة جيدة

إن هذه القضايا الثلاث في طبيعة مفاهيمها تعد ذات طابع لصيق بمهوية المواطن العربي المسلم وخصوصيته؛ فقضايا " اندثار الثقافة الوطنية ومحاولات حمايتها "، أو قضايا " حوار وصراع الثقافات " أو قضايا " حماية الملكية

الفكرية" يعد المساس بها مساسا بأحد مقومات وجود الكيان العربي المسلم، لذلك لم تستطع الصحف العربية الابتعاد عما يدور في عقلية القارئ العربي ووجدانه عما تريد الثقافة العالمية من صياغته من أبعاد. والمشكلة المطروحة على الساحة العربية والتي تقلق بال المسلمين وتثير مخاوفهم هي اتجاه الغرب إلى صياغة ثقافة عالمية ذات أربعة أبعاد تفرضها على الثقافة الإسلامية:⁶⁵

⁶⁴ . جريدة الرأي العام، العدد (12597) في 16/12/2001. ص 17.

⁶⁵ . محمد الشبيني ، صراع الثقافة العربية الإسلامية . (د ط) . دار العلم للملايين. ص 240 .

البعد الأول: هو أن تكون الثقافة العالمية مصدرها الحضارة الغربية المسيحية مما يؤثر سلبا على الثقافة الإسلامية ، ويهدد هويتها ويعتدي على خصوصيتها.

البعد الثاني: هو أن تكون الثقافة العالمية أحادية تفرضها الدول الغربية على العالم الإسلامي من دون مراعاة لطبيعة حضارته التاريخية، وعقائده وتقاليد القومية.

البعد الثالث: هو أن تعمل الثقافة العالمية على تهميش الثقافة الإسلامية، وإضعاف كيانها والتقليل من شأنها.

البعد الرابع: هو تهديد الثقافة العالمية لمنظومة القيم الاجتماعية والفكرية العربية الأصيلة، والتخلي عن ثوابته الدينية الخاصة بها، مما يتجاني مع الثوابت الإسلامية ومركزاتها.

فالعولمة الثقافية إذن تسعى كهدف عام لها إلى إعادة تركيب المجتمعات بعد تجريدتها من هويتها الأصلية وتزوير وعيها الجمعي وفرض الإرادة الغربية عليها وإجبارها على التعايش الاضطراري مع الواقع الجديد، كما هو حال ذلك التعايش الذي بدا وكأنه نتيجة منطقية. ويخفي وراءه تهميشا يبدأ بإنكار تعريف الذات وينتهي بإسقاط الصفة الحضارية عنها.⁶⁶

أما على مستوى عناية الصحف العربية بهذا القسم الأول من قضايا البعد الثقافي للعولمة، فإننا نجد أنها كلها وحتى جريدة الخبر الجزائرية التي انخفضت نسبتها في الجداول الأولى قد تخطت عتبة 59,0 % من مجمل القضايا الأخرى المشكلة لهذه الفئة ككل، وتفصيل ذلك أن:

- . جريدة الرأي العام حققت نسبة 75,3 %.
- . جريدة تشرين حققت نسبة 70,0 %.
- . جريدة الخبر الوطنية حققت نسبة 65,2 %.
- . جريدة الشروق اليومي الوطنية حققت نسبة 63 %.
- . جريدة الأهرام حققت نسبة 59,3 %.

أما إذا عدنا إلى بيانات القسم الثاني من هذا الجدول فهي تضم الفئات الفرعية الأربعة الباقية وهي:

- . فئة " انتشار مفهوم القرية الكونية " . وشملت 44 تكرارا، وبنسبة 10,3 % .
- . فئة " القضايا الخاصة بمفهوم المواطنة العالمية " . وشملت 40 تكرارا، وبنسبة 9,4 % .
- . فئة " قضايا انتشار ثقافة المجتمع الغربي " . وشملت 40 تكرارا، وبنسبة 9,4 % .
- . فئة " قضايا أخرى " . وشملت 28 تكرارا، وبنسبة 6,6 % .

⁶⁶ . منعم العمار، العولمة. نقلا عن حسن عبد الله العايد، مرجع سابق. ص 109. ص 22.

فإذا كانت مجموع تكرارات هذا القسم 152 تكرارا، أي بنسبة 7, 35 % فهذا يعني نفي الاهتمام الكبير من قبل القارئ بالاتصال بمحور هذه الفئات، إذ كانت العناية أعمق بالقسم الأول الذي كانت نسبته 4, 64 % .

ونستخلص من خلال معالجتنا لقضايا البعد الثقافي للعولمة من خلال الجدول والشكل السابقين ما يلي:

- . تقدم نسب القضايا في الصحف العربية محل الدراسة التي تعالج موضوعات البعد الثقافي الدالة على محور الخصوصية والذاتية وماله صلة بالهوية.
- . انخفاض نسبة موضوعات البعد الثقافي التي تحمل المفاهيم الحديثة المعاصرة كمفهوم القرية الكونية والمواطنة العالمية وانتشار ثقافة المجتمع الغربي.
- . تعد جريدة الأهرام المصرية والشروق اليومي الوطنية والرأي العام الكويتية أكثر الصحف العربية تناولا لقضايا البعد الثقافي للعولمة.
- . انخفاض تكرارات صحيفتي الخبر الوطنية وتشيرين السورية أثناء معالجتها لقضايا البعد الثقافي إلى حدودها الدنيا.

نموذج تحليلي للمواد التحريرية في فئة "البعد الثقافي للعولمة في صحف الدراسة":

ليس أدل على قوة المعالجة الصحفية في عينة الدراسة من تناولها لقضايا صراع الحضارات وحوار الأديان والثقافات⁶⁷ في فترة الدراسة. حيث خصصت صحف الدراسة الكثير من المواد التحريرية حول هذه الفئة التي طفت على سطح الدراسات الإعلامية، سواء فيما ينشره الكتاب في مؤلفاتهم أو ما يكتب على صفحات الجرائد العربية.

غير أن مجمل ما سجله الكتاب في صحف العينة يتجه إلى أن الحوار العربي والإسلامي انحصر مع الغرب حول الصورة السلبية التي استقرت لدى كل منهما عن الآخر، كأنما لم يعد ثمة أهمية لإطلاقا للحوار بيننا وبين الغرب حول صناعة القرار الدولي والتوازنات العالمية، وغدونا نبدو وكأننا غير معنيين بها في حين أن المصالح المشتركة بيننا وبين الغرب أقوى بكثير من تلك التي يتحاور باسمها الغرب مع الصين والهند والكوريتين.⁶⁸

⁶⁷ حوار الأديان: منذ ستينات القرن العشرين بدأ الاهتمام بالحوار الإسلامي المسيحي حول القيم والثوابت الإيمانية المشتركة، وحول دور الدين وعلمها في مواجهة قضايا العصر. وكانت البداية بالفاتيكان حيث تأسس المجلس البابوي للحوار بين الأديان تحقيقا لما تقرر في المجمع السكوني الفاتيكاني الثاني. وتوجد حاليا اللجنة المشتركة بين الأزهر الشريف وهذا المجلس تنسق العمل فيما بينها، وقد عقدت هذه اللجنة لمؤتمراتها في القاهرة وفي روما. (جريدة الأهرام، العدد (42013) في 16 / 12 / 2001. ص 10).

⁶⁸ محمد علي الكبيسي، ثقافة الحوار والتوازنات العالمية. ط: بلا. دار الينابيع. بلا تاريخ. ص 155.

بل لم يشك بعضهم أنه لا يمكن فهم الحوار إلا على ضوء المسؤوليات السياسية والقانونية وليس بممارسة النقد الذاتي . ومن ثمة لا يجب أن ينحصر الحوار في كونه حضارياً أو ثقافياً، لأن ليس هناك ارتباطاً بمحاضرتنا أو بثقافتنا وإنما ارتباطاً بذلك المحيط النفطي الذي تنام عليه المنطقة.

ومن خلال دراسة الباحثة لكل صحف العينة ظهر لها الاهتمام البالغ لجريدة الأهرام المصرية دون غيرها بهذا الملف الثقافي الحساس، حيث ما انفكت الصحيفة تعاد الكتابة ونشر موادها التحريرية حول هذا الموضوع من جميع جوانبه، ومن طرف كبار الكتاب ورؤساء المؤسسات الفكرية والعلمية والثقافية في الوطن العربي.

ولعل سبب حماسة الأهرام لهذا الملف على المستوى المحلي ما خلفته الثقافة العالمية حول حق الأقليات في الدول العربية في إظهار ما تدين به من معتقدات والدفاع عنه وحمایته من التطرف الديني الإسلامي كما يدعى . فحذاء دور الصحيفة يغير مسار هذا الصراع نحو الحوار . كما ما انفكت الصحيفة تؤكد على دور الإعلام في دعم حوار الأديان، وهي ترى أن حوارات الأديان التي تعقد في أماكن كثيرة من العالم حالياً، تحتاج إلى دعم إعلامي كبير حتى لا تنحصر المجهودات داخل غرفة مغلقة بين القيادات الدينية أو في استصدار قرارات وقوانين تظل مكتوبة على الورق وبعيدة عن الوعي الجماهيري الذي هو أحد الأسباب المباشرة في إيجاد واستمرار وإذكاء نار الفتنة الطائفية والصراعات، ومن هنا يأتي دور الإعلام لأنه مسئول بدرجة ما عن مستوى الوعي الجماهيري سلماً وإيجاباً.⁶⁹

كما قامت صحيفة الأهرام وفي فترة الدراسة بنشر سلسلة من المواد التحريرية حول فئة "فضايا حوار الحضارات" وهي كلها وردت عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر . وكنموذج على ما أوردته الصحيفة من مواد نثبت عناوين الموضوعات التي عاجلت الظاهرة، ومنها:

● في العدد 41796 من الصحيفة كان عنوان الصفحة "دوائر الحوار"، ساق المحرر العناوين التالية:

- . ولكم في الحوار .. حياة.. دور الإعلام في دعم حوار الأديان.
- . مكتبة الإسكندرية .. وحوار الحضارات.

● في العدد 41948 من الصحيفة كان عنوان الصفحة حوار الحضارات في مواجهة العنف والإرهاب،

ساق المحرر العناوين التالية:

- . صدام الغرب والإسلام مجرد هاجس.
- . الحوار بديلاً للشجار.
- . الحضارتان الغربية والإسلامية بين "الإرهاب" و"التنوير".
- . تواصل الحضارات بين الماضي والحاضر.
- . 11 سبتمبر وقراءة في الخطاب الديني الأمريكي.

● في العدد 41977 من الصحيفة كان موقف الأزهر والمؤسسات الدينية من أحداث 11 سبتمبر، وعنوان المقال: الأزهر والإمام .. الحوار .. الإرهاب .. والجهاد.

● وفي العدد 42013 من الصحيفة وكان عنوان الصفحة " دوائر الحوار " ، ساق المحرر العناوين التالية:
"أجندة حوار الحضارات أم للتفاوض مع الغرب".
" الحوار ...أم تغيير جدول الأعمال".

● وفي العدد 42049 من الصحيفة ويوجد أيضا في العدد الموالي العناوين التالية:
" الحرب النفسية ضد العرب .. هل نصلح حوار الحضارات".
" حوار الحضارات ومفوض الأمين العام".

ومن خلال ما سبق من مواد تحريرية حول فئة "قضايا حوار الحضارات"، وللنظر في طبيعة موضوعات الجريدة هنا ومدى تعبيرها عن هذه الفئة يمكننا جمع نتائج تلك الدراسات حول هذا الموضوع في النقاط التالية:
. دعوة للتعاون بين مخططي السياسات الإعلامية لإبراز حقائق معينة تساعد أتباع الديانات المختلفة على إرساء وعي عميق بضرورة العيش في سلام وتعاون. وعلى الإعلام أن ينطلق من أساسيات معينة تستحق أن تكون القاعدة التي تنطلق منها المادة الإعلامية في وسائلها المتعددة.
. من المتوقع أن يشهد القرن الواحد والعشرين صراعا ثقافيا لم يشهده العالم من قبل، وإن لم يبادر بالحوار الحضاري العقلاني ستكون نتائج الصراعات مدمرة.
. ظهور عصر العولمة كبداية تاريخ جديد ستحد من الصراعات الحضارية والثقافية، حيث ستتشابك المصالح الاقتصادية ويسود النظام العالمي الاقتصادي الذي سيربط العالم كله بشبكة واحدة تقوم على مصلحة مشتركة.
. هل يمكن القول أن الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب يوشك أن يصبح حقيقة بالفعل أم أنه يظل مجرد هاجس ينتاب بعض الساسة والباحثين، ثم تروج له أجهزة الإعلام ودوائر صنع الرأي العام فيتحول أخيرا إلى حمى تصيب الشعوب بالهذيان.

. يحظى موضوع حوار الحضارات أو صدامها بالحيز الأكبر من اهتمامات الفكر العالم حاليا، كما يحظى بذات الاهتمام داخل حقل السياسة الدولية وخريطة العالم.
. فكرة الصراع أو الصدام لا تبدو منطقية في سياق التطور الذي بلغته العولمة، بل تبدو على العكس فكرة مقحمة ومصطنعة ومثيرة للشكوك، بل أن هناك سطحية في تصور الكتاب من المفكرين الغربيين عقب دمار الحادي عشر من سبتمبر من أن هناك عداً عميقاً من جانب العالم العربي والإسلامي إزاء القيم الغربية التي يجسدها العالم الأوروبي. لكن يمكن القول إنها حالة نفور أو جفاء حضاري، لكنه أبدا لا تزيد على هذه الحدود.

. إن الحوار الحضاري الذي يحتل الجانب الثقافي في الدين الجزء المهم منه هو بالأساس مهمة المجتمع المدني قبل السلطة الحاكمة. ولا بد من التوازن بين دور المؤسسة الروحية والسلطة الزمنية دون تداخل أو تشابك مع مراعاة دور كل منهما.

. تغليب الدعوة إلى الحوار ونبذ الدعوة إلى الصدام وإلى القول بالتوافق والتعاون الفكري في مساحات اتفاق ونبذ القول بالتناقض والتصادم الفكري في مساحات الاختلاف .

. جاءت الكلمات معبرة عن موقف الإمام الأكبر شيخ الأزهر . محمد سيد طنطاوي . " أن الأزهر الشريف ضد الإرهاب بكل صورته وأشكاله، لأن قتل الأبرياء العزل هو عمل ضد الإنسانية وضد مبادئ الأديان السماوية والعقل السليم .. إن موضوع الإسلام وصورته في الخارج والظلم البائن الموجه إلى المسلمين بتعميم الأحكام عليه سيظل قضية علاقتنا مع الإعلام الدولي "70 .

. أظهرت العديد من اللقاءات والمقالات والمؤتمرات التي عقدت وكتبت تحت مسمى حوار الحضارات أو الإسلام والغرب عدة حقائق تفاعلية لا بد من التوقف أمامها بالتحليل، ونحن بصدد السعي إلى استنهاض خطاب عربي إسلامي يمكن من خلاله التعامل مع المستجدات والأزمات وتوابعها الممتدة والخطيرة بشكل إيجابي وفعال.

المبحث الثالث

فئة موضوع تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة

70 . جريدة الأهرام، العدد: (41977)، في 10 / 11 / 2001. ص 10.

يتناول هذا المبحث تحديات العولمة على الثقافة الإسلامية. فمن المؤكد أن هناك اختراق ثقافي واسع النطاق، ولو كان ثقافيا فقط لقبلائه، ولكن هناك اختراق دعائي من خلال الثقافة. وهذا الاختراق الثقافي لا نستطيع أن نسيطر عليه، فنحن مخترقون ثقافيا من خلال العولمة الثقافية، قد تأتي عولمة ثقافية من خلال عولمة اقتصادية، أو من خلال عولمة سياسية. فمخاطر العولمة إذن لا تحدد بحدود، فهي واسعة وكبيرة جدا. ثم لا تأتي بطريق مباشر فقد تأتي ضمن آليات مخفية مجهولة لا نستطيع التقاطها بسرعة. و لذلك يمكن التعرف على أهم تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها التي ركزت عليها صحف الدراسة من خلال الجدول التالي رقم (22).

جدول رقم (22).

تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية				صحف جزائرية				الصحف		التحديات والمستقبل		
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر						الشروق
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك			
6,3	41	7,0	11	3,8	3	9,1	23	8	2	1,5	2	الفصل في أزمة الثقافة الإسلامية تجاه العولمة		تحديات الثقافة
21,9	142	19,0	30	22,8	18	22,2	56	24	6	23,7	32	التكامل في البحث عن البدائل للأزمات الحضارية		
21,3	138	19,0	30	24,1	19	21,0	53	20	5	23,0	31	النقد الذاتي المتكرر الصارم		
6,2	40	6,3	10	8,9	7	5,2	13	8	2	5,9	8	أخرى		
7,6	49	5,7	9	2,5	2	11,5	29	8	2	5,2	7	التمييز بين ما تحمله الثقافة العالمية		مستقبل الثقافة
16,5	107	22,8	36	21,5	17	9,9	25	20	5	17,8	24	تبسيط المعرفة العلمية		
6,9	45	4,4	7	2,5	2	11,5	29	8	2	3,7	5	المشاركة النقدية في الجدل العالمي		
8,3	54	8,9	14	7,6	6	5,2	13	4	1	14,8	20	الإعلام في مواجهة آثار الثقافة العالمية		
5,1	33	7,0	11	6,3	5	4,4	11	0	0	4,4	6	أخرى		
100	649	100	158	100	79	100	252	100	25	100	135	المجموع		

نستخلص من خلال الجدول أعلاه حول تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها النتائج التالية:

. جاءت نسبة تحديات الثقافة الإسلامية في عصر العولمة بمعدل 55,6 % .

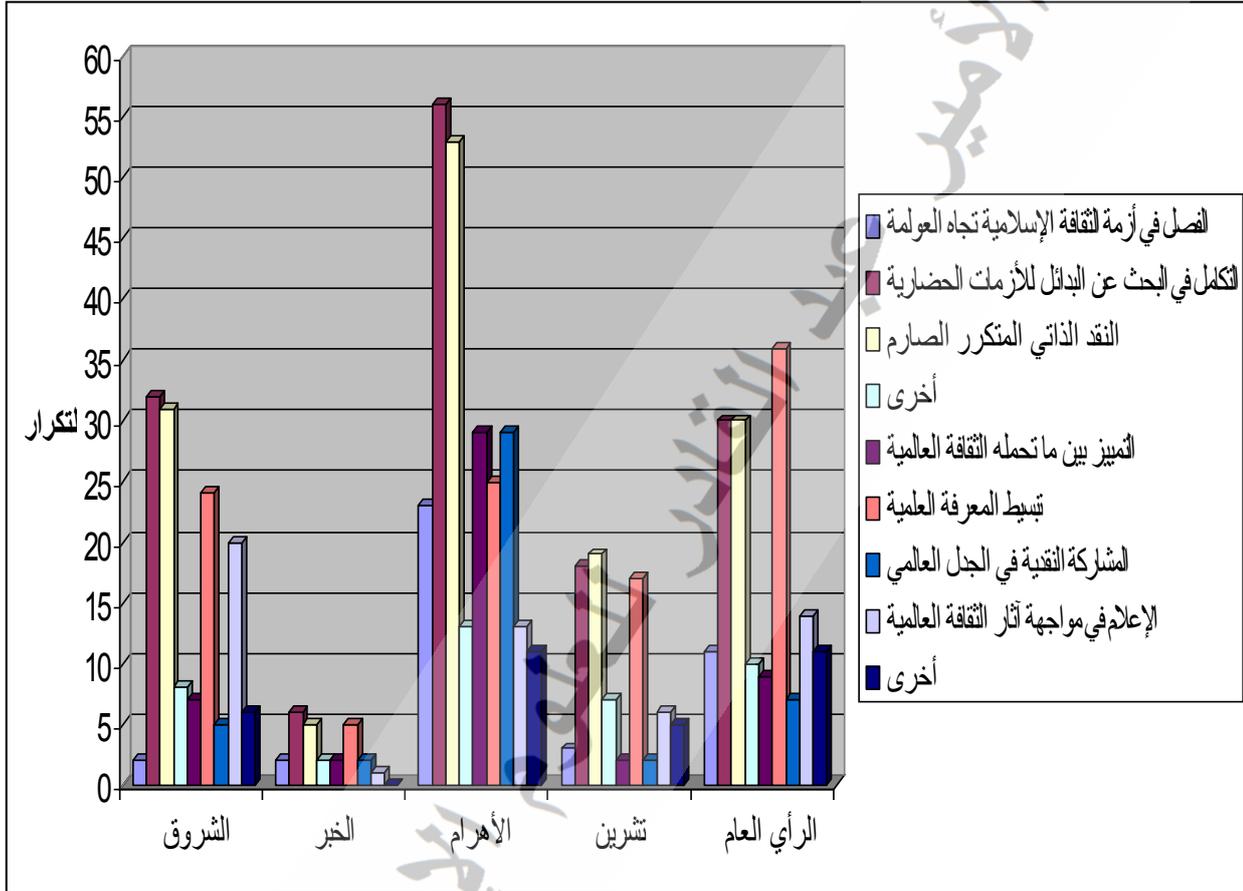
. أما نسبة مستقبل الثقافة الإسلامية في عصر العولمة فوردت بـ 44,4 % .

ومن خلال النسبتين المتقدمتين نستخلص مباشرة مدى التقارب المقبول بين الموضوعين، وهذا يتلاءم كثيرا مع طبيعة هذه الفئة، فكلما تعرض الكتاب في صفحات الجرائد أو في كتاباتهم الخاصة حول ما يواجهه الثقافة والثقافة الإسلامية من تحديات في عصر العولمة الثقافية، كان حتما على هؤلاء التعرض أيضا إلى ذكر الحلول ورسم خيوط مستقبل هذه الثقافة في هذا العصر. إذ لم تعد الثقافة بوجه عام تتهددها مخاوف الماضي وما يعرف في الاصطلاح

القديم بالغزو الثقافي، بل تحولت تلك المخاوف في عصر العولمة إلى عدة تحديات، دخلت الأمة الإسلامية خلالها في شتى المواجهات حفاظا على الهوية وخصوصية الانتماء، مما يجعل من صراعنا الحضاري الراهن ضد كل أشكال الاختراق حلقة جديدة من حلقات الصراع التاريخي بين الإسلام والغرب وبين الإسلام والصهيونية. والشكل التوضيحي رقم (05) بتكراراته يبين معالم تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة في صحف الدراسة.

شكل رقم (05)

يوضح تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة في صحف الدراسة



تكشف نتائج فئة تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة في صحف الدراسة أن تكرارات موضوعات تحديات الثقافة الإسلامية وقضاياها قد بلغت 361 تكراراً، في حين أن تكرارات موضوعات مستقبل الثقافة الإسلامية وقضاياها قد بلغ 288 تكراراً. بيد أن توزيعها معاً في صحف الدراسة قد عرف تبايناً واختلافاً، حيث تصدرت صحيفة الأهرام تكراراتها سائر الصحف الأخرى بعدد 252 تكراراً، ثم بـ 158 تكراراً لصحيفة الرأي العام الكويتية، ثم تليها صحيفة الشروق اليومي الجزائرية بـ 135 تكراراً، وقد بلغ تكرارات جريدة تشرين 79 تكراراً، أما آخر مراتب العناية بهذا الموضوع الحساس من موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها فكان لجريدة الخبر الوطنية بـ 25 تكراراً فقط طول مدة الدراسة المقدره بعام كامل.

ولعل سبب عدم اهتمام جريد الخبر الجزائرية بهذه الموضوعات يعود أساسا لعدم اهتمامها أصلا بموضوع الثقافة الإسلامية كمحور من محاور الحياة الثقافية لشعوب المغرب العربي والأمة الإسلامية. ودليل ذلك ما وقفنا عليه من النسب البسيطة في كل عناصر موضوع الدراسة في هذه الجريدة. كما قد أرجح سبب عدم اهتمام القائم بالاتصال في جريدة الخبر الجزائرية بهذا الموضوع إلى سياسة الجريدة ذاتها القائمة على تغليب المواد الخبرية والرياضية والفنية على مواد الثقافة العربية والإسلامية عموما.

أما لو عدنا إلى طبيعة التكرارات السابقة بالنسب المثوية في عموم الجرائد محل الدراسة، فإننا نجد قضايا الفئة الفرعية " التكامل في البحث عن البدائل للأزمات الحضارية " قد كان لها النصيب الأوفر في البحث والنشر في صحف الدراسة، إذ قاربت نسبتها الـ 22% من مجمل نسبة التحديات والمستقبل معا. أي نالت من الاهتمام في صحف الدراسة الضعفين إذا عرف أن المتوسط الحسابي لهذه الفئة هو 11,1%. وهذا يدل على أن موضوع بحث فكرة " التكامل في البحث عن البدائل للأزمات الحضارية " للأمة العربية الإسلامية والابتعاد عن الحلول الجزئية قد يوحى بشيئين أساسيين:

الأول أن الأمة العربية الإسلامية قد بدأت حقيقة تدرك طبيعة الصراع القائم مع قوى العالم الغربي، ولذلك كان اتجاهها العام في مسيرتها الحضارية هو التركيز على الحلول الجذرية التي بها تحقق وجودها وتستطيع المقاومة للحفاظ على وجودها وسط تناقضات العوامة.

أما الأمر **الثاني** فقدرة الإعلام العربي عموما على استيعاب هذا التحدي الدقيق وتنبه القائمين على الصحافة العربية بأولى أسباب الأزمة في الوطن العربي ومحاولات البحث فيها بإشراك الرأي العام والطبقة المثقفة في هذا الجدل عبر صفحاتها الثقافية. وهنا يلعب الإعلام العربي دورا أساسيا في التعريف بالتحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية في عصر العوامة الثقافية والبحث لها عن البدائل المرضية.

وليس أدل على صدق هذا التحليل من ورود الفئة الفرعية التالية لها من ناحية الأهمية مباشرة وهي فئة " النقد الذاتي المتكرر الصارم " والتي نسبة الاهتمام بها قد وصلت إلى 3, 21%، أي تكاد تكون درجة العناية بها تصل إلى الضعفين أيضا. وسبب ذلك أن البحث عن البدائل للأزمات الحضارية بصورة متكاملة لا يكون في أمة من الأمم إلا بأسلوب المواجهة مع الذات والنقد اللاذع الصارم والابتعاد عن المداينة والنفاق الاجتماعي. ولذلك قد ناسب كثيرا ورود هذه النسبة لهذه الفئة على تلك الصورة، وإنه لفخر للصحف العربية أن يتخطى فيها هذا الأسلوب الحضاري في البحث عن مستقبل ثقافتها تلك المعدلات الظاهرة على خانات هذه الجداول الدراسية.

وفي هذا السياق الإحصائي قد يناسب كثيرا الاستدلال بمادة تحريرية واحدة ذكرتها صحيفة الشروق اليومي عن هذه الفئة الأخيرة، فئة " النقد الذاتي المتكرر الصارم "، ويتضح من خلالها جرأة الصحيفة في كسر قيود إعلام الماضي وممنوعات الثقافة في الجزائر، والتوجه نحو البحث عن مستقبل حقيقي زاهر لثقافتنا الوطنية والعربية الإسلامية.

وقد كان عنوان المقال المنشور " ثقافتنا المريضة " يقول صاحب المقال على طوله: « لطالما طرحت على نفسي هذا السؤال: لما هي ثقافتنا مريضة؟ ولما هو عقلنا معطل وتفكيرنا مؤجل إلى أجل غير مسمى؟ ... لما نحن لا نملك أدباء بحجم نجيب محفوظ أو إحسان عبد القدوس أو الطيب صالح؟ ... ولما لا يوجد بيننا مفكرون ونقاد بقامة زكي نجيب محمود أو محمد عابد الجابري أو عبد الله الغدامي؟ ... ولما لا يشيع في بلدي فقهاء من مثل محمد الغزالي أو الشعراوي أو القرضاوي؟ ..؟..؟

لكنني أعود لأراجع نفسي لأقول: لدينا الفيلسوف مالك بن نبي والعلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، والمفكر توفيق المدني، والباحث عبد الله شريط، والأستاذ إسماعيل العربي، والشاعر مفدي زكريا وغيره.. لكن هذا لا يكفي؟ وأين هم كامتداد لثقافتنا الحاضرة؟ .. ولما نحن نحاصرهم ونحجب أنوارهم عنا؟ أهو تجاوز العارفين أو تكبر الجاهلين ... ألم أن لدينا ابن هدوقة، والطاهر وطار وواسني الأعرج، ولدينا أيضا السائحي (الكبير والصغير) ومصطفى غماري وعثمان لوصيف وغيرهم.. لكن هذا لا يجعلنا نكذب على أنفسنا ونمنيتها بما ليس هو واقع. فكل من ذكرت شئنا أم أبينا هم كتاب من درجة أدنى ممن سردت من رواد عرب سلفنا، ولن أخدع نفسي تحت تأثير الحمية الوطنية أو غيرها وأقول إن ابن هدوقة أفضل من عبد الرحمن منيف، أو الطاهر وطار بقامة حنا مينة، أو أن واسيني الأعرج يضاهي جبرا إبراهيم جبرا.

ورغم أن البعض يستنكر مني هذا الرأي ويحتج، وربما يتهمني بالجهل أو عدم امتلاك ناصية نقدية حصيفة ومؤهلة. إلا أن مثل آراء هؤلاء لن تغير في الأمر شيئا، ولن تهز في أدنى اهتمام؛ كيف ومنهم من يدعي الثقافة والتعلم ويسمح لنفسه بالمساواة بين شاعر نكرة والمتنبي؟ وآخر يضع روائيا متبحرا بعمالته ومنتفحا بجهله مع روائي عملاق من حنا مينة؟ وكيف أعبا لقول شخص يجهل تقطيع بيت ويجهل أن العقاد شاعر؟ وكيف أحترم

من لا يرى مانعا من التطبيع مع إسرائيل ويهاجم المعريين وهو محسوب عليهم مع أنه لا يتحكم في أي لغة ما عدا لهجته العامية؟»⁷¹.

أما النموذج الثاني للفتنة نفسها فمن جريدة الشروق أيضا، حيث تنتقد الصحافة نفسها وتقوم مسيرتها إزاء المواقف الكبرى والأزمات الطاحنة، وخاصة تلك التي مرت بها الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي. أوردت الصحيفة المادة الإعلامية التالية: « يتوجب على الخطاب الإعلامي الجزائري في ظروف الأزمة الراهنة، أن يتوخى المبادئ العامة التي حددها علماء علم الإعلام والاتصال للتصدي والمعالجة الإعلامية الفعالة دون التورط في برائن

الأزمة كما هو حاصل الآن. تلك المبادئ التي أوجزها الدكتور أديب خضور⁷² في ضرورة عدم الخلط بين السياسي والإعلامي، وأن يكون واضحاً ومعلوماً أن العمل الحسم والمقرر في إدارة الأزمة هو السياسي، بمعنى أن القيادة السياسية ممثلة في هيئة الأركان المركزية هي مركز صنع القرارات المتعلقة بالأزمة، ويبقى الإعلام على أهميته عاملاً متغيراً ومراقباً للأزمة⁷³.

غير أن الملاحظ في هذه الفئة الجزئية " فئة التحديات " أن موضوع " الفصل في أزمة الثقافة الإسلامية تجاه العولمة " قد ورد بنسبة ضعيفة تقدر بـ 3, 6 % من مجموع نسب التحديات والمستقبل معاً، أي بأقل من معدل المتوسط الحسابي المقدر بـ 1, 11 % وهو النصف تقريباً. وسبب ضعف هذا التداول في الصحف العربية يعود للثقافة الإسلامية ذاتها التي ما زالت تعاني لحد اليوم اضطراباً في المفاهيم وصعوبة الفصل بينها وبين الثقافة العربية، وحقيقة وجود ذلك البرزخ بين الثقافتين وعدمه، ومحاولات التأسيس الخاطيء لما يعرف بأسلمة الثقافة وغير ذلك من الكليات التي لا يؤمن بها أساساً القارئون بالاتصال في صحفنا العربية.

أما لو التفتنا إلى فئة مستقبل الثقافة الإسلامية فإن النسبة المرتفعة فيها كانت حول فئة قضايا " تبسيط المعرفة العلمية ". وقد ناسب ذلك كثيراً ما أسلفنا الحديث عنه حول الفئة الأولى، لأن الأزمات الخانقة لا تواجه أساساً إلا بالمعرفة، والمعرفة المعاصرة قد شابها كثير من التعقيد والتنوع والتشابك لكثرة إنتاجها في كل حين. ولذا لم يعد المثقف العربي أو المتلقي قادراً على السيطرة على هذه المعرفة أو حتى مواكبة فهمها، مما جعل من حتمية تبسيطها وتذليلها أمراً محتوماً في ثقافتنا المعاصرة اليوم.

وقد اضطلعت الصحف العربية في صفحاتها الثقافية بهذه المهمة فكانت نسبة اضطلاعها بها قد راوحت 5, 16 % وهي نسبة مناسبة حقاً لسياق النسب الأخرى حسب أهمية الفئات الفرعية وقضاياها في هذا المحور.

ولذلك تتفاءل هذه الدراسة بالصحف العربية القائمة على هذا المحور الحيوي في ثقافتنا العربية الإسلامية وخاصة صحيفة الأهرام والشروق الوطنية والرأي العام الكويتية.

أما الفئة الموالية لهذه الأخيرة وهي " المشاركة النقدية في الجدل العالمي الدائر حول إشكالية العولمة والقضايا والتحديات التي تطرحها على شعوب العالم " فقد وردت بنسبة 6, 9 % وهي نسبة شبه متوسطة توحى بعدم قدرة الإعلام العربي على المشاركة الفعالة في ذلك الجدل العالمي الدائر حول العولمة وتأثيراتها الثقافية على شعوب العالم أو حتى على الشعوب العربية والإسلامية، إلا ما كان من جريدة الأهرام التي حققت نسبة 5, 11 % من مجموع النسبة المئوية. وفي ذلك دلالة واضحة على اهتمام الصحيفة بهذا الموضوع الهام من موضوعات تحديات الثقافة

⁷² . باحث أكاديمي سوري في مجال الدراسات الإعلامية.

⁷³ . جريدة الشروق، العدد (340) في 15/12/2001، ص 15.

الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة. كما أن المواد التحريرية التي أثبتتها الصحيفة في هذه الفئة تعبر بحق عن جدية الصحيفة في اختيار الأرقام العميقة المعبرة عن عمق هذه الظاهرة الكونية والإشكالات التي واجهتها شعوب العالم بعد ظهورها وخاصة المنطقة العربية.

وفيما يلي بعض النماذج من مواد إعلامية توردها صحيفة الأهرام محاولة الدخول بجديّة والمشاركة الفعلية في الجدل العالمي الدائر منذ فترة الدراسة إلى يومنا هذا حول مفاهيم العولمة والأمركة والكونية والعالمية وغيرها من المفاهيم الكثيرة التي تولدت بعد ظهور فكرة العولمة. وقد كان عنوان المادة الأولى التي سنوردها هنا: " العولمة وعلامات استفهام حائرة " يقول صاحب المادة: « لا يمكن لأحد أن ينكر أن العولمة في سنواتها الأولى كانت بالفعل محاولة لأمركة العالم، بمعنى نشر أنماط التفكير وأنظمة العمل وجذب الشعوب إلى إدمان السلع والخدمات الأمريكية. وظني أن هذا كان أمرا طبيعيا لأسباب عديدة منها أن الولايات المتحدة كانت هي المركز الأول للثورة التكنولوجية في العالم ... فلم يكن غريبا أن تأخذ العولمة في بدايتها خلال عقدي الثمانينات ومعظم التسعينات شكل الأمركة. حيث الأقوى والمنتصر عادة ما يفرض ثقافته وصناعاته على الأضعف والمهزوم. وقد شملت محاولة الأمركة العالم كله لم تستثن منه أحدا، وامتد من أوروبا الغربية واليابان إلى روسيا وبلدان شرق أوروبا وآسيا فطالت النور الآسيوية والصين بدرجات متفاوتة. وشملت الأمركة كل شيء في عالم الشركات والإدارة ونظم العمل وأنماط الاستهلاك وحتى مناهج التفكير وقواعد السلوك لدى الأفراد والجماعات.

ولكن الشركات والحكومات الأوروبية واليابانية سرعان ما تعلمت الدرس وبدأت في أوروبا واليابان وامتدت إلى آسيا أيضا أكبر عملية اندماج وشراء بين الشركات بهدف تكوين شركات وتحالفات ومجموعات عملاقة قادرة على الصمود في وجه الشركات الأمريكية متعددة الجنسيات عابرة القارات. وأمام هذا النشاط الأوروبي الآسيوي بدأت العولمة تتحول مع انعطاف القرن العشرين نحو نهايته وبدأ القرن الحادي والعشرين إلى عملية جديدة في بناء رأسمالية أممية جديدة وإن ظلت الشركات الأمريكية تلعب الدور القيادي في هذه الأممية الرأسمالية الناشئة... ولذلك فإن دول العالم الثالث لا تكف بالجهر عن الدعوة إلى علاج سلبيات العولمة وجعلها

طريقا يتسع لمصالح كل بني البشر، وتحركا من أجل صنع حضارة عالمية مشتركة، ونظام عالمي جديد أكثر عدلا في جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وعليه فإن دول العالم الثالث إذا كانت ترفض التهميش وتخشى سلبيات العولمة فإن طرق نجاحها في يدها وهو أن تسارع في صنع تكتلاتها الاقتصادية التي تمكنها من الصمود في وجه الرأسمالية المتقدمة»⁷⁴.

أما المادة الإعلامية الثانية فكان عنوانها في الصحيفة " العولمة ومواجهة تداعياتها " ⁷⁵ وقد تمحورت فكرة المقال في قول الكاتب: « يكاد الحديث عن العولمة يملأ في بلادنا الأسماع وتحار فيه العقول والأذهان ويذهب بنا

⁷⁴ . جريدة الأهرام، العدد (41796) في 13 / 5 / 2001. ص 10.

⁷⁵ . نفس المرجع الأنف الذكر. العدد (41883) في 8 / 8 / 2001. ص 12. وانظر أيضا العدد (41883) في 8 / 8 / 2001. ص 14.

مذاهب شتى، ولا غرابة في ذلك فالموضوع مهم وخطير ومعقد وله أبعاد متعددة تحيط بجوانب الحياة كلها وهو يدق ويرتفع أحيانا حيث يعجز عن إدراكه العلماء المتخصصون وهو يدنو ويقترب أحيانا حتى يتناوله من لا علم لهم به .«

وفي الأخير نشير إلى نسب بعض الفئات التي وردت في فئة مستقبل الثقافة بصورة أقل من معدل المتوسط الحسابي وهي فئة " الإعلام في مواجهة آثار الثقافة العالمية " ، وفئة " التمييز بين ما تحمله الثقافة العالمية " ، وفئة " المشاركة النقدية في الجدل العالمي " وفئة قضايا أخرى. حيث وصلت نسبتها مجتمعة 9, 27 %، وهي وإن كانت نسبة ضعيفة نوعا ما غير أنها ومقارنة بما تحصلت عليه الفئات الأخرى، فإن ذلك سيؤسس مع تنبه القائم بالاتصال لعمل إعلامي جاد يخدم هذه الفئات الحيوية في ثقافتنا العربية الإسلامية.

المبحث الرابع

فئة سياق المضمون في صحف الدراسة

تشير العينة المختارة من الصحف الخمسة إلى توزيع حجم المادة التحريرية تبعا لسياق المضمون كما هو مبين بالجدول رقم (23).

جدول رقم (23)

يبين توزيع حجم المادة التحريرية تبعا لسياق المضمون في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف	سياق المضمون
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق			
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
19,1	99	9,2	8	12,2	11	29,3	56	30,0	12	11,0	12	أقوال العلماء والمفكرين	
37,3	193	54,0	47	26,7	24	16,2	31	62,5	25	60,6	66	تغطية الجريدة	
18,6	96	14,9	13	25,6	23	18,3	35	5,0	2	21,1	23	في إطار دراسة علمية	
10,4	54	2,3	2	3,3	3	24,1	46	2,5	1	1,8	2	في إطار قضايا أمنية مثيرة للجدل	
14,5	75	19,5	17	32,2	29	12,0	23	0,0	0	5,5	6	أخرى	
100	517	100	87	100	90	100	191	100	40	100	109	المجموع	

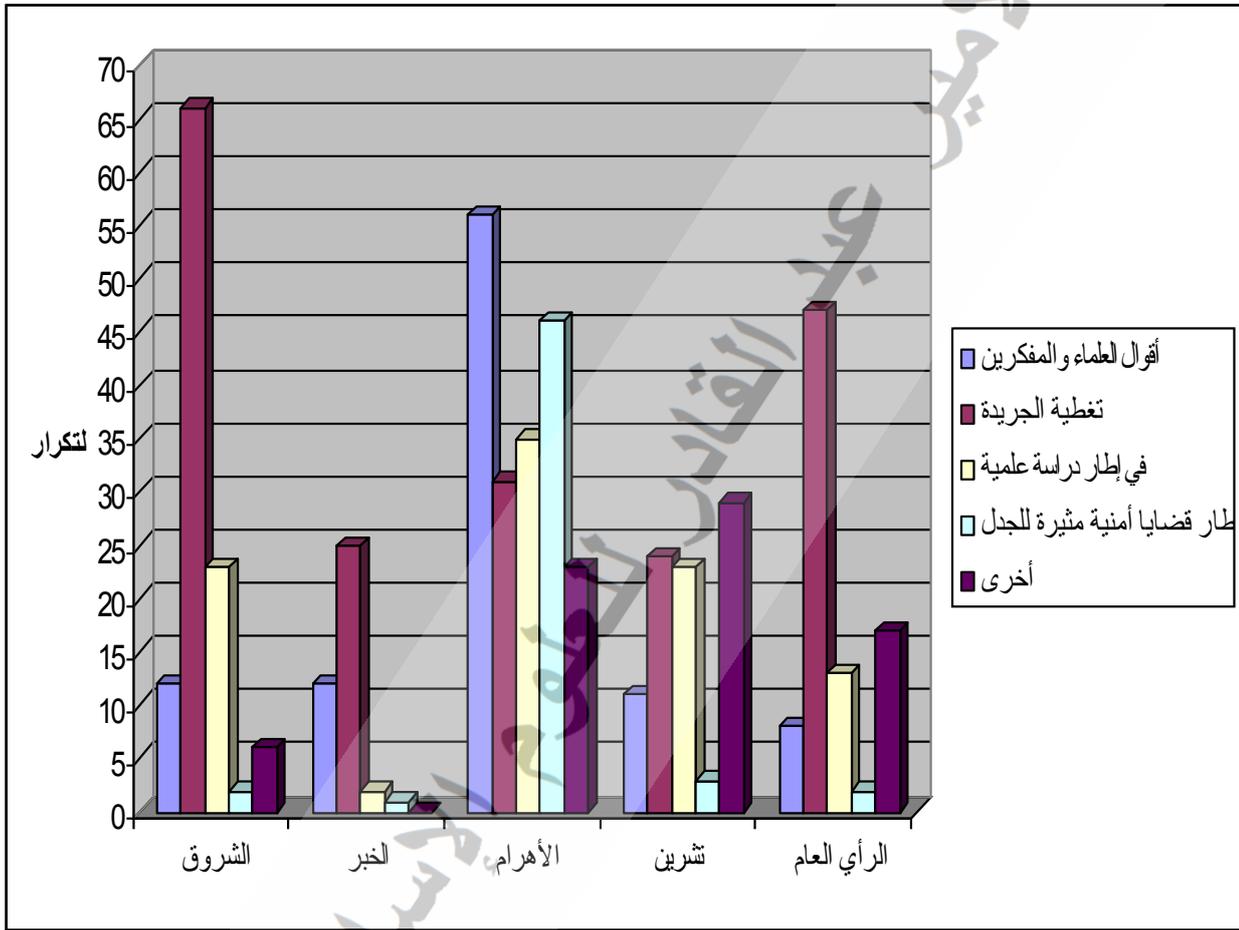
يكشف الجدول السابق عن نسب مختلفة حول سياق مضمون صحف الدراسة، كل منها يدل على السياق الذي وردت فيه المادة التحريرية، حيث أشارت النسب إلى تقدم تكرارات المواد المغطاة من قبل الجريدة بنسبة 37,3% من مجموع المواد المذكورة في صفحاتها الثقافية. في حين نزلت نسبة فئة " أقوال العلماء والمفكرين " وقد حازت المرتبة الثانية إلى النصف تقريبا بـ 19,1%. وقريب من هذه النسبة المواد التحريرية التي ظهرت على صفحات الجريدة في صورة " دراسة علمية " حيث بلغت نسبة 6,18%.

وتفسير هذه النتائج له صلة بواقع الجريدة من جهة وبسياستها من ناحية أخرى. فالصحف وخاصة العربية لا تزال تعتمد أساسا على ما ينتجه الجهاز التحريري لديها، إذ يصعب على القارئ بالاتصال الاعتماد كلية على ما تجود به أقلام القراء والكتاب، فليست كلها صالحة للنشر كما أنها لا بد من مراعاة السياقات الزمانية والدوران مع الأحداث والمناسبات التي تفرض على الصحيفة التخلي عما يردها عن الكتاب. كما تفرض سياسة الجريدة بين الفينة والأخرى أن تكون لها ولأقسامها التحريرية دفة التوجيه والذهاب بالقارئ حيث الأهداف المسطرة لمسيرة الصحيفة العامة والغاية من وجودها. والصحيفة وإن تركت حيزا من مساحتها لأصحاب الفئة الأولى، فإنها رغم ذلك لا تناقض سياستها الداخلية أبدا، لذلك كثيرا ما تستنجد الصحيفة بالمحور الثالث الذي ظهر جليا بنسبته القريبة أيضا من المقبول، حيث تعتمد ما يعرف بالدراسات العلمية وهي وإن كانت ليس فيها مساحة كبيرة للرأي، غير أنها توحى باستقلالية الجريدة عن هذه الدراسة. وفي التحقيق إذا اعتبرنا نسبة مواد الفئة الأولى والثالثة قد وصلت إلى 37,7% فإنها تبقى موازية لنسبة فئة تغطية الجريدة المقدرة بـ 37,3%. فإذا أقمنا الافتراض المذكور آنفا حول سيادة القارئ على الاتصال في الجريدة كان ما ذكرناه حول حقيقة هذه النسب جليا واضحا.

أما السياق التحريري الذي ترد فيه المواد الصحفية " في إطار قضايا أمنية مثيرة للجدل " في عمومها يصب فيما يعرف بالأمن القومي للوطن، وتبقى الكتابات فيه محفوفة بكثير من مخاطر الخطأ والتكهن لفقدان إما أقسام الجريدة التحريرية أو الكتاب المستقلين لمعطيات التحليل الصائب. وللتوضيح أكثر حسب تكرارات المادة التحريرية نسوق الشكل التوضيحي التالي رقم (06) لتبيان سياقات المضمون في صحف الدراسة:

شكل رقم (06)

يوضح سياق المضمون في صحف الدراسة



لو نظرنا في توزيع تكرارات سياق المضمون في الصحف العربية محل الدراسة من خلال هذا الشكل، يمكننا استخلاص النتائج التالية:

- تنصدر جريدة الأهرام بموادها التحريرية أعلى تكرارات هذه الفئة بـ 191 مادة مقابل 40 مادة لجريدة الخبر الجزائرية. وهذا يدفعنا للقول بأن جريدة الخبر تكاد تنحصر تكرارات سياقات مضمونها في جوانب ضيقة لا ترقق بها إلى مصاف الجرائد الكبرى.

. تأتي جريدة الشروق اليومي الجزائرية في المرتبة الثانية بعد صحيفة الأهرام بـ 109 تكرارا مقابل 90 مادة لصحيفة تشرين السورية و 87 مادة لصحيفة الرأي العام الكويتية. وفي هذا إنجاز لصحيفة الشروق رغم انخفاض نسبة بعض سياق مضمونها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فئة المفهوم والتعريف

تنوعت طرق عرض مفهوم الثقافة الإسلامية و تعريفها في صحف الدراسة، وفيما يلي عرض للنتائج الخاصة بهذه الفئة في الجدول التالي رقم (24).

جدول رقم (24)

يوضح المفهوم والتعريف في صحف الدراسة

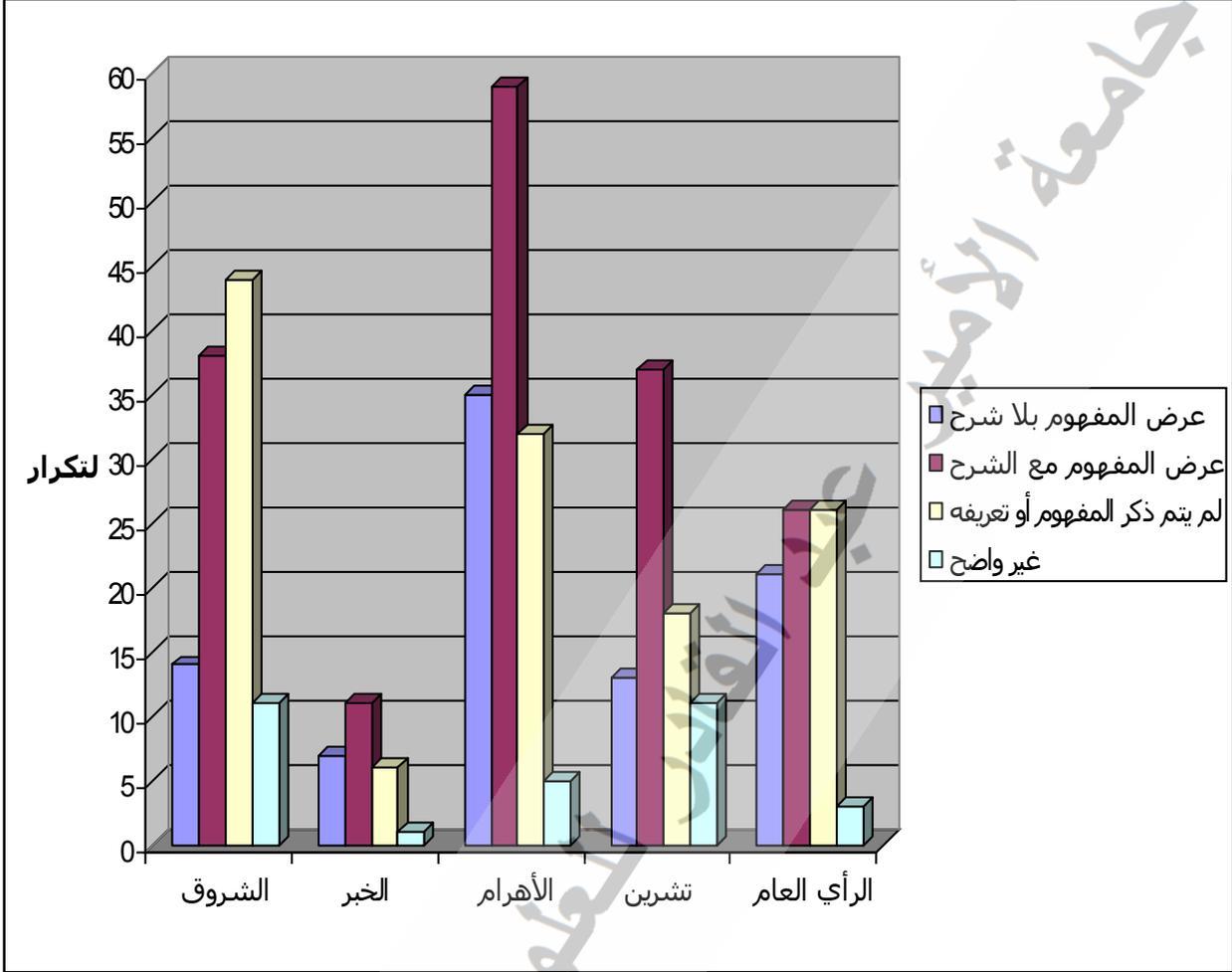
المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		النخبر		الشروق		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	المفهوم والتعريف
21,5	90	27,6	21	16,5	13	26,7	35	28,0	7	13,1	14	عرض المفهوم بلا شرح
40,9	171	34,2	26	46,8	37	45,0	59	44,0	11	35,5	38	عرض المفهوم مع الشرح
30,1	126	34,2	26	22,8	18	24,4	32	24,0	6	41,1	44	لم يتم ذكر المفهوم أو تعريفه
7,4	31	3,9	3	13,9	11	3,8	5	4,0	1	10,3	11	غير واضح
100	418	100	76	100	79	100	131	100	25	100	107	المجموع

تشير بيانات الجدول السابق إلى مفاهيم وتعريفات الثقافة الإسلامية وقضاياها، حيث يلاحظ تركيز صحف الدراسة في الاعتماد على فئة " عرض المفهوم مع الشرح " أعلى نسبة والتي قدرت بـ 40,9 % ، بينما فئة " ذكر المفهوم ولا شرحه " قدر بـ 30,1 %، وفي المقابل لم يرد عرض المفهوم بلا شرح إلا بنسبة 21,5 % . أما النسبة المتبقية وهي 7,4 % والخاصة بالمفاهيم غير الواضحة فلم تكن المفاهيم أو التعريفات لقضايا الثقافة الإسلامية جلية وواضحة فيها. وبالنظر إلى النسبة العالية التي سجلتها فئة عرض المفاهيم والتعريفات للثقافة الإسلامية وقضاياها مع شرحها يمكن أن نعزو ذلك إلى طبيعة موضوع الثقافة الإسلامية وقضاياها والذي يعتبر من أعقد الموضوعات وأغزرها مادة على الإطلاق، بحيث يقتضي من القائم بالاتصال تبسيط المفهوم من أجل أن تصل الرسالة إلى المتلقي الذي هو محور العملية الاتصالية. كما كانت فئة " عدم ذكر المفهوم أو شرحه "

عالية أيضا إذا قورنت بغيرها من الفئات، وعلة ذلك أن هناك كثير من المفاهيم المتداولة اليوم التي لا تحتاج من القائم بالاتصال إلى شرحها أو تبسيطها لانتشار مدلولاتها في حقل الدراسات الأكاديمية أو حتى التداول الإعلامي بمختلف وسائله. وفيما يلي الشكل رقم (07) يوضح المفهوم والتعريف في صحف الدراسة.

شكل رقم (07)

يوضح المفهوم والتعريف في صحف الدراسة



من خلال هذه الأرقام يتضح لنا أن المادة التحريرية بصحيفة الأهرام كانت أكبر حجماً مقارنة بغيرها من مواد الصحف العربية الأخرى في عينة الدراسة حيث قدرت بـ 131 تكراراً. تليها في الترتيب صحيفة الشروق اليومي التي حازت على 107 تكراراً. وتعد هاتان الجريدتان من أكبر الصحف العربية في عينة الدراسة التي كانت لها التكرارات العليا حيث فاقت مجموع المائة تكراراً استعملت فيها شتى أنواع الفئات حسب طبيعة عرض المادة الإعلامية إما مع المفهوم والشرح أو بلا مفهوم وبلا شرح أو لم يتم ذكر المفهوم أصلاً لأسبقيته في ذهن المتلقي.

أما باقي صحف العينة وهي تشرين والرأي العام والخبر فلم تتجاوز كلا على حدا عتبة 80 تكراراً. وفي هذا أيضاً قصور من طرف القائم بالاتصال وخاصة في جريدة الخبر التي لم تتعد فيها فئة المفهوم والتعريف هذه الـ 25 تكراراً فقط.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس

فئة التوازن في التغطية

إن الصحف العربية قد تطمح في جعل فئة التوازن في التغطية وعرض وجهات النظر المختلفة سياسة لها لتعبر عن تبنيتها لشعار حرية الرأي وعرض الرأي والرأي المخالف. وهذه ظاهرة في غاية الأهمية بالنسبة لصحفنا العربية التي عانت طويلا ويلات الكبت والسياسة الإعلامية الأحادية وسيطرة الرقابة الحكومية على ما يورد من مواد تحريرية تخالف السياسة القائمة في الدولة.

ويعد التوازن في التغطية من أهم ما يعطي مصداقية للمادة التحريرية، وغالبا ما يوفر عرض وجهات النظر المختلفة والرؤية الشاملة للقارئ، وبما أن الثقافة الإسلامية في عصر العولمة قضية تثير جدلا كثيرا فقد كانت فئة التوازن في التغطية هامة في تحليل كيفية تناول صحف الدراسة لموضوع الثقافة الإسلامية في ظل العولمة. وقد جاءت النتائج كما ظهرت في الجدول التالي رقم (25) الذي يبين التوازن في التغطية في صحف الدراسة.

جدول رقم (25)

التوازن في التغطية في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف التوازن في التغطية
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
18,1	75	23,3	17	10,7	9	26,9	36	26,9	7	6,2	6	عرض وجهات النظر المختلفة
61,1	253	57,5	42	60,7	51	62,7	84	69,2	18	59,8	58	عرض وجهة نظر محددة
20,8	86	19,2	14	28,6	24	10,4	14	3,8	1	34,0	33	غير واضحة
100	414	100	73	100	84	100	134	100	26	100	97	المجموع

تدل النتائج الواردة في الجدول أن أكثر من نصف عينة الدراسة كانت تعرض وجهة نظر محددة حيث بلغت نسبتها 61,1%. وهي تعد نسبة عالية جدا قد يعتبرها نقاد الصحافة تحمل صفة الإيجابية والسلبية في آن واحدة. فعرض وجهة نظر محددة بشكل عال قد يوحي بتوجه الصحف نحو البحث المركز والابتعاد عن المجادلات العقلية العقيمة ربما للوقت ووضوحا في الرؤيا وعرض المواد التحريرية للمتلقي دون عناء. بينما قد تراها بعض الأقسام الصحفية تكريسا للسياسات التقليدية وسيرا على النمط الصحفي في دول العالم الثالث القائمة على التبعية، وسيرا

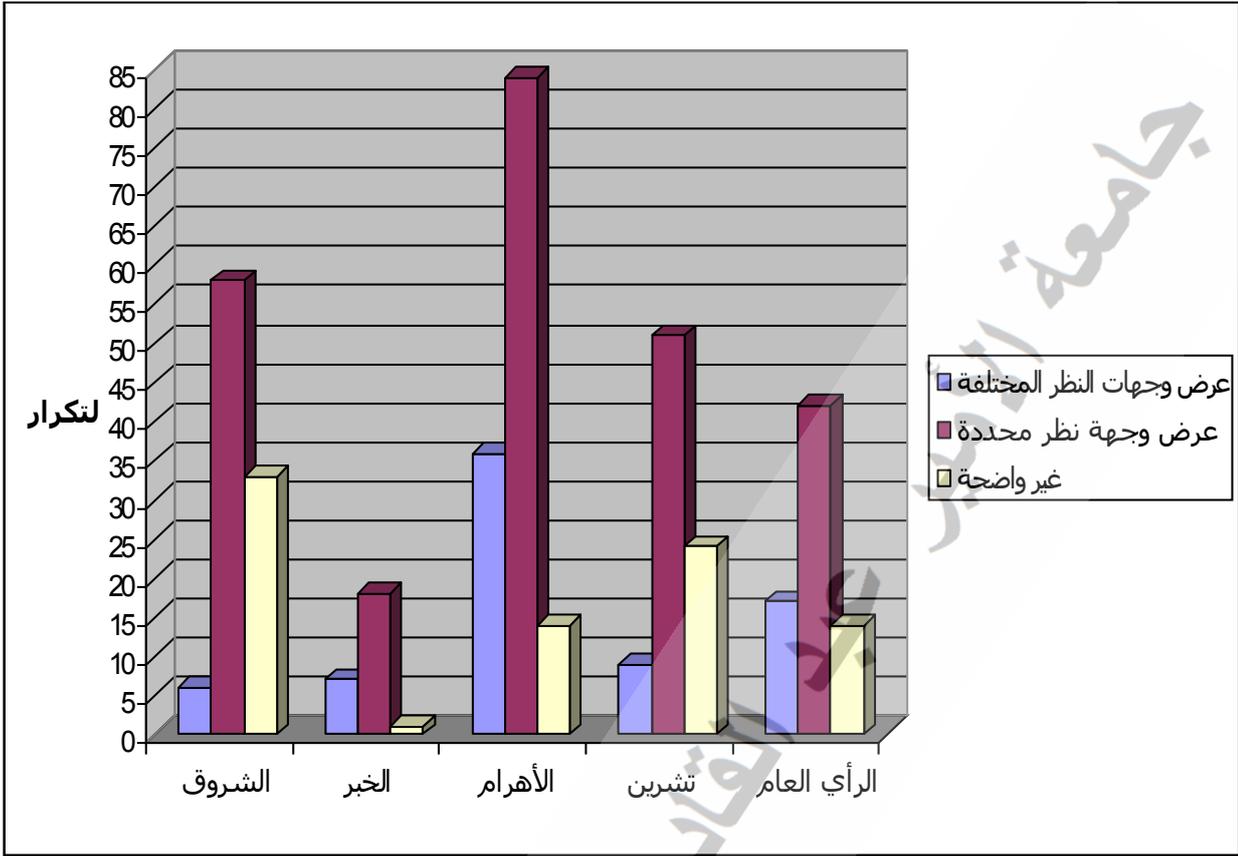
نحو سياسة الأنظمة القائمة. بل قد تعبر هذه النسبة مثلاً عن رؤية القائم بالاتصال وسياسة الجريدة وبالتالي فرض ذلك من طرف آخر على المتلقي القارئ الذي يجبر على مطالعة وجهة نظر محددة.

بينما تقابل هذه النسبة ضمن فئة التوازن في التغطية نسبة أخرى منخفضة جداً لا تزيد على 18,1%، وهذه مفارقة عجيبة مازالت صحفنا العربية تعانيها. ولعل تعليل هذه النسبة المتباعدة جداً في جدولنا يعود إلى طبيعة سياسات الصحف العربية موضوع البحث. فإذا جئنا إلى صحيفة الأهرام وهي صحيفة شبه حكومية محسوبة على السياسة المصرية القائمة، فإنها جعلت من فئة " عرض وجهة نظر محددة " تصل إلى نسبة 62,7%، بينما تقابلها نسبة 26,9% والخاصة بفئة عرض وجهات النظر المختلفة، وهذه دلالة واضحة على ما ذهبنا إليه سابقاً. أما صحيفة تشرين السورية فالوضع أسوأ وهي صحيفة حكومية ولسان حال السياسة البعثية في سورية، فقد وردت فئة " عرض وجهة نظر محددة " بنسبة 60,7% مقابل 10,7% لفئة عرض وجهات النظر المختلفة، وهذا تكريس حقيقي للسياسة القائمة حقاً. بينما قد نعزو سبب ارتفاع نسبة هذه الفئة في جريدتي الشروق اليومي والخبر الوطنيتين وهي: 59,8% و 69,2% إلى خط الجريدتان التحريري.

أما لو نظرنا في الفئة الفرعية الثالثة التي انتهت إلى عدم الوضوح في التوازن بنسبة 20,8% فهي تعد أيضاً مرتفعة بالنسبة للصحف العربية موضوع الدراسة وخصوصاً حول الثقافة الإسلامية الواضحة المعالم. فلو كانت نسبة هذه الفئة أقل بقليل مما وردت في الجدول لعزونا ذلك إلى طبيعة الكتابات الصحفية، بينما ترد بهذا المعدل المرتفع فإن ذلك يوحي باختلال التوازن في تغطية موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العمولة. و هذا ما يوضحه الشكل التوضيحي التالي رقم (08) حول التوازن في التغطية في صحف الدراسة.

شكل رقم (08)

يوضح التوازن في التغطية في صحف الدراسة



تشير العينة المختارة من الصحف الخمسة كما هو مبين بالشكل طبيعة التوازن في تغطية المادة التحريرية، و يمكن إرجاع النتيجة السابقة إلى الطبيعة الجدلية للماد التحريرية الخاصة بموضوع الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، والتي كانت تجعل كاتبها يقدمون وجهة نظر محددة ويبررونها بوجهات نظرهم. ففي جريدة الأهرام ذكر حول فئة " عرض وجهة نظر محددة " 84 مادة تحريرية من أصل 134 تكرارا. تليها جريدة الشروق اليومي الجزائرية بـ 58 مادة تحريرية في الفئة نفسها من أصل 97 تكرارا. ثم تلحق جريدة تشرين بـ 51 مادة تحريرية مقابل 84 تكرارا. ثم تأتي صحيفة الرأي العام بعددها الـ 42 تكرارا من أصل 73 تكرارا. وأخيرا صحيفة الخبر بـ 18 تكرارا من أصل 26 تكرارا.

ومن خلال كل ما سبق يمكننا استخلاص النتائج التالية:

. نلاحظ عدم التوازن في التغطية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

. غلبة الفئة الفرعية الخاصة بعرض " وجهة نظر محددة " حول موضوع الدراسة بفارق كبير.

. السياسات التحريرية للجرائد العربية كانت سبب الاضطراب في خلق حالة التوازن في التغطية لموضوعات

الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

المبحث السابع

فئة اتجاه المحتوى نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها

نظرا لطبيعة الدراسة التي تهدف إلى التعرف على طبيعة مفهوم الثقافة الإسلامية، كان من الضروري التعرف على اتجاه الصحف العربية نحوها. حيث تستهدف الدراسة هنا الكشف عن الاتجاهات التي ينطوي عليها محتوى الاتصال و" تصنيف المحتوى بناء على المشيرات أو المحددات المختلفة"⁷⁶، هل هو اتجاه (مؤيد) أي انعكاس الجوانب الإيجابية في موضوع الاتجاه. أم اتجاه (مؤيد بشدة) وهو التركيز الكامل المطلق على الجوانب الإيجابية في موضوع الاتجاه. أم اتجاه (معارض) أي انعكاس الجوانب السلبية في موضوع الاتجاه. أم اتجاه (معارض بشدة) أم (محايد) وهو الاتجاه الذي لا يظهر فيه أي جانب من جوانب الإيجابية أو السلبية. أم اتجاه (غير واضح) لاتجاه له إزاء الموضوع.

وترتبط فئة الاتجاه هذه ارتباطا وثيقا بفئة الموضوع، ذلك بأن فئة الاتجاه تساعد في توفير مناخ يمكن في ضوئه فهم التصنيفات المختلفة للمضمون الإعلامي وأسباب تركيز الصحيفة على أنواع منها دون أخرى ثم الحديث عن أهمية هذه الفئة. وعليه يمكن التعرف على الاتجاهات التي ينطوي عليها مضمون موضوعات الثقافة الإسلامية خلال فترة الدراسة من خلال الجدول التالي رقم (26).

جدول رقم (26)

اتجاه المحتوى نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها في صحف الدراسة

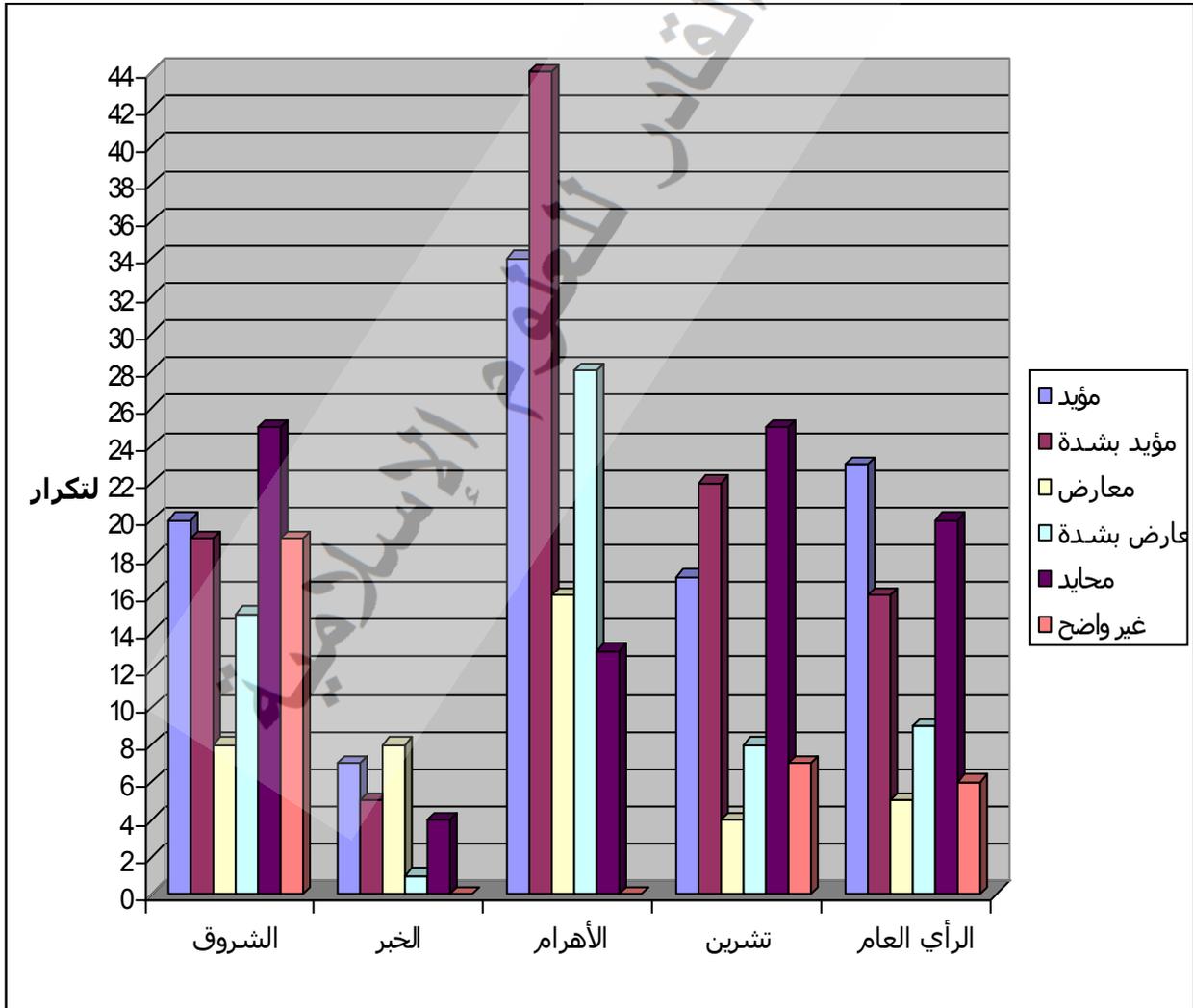
المجموع	صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف اتجاه المحتوى	
	الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق			
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
23,6	101	29,1	23	20,5	17	25,2	34	28,0	7	18,9	20	مؤيد
24,8	106	20,3	16	26,5	22	32,6	44	20,0	5	17,9	19	مؤيد بشدة
9,6	41	6,3	5	4,8	4	11,9	16	32,0	8	7,5	8	معارض
14,3	61	11,4	9	9,6	8	20,7	28	4,0	1	14,2	15	معارض بشدة
20,3	87	25,3	20	30,1	25	9,6	13	16,0	4	23,6	25	محايد
7,5	32	7,6	6	8,4	7	0,0	0	0,0	0	17,9	19	غير واضح
100	428	100	79	100	83	10	135	100	25	100	106	المجموع

بالنظر إلى بيانات الجدول السابق نجدها تشير إلى أن اتجاه موضوع الثقافة الإسلامية في ظل العولمة قد توزعت بين سمتين أساسيتين؛ الأولى ورود هذه الموضوعات بسمة إيجابية حيث وردت نسبتها 48,4%، أي بجمع الفئتين الفرعيتين (مؤيد ومؤيد بشدة). أما السمة الثانية السلبية فقد وردت نسبتها 23,9%، أي بجمع الفئتين الفرعيتين (معارض ومعارض بشدة). وبالنسبة للفئة الفرعية (محايد) فقد وردت نسبتها 20,3% . وأما النسبة الباقية فكانت للموضوعات غير المحددة السمات حيث أظهر الجدول نسبة 7,5%، مع العلم أن معدل المتوسط الحسابي في هذه الفئة يقدر بـ 16,6%.

وفي هذه النسب حول اتجاه الموضوع كثير من الملاحظات الجوهرية وخاصة حول موضوع الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في الصحف العربية، والشكل التالي رقم (09) يوضح توزيع اتجاه موضوعات الثقافة الإسلامية في صحف الدراسة. وهو يجلي أكثر بتكراراته حقيقة هذه الفئة بملاحظاتها.

شكل رقم (09)

يوضح اتجاه المحتوى نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها في صحف الدراسة



إذا اعتبرنا أن معنى السمة الإيجابية في الموضوعات الثقافية هي بمعنى تبني القائم بالاتصال ومن ورائه الكاتب في الجريدة لفكرة مفهوم الثقافة الإسلامية وعناصرها ومدى اقتراب الواقع العربي من حقيقتها أو لجزء من أجزائها، واعتبرنا أيضا أن معنى السلبية عكس التعريف الأول، فإن الشكل السابق يظهر تكرارات المادة التحريرية في الصحف العربية في سمة الإيجابي متباعدة كثيرا عن سائر الاتجاهات الأخرى، حيث بلغ في صحيفة الأهرام 78 تكرارا أي بنسبة 57,8% أي بجمع الفئتين مؤيد ومؤيد بشدة. بينما ورد في كل من جريدة الشروق اليومي الجزائرية وتشيرين والرأي العام 39 تكرارا لكل من الثلاثة بنسبة 36,8% و 47% و 49,4% على التوالي. بينما حققت صحيفة الخبر 12 تكرارا فقط ولكن بمعدل 48%، وهي تعد بذلك ثالث أكثر الصحف العربية التي برزت فيها الصفة الإيجابية حول موضوعات الثقافة الإسلامية.

وأما الموضوعات ذات الاتجاه السلبي فيها فكانت نسبتها 23,9%، ولم يبق للموضوعات غير المصنفة في السمتين السابقتين إلا نسبة 27,8% منها 7,5% فقط للمادة التحريرية غير الواضحة الاتجاه، وفي هذا معنى يدل على توجه الجرائد موضوع الدراسة نحو عرض الآراء والرؤى للمتلقى العربي بطريقة لا لبس فيها، تاركة لقناعاته مجال القبول أو الرفض، ودون أن تزج به في المفاهيم غير الواضحة السمات والتي لا تنتج لذهنية القارئ شيئا وخصوصا حول موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

والملاحظ أيضا في هذه الفئة غلبة الاتجاه المؤيد لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في كل صحف الدراسة، وهذا يشير إلى أن الناشر العربي والكاتب يذهبان إلى ضرورة تبني الثقافة الإسلامية العمل في ضوء أطروحات العولمة الثقافية، لأن ذلك حتمية قاهرة على كل ثقافات العالم. أو بعبارة أخرى لا بد من ولوج الثقافة الإسلامية فيما يعرف بالعالمية لأجل المشاركة في الجدل العالمي حول العولمة.

المبحث الثامن

فئة الفاعلون

تبحث هذه الفئة عن المحركين الأساسيين في المضمون، أي مجموعة الأشخاص التي تصنع الحدث في المضمون محل التحليل. فهذه الفئة مهمة في معرفة الشخصيات الفاعلة في مضمون المواد التحريرية للثقافة الإسلامية في ظل العولمة، وطريقة تفكيرهم وأسلوبهم في مخاطبة الغير. والجدول التالي رقم (27) يوضح الفاعلون في صحف الدراسة.

جدول رقم (27)

الفاعلون في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف الفاعلون
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
14,4	63	6,0	4	7,2	6	23,6	39	23,3	7	7,4	7	شخصيات غربية
8,4	37	1,5	1	6,0	5	18,8	31	0,0	0	0,0	0	شخصيات يهودية
77,2	339	92,5	62	86,7	72	57,6	95	76,7	23	92,6	87	شخصيات عربية وإسلامية
100	439	100	67	100	83	100	165	100	30	100	94	المجموع

تنوعت الشخصيات الفاعلة في موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، فجاءت على أنواع ثلاث وهي شخصيات غربية وشخصيات يهودية وشخصيات عربية وإسلامية. ومن الطبيعي جدا في موضوعنا أن تتقدم الشخصيات العربية والإسلامية بنسبة 77,2%. وذلك فيما يتعلق بالمواد التحريرية ذات البعد الثقافي العربي الإسلامي، حيث تعد الشخصيات العربية والإسلامية هي محور الفاعل في كل وقائع الثقافة الإسلامية.

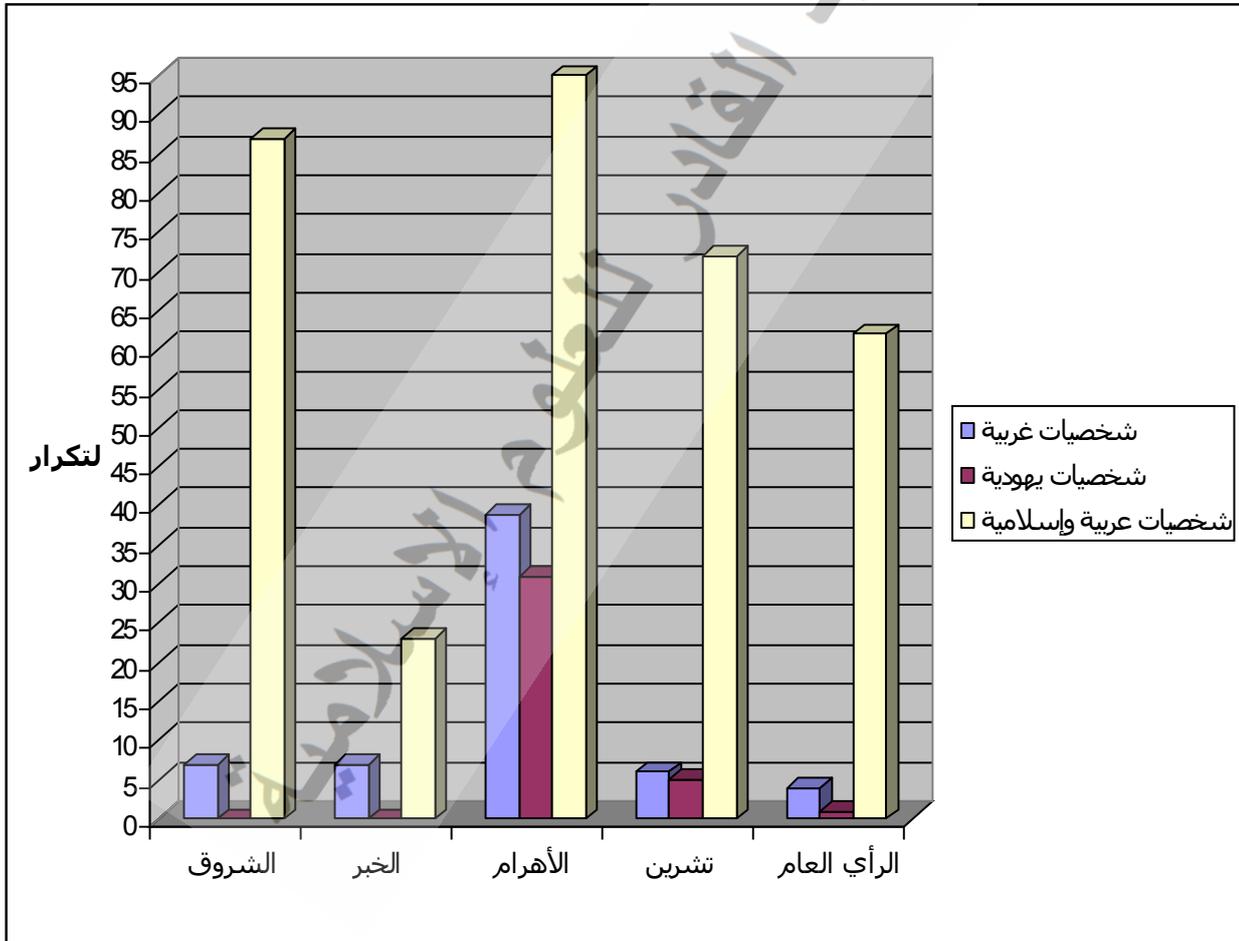
أما الشخصيات اليهودية فأكثر تداولها كان حول القضايا الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني. وقد برزت الشخصيات اليهودية خصوصا في موضوعنا في صحف الدراسة بنسبة 8,4% وهي نسبة معتبرة كثيرا، وسبب ذلك أن موضوع الدراسة قد زامن أحداث الانتفاضة الفلسطينية حيث فوجئ شارون أيام الانتفاضة الأولى في فترة الدراسة كما فوجئ الأمريكيون بقوة المقاومة الفلسطينية بأطيافها الوطنية المختلفة. الأمر الذي أفشل المخطط الشاروني الساحق مثلما أذهل العالم كله بحجم التضحيات اليومية تعبيرا عن الإصرار على رفض الخضوع للاحتلال والذلل والقتل العشوائي والتصفيات الدموية، وصولا إلى تطوير تكتيكات القتال لدى المقاومة؛ سواء بالعمليات

الاستشهادية الباسلة أو بالتصدي للدبابات الإسرائيلية أو بنقل القتال إلى عمق إسرائيل وقلب القدس وتل أبيب وغيرها من المدن التي كانت في منأى عن ذراع المقاومة. الأمر الذي أثار فزعا في المجتمع الإسرائيلي الموعود من شارون بالأمن فإذا الأمن هباء.⁷⁷ فكل ذلك أدى إلى ظهور شخصا فاعلة يهودية هدفها القضاء على مقومات الوجود الفلسطيني والعربي في المنطقة والعالم الإسلامي بأسره.

أما الشخصيات الغربية فكانت نسبتها أعلى من سابقتها حيث بلغت 14,4%. وتصدرت الشخصيات الغربية المواد التحريية ذات المضمون الذي يعالج خصوصا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقضايا الصراع بين الشرق والغرب والحضارتين العربية الإسلامية والغربية، وقضايا الإستشراق وغيرها. وحتى ظهور أحداث الانتفاضة الفلسطينية أيضا. والشكل التوضيحي التالي رقم (10) يوضح الفاعلين الحقيقيين في موضوعات صحف الدراسة.

شكل رقم (10)

يوضح الفاعلون في صحف الدراسة



وبالنظر إلى هذا الشكل التوضيحي يتبين لنا أن تكرارات الشخصيات الفاعلة في صحف الدراسة قد تباينت من صحيفة إلى أخرى، وهذا يوحي بمدى مشاركة الصحيفة والرأي العام للأحداث والقضايا الجوهرية للعالم العربي الإسلامي. فلو قمنا مثلا بمقابلة نتائج الصحف الوطنية مجتمعة مع الصحف العربية حول الشخصيات الفاعلة اليهودية فإننا ننتهي إلى ما يلي بعد عرض نتائج الشكل السابق:

. الصحف الجزائرية عدد تكراراتها الصفر (0) وطبعا نسبتها 0,0 %.

. الصحف العربية عدد تكراراتها 37 تكرارا وبنسبة 26,3 %.

وتعني هذه النسبة أن الصحف الجزائرية انعدم فيها ذكر شخصية يهودية ولو مرة واحدة طول مدة الدراسة. وخصوصا أن موضوعات الثقافة الإسلامية قد زامت الانتفاضة الفلسطينية بأحداثها المهولة عام 2001م. إذ لم تشر إطلاقا صحيفتي الشروق اليومي والخبر في صفحاتها الثقافية لموضوعات تأثيرات الانتفاضة والصراع العربي الصهيوني على قضايا عناصر الثقافة الإسلامية، إذ لو أشارتا إلى ذلك ولو بنسب ضئيلة لأظهرت النتائج ذلك. وفي هذا دلالة على عدم مشاركة الصفحات الثقافية للصحيفتين الأحداث الكبرى التي تمس صلب الثقافة الإسلامية، إذ حاولت كثيرا الصهيونية العالمية ومن ورائها القوى العالمية الغربية إبعاد العالم العربي عن القضية الفلسطينية وتحويلها من حيزها الإسلامي العربي إلى حيز أضيّق يخص الشعب الفلسطيني. وبالطبع فالانتكاسات السياسية للأحداث العربية ترتسم بشكل فوري في السياسات الإعلامية العربية، فهل نجحت القوى الصهيونية في تضيق مجال القضية الفلسطينية إعلاميا إلى الحد الذي يجعل الإعلام الجزائري ينأى في صفحاته الثقافية عن ذكر الفاعلين من الشخصيات اليهودية.

أما الشخصيات الغربية فقد وردت في المواد التحريرية ذات صلة بموضوعات احتكاك الحضارتين الإسلامية والغربية، فقد أظهرت النتائج فاعلية كبيرة للقائم بالاتصال بموضوعات وقضايا وأحداث العالم الإسلامي الثقافية وتأثيرات الغزو الأمريكي على العراق وأفغانستان على مقومات الوجود الإسلامي وهويته وخصوصيته، وحديث الشخصيات الغربية عن العولمة والعولمة الثقافية سواء في العالمين الغربي أو الإسلامي. وقد سجلت النتائج نسبة 30,7% أي بتكرار 14 مادة تحريرية للصحف الوطنية مقابل نسبة 36,8% و 49 تكرارا للصحف العربية. وفي هذا اهتمام شديد للصحافة الوطنية بالشخصيات الغربية الفاعلة في موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

المبحث التاسع

فئة المصادر الإعلامية

تنوع المصادر التي تعتمد عليها المواد التحريرية عن الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، وعادة ما يتم الربط بين نوع المصدر واتجاهات المضمون الذي تتضمنه هذه المواد. كما تعد نوعية المصدر التي تعتمد عليها الصحيفة من أهم العوامل التي تحدد وتفسر أبعاد المواد التحريرية التي تنشر فيها ومدى مصداقيتها. وقد ظهرت نتائج المصادر الإعلامية لصحف الدراسة حول موضوعنا كما يلي في الجدول رقم (28).

جدول رقم (28)

المصادر الإعلامية في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف المصادر الإعلامية
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
34,3	151	45,6	36	29,1	25	29,5	38	23,3	7	39,1	45	محرر من أعضاء الجهاز
24,1	106	25,3	20	37,2	32	2,3	3	66,7	20	27,0	31	مراسل خارجي
2,0	9	6,3	5	0,0	0	0,0	0	3,3	1	1,7	2	وكالات أنباء عربية
0,2	1	0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,9	1	وكالات أنباء أجنبية
0,2	1	0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,9	1	نقلا عن صحف أخرى عربية
0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,0	0	0,0	0	نقلا عن صحف أجنبية
15,7	69	10,1	8	18,6	16	24,0	31	0,0	0	12,2	14	خبير متخصص
1,6	7	2,5	2	0,0	0	3,1	4	0,0	0	0,9	1	مسؤول مؤسسة
21,8	96	10,1	8	15,1	13	41,1	53	6,7	2	17,4	20	كاتب من خارج الجهاز التحريري
100	440	100	79	100	86	100	129	100	30	100	115	المجموع

تشير نتائج الجدول السابق إلى أن عينة الدراسة اعتمدت في استيفاء المواد التحريرية التي نشرتها عن الثقافة الإسلامية في ظل العولمة على محررين من الجهاز التحريري لها في المقام الأول بنسبة 34,3%، إذ تتلخص مهمة الجهاز التحريري في إنتاج المادة الصحفية كمحصول عقلي وثقافي يقدم للقارئ والذي يحكم على قيمة هذا الإنتاج. ثم يلي الجهاز التحريري الاعتماد على المراسلين الخارجيين بنسبة 24,1%. والمراسلون أشخاص مختصون بدور متميز في نجاح الصحيفة وتحقيقا للسبق، وهم مقيمون عادة بصفة دائمة في إحدى الدول لتغطية الأحداث والتعرف على خلفيتها وتفسيراتها وينتهي بنقلها إلى صحيفته في أسرع وقت.

ثم يلي المرسلين اعتماد صحف الدراسة في مصادرها الإعلامية على كتاب من خارج الجهاز التحريري بنسبة 21,8%. وقريب من هذه الفئة الفرعية اعتماد صحف الدراسة على المواد التحريرية التي نشرت من طريق الخبراء المتخصصين بنسبة 15,7%.

فإذا نظرنا إلى هذه النسب التي تعد الممول الأساس لأرصدة الأقسام التحريرية في الصحف العربية، فإننا يمكن تقسيمها من ناحية الأهمية إلى قسمين أساسيين:

. قسم من هذه المصادر تعتمد الصحف محل الدراسة وهي تعد من المصادر الخاصة بالجريدة، وهو القسم الخاص بالمحررين من أعضاء الجهاز التحريري، ويليه المرسلين الخارجيين التابعين للجريدة حيث بلغت نسبة اعتماد الصحف على هذه المصادر 58,4%، وهي كما نرى نسبة عالية جدا ومصدر ثري تعتمد الصحف العربية بدرجة كبيرة في استيفاء موادها التحريرية.

. أما القسم الثاني من هذه المصادر التي تعتمد الصحف محل الدراسة وهي تعد أيضا من المصادر المساعدة للجهاز التحريري، اعتمادها على كتاب من خارج الجهاز التحريري وعلى الخبراء المتخصصين وذلك بنسبة 37,5%، وهي أيضا نسبة عالية خصصتها صحف الدراسة لتكون من المصادر الإعلامية لموادها التحريرية حول موضوعات وقضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

فإذا جمعنا نسبة القسمين الأساسيين في استيفاء الجريدة لمصادرها الإعلامية نجد نسبة 95,9%، وهي نسبة تجعل من الصحف العربية محل الدراسة تستبعد باقي المصادر الإعلامية الأخرى على أهميتها بالنسبة للجريدة، وهي:

. وكالات أنباء عربية وهي مراكز أو مؤسسات إعلامية عربية، وعادة ما تكون قطرية تختص بتزويد الصحف الوطنية المختلفة بالأخبار والتقارير الصحفية.

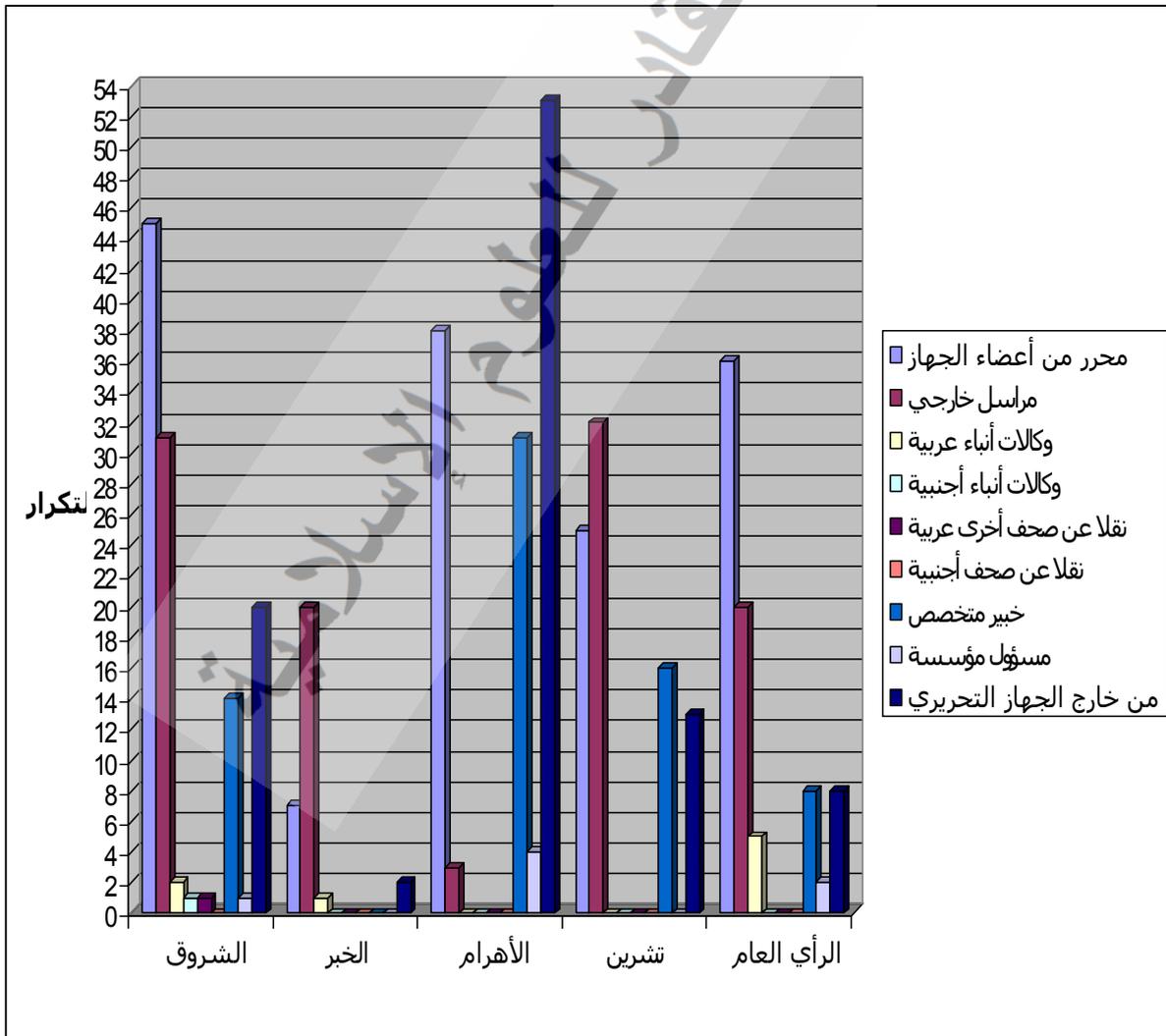
. وكالات أنباء أجنبية، وهي مراكز أو مؤسسات إعلامية أجنبية وعادة ما تكون دولية. حيث تختص بتزويد الصحف والعديد من الجهات المختلفة بالأخبار والتقارير الصحفية. وعليه فإنها لا تقوم بنشر الأخبار والمعلومات بنفسها وإنما تمد مشتركها بالمواد الإعلامية.

. الصحف الأجنبية، وهي صحف دولية واسعة الانتشار، وهي تعد مصدرا للأخبار الخارجية والعالمية. ولعل مما يزيد في أهمية الصحف الأجنبية كمصدر من مصادر الأخبار الدولية ما تحرص عليه هذه الصحف كطابع عام من التركيز على التغطية التحليلية للأحداث والأنباء والقضايا الجارية على الساحة العالمية. وعادة ما تحصل الصحف من طريق وكالات الأنباء على الكم الأكبر من مادتها عن مختلف الأنباء والأحداث التي تدور في الساحة الدولية خاصة. صحف أخرى عربية ومسؤول مؤسسة.

وتشترك جميع هذه المصادر الإعلامية في نسبة 4% فقط. وفي هذا اضطراب كبير في المصادر الإعلامية التي اعتمدها صحف الدراسة، حيث وردت موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة معتمدة أساسا على القسمين السابقين من المصادر الإعلامية. إذ كان بإمكان صحفنا العربية اللجوء إلى وكالات الأنباء العربية لاستيفاء الموضوعات، فتأخذ دلالة التعاون المشترك والاقتراب من مصدر المادة في البلد العربي المجاور. وكما أشرنا أيضا خلو صحف الدراسة من أي مادة من وكالات الأنباء العالمية، وهذا اتجاه يثير تساؤلات عدة حول حق القارئ في نقل الأخبار الثقافية العالمية وخاصة ونحن في عالم تتطور فيه تقنيات الحياة العامة في كل جوانبها، فعدم مساهمة الصحف العالمية يعني التخلف عن ركب التغيير الإيجابي للأمة العربية الإسلامية. ومن جانب آخر يرى بعض الكتاب أن عدم الاعتماد المكثف لصحف الدراسة على وكالات الأنباء الأجنبية قد يكون من وجه مَحْمَدَة لهذه الصحف في موضوع الثقافة الإسلامية. إذ قد يؤثر الاعتماد على هذه الوكالات سلبا على الصحيفة ذاتها بعدما تفتقد الصحيفة إلى التميز في مضمون مادتها نتيجة ارتكائها إلى مصادر تلك الوكالات بعينها. أما توزيع المصادر الإعلامية في عينة الدراسة حسب كل جريدة على حدة، فقد أوضحها تكرارات الشكل رقم (11) التالي:

شكل رقم (11)

يوضح المصادر الإعلامية في صحف الدراسة



تبين بيانات الشكل السابق أن عينة الدراسة تكاد تعتمد على نمط واحد في اعتمادها على مصدر المعلومة والمادة التحريرية، مع بعض التفاوت البسيط في الاعتماد على هذا المصدر أو ذاك. وقد ورد في الشكل السابق أن صحيفة الأهرام هي أكثر الصحف العربية تعويلاً على هذه الفئة، حيث ورد عدد تكراراتها 129 تكراراً، من بينها تكرارات صفرية بيضاء من مثل ما جاء عن وكالات أنباء عربية ووكالات أنباء أجنبية ونقلًا عن صحف أجنبية ونقلًا عن صحف أخرى عربية.

أما باقي المصادر الإعلامية الأخرى فتوزعت نسبتها بين مصادر كثيفة اعتمدها الجريدة مثل الكتاب من خارج الجهاز التحريري وهي مقدمة على المصادر المستقاة من داخل الجهاز التحريري، حيث اعتمدت الأولى على نسبة 41,1% أما الثانية فكانت نسبتها 29,5%، وتبرير هذه النسبة أن صحيفة الأهرام المصرية تعد من الصحف العربية الواسعة الصيت والانتشار، ويقصدها كتاب كثر لأجل هذه الشهرة فنجد من كتابها الأساتذة والدكاترة والسفراء والمستشارين والمحامين والقضاة والمفكرين وسائر أصناف الكتاب. ولذلك يلحظ القارئ غزارة المادة التحريرية في صفحات الأهرام الثقافية، ومن ثم كان اعتماد هذه الصحيفة في مصادرها الإعلامية في صفحاتها الثقافية على هذا المصدر بالذات مقدماً على المصدر الثاني الذي تعتمده سائر الصحف الأخرى وهو الاعتماد على الجهاز التحريري.

كما جعلت صحيفة الخبر فئة الاعتماد على خبير متخصص ثالث مصادرها الإعلامية بنسبة 24,0% وهي آخر المصادر الكثيفة المعتمدة من طرف الصحيفة، والسبب السالف نفسه الذي لأجله عولت الصحيفة على هذا المصدر الإعلامي.

أما ثاني الصحف العربية اعتماداً على المصادر الإعلامية فجريدة الشروق اليومي الجزائرية، حيث ورد فيها 115 تكراراً، وقد جاءت مصادرها الإعلامية مرتبة حسب أهميتها في الصحيفة كالتالي:

- . محرر من أعضاء الجهاز بنسبة 39,1%.
- . مراسل خارجي بنسبة 27,0%.
- . كاتب من خارج الجهاز التحريري بنسبة 14,4%.
- . خبير متخصص بنسبة 12,2%.
- . وكالات أنباء عربية بنسبة 1,7%.
- . وكالات أنباء أجنبية نقلًا عن صحف أخرى عربية، ومسؤول مؤسسة بنسبة 0,9% لكل منها.
- . نقلًا عن صحف أجنبية بنسبة 0,0%.

وبهذا تعد صحيفة الشروق اليومي أفضل الصحف العربية موضوع الدراسة إطلاقاً من حيث تنوع مصادرها الإعلامية، في حين اقتضرت الصحف الباقية على ما ذكرنا سابقاً من المصادر الإعلامية مكثفية بالنسب الصفرية لباقي أنواع المصادر الإعلامية الأخرى.

أما أضعف تكرارات هذه الفئة فكان حليف صحيفة الخبر التي اعتمدت على 30 تكراراً فقط، حيث ورد في فئة مراسل خارجي 20 تكراراً، وفي فئة محرر من أعضاء الجهاز 7 تكرارات، وفي فئة كاتب من خارج الجهاز التحريري تكراران، وفي فئة وكالات أنباء عربية تكراراً واحداً. أما باقي تكرارات الفئات الخمس الأخرى فلم تتجاوز رقم الصفر. وفي هذا أيضاً دلالة على ما تعانيه صحيفة الخبر الوطنية من فقر في مصادرها الإعلامية الثقافية. أما سبب عدم إثراء هذه المصادر الثقافية في صفحة الخبر الثقافية فليس يعود لقصور في جهد القسم الثقافي أو رئاسة تحرير في الجريدة بقدر ما يعزى ذلك إلى عدم الاهتمام وتغليب قسم من الجريدة على آخر والميل أكثر إلى الطابع الإخباري في خط الجريدة.

عبد القادر للعوم الإسلامية

المبحث العاشر

فئة المجال في التغطية (منشأ المعلومة الجغرافي)

من الطبيعي أن تقوم الدراسة التحليلية بالتعرف على المجال الجغرافي للقضايا التي تناولتها المواد التحريرية التي نشرت عن مفهوم الثقافة الإسلامية والعمولة. وفيما يلي عرض للنتائج في الجدول التالي رقم (29):

جدول رقم (29)

منشأ المعلومة الجغرافي ومجال التغطية في صحف الدراسة

المجموع	صحف عربية						صحف جزائرية				الصحف منشأ المعلومة	
	الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق			
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
75,9	322	68,8	53	85,2	75	68,0	87	74,2	23	84,0	84	المجال الجغرافي المحلي
17,0	72	24,7	19	11,4	10	21,1	27	12,9	4	12,0	12	المجال الجغرافي العربي
1,4	6	2,6	2	2,3	2	0,8	1	0,0	0	1,0	1	المجال الجغرافي الإسلامي
5,7	24	3,9	3	1,1	1	10,2	13	12,9	4	3,0	3	المجال الجغرافي الدولي
100	424	100	77	100	88	100	128	100	31	100	100	المجموع

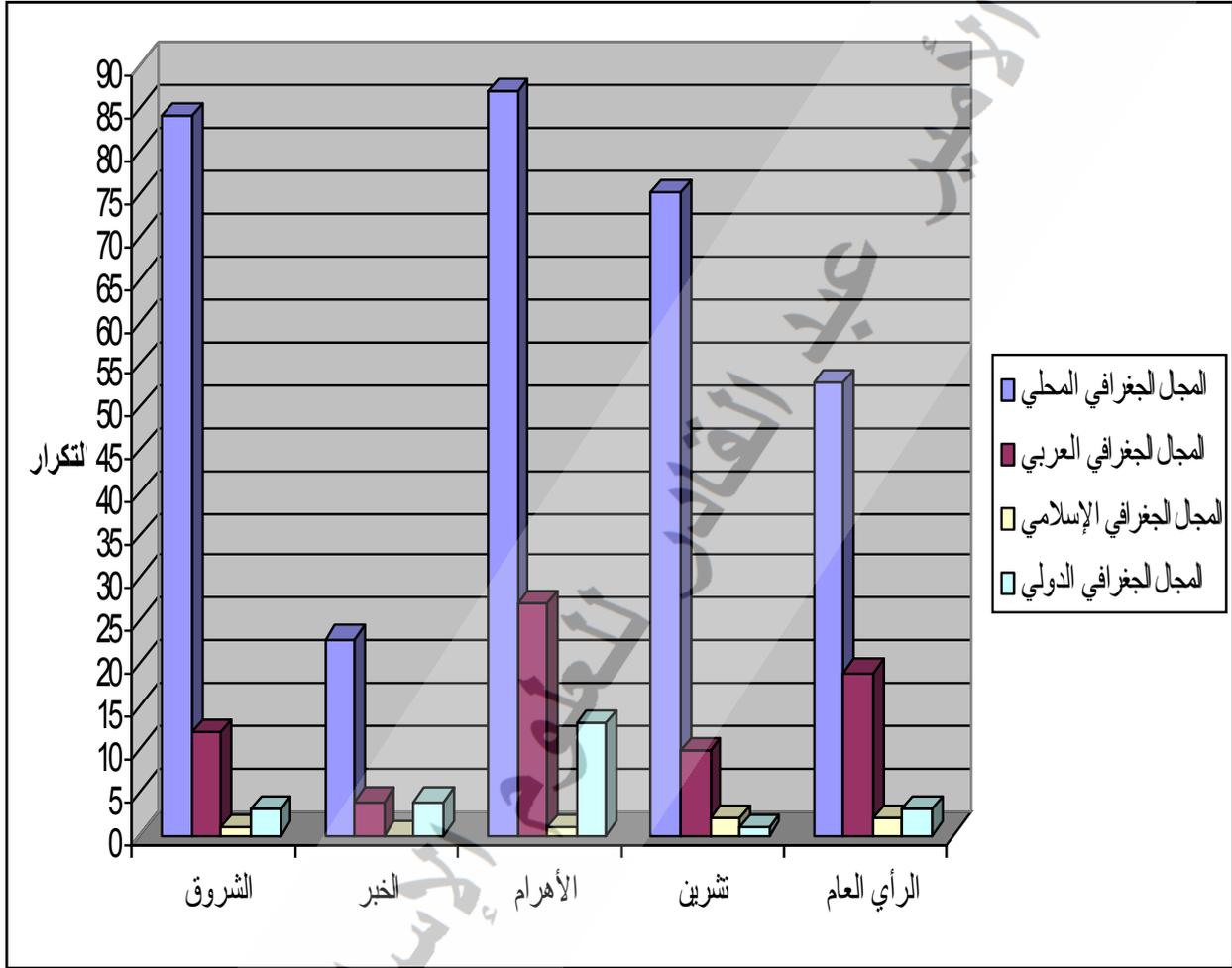
ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا أن النسبة الغالبة من المواد التحريرية التي نشرت عن الثقافة الإسلامية والعمولة كان مجالها الجغرافي مجالا محليا بنسبة 9, 75 % وهي الأكبر حجما مقارنة بما يليها من المجالات، حيث يأتي المجال الجغرافي العربي بنسبة 0, 17 % ثم المجال الجغرافي الدولي بنسبة 7, 5 % ثم المجال الجغرافي الإسلامي بأقل نسبة 1,4 %.

وتعود ارتفاع نسبة المجال المحلي في العينة محل الدراسة إلى طبيعة العمل الصحفي في حد ذاته، إذ كثيرا ما تكشف عينة الدراسة وسائر الصحف الأخرى نشاطها حول محيط الجريدة الجغرافي. وبدرجة أولى حيث تنتشر مكاتب الجريدة ومراسليها في شتى أنحاء المجال الجغرافي المحلي، فيكون الوصول إلى مصدر المعلومة أو الحدث الثقافي أيسر وأسهل. وبدرجة أقل أيضا يكون المجال الجغرافي العربي كذلك، حيث كلما ابتعدت الشقة بين مصدر المعلومة أو الحدث كانت تغطية الصحيفة بدورها أقل من الأولى، لذلك كانت نسبة منشأ المعلومة في مجاله الجغرافي العربي أقل

بكثير في عينة الدراسة كما أوردنا قبل حين. والأمر نفسه مع المجال الجغرافي الدولي الإسلامي. والشكل التوضيحي رقم (12) يبين منشأ المعلومة الجغرافي ومجال التغطية في صحف الدراسة:

شكل رقم (12)

يوضح منشأ المعلومة الجغرافي ومجال التغطية في صحف الدراسة



ويمكن تفسير النتائج السابقة أنه من الطبيعي أن تكون المواد التحريرية التي لها علاقة بمفهوم الثقافة الإسلامية والعولمة ألصق بالمجال الجغرافي المحلي منها من المجالات الجغرافية الأخرى وذلك لطبيعة الموضوع ذاته. إذ كثيرا ما يبحث قضايا الثقافة الإسلامية بعناصرها وموضوعاتها المتشعبة سواء في شكل كتابات أو بحوث أو نشاطات كالمؤتمرات والأيام الدراسية كل قطر جغرافي على حدا من باب المساهمة في إثراء موضوعات الثقافة الإسلامية، وكل ذلك ينعكس إعلاميا على صحفنا العربية التي تجدد في هذه الوقائع مادة إعلامية قريبة المنال فتتداولها بسهولة وكثافة. لذلك غلب على عينة الدراسة اعتمادها على المجال الجغرافي المحلي. وعلى النقيض من ذلك المجال الجغرافي الدولي أو الإسلامي أو حتى العربي، إذ يتحول ترصد الحدث الثقافي إما إلى وجود المراسلين أو التنبؤ فقط بذلك

الحدث أو محاولة الاستقصاء وقد يكون ذلك قبل وقوع الحدث أو بعده، وفي كل ذلك صعوبة للصحيفة وقلمها يفلح منها في استسقاء المعلومة من محلها الجغرافي فتتحول بعد ذلك إلى خبر ثقافي متداول فقط.

ومن خلال الشكل السابق بتكراراته ننتهي إلى أن عينة الدراسة قد قصرت كثيرا في اعتمادها فقط على المجال الجغرافي المحلي للمعلومة، بل مما يزيد الأمر حيرة تقدم المجال الجغرافي الدولي بتكراراته 24 وبنسبته 7, 5 % على المجال الجغرافي الإسلامي بـ 6 تكرارات وبنسبة 4, 1 % . وقد يعزى هذا الوضع إلى كثير من الأسباب يصب أكثرها في خانة الانقسام وتشردم منظومة الإعلام العربي فيما بينها وتشتت الحالة الثقافية العربية الإسلامية والوضع العربي قبل ذلك، بحيث تحول اعتمادنا على العالم الغربي أيسر وأسهل من العالم الإسلامي حتى في شؤوننا الثقافية العربية والإسلامية.

عبد القادر للعوم الإسلامية

الفصل السادس

النتائج الخاصة بفئات شكل الاتصال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تهدف الدراسة في هذا الفصل إلى الإجابة على تساؤلات الدراسة التي تتعلق بالشكل الذي قدمت فيه صحف الدراسة مادتها الصحفية لقراءها حول الثقافة الإسلامية. كما يسعى هذا التحليل تقديم مدى اهتمام صحف الدراسة بالثقافة الإسلامية من خلال التعرف على الفن الصحفي (النوع الصحفي) الذي صيغت به المادة الصحفية، وكذلك معرفة مدى مصاحبة الصورة لموضوعات الثقافة وأنواع تلك الصور وبعد ذلك تحديد قيمة مشيرات قيمة المحتوى وهي العامل الأهم في تقدير الأهمية التي حازتها الموضوعات، وتتمثل في موقع موضوعات الثقافة الإسلامية من الصفحة والصحيفة واتساع العنوان الذي يتصدر تلك الموضوعات والمساحة التي تم تخصيصها لتلك الموضوعات. وقد تناولت الدراسة هذه الجوانب في ثلاثة مباحث هي:

- المبحث الأول: الفنون (الأنواع) الصحفية لموضوعات الثقافة الإسلامية في صحف الدراسة في ظل العولمة
- المبحث الثاني: الصور المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية في صحف الدراسة.
- المبحث الثالث: مشيرات قيمة محتوى موضوعات الثقافة الإسلامية في صحف الدراسة.

اعتمدت صحف الدراسة على أنماط صحفية كثيرة وبترتيبات متقاربة في صفحاتها الثقافية، وهذا الترتيب يعكس الإسلامية في ذهن القارئ وعلى التعبئة الفكرية للرأي العام. ولعل تفسير نتائج تحليل الأنواع الصحفية في حسن سياسة الصحف التحريرية في حشد كافة الأنماط التحريرية التي تساعد لتجسيد الثقافة الجدول السابق يكشف عن الملاحظات التالية:

. جاءت المقالات في المرتبة الأولى من حيث درجة الاهتمام من قبل القارئ بالاتصال نظراً للطبيعة الجدلية لموضوع الدراسة، حيث أن المقالة الصحفية بطبيعتها هي أكثر الأشكال التي تتيح الفرصة لكتّابها للتعبير عن آرائهم ومواقفهم من مفهوم الثقافة الإسلامية ومظاهرها وتوضيح مزايا العولمة وفضح عيوبها.

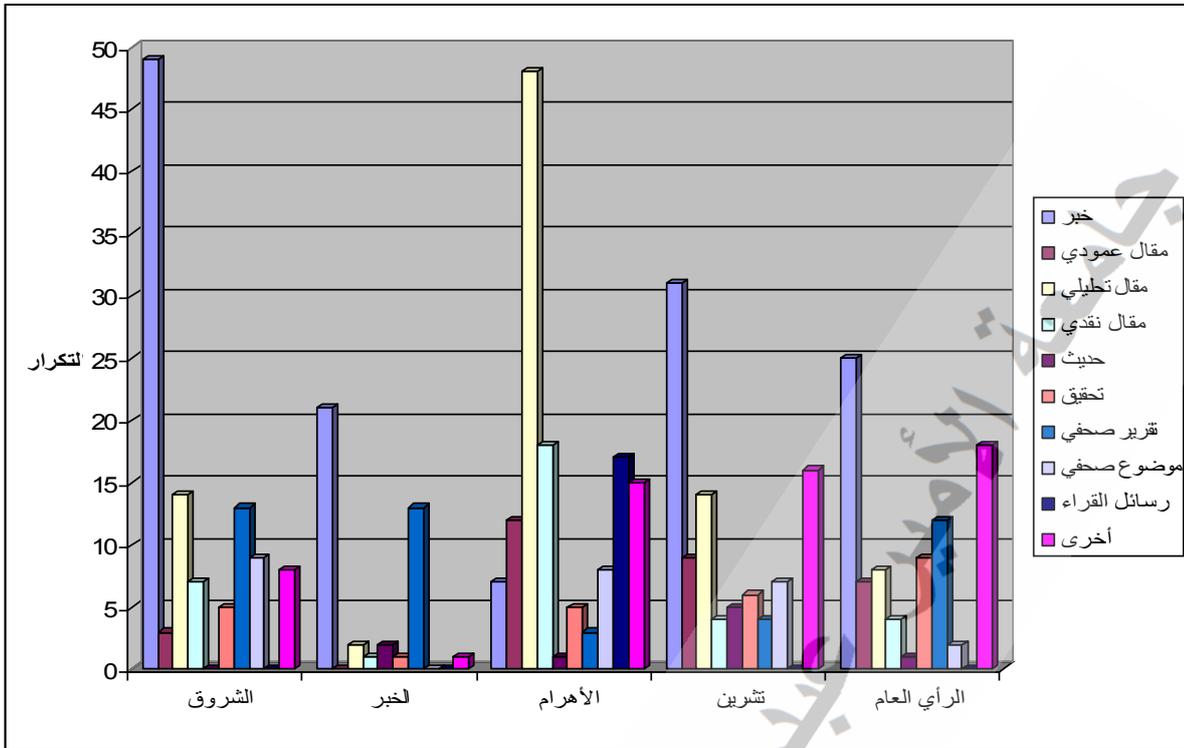
. غلب على أسلوب عرض موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة تقدم شكل الخبر الصحفي بنسبة عالية أيضاً، حيث ورد في المرتبة الثانية بعد المقال. ولعل ما يفسر سيادة الأخبار على غيرها من الأشكال الصحفية الأخرى طبيعة موضوع الدراسة الذي يتسم بالآنية والتجديد، فهو موضوع الساعة وفي كل يوم يطرأ على مظاهره أحداث جديدة تؤثر فيه وفي الاتجاه نحوه، وبالتالي كان من الطبيعي أن يكون الخبر هو أكثر الفنون الصحفية وجوداً بعد المقال.

. ومن ناحية أخرى جاء اهتمام الصحف العربية بالتقرير الصحفي في المرتبة الثالثة من حيث عدد التكرارات.

بهذا الاهتمام بالفنون الصحفية الثلاثة المقال والخبر والتقرير، حققت الصحف عينة الدراسة إلى جانب وظيفة الإعلام بصورة عامة وظائفها الأخرى الأساسية في التفسير و التوجيه والإرشاد والتوعية وحشد الرأي العام والاهتمام بقضايا العولمة والثقافة لإسلامية. والشكل رقم (13) التالي يوضح أكثر توزيع أنواع (الأشكال) الصحفية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.

شكل رقم (13)

يوضح توزيع أنواع (الأشكال) الصحفية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة



تشير معطيات الجدول السابق إلى استخدام صحف الدراسة لأغلب الفنون الصحفية وتركيزها في الاعتماد على التغطية الشاملة بكل هذه الأنواع. ولكن بنسب متفاوتة وبشكل واضح. وقد أسفرت تلك المعطيات عن النتائج التفصيلية التالية:

أولاً: المقال الصحفي

المقال الصحفي هو الأداة الصحفية التي تعبر بشكل مباشر عن سياسة الصحيفة وعن آراء بعض كتابها في الأحداث اليومية الجارية، وفي القضايا التي تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي. كما يمكن في بعض الحالات أن يطرح كاتب المقال فكرة جديدة أو تصوراً مبتكراً أو رؤياً خاصة يمكن أن تشكل في حد ذاتها قضية تشغل الرأي العام وخاصة إذا كانت تمس مصالح القراء أو تثير اهتمامهم لأي سبب من الأسباب.¹

ولأجل هذه الأهمية الكبرى ورد المقال في عينة الدراسة مقدم على غيره من أنواع الفنون الصحفية الأخرى، حيث ورد بنسبة 32,5% وهي نسبة تعد مرتفعة للغاية، ولعل سبب ذلك طبيعة الموضوع التحليلي النقدي حول الثقافة الإسلامية والعولمة. حيث تقوم هذه الموضوعات على عامل العرض ثم المناقشة والجدل لأجل استمالة ذهنية القارئ نحو تبني ما قام لأجله المقال. وموضوعات العولمة والثقافة الإسلامية تعد اليوم من الأفكار الجدلية التي لا

¹ . فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية. ط: 2 . جدة: دار الشروق. 1403 هـ. 1983م. ص 179.

يستوعبها إلا فن المقال الصحفي لأن المقال الصحفي يقوم بوظيفته من خلال شرح وتفسير الأحداث الثقافية الجارية والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة.²

وقد توزع فن المقال الصحفي في عينة الدراسة إلى أنواعه الثلاثة: المقال التحليلي، والنقدي، والعمودي.

1. **المقال التحليلي:** وهو أبرز فنون المقال الصحفي وأكثرها تأثيراً، وهو يقوم على التحليل العميق للأحداث والقضايا والظواهر التي تشغل الرأي العام. والمقال التحليلي يتناول الوقائع بالتفصيل ويربط بينها وبين غيرها من الوقائع التي تمسه من قريب أو من بعيد. ثم يستنبط منها ما يراه من آراء واتجاهات.³ كما أن المقال التحليلي لا يقتصر فقط على تفسير أحداث الماضي أو شرح الوقائع الحاضرة، وإنما يربط بين الاثنين ليستنتج أحداث المستقبل. وليس هناك حجم معين للمقال التحليلي ولكن قد يحتل مساحة صفحة كاملة من الجريدة.⁴

لذلك وردت نسبة المقال في عينة الدراسة 18,5% بالنسبة لكل أنواع الفنون الصحفية الأخرى، وليست بالنسبة لأنواع المقال فقط. ومن هنا يعبر هذا المعدل ما للمقال التحليلي في صحف الدراسة من أهمية في إبراز موضوع الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

2. **المقال النقدي:** هو الذي يقوم على عرض وتفسير وتحليل وتقييم الإنتاج الأدبي والفني والعلمي ... وذلك من أجل توعية القارئ بأهمية هذا الإنتاج ومساعدته في اختيار ما يقرأه أو يشاهده أو يسمعه من هذا الكم الهائل من الإنتاج الأدبي والفني والعلمي الذي يتدفق كل يوم، سواء على المستوى المحلي أو المستوى الدولي.⁵

أما نسبة المقال النقدي في صحف الدراسة فهي 7,3% بالنسبة لكل أنواع الفنون الصحفية الأخرى، وليست بالنسبة لأنواع المقال أيضاً. ويشير هذا المعدل معيّن سابقه ما للمقال النقدي من أهمية بارزة في مثل موضوعات الثقافة الإسلامية المتجددة والعولمة المستحدثة لفنون المعرفة الإنسانية.

3. **العمود الصحفي:**⁶ والعمود الصحفي هو مساحة محدودة من الصحيفة لا تزيد عن نهر أو عمود، تضعه الصحيفة تحت تصرف أحد كبار الكتاب بها يعبر من خلاله عما يراه من آراء أو أفكار أو خواطر أو انطباعات فيما يراه من قضايا وموضوعات ومشاكل... وبالأسلوب الذي يرتضيه. وغالبا ما يحتل العمود الصحفي مكانا ثابتا لا يتغير على إحدى صفحات الجريدة... وينشر تحت عنوان ثابت ويظهر في موعد ثابت قد يكون كل يوم أو كل أسبوع.

² . فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية. ص 179.

³ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 231.

⁴ . نفس المرجع الآنف الذكر.

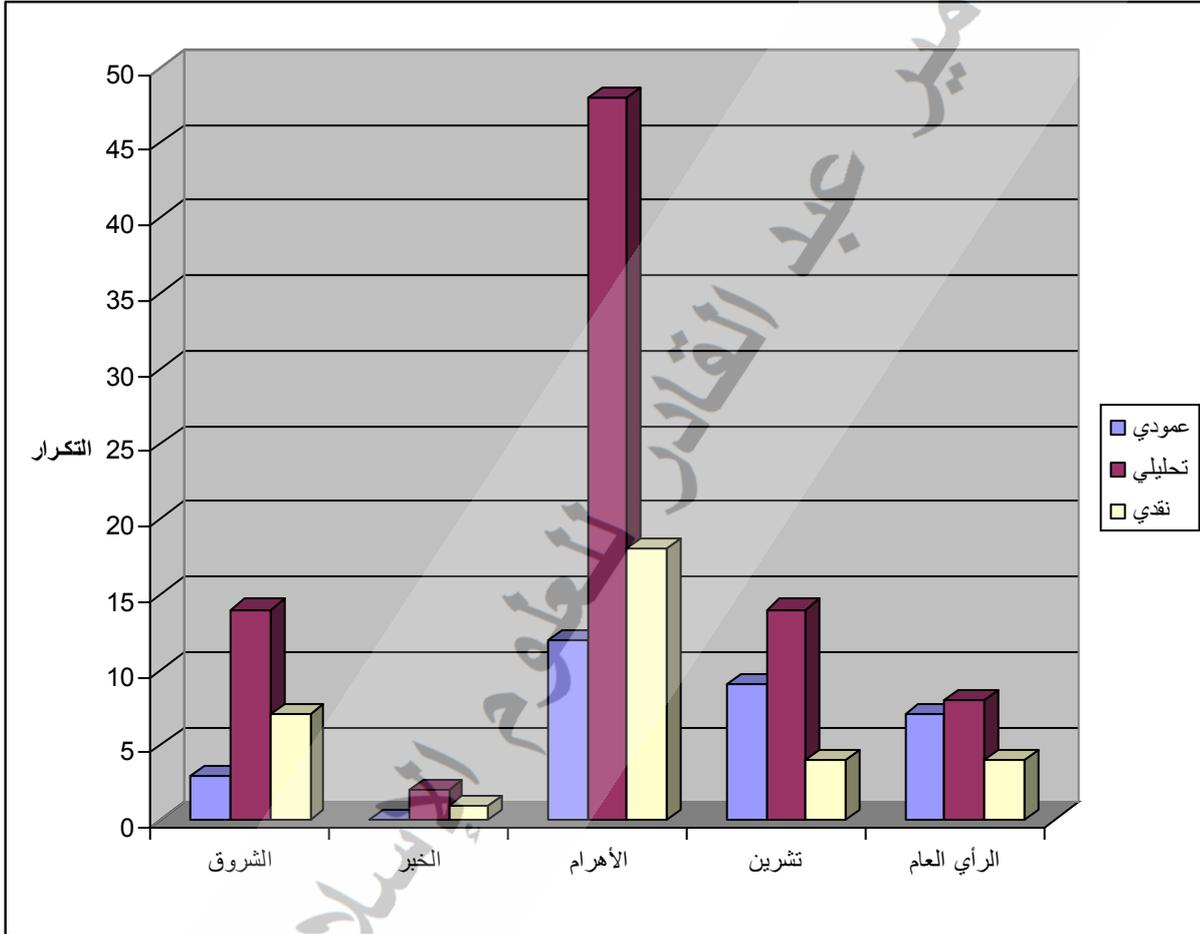
⁵ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 218.

⁶ . نفس المرجع الآنف الذكر. ص 193.

أما نسبة العمود الصحفي في صحف الدراسة فهي 6,7% بالنسبة لكل أنواع الفنون الصحفية الأخرى، وليست بالنسبة لأنواع المقال أيضا. وتوحي هذه النسبة معية الأنواع الأخرى أيضا بأهميتها في دراسة موضوع العولمة والثقافة الإسلامية. والشكل التالي رقم (14) يوضح توزيع أنواع المقال كما وردت في صحف الدراسة.

الشكل رقم (14)

توزيع أنواع المقال في صحف الدراسة.



يلاحظ من بيانات الجدول السابق تركيز جريدة الأهرام وتقدمها على سائر الصحف العربية الأخرى موضوع الدراسة من حيث استعمالها لنوع المقال الصحفي، حيث ظهرت بـ 78 تكرارا ونسبة 58,2% ، وقد كان المقال التحليلي في الجريدة قد نال أعلى تكرارات المادة التحريرية حيث بلغت 48 تكرارا، يليه المقال النقدي بـ 18 تكرارا، ثم المقال العمودي بـ 12 تكرارا. وتنبئ هذه التكرارات بنسبها في جريدة الأهرام بغزارة المادة التحريرية حول موضوع العولمة و الثقافة الإسلامية، حيث تنوعت مضامين المقال التحليلي حول أغلب قضايا وعناصر الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

ويأتي في المرتبة الثانية من حيث توظيف المقال الصحفي في صحف العينة جريدة تشرين السورية بـ 27 تكراراً. ورغم أن البون واسع من ناحية المادة التحريرية بينها وبين صحيفة الأهرام، إلا أن صحيفة تشرين تعد بنسبتها 28,1% من النسب المعتبرة أيضاً، حيث شاركت الجريدة بموادها التحريرية الجدل الدائر حول العولمة وصلة الثقافة الإسلامية بذلك. وقريبة من صحيفة تشرين تلي جريدتي الشروق اليومي الوطنية والرأي العام صحيفة تشرين من ناحية الاهتمام أيضاً، حيث زادت نسبة استعمال الجريدتين للمقال التحليلي على 22% وفي هذا توجه نحو الرأي ومحاوله الزج بالمتلقي في محاورات ذهنية حول قضايانا الثقافية العربية والإسلامية.

أما آخر مراتب المقال التحليلي وجودا في صفحات الثقافة في عينة الدراسة كانت صحيفة الخبر الجزائرية بتكراراتها الثلاثة و بنسبة 7,3% من مجموع نسب الأنواع الصحفية الأخرى. ولعل ما ذكرناه سلفا من علل هذا القصور قد يُعِيننا عن إعادة ذكره هنا.

ثانيا: الخبر الصحفي

الخبر هو العنصر الأساسي في الجريدة، بل لعله العنصر الأول في تكوينها، ومن هنا كانت أهميته في تحديد مكانة الجريدة وثقة القراء، أي في ازدهارها كمنشأة عالمية تعمل للصالح العام.⁷ وعلى الرغم من هذه الأهمية التي يكتسبها الخبر، فإنه من الزاوية النظرية لم يتفق الإعلاميون على تعريف دقيق موحد له. لذلك فمفهومه يختلف من عصر إلى آخر ومن نظام حكم إلى آخر. حيث يرى البعض أن الخبر هو سرد دقيق وصادق لأحداث وقعت، وكشوف اتضحت، ومعلومات ذكرت، على أن يؤثر ذلك كله في القراء ويثير اهتمامهم. ويرى آخرون أن الخبر هو وصف أو تقرير دقيق غير متحيز عن الحقائق الهامة التي تتصل بوقائع جديدة تمم القراء.⁸ وذهب آخرون إلى أن الخبر هو تقرير صادق عن حادث جديد بتفاصيله ومؤثر بنتائجه. كما رأى غير هؤلاء أن الخبر هو تقرير للحقائق والأحداث المهمة والشائقة في أوانها.⁹

وقد كان فن الخبر في المرتبة الثانية في عينتنا الصحفية بنسبة 28,6%. وقد كانت طبيعة المادة التحريرية التي سبقت في شكل فن الخبر عبارة عن أخبار ثقافية كأخبار المؤتمرات والأيام الدراسية والمعارض الثقافية والعلمية وغير ذلك من أنباء الثقافة. وقد بينت هذه الدراسة في مبحث سابق أن المجال الجغرافي المحلي لعينة الدراسة كان بنسبة عالية وكان أكثرها يأتي في هذا الفن الصحفي.¹⁰

7. محمد حمد خضر، مطالعات في الإعلام. مرجع سابق. ص 194.

8. نفس المرجع الآنف الذكر. ص 195.

9. نفس المرجع الآنف الذكر. ص 195.

10. راجع الصفحة من هذا الفصل.

وعن ترتيب شكل الخبر في عينة الدراسة جاءت النتائج على الشكل التالي:

- . صحيفة الخبر بنسبة 51,2 % .
- . صحيفة الشروق اليومي الوطنية بنسبة 45,4 % .
- . صحيفة تشرين السورية بنسبة 32,3 % .
- . صحيفة الرأي العام الكويتية بنسبة 29,1 % .
- . صحيفة الأهرام بنسبة 5,2 % .

وفي قراءتنا لهذا الترتيب حول نسب استخدام هذا القالب الصحفي في صفحة الثقافة في صحف العينة تسجل الأهرام النسبة الدنيا. ويمكن أن نغزو ذلك إلى أن صحيفة الأهرام تعتمد أسلوب التحليل في الطرح، حيث يكثر نوع المقال الصحفي كما أشرنا قبل ذلك إذ ارتفعت نسبة استعمال الجريدة لهذا النوع إلى 58,2 % وبالتالي قل استخدام شكل الخبر في الصحيفة. وفي المقابل ظهر شكل الخبر بارزا جدا في الصحف الجزائرية (الشروق اليومي والخبر)، حيث قارب مجموعهما نسبة 6,96 % وفي هذا دلالة على أن الصحيفتين في صفحاتهما الثقافية تعتمدان المواد الإخبارية في تغطية موضوعات الثقافة. وإذا اعتبرنا أن الصحف الوطنية في استيعابها موادها الإخبارية تعتمد على المجال الجغرافي المحلي بنسبة عالية¹¹ أيضا فإن ذلك يوحى بقصور في عرض مفاهيم الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في الصحف الوطنية.

ثالثا: التقرير الصحفي

يقول **فاروق أبو زيد**: « هو فن يقع ما بين الخبر و التحقيق الصحفي، ويقدم التقرير الصحفي مجموعة من المعارف والمعلومات حول الوقائع في سيرها وحركتها الديناميكية، فهو إذا يتميز بالحركة والديناميكية. ويقول أيضا في كتابه الخبر الصحفي: إن التقرير الصحفي هو امتداد للخبر الصحفي من منطلق أن كلاهما يهتم بالسردي والإحاطة للقضايا والأحداث.¹² حيث يقوم التقرير على وصف الجوانب الرئيسة في الحدث وكذلك الزمان والمكان والأشخاص والظروف التي أحاطت به، ويستخدم الجمل القصيرة ويركز على زاوية في الموضوع».

أما نسبة التقرير الصحفي في جدول التوزيع فهي 9,7 %، وهي نسبة تعد مقبولة إذا راعينا طبيعة موضوع الدراسة. فالصفحة الثقافية كما بينا سلفا يشدها المقال الصحفي بالأساس الأول، ثم تتنوع بباقي الأشكال الصحفية الأخرى. وقد ناسب كثيرا نسبة التقرير الصحفي هنا سابقتها حول المقال الصحفي وذلك بتعرضها لكثير من جوانب الثقافة الإسلامية وقضاياها بالوصف الدقيق المحكم.

¹¹ . راجع الجدول رقم (29).

¹² . فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية. مرجع سابق. ص 98 . 99.

أما توزيع هذه النسبة بين صحف الدراسة فتبقى صحيفة الأهرام أقل نسبة من مثيلاتها، حيث لم تزد على 2,2% فقط، وهذا طبيعي جدا وقد مر بنا أن صحيفة الأهرام اعتمدت نسبة 58,2% كلها في صورة التحقيق الصحفي. وفي المقابل نجد أن صحيفة الخبر التي تستند في صفحاتها الثقافية على هذا النوع الصحفي والتي شمل فن التقرير فيها نسبة 31,7% إذا اعتبرنا أن التحقيق الصحفي لم يشمل سوى 7,3%.

رابعاً: التحقيق الصحفي

ويقوم التحقيق الصحفي على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية يلتقطها الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه، ثم يقوم بجمع مادة الموضوع بما يتضمنه من بيانات أو معلومات أو آراء تتعلق بالموضوع، ثم يزاوج بينها للوصول إلى الحل الذي يراه صالحاً لعلاج المشكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها... ويقوم على التفسير الاجتماعي للأحداث وللأشخاص الذين شاركوا في هذه الأحداث. وهو كفن قد يشتمل على بقية الفنون الصحفية الأخرى كالخبر أو الحديث أو الرأي أو الاستفتاء أو البحث.¹³

أما نسبته في جدول التوزيع فهي 5,6%. وهي نسبة تعد أقل من المعدل المتوسط بكثير والمقدرة بـ 12,5%. وإذا راعينا طبيعة موضوع الدراسة القائم على خاصيتي التحليل والنقد فيمكن قبول نسبة أقل من المتوسط الحسابي ولكن ليس بالشكل الذي ظهرت به نسبة التحقيق الصحفي هنا. إذا خلق حالة من التوازن الفني للأشكال الصحفية وخاصة في الصفحات التي لا تعتمد على نوع الخبر فيعد ذلك هاماً وضرورياً.

وبالنسبة لتوزيع هذه النسبة في عينة الدراسة فقد تقاربت نسب الصحف كثيراً مثلما كان من وضعيات الفنون الصحفية الأخرى في صحف الدراسة، حيث تراوحت بين 2,4% و 6% إلا ما ورد من صحيفة الرأي العام التي برز التحقيق الصحفي فيها إلى معدل 10,5%.

خامساً: الموضوع الصحفي

هو شكل صحفي يستخدم كثيراً في الصحافة، وهناك عشرات التعريفات لهذا الشكل يمكن أن نتبنى أحدها تبعاً لسياق موضوعنا، وهو: المادة الصحفية أو الموضوع الصحفي الذي يتضمن نوعاً من الإبداع والابتكار وعدم التقيد بأصول أو قواعد الأسلوب الإخباري الصارمة الكلاسيكية من حيث الموضوعية والتحديد والكتابة للتعبير وليس لإضفاء الانطباع. ويضم موقفاً أو حدثاً جانبياً أو جانباً من الحياة قابلاً للاستمرارية، ويمكن الحصول على مادته وكتابتها وتجهيزها ثم نشرها في أي وقت، حيث أنه لا يرتبط بالآنية، لأنه لا يتقيد بتفاصيل الحدث

الحالية، بل يتجاوزها إلى التفسير والتحليل ووضعها في الإطار الإنساني. وهذا الاتجاه في تعريف الموضوع الصحفي هو الأكثر عملية ومنطقية في ظل الممارسات اليومية الشائعة في مجال التغطية الإخبارية.¹⁴

أما نسبة الموضوع الصحفي في جدول التوزيع فهي 5,6% وهي النسبة السابقة ذاتها، ويمكن تبرير وجود هذه النسبة بما ذكرناه آنفا في التحقيق الصحفي. إلا أن توزيع هذه النسبة في عينة الدراسة مختلفة عن التقرير الصحفي، فقد وردت نسبة 0,0% لجريدة الخبر، و2,3% للرأي العام. أما الشروق فقد ظهرت فيها أعلى نسبة 8,3% تليها تشرين بـ 7,3% ثم الأهرام بـ 6,0%.

سادسا: رسائل القراء

تنشر الرسائل في ركن ثابت يحتل أكثر من عمود داخل الصفحة، وتؤدي وظيفة مهمة من وظائف الجريدة كأحد وسائل الاتصال بال جماهير بإيجاد منبر للتعبير عن رأي الجمهور أيضا. وأهمية ذلك في أنها تزود الجريدة بفرصة ذهبية لاستطلاع واستكشافات اتجاهات القراء فيما ينشر فيها تجاه الأداء العام للجريدة إلى جانب القضايا العامة والخاصة التي تثيرها الجريدة على صفحاتها.¹⁵

أما نسبة رسائل القراء في جدول التوزيع فهي 3,7%، وهي النسبة الوحيدة والتي انفردت بها صحيفة الأهرام دون غيرها من الصحف الأخرى التي لم يظهر فيها هذا الفن الصحفي. ولعل سبب ذلك أن القائم بالاتصال في عينة الدراسة لم يجذب وجود هذا الشكل الصحفي في الورقة الثقافية فاتحا المجال لباقي الفنون الصحفية الأخرى لملاءمتها طبيعة الصفحة أو موضوعات الثقافة عموما.

سابعا: الحديث الصحفي

الحديث الصحفي فن يقوم على الحوار بين الصحفي وشخصية من الشخصيات، وهو حوار يستهدف الحصول على أخبار ومعلومات جديدة أو شرح وجهة نظر معينة أو تصوير جوانب غريبة أو طريفة أو مسلية في حياة هذه الشخصية.¹⁶ أما نسبة الحديث الصحفي في جدول التوزيع فهي 1,9% فقط. وقد ورد الحديث بنسب قليلة جدا في صحف عينة الدراسة إلا صحيفة الشروق اليومي التي لم تورد هذا الشكل الصحفي إطلاقا طول فترة الدراسة.

ومن خلال هذا التحليل يتضح لنا الآتي:

. تركز صحيفة الخبر على المادة الخبرية 51,2% من مجموع فنونها الصحفية،

¹⁴ . محمود علم الدين، مدخل إلى الفن الصحفي. مرجع سابق. ص 219.

¹⁵ . محمود علم الدين، مدخل إلى الفن الصحفي. مرجع سابق. ص 226. 227.

¹⁶ . فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية. مرجع سابق. ص 13.

. تركز صحيفة الأهرام على المقال بنسبة 58,2% ونجد أن النسبة في صحيفتي الشروق والرأي العام لا تتجاوز 22,0%، بينما في جريدة تشرين فقد بلغت 28,1%.

. احتلت جريدة الخبر المرتبة الأولى في التغطية بفن التقرير الصحفي بنسبة 31,7%. تليها صحيفة الرأي العام بـ 14,0%، ثم الشروق اليومي بـ 12,0%. بينما تراجع شكل التقرير في كل من جريدتي الأهرام حيث بلغ 2,2%، وصحيفة تشرين السورية بنسبة 4,2%.

. اعتمدت الرأي العام على عنصر التحقيق الصحفي، إذ ورد بنسبة 10,5%، بينما جاءت تشرين في المرتبة الثانية بنسبة 6,3%، والشروق في المرتبة الثالثة بنسبة 4,6%، بينما الأهرام في المرتبة الرابعة بنسبة 3,7%، وأخيرا صحيفة الخبر بمعدل 2,4%.

. كما لاحظت الدراسة أن صحيفة الأهرام احتفلت برسائل القراء كثيرا إذ بلغت نسبتها 12,7%، بينما أهملت باقي الصحف الأربعة الباقية هذا الشكل الصحفي نهائيا إذ وردت نسبتها 0,0%. وهذه ملاحظة جدية بالدراسة، إذ أن رسائل القراء في صفحة الأهرام مثلت اتجاهها للرأي العام.

المبحث الثاني

عوامل الإبراز المستخدمة في المواد التحريرية المنشورة عن موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة

تؤدي عوامل الإبراز الدور الأكبر في شد انتباه القارئ ولفت نظره وتشجيعه على قراءة المادة التحريرية، لذا فإنها تعد أحد المعايير المهمة في تحديد مدى حرص الصحيفة على إبراز المادة وجذب القارئ إليها. والصحافة عموماً تعتمد على استخدام عوامل الإبراز استخداماً وظيفياً وكذلك فعلت صحف العينة في هذه الدراسة، وذلك ما يوضحه الجدول رقم (31) التالي بتوزيعاته للصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة:

جدول رقم (31)

توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحيفة عوامل الإبراز	
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق			
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد		
13,2	119	17,4	33	16,1	35	5,0	10	38,5	20	8,6	21	شخصية	
3,3	30	4,7	9	5,0	11	0,0	0	7,7	4	2,5	6	موضوعية	صور فوتوغرافية
4,8	43	5,8	11	8,3	18	4,5	9	0,0	0	2,1	5	صور توضيحية	
14,0	127	13,7	26	10,1	22	25,9	52	0,0	0	11,1	27	إطارات	
14,9	135	19,5	37	13,8	30	13,9	28	0,0	0	16,5	40	أرضيات	
12,6	114	11,6	22	11,9	26	6,0	12	7,7	4	20,6	50	فواصل	
5,6	51	6,3	12	7,3	16	2,5	5	0,0	0	7,4	18	أكثر من عامل	
0,6	5	1,6	3	0,5	1	0,0	0	0,0	0	0,4	1	أخرى	
31,0	280	19,5	37	27,1	59	42,3	85	46,2	24	30,9	75	لا يوجد	
100	904	100	190	100	218	100	201	100	52	100	243	المجموع	

تبين بيانات الجدول السابق أن الصحف المدروسة حرصت على إبراز المواد الخاصة بقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها. فقد بلغت تكرارات عوامل الإبراز 904 تكرارا في كل الصحف العربية موضوع الدراسة، وفيما يلي تفصيل ذلك حسب نسبها في جدول الإحصاء:

1. مدى استخدام صحف الدراسة للصورة:

لا يمكن لهذه الدراسة أن تمضي بعيدا في مدى أهمية الصورة الصحفية التي يعد وجودها من المشيرات الهامة الدالة على قيمة المحتوى. وإنما سنعرض مباشرة للتعرف على مدى استخدام صحف الدراسة للصورة الصحفية وكذلك الأنواع المختلفة من الصور المصاحبة للمادة المنشورة حول موضوعات وقضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة ليتسنى التعرف على مدى اهتمام صحف الدراسة بهذه الموضوعات.

والصورة تقف جنبا إلى جنب مع الحروف سواء مع حروف المتن أو العناوين في نقل الرسالة الإعلامية من خلال صفحات الصحيفة إلى القارئ. واستخدام الصورة مع الكلمة يلعب دورا كبيرا في توضيح الفكرة، ولغة الصورة " لغة مرئية " يمكن من خلالها أن نسجل بصدق ما لنا من خبرات داخلية وخارجية عن عالم لا نستطيع التعبير عنه بالكلمات حيث تعد الصور وسائل حيوية للفهم. وقد يكون للصورة تأثيرات أقوى من الكلمات ووسائل التعبير الأخرى، ذلك أنه بمكونات الصورة يظهر المعنى ويحدث الانطباع في ذهن القارئ والذي يصل به إلى قناعته بأكثر مما قد تستطيع مقالة بأكملها أن توصله إليه. ومن هنا كان للصورة الصحفية دورها في تكوين الرأي العام والتعبير عنه.

إن الصورة الصحفية لم تتوقف مسيرتها عند هذا الحد، فقد أخذت الصور تتجاوب مع رغبة القراء في تقديم أكبر عدد ممكن من الصور كل يوم لتصبح جزءا أساسيا من مقومات العملية الإعلامية فالصورة تلفت انتباه القارئ وتشده إلى قراءة المجلة أو الصحيفة. ولذلك كلما كانت الصورة مرتبطة بالموضوع كان أفضل لضمان التأثير المطلوب على جمهور القراء. كما يجب أن تختار الصورة بوعي حسب الظروف المختلفة. فتوضح النص المكتوب إذا كان يلزم الإيضاح. وتجسم الفكرة أو الشخصيات إذا لزم التحسيس.

أنواع الصور المصاحبة لموضوعات الثقافة لإسلامية:

يظهر الجدول نسبة 3, 21% من مجموع النسبة المثوية لهذه الفئة حول الصور المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية، وقد توزعت هذه الصور في موضوع الدراسة إلى فئتين أساسيتين:

أ. صور فوتوغرافية: وهي مادة لا يمكن الاستغناء عنها، فعندما يريد المخرج أن يبرز موضوعا مهما من صفحة معينة يستخدم الصورة مع هذا الموضوع ليلفت إليه نظر القارئ. وكان نسبة هذه الصور في عينة الدراسة 5, 16% من مجموع عوامل الإبراز في موضوعنا. وهو معدل مرتفع جدا إذا قورن بغيره من معدلات عوامل الإبراز. غير أن

الصور الفوتوغرافية من ناحية الشكل تنقسم بدورها أيضا في العمل الصحفي إلى قسمين أساسيين أيضا، وقد وردا في عينة الدراسة بنسب متفاوتة، وهي:

. صور شخصية: وتسمى " بورتريه " أي صورة نصفية لشخص معين تنشر مع تصريح أو حديث له أو خبر عنه أو للدلالة على مكان معين.¹⁷ وقد ارتفعت نسبتها إلى 13,2% من مجموع عوامل الإبراز في عينة الدراسة، وهي نسبة عالية أيضا توحى بدلالات إيجابية كثيرة.

. صور موضوعية: هي الصور التي تقترن بموضوع معين، إذ تشارك المادة التحريرية وتتفاعل معها لتقديم خدمة صحفية متكاملة إلى قارئ الصحيفة. ولقد ذهب خبراء الإخراج في تقديرهم لأهمية الصورة إلى حد القول أن الصورة الموضوعية تقوم مقام ألف كلمة.¹⁸ وكانت نسبة الصور الموضوعية في الدراسة قد قدرت بـ 3,3%، وهذا المعدل مناسب جدا لطبيعة موضوعات وقضايا الثقافة الإسلامية، وإنما تدلل الموضوعات ببعض الصور الموضوعية للدلالات على المعاني الكلية الواردة في مضامين المواد التحريرية. وقد تعطي انطبعا حسنا للناظر مما يدفعه للقراءة وكشف حقيقة تلك الصور التوضيحية.

ب . صور توضيحية: وهدفها المساعدة على عرض بعض الحقائق أو المعلومات أو البيانات المعقدة بشكل بسيط وسهل ومركز ودقيق، يفسرها ويوضحها ويلخصها بشكل بصري موفرا مساحة لجزء بسيط من المتن. وأهمها الرسوم البيانية المنحنيات الجداول الخرائط الجغرافية.¹⁹ وقد كانت نسبة الصور التوضيحية إلى جانب الأشكال الأخرى من الصور 8,4%، وهي أيضا من المعدلات المرضية في مثل موضوعات الثقافة. إذ لا يجب أن تتحول المواد التحريرية في عينة الدراسة إلى صور توضيحية بكثافة، فالطابع العقلي والأسلوب الحوار والجدل والنقد ما يجب أن يطغى. وإنما ندلل ببعض الصور لإبراز بعض الدلالات وبعض المعاني الواردة في مضامين المواد التحريرية لتساعد على إيضاح جوانب كان التركيز حولها في مضامين النص كبيرا.

2 . إطارات: وقد كانت نسبتها 14,0% وهي نسبة مقبولة أيضا توزعت بين كل صحف العينة، بحيث لو راعينا المتوسط الحسابي لكل نوع من أنواع عوامل الإبراز لكان وحده 11,1%. وقد تعدت استعمالات الإطارات في صحف الدراسة إلى أكثر من ذلك، وهذا يدفعنا للإقرار بجدوى استعمال هذا النوع في الإبراز بمعدله الظاهر على خانة الجدول. خاصة أنها توحى للقارئ بأهمية مضمون الإطار.

17 . عبد الجبار محمود علي، التصوير الصحفي. ط: 1. القاهرة: دار المعرفة، 1980. ص 25.

18 . مرفت محمد كامل الطرابيشي، مدخل إلى صحافة الأطفال. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي، 2003. ص 111.

19 . محمود علم الدين، المدخل إلى الفن الصحفي. مرجع سابق. ص 241.

3. أرضيات: إن استخدام صحف الدراسة للأرضيات يكمن في تحقيق غرض تسهيل عملية الاستدلال على المادة الصحفية المنشورة، وتعطي الصفحة شكلا جميلا. بالإضافة إلى كون الأرضية وسيلة من وسائل الإبراز والتنوع لكسر حدة الرمادية في المتن، وذلك يتوقف على شكل الأرضية ومساحتها وموقعها ودرجتها الظلية.

أما الأرضيات المستخدمة في صحف الدراسة عند عرض الموضوعات المرتبطة بالثقافة الإسلامية، فقد لوحظ استخدام جريدة الرأي العام للأرضيات الرمادية بكثرة لتمييز المادة عن البياض السائد في الصفحة. في حين تبتعد عن استخدام الأرضية القائمة والرمادية وكذلك المزاجية بين الأرضيات القائمة والرمادية. أما استخدام صحيفة الشروق اليومي للأرضيات بأشكال متنوعة كالأرضيات المستطيلة والمربعة والدائرية فقد ساهم في منح هذه الصفحات طابع الخفة والرشاقة.

وقد استعملت صحف الدراسة هذا الشكل من عوامل الإبراز، وقد ظهرت نسبته 14,9 %، وهي نسبة كسابقتها تدل على أهمية مضمون الاتصال وجدواه، حيث تشد المتلقي بمهندسة أرضيته إلى مضمون موضوعات الثقافة الإسلامية.

4. فواصل: تعد الفواصل من أشكال عوامل الإبراز المستخدمة في الإخراج الصحفي وهي تعني البياضات والأشكال الخطية التي تفصل بين موضوعات الصفحة في الجريدة. أما مدى استخدامها في عينة الدراسة فقد تعدت أيضا معدلها المتوسطي حيث بلغت نسبتها في جدول عوامل الإبراز 12,6 % في كل صحف الدراسة مما يوحي بتوجه القائم بالاتصال إلى استخدام هذا العامل لأغراض التوضيح والبيان والفصل بين الموضوعات لإبراز المادة الإعلامية وخاصة في موضوع العولمة والثقافة الإسلامية.

5. أكثر من عامل: ويراد بها الجمع بين عوامل الإبراز الأخرى السابقة كلها أو بعضها في الصفحة الثقافية الواحدة، إذ بلغت نسبتها مجتمعة في صحف الدراسة 6,5 %، وهي ليست بالنسبة العالية إذا راعينا طول مدة الدراسة الممتدة على مدار العام، وفي كل صحف الدراسة الخمسة. وسبب ذلك أن المخرج الصحفي غير ملزم بإبراز العوامل كلها أو أكثرها في الصفحة الواحدة، بل يكفي منها ما يراه يحقق غرض الصحيفة منها.

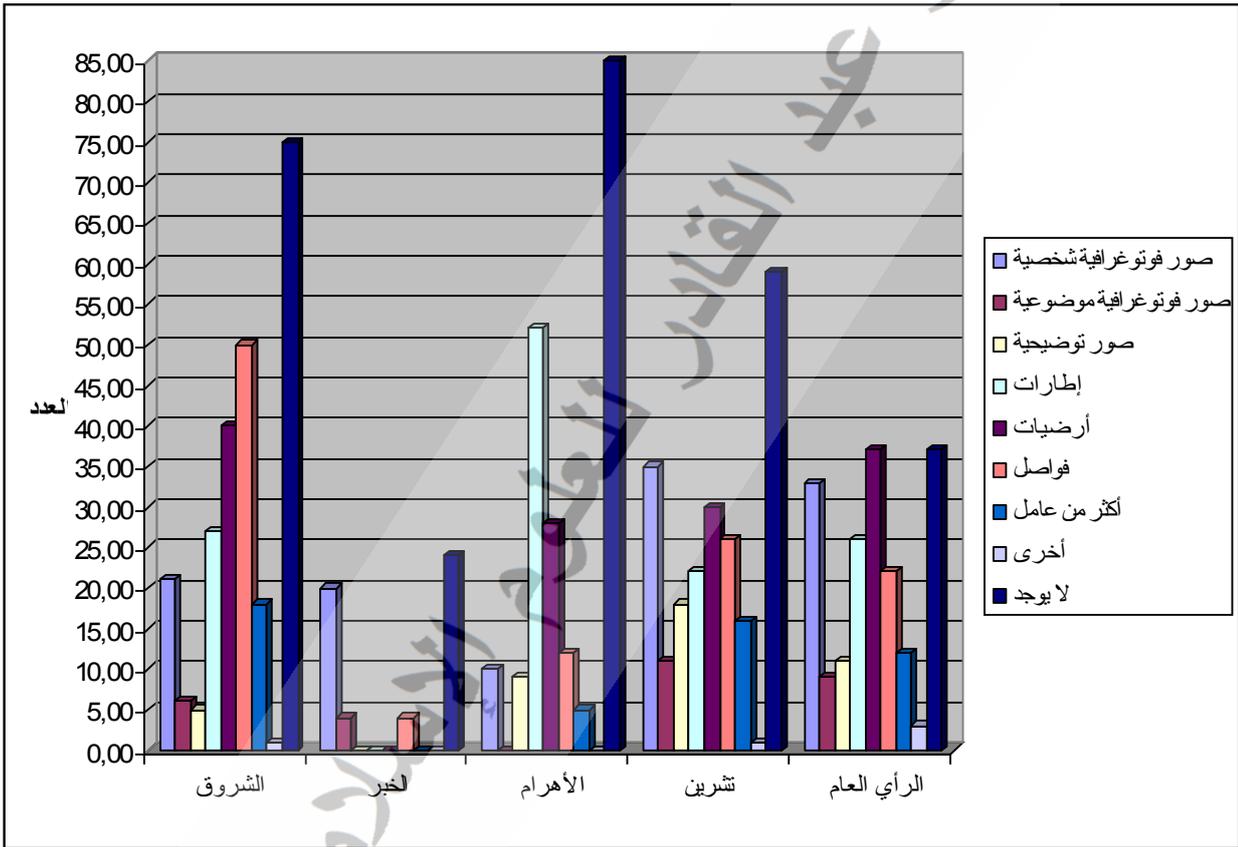
6. أخرى: ويراد بها العوامل غير المذكورة آنفا وهي قليلة الوجود في عينة الدراسة إذ بلغت نسبتها 6,0 % فقط. وهذا يدل على أن صحف الدراسة لم تلجأ إلى عوامل أخرى لإبراز مضمون الاتصال إلا في القليل النادر جدا كما تبين من خلال معدلها السابق.

7. لا يوجد: وتعني أن الصفحة الثقافية قد خلت من كل عوامل الإبراز الأخرى المشار إليها سلفا، وبلغت نسبة هذه الفئة في صحف الدراسة 31,0 %. وقد توزع هذا المعدل بين صحف الدراسة ولكن مع تفاوت كبير

فيما بينها. إذ تعد صحيفة الخبر هي أقل صحف الدراسة استعمالاً للفنون الصحفية، حيث بلغت نسبة خلوها من عوامل الإبراز 46,2%، وتليها بعد ذلك صحيفة الأهرام بنسبة 42,3%، ثم صحيفة الشروق بمعدل 30,9%. بينما تعد صحيفة تشرين من الصحف التي وظفت عوامل الإبراز في صفحاتها الثقافية، إذ خلت نسبة 27,1% من عوامل الإبراز في صفحاتها الثقافية. وتأتي أول الصحف في عينة الدراسة استعمالاً لعوامل الإبراز صحيفة الرأي العام، حيث خلت صفحاتها من عوامل الإبراز بنسبة 19,5% فقط، مما يدل على اهتمام القائم بالاتصال في هذه الجريدة وإدراكه لقيمة عوامل الإبراز في العمل الصحفي. والشكل التوضيحي التالي رقم (15) يوضح توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة.

شكل رقم (15)

يوضح توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة



تشير بيانات العينة المختارة من الصحف العربية الخمسة كما هو مبين بالجدول أن عدد تكرارات الصور

والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة قد بلغ 904 تكراراً. وقد توزعت تكرارات عينة الدراسة بنسب متقاربة، إلا ما كان من صحيفة الخبر التي ابتعدت تكراراتها عن تكرارات الصحف الأخرى بما يزيد عن 130 تكراراً على الأقل. وفيما يلي توزيع تكرارات الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في كل صحيفة على حدا حسب ترتيبها في جدول عوامل الإبراز:

1. الشروق: 243 تكرارا.
2. تشرين: 218 تكرارا.
3. الأهرام: 202 تكرارا.
4. الرأي العام: 190 تكرارا.
5. الخير: 52 تكرارا.

وفيما يلي الجدول التوضيحي التالي رقم (32) يبين توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في كل صحيفة على حدة حسب ترتيبها في جدول عوامل الإبراز:

الجدول رقم (32)

توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في كل صحيفة على حدة حسب ترتيبها في جدول عوامل الإبراز

النسبة	التكرارات	التكرارات والنسب
		الصحف
26,9	243	الشروق اليومي
24,1	218	تشرين
22,3	202	الأهرام
21,0	190	الرأي العام
5,7	52	الخير
100	905	المجموع

تشير معطيات الجدول السابق إلى تقدم تكرارات صحيفة الشروق اليومي، حيث حصلت على نسبة 26,9% مما يدل على أن صحيفة الشروق اليومي هي أكثر صحف العينة استعمالاً لعوامل الإبراز والتوضيح. وتلي الشروق اليومي صحيفة تشرين بـ 24,1%، ثم الأهرام بنسبة 22,3% ثم الرأي العام بـ 21,0%. وتعد هذه المعدلات كلها مقبولة من حيث توظيفها لعوامل الإبراز حيث تعدت كلها عتبة 20,0% وهو معدل المتوسط الحسابي. وقد انفردت عن مجموع صحف الدراسة جريدة الخير فقط و التي لم تزيد نسبة استعمالها لعوامل الإبراز عن 5,7%، مما يدل على عدم اهتمام الصحيفة بما يبرز موضوعات الثقافة الإسلامية أو العناية بمحور الثقافة الإسلامية في الجريدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

مشيرات قيمة المحتوى لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة

يتناول هذا المبحث مدى الاهتمام الذي حازته الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة من خلال قياس الوزن وتقدير القيمة التي منحتها كل صحيفة لكل محتوى موضوع من موضوعاتها المتعلقة بالثقافة الإسلامية، ومن ثم التعرف على قيمة الاهتمام ومساحة النشر ومدى مصاحبة الصورة له، إضافة إلى استخدام بعض الوسائل التيبوغرافية كالإطارات والظلال وغيرها.

وقد قامت الباحثة في المبحثين السابقين بدراسة بعض المتغيرات التي تشير إلى مدى اهتمام صحف الدراسة بالثقافة الإسلامية في ظل العولمة، وهي فئة نوع الفن الصحفي (الفن والشكل) وفئة الصور الصحفية. أما هنا فتتناول الدراسة مشيرات أخرى هامة يؤدي تضافرها لاستيضاح الوزن الحقيقي للمادة الصحفية، وهذه المشيرات هي: موقع المادة الصحفية، واتساع العنوان الصحفي، والمساحة التي استأثرت بها تلك المادة:

أولاً: موقع المادة التحريرية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة :

وهي الفئة التي تهتم بموقع الموضوع أو الفكرة محل التحليل في المادة المدروسة، ويعد الموقع الذي ينشر فيه المادة التحريرية أحد أهم المعايير التي تحدد مدى اهتمام الصحيفة بهذه المادة وحرصها على إبرازها. لذلك فإن موقع المادة له دلالة مقصودة لوضعها في موقع دون الآخر، فالخبر الذي ينشر على الصفحة الأولى على سبيل المثال قد يعادل في أهميته أكثر من خبر ينشر في الصفحات الداخلية، والخبر الذي ينشر في أعلى الصفحة ليس كالذي ينشر أسفلها. يقول **سمير محمد حسن**: "فالصفحات اليسرى . في اللغة العربية . أهم من اليمنى، والنصف العلوي أهم من السفلي والربع الأعلى الأيسر من الصفحة اليسرى أهم أجزائها وهكذا".²⁰ فموقع نشر المادة الإعلامية إذن يشكل قيمة قصوى بالنسبة للمتلقي.

وفي دراستنا تسهم هذه الفئة في التعرف على حجم اهتمام صحف الدراسة بالمادة الصحفية المنشورة حول الثقافة الإسلامية في ظل العولمة. وقد اكتفت الباحثة بست مواقع للتعرف من خلالها على مدى اهتمام صحف الدراسة بقضايا الثقافة الإسلامية والعولمة من حيث أولويات النشر. والجدول التالي رقم (33) يوضح توزيع هذه المواقع في صحف الدراسة:

²⁰. سمير محمد حسين، تحليل المضمون. القاهرة: عالم الكتب، 1983. ص 100.

جدول رقم (33)

المواقع التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحيفة المواقع	
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق			
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
19,5	120	17,4	16	23,1	24	22,4	43	17,6	12	15,7	25	الركن الأيمن	أعلى الصفحة
15,8	97	16,3	15	16,3	17	11,5	22	20,6	14	18,2	29	الركن الأيسر	
21,5	132	23,9	22	21,2	22	24,5	47	17,6	12	18,2	29	الركن الأيمن	وسط الصفحة
14,3	88	16,3	15	12,5	13	12,0	23	17,6	12	15,7	25	الركن الأيسر	
17,9	110	15,2	14	20,2	21	19,8	38	13,2	9	17,6	28	الركن الأيمن	أسفل الصفحة
11,1	68	10,9	10	6,7	7	9,9	19	13,2	9	14,5	23	الركن الأيسر	
100	615	100	92	100	104	100	192	100	68	100	159	المجموع	

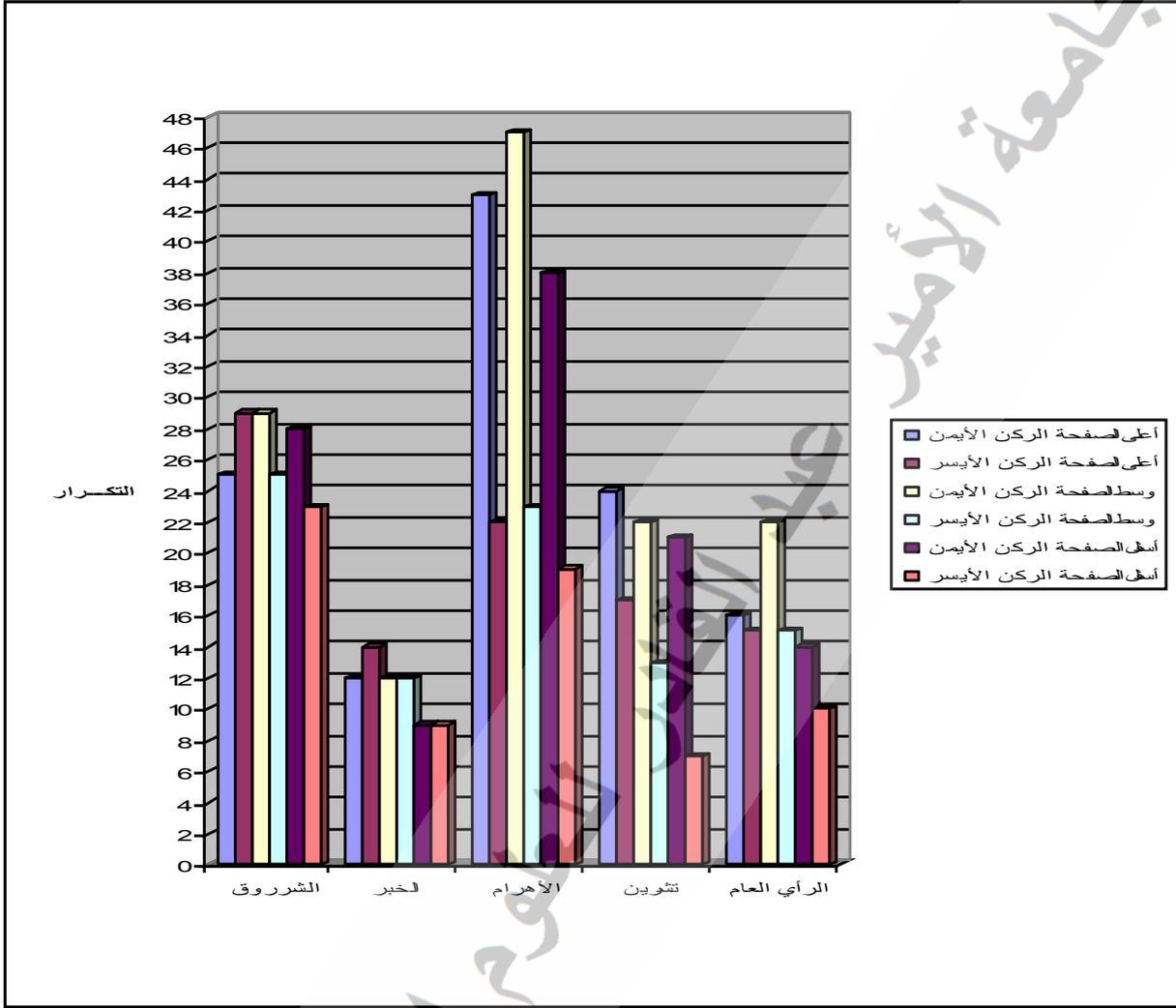
من بيانات الجدول السابق نلاحظ تقدم مواقع الصفحة في ركنها الأيمن وفي مستوياتها الثلاثة الأعلى والأوسط والأيسر على الموضوعات الواقعة في الركن الأيسر وفي مستوياتها الثلاثة أيضا. حيث ورد أن نسبة الركن الأيمن في أعلى ووسط وأسفل الصفحة كالتالي: 19,5%، 21,5%، 17,9% . أما ما ورد من نسب في الركن الأيسر فكان كالتالي: 15,8% و 14,3% و 11,1%. وفي هذا دلالة على اهتمام القارئ بالاتصال بالركن الأيمن أكثر من الأيسر رغم أن معايير الإخراج الصحفي تقدم المواد المنشورة في أيسر الصفحة في الجريدة على المواد المنشورة في أيمن الصفحة.

أما نسب المواد التحريرية المنشورة أعلى الصفحة فهي تفوق بقليل فقط المواد المنشورة أسفل الصفحة، حيث وردت نسبة الأولى 35,3% ، والثانية 29,0% أي بفارق 6,3% فقط وهذا طبيعي في نظر الصحيفة والقارئ معا. إذ أول ما يلفت نظر المتصفح للجريدة هو ما كتب في أعلاها ثم يتدرج بعد ذلك نحو أسفل الصحيفة. أما النسب المتعلقة بوسط الصفحة فكانت المواد التحريرية المنشورة في أيمن الصفحة أعلى نسبة من غيرها الواقعة في أيسر الصفحة حيث جاءت بمعدل 21,5% مقابل 14,3%.

ونستخلص من كل الملاحظات السابقة أن هذا التوزيع يعكس اهتماما خاصا من الصحيفة بتوزيع المواد وفقا لسيكولوجية القراءة وبما يساعد على جذب انتباه القراء لمضمون الثقافة الإسلامية. والشكل التوضيحي التالي رقم (16) يوضح توزيع المواقع التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة كما يلي:

شكل رقم (16)

توزيع المواقع التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة



تعكس نتائج المادة الصحفية المنشورة في صحف الدراسة من حيث توزيع المواقع التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة الدلائل التالية:

. تميزت صحيفة الأهرام بعدد تكراراتها التي تعكس المواقع المتعددة للمادة التحريرية، حيث وصلت 192 تكرارا. كما بلغت مواقع مادة الشروق اليومي 159 تكرارات، أما مواقع المادة في صفحات صحيفة تشوين فقد بلغت 104 موقعا، وفي صحيفة الرأي العام بلغت مواقع المادة 92 تكرارا. وتأتي تكرارات مواقع صحيفة الخبر في المرتبة الأخيرة بـ 68 تكرارا.

. من تحليل هذه البيانات نلاحظ أن صحيفة الأهرام ركزت على عرض موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها بالصحيفة على كل الجهات تقريبا. وهذا التوزيع يعكس اهتماما خاصا من الصحيفة بتوزيع المواد الإعلامية، وما يلاحظ في صحيفة الأهرام أنها تختار موضوعاتها الواقعة في أيمن الصفحة وفي أعلى ووسط وأسفل

الصفحة بدقة متناهية حتى يُجَيَّل للقارئ أنها كلها تتساوى في قيمتها، وبالتالي في مواقعها. على خلاف الموضوعات الإعلامية الواقعة في أيسر الصفحة وفي أعلى ووسط وأسفل الصفحة التي وردت بنسب أقل بكثير. أما سائر صحف العينة فقد وردت نسب مواقع المواد التحريرية بصورة متقاربة جدا بين الأعلى ووسط وأسفل الصفحة مع الركن الأيمن والأيسر فكلها تكرارات يقترب كثيرا بعضها ببعض كما ظهر في الجدول السابق.

ثانيا: عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة

تعد حروف العناوين أحد العناصر التيبوغرافية المهمة والأساسية في بناء صفحات الجريدة وتحديد هيكلها العام، إذ لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات الجريدة، ولكن تتفاوت أهميتها من صفحة لأخرى.²¹ كما تنوعت أحجام العناوين وأشكاله تنوعا كبيرا أيضا وبأساليب مختلفة، من حيث الاتساع فهناك العناوين العريض والممتد والعمودي، أو من حيث الوظيفة كالعنوان الرئيس والثانوي والتمهيدي والجانبى والفقرة.

فهذه الفئة تسهم أيضا في معرفة حجم اهتمام الدراسة بالمادة الصحفية المنشورة، فكلما زادت أهمية المادة المنشورة لدى الصحيفة زادت من اتساع عنوان تلك المادة على الصفحة. وتطبيقا على عينة الدراسة يلاحظ أن العناوين تنوع من حيث استخدام المخرج في جمعها أشكالا كثيرة مما أتاحه نظام الناشر الصحفي.

وقد لجأت الباحثة لتقسيم العناوين من حيث اتساعها إلى الأنواع الثلاثة التالية وهي:

- . عنوان عمودي.
- . عنوان ممتد.
- . عنوان مانشيت.

وللوقوف على أشكال العناوين المختلفة التي استخدمتها صحف الدراسة مع موضوعات الثقافة الإسلامية تم وضع الجدول رقم (34) التالي الذي يبين توزيع عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة.

جدول رقم (34)

توزيع عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة

المجموع	صحف عربية						صحف جزائرية						الصحيفة
	الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق		اتساع العنوان		
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك			
41,1	194	55,4	41	29,2	26	43,5	64	20,4	11	48,1	52	عمودي	
29,9	141	12,2	9	28,1	25	41,5	61	50,0	27	17,6	19	عمودين	ممتد

²¹. أحمد الصاوي، طباعة الصحف وإخراجها. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1969. ص 140. 145.

16,7	79	4,1	3	27,0	24	6,8	10	29,6	16	24,1	26	ثلاثة أعمدة
6,4	30	10,8	8	10,1	9	6,1	9	0,0	0	3,7	4	أربعة أعمدة
4,0	19	16,2	12	3,4	3	0,7	1	0,0	0	2,8	3	5 - 6 - 7 أعمدة
57,0	269	43,2	32	68,5	61	55,1	81	79,6	43	48,1	52	مجموع
1,9	9	1,4	1	2,2	2	1,4	2	0,0	0	3,7	4	مانشيت
100	472	100	74	100	89	100	147	100	54	100	108	المجموع

لم تقتصر الدراسة على معرفة تكرارات أنواع العناوين من خلال التعرف على أشكالها فقط، بل تعدت إلى إعطاء كل نوع من تلك العناوين نسبها المئوية التي توضح حجمها الحقيقي وبالتالي سهولة المقارنة بين صحف الدراسة من حيث مدى اهتمامها بموضوعات الثقافة الإسلامية. وقد وردت هذه النسب كما يلي:

. عنوان عمودي: 41,1 % .

. عنوان ممتد: 57,0 % .

. عنوان مانشيت: 1,9 % .

ومن خلال المعدلات السابقة نستنتج أن عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في صحف الدراسة قد توزعت بين نوعين رئيسيين هما؛ العنوان الممتد والعنوان العمودي. حيث حصد الأول النسبة الغالبة من عُنُونَات عينة الدراسة. أما العنوان من نوع المانشيت فكان قليلا جدا في صحف الدراسة وبنسبة قليلة جدا طبعاً، حيث لم تتعد تكراراتها في الصفحات الثقافية في صحف الدراسة على 9 تكرارات فقط.

أما لو نظرنا في العنوان الممتد الذي اعتمده صحف الدراسة بصورة كبيرة في صفحاتها الثقافية، فإننا نجد بدوره موزع إلى الأنواع التالية:

. ممتد إلى عمودين وكانت نسبته 29,9 % .

. ممتد إلى ثلاثة أعمدة وكانت نسبته 16,7 % .

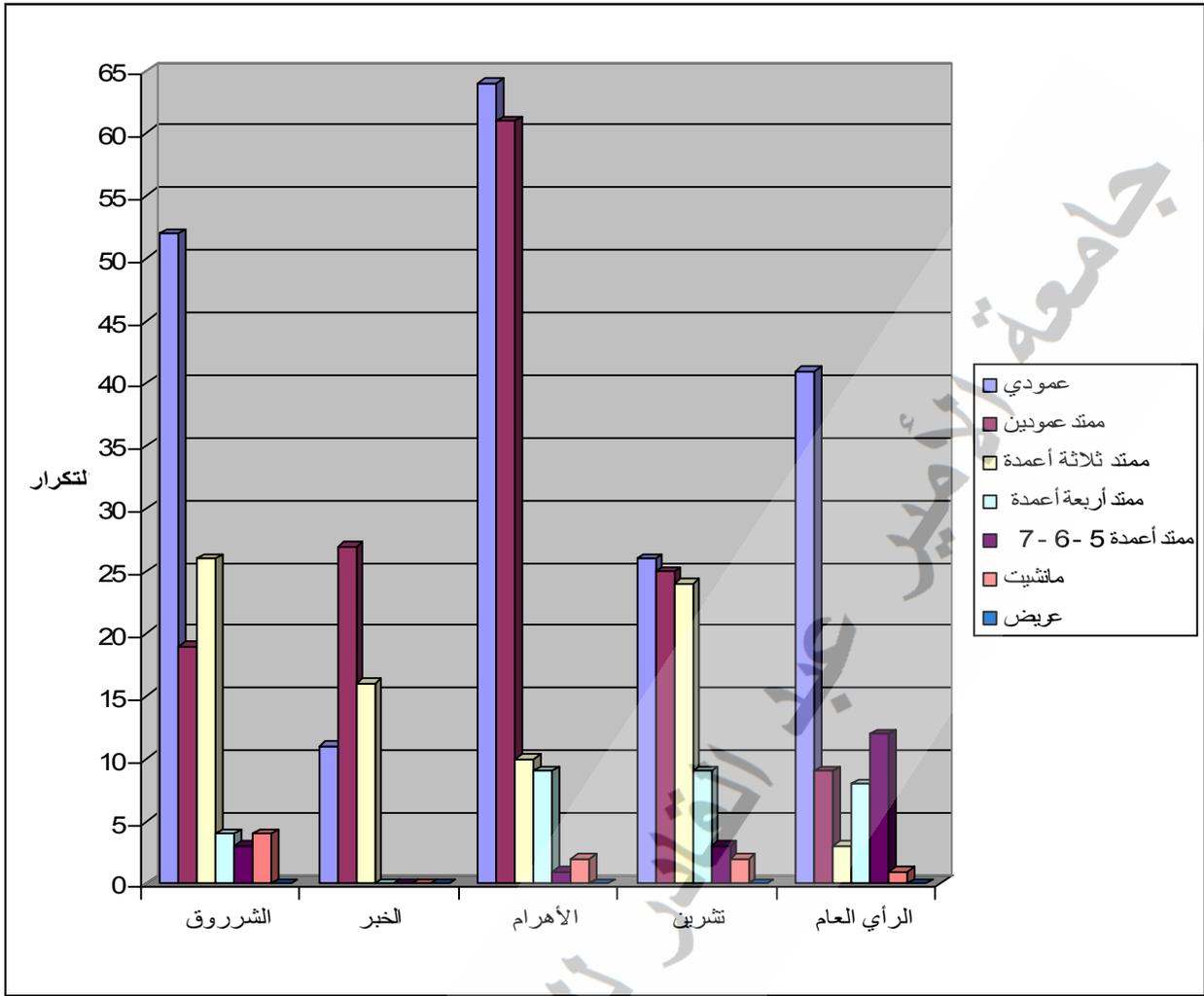
. ممتد إلى أربعة أعمدة وكانت نسبته 6,4 % .

. ممتد إلى 5 - 6 - 7 أعمدة وكانت نسبته 4,0 % .

والشكل رقم (17) التالي يوضح بصورة أدق تكرارات توزيع عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في صحف الدراسة.

شكل رقم (17)

يوضح توزيع عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في صحف الدراسة



بالنسبة لشكل العنوان تم حصر أشكال العناوين في كل من المقال والخبر والتحقيق والموضوع الصحفي والحديث. وبلغت تكراراتها 472 مادة. وجاء الشكل الممتد للعنوان في المرتبة الأولى بـ 269 تكراراً، ثم العناوين العادية وهي التي على امتداد عمود واحد وعدد تكراراته 194 من جملة التكرارات.

ومن خلال الأرقام والمعدلات السابقة قد تبين عدد تكرارات ونسب شكل عناوين صحف الدراسة كثيراً وكل ذلك يدل على اعتماد عينة الدراسة على مبدأ التنوع في استعمال العنوان وتوظيف ذلك إعلامياً لجذب

اهتمام المتلقي وفضوله نحو الجريدة أو موضوعاتها. كما أن هذا التنوع يدفع الملل والسأم عن القارئ الذي عهد العناوين المعتادة أو الكلاسيكية التي لا تدفع بالعين إلى الالتفات والذهن إلى التنبه.

وتعد جريدة الرأي العام أكثر صحف العينة استعمالاً لنوع العنوان العمودي حيث بلغت نسبة استعمالها إياه 55,4%، ثم صحيفة الشروق الوطنية بمعدل 48,1%، ثم الأهرام بنسبة 43,5%. أما صحيفة تشرين فنسبتها

تتعدى المتوسط بقليل حيث بلغت 29,2%، وأخيراً لم توظف صحيفة الخبر هذا النوع من أشكال العناوين إلا بنسبة متوسطة حيث بلغت 20,4% فقط.

أما العنوان الممتد وهو أكثر أشكال العناوين توظيفاً في صحف الدراسة فقد اختلفت عينة الدراسة في توزيعه، إذ نجد صحيفة الخبر في أعلى سلم استعمال هذا النوع بنسبة 79,6% لكننا لو تفحصنا جدول التوزيع سنجد أنها اقتصرت على استعمال نوعين فقط، العنوان الممتد على عمودين بنسبة 50,0% و العنوان الممتد على ثلاثة أعمدة بمعدل 29,6%. أما العنوان الممتد إلى أربعة أعمدة فكانت نسبته 0,0%، وأيضاً العنوان الممتد إلى خمسة وستة وسبعة أعمدة فنسبته كذلك 0,0%.

وعلى خلاف صحيفة الخبر فقد استعملت باقي صحف الدراسة أشكال العناوين كلها مُغلبة العنوان الممتد على عمودين لأنه الأنسب للمساحات الصغرى والموضوعات المقتضبة إلا ما كان من جريدة الرأي العام التي ظهرت فيها نسبة العنوان الممتد إلى خمسة وستة وسبعة أعمدة عالية حيث بلغت 16,2%. فإذا أضفنا لها نسبة العنوان الممتد إلى أربعة أعمدة المقدرة بـ 10,8% فإن ذلك يدل على أن الجريدة الكويتية في صفحتها الثقافية تغلب طرح الموضوعات الواسعة المساحة والمقالات التحليلية والنقدية مما لا يترك للموضوعات الإخبارية الصغرى مجالاً في صفحته وهذا دأب الصحف العريقة. ولو قارنا وضع صحيفة الرأي العام مع صحيفة الخبر هنا لانتهينا أن الخبر تغلب في استعمالها للعنوان الممتد على عمودين في أكثر المواد التحريرية المقدمة في الصفحة الثقافية، وهذا يعني أن موضوعات الثقافة الإسلامية تمتاز بالاختصاص الشديد وقد يغلب عليها طابع الخبر، وليس أدل على ذلك من غلبة نسبة 50,0% للعنوان الممتد على عمودين في صحيفة الخبر.

ثالثاً: مساحة موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة

هي الفئة التي تقيس الحجم المتاح من الجريدة أو المجلة أو النشرة، حيث أن عنصر الحجم يشير أو الوقت يشيران إلى مدى الاهتمام بعرض الموضوع وتقديمه، بحيث كلما زادت المساحة أو الوقت كان ذلك دليل على ازدياد الاهتمام.²² كما لا تقل مساحة الموضوع أهمية عن تناوله، بمعنى أن قارئ الصحف يمكنه أن يدرك الفرق بين المواضيع التي احتلت مساحة كبيرة من جريدته اليومية والمواضيع الأخرى، هذا الإدراك ناتج عن:

أولاً: تكرار المواضيع، حيث كلما تكرر موضوع ما أدى ذلك إلى الزيادة في أهميته.

ثانياً: كلما كانت مساحة موضوع ما كبيرة كلما زادت أهمية الموضوع.²³

والدراسة هنا تستهدف التعرف على المساحة التي أتاحتها صحف الدراسة ومحتوى موضوعات الثقافة الإسلامية، مما يسهم في بيان مدى اهتمام الصحف بعرض الموضوع وإبرازه، فكلما زادت مساحة الموضوع كان ذلك

²² . سمير محمد حسين، تحليل المضمون. مرجع سابق. ص 100.

²³ . يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين. مرجع سابق. ص 267.

مؤشرا على ازدياد الاهتمام به من قبل الصحيفة، ذلك أن زيادة المساحة أدعى إلى لفت الانتباه للموضوع وإعطائه فرصة أكبر ليقع نظره عليه ومن ثم قراءته.

ولقد لجأت الباحثة إلى تقسيم المساحات المحتمل ظهورها في النشر إلى سبع فئات (مساحات) تبدأ من ربع عمود فأقل وتنتهي بصفحة فأكثر. وتم إعطاء كل مساحة درجات من عشر درجات تبدأ بدرجة واحدة لمساحة ربع عمود فما دون وتنتهي بعشر درجات بمساحة صفحة فأكثر، وذلك حتى يتسنى للباحث المقارنة بين صحف الدراسة الخمسة فيما يتعلق بدرجة اهتمامها بموضوع الدراسة من خلال المقارنة بين مجموع درجات مشيرات قيمة المحتوى في كل صحيفة. ولعل الجدول رقم (35) التالي يوضح أهم المساحات التي حازت عليها موضوعات الثقافة في صحف الدراسة:

جدول رقم (35)

توزيع المساحة التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في صحف الدراسة

المجموع		صحف عربية						صحف جزائرية				الصحيفة المساحة
		الرأي العام		تشرين		الأهرام		الخبر		الشروق		
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
23,1	99	15,5	11	17,9	14	25,8	33	11,1	5	33,6	36	حتى ربع عمود
2,1	9	4,2	3	3,8	3	0,8	1	0,0	0	1,9	2	حتى نصف عمود
15,4	66	19,7	14	9,0	7	19,5	25	6,7	3	15,9	17	حتى 1 عمود (ثمن ص)
32,2	138	38,0	27	23,1	18	41,4	53	51,1	23	15,9	17	حتى 2 عمود (ربع ص)
22,1	95	16,9	12	39,7	31	10,2	13	31,1	14	23,4	25	حتى 4 عمود (نصف ص)
4,7	20	5,6	4	6,4	5	0,8	1	0,0	0	9,3	10	حتى 6 عمود (3/4 ص)
0,5	2	0,0	0	0,0	0	1,6	2	0,0	0	0,0	0	حتى صفحة فأكثر
100	429	100	71	100	78	100	128	100	45	100	107	المجموع

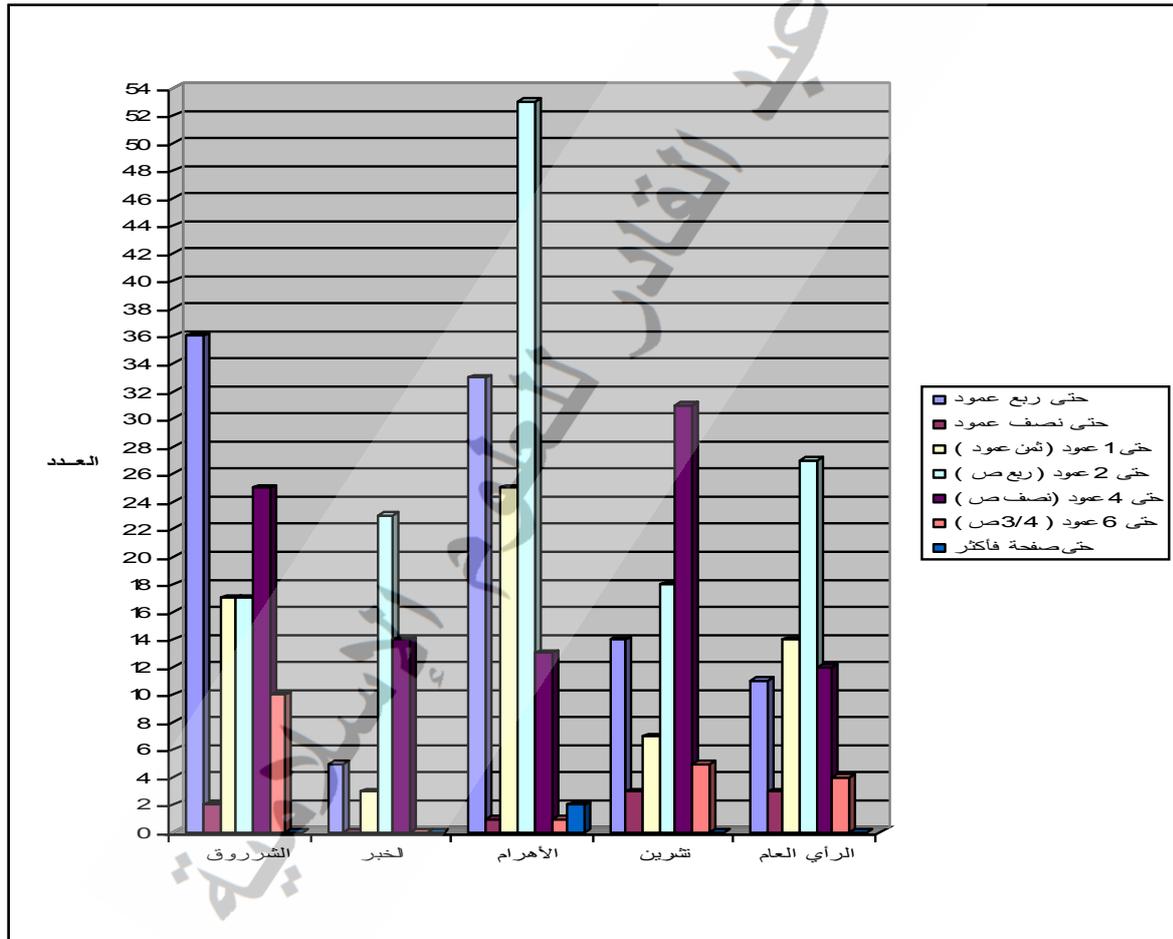
تشير معطيات الجدول السابق إلى اهتمام صحف الدراسة بالدرجة الأولى بتخصيص مساحة قدرها عمودا واحد للموضوع. فقد استعملت أكثر صحف الدراسة المساحة المقدرة بربع الصفحة تقريبا أي العمودين أو ما يقاربهما، وتعد تكرارات هذه الفئة الفرعية هي الأكثر على الإطلاق حيث بلغت 138 تكرارا في صحف الدراسة وبنسبة 32,2%. وتلي هذه النسبة المواد التحريرية المنشورة في صفحات عينة الدراسة بمساحة ربع عمود أو ما يقاربه أي بنسبة 23,1% و 99 تكرارا. وقريب جدا من هذه النسبة معدل فئة مساحة أربعة أعمدة أو ما يقاربها أي حتى نصف الصفحة المقدر بـ 22,1%. وهذا يعني أن أكثر المواد التحريرية في صحف الدراسة كتبت في مساحة ربع الصفحة أو نصفها أو ما يقاربهما، فإذا جمعنا النسبتين الأخيرتين تكون قد وصلت إلى معدل 54,3% أي تفوق هاتين الفئتين الفرعيتين لوحدها نصف مساحة النشر في صحف الدراسة كلها. وهذا معدل مرتفع جدا، فإذا أضفنا

لهذين الفئتين مساحة الفئة الفرعية الأولى ربع عمود أو ما يقاربه صار مجموع النسبة 77,4% مما ينبىء بأن عينة الدراسة اعتمدت موازين المساحات السابقة كمييار شائع لها في النشر الصحفي.

ومما يلاحظ أيضا أن المساحات الأخرى الواردة في الجدول كانت نسبتها ضعيفة إذا قورنت بما ذكرنا سابقا من نسب عليا، إلا فئة المساحة المقدرة بثمان الصفحة أي عمود أو ما يقاربه فإن نسبته حققت المتوسط الحسابي المقدر بـ 14,28% وهذا يدا على أن استعمال الصحف لهذا النوع من المساحات كان لأغراض صحفية محددة. والشكل التوضيحي التالي رقم (18) يبين أكثر توزيع المساحة التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العوامة في صحف الدراسة.

شكل رقم (18)

يوضح توزيع المساحة التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العوامة في صحف الدراسة



تشير العينة المختارة من الصحف الخمسة كما هو مبين بالجدول إلى توزيع مساحة المادة التحريرية التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العوامة في صحف الدراسة. حيث حققت صحيفة الأهرام 128 تكرارا. وكانت الموضوعات المنشورة في المساحة المقدرة بعمودين أي ربع صفحة قد طغت بشكل كبير على سائر أصناف المساحات الأخرى إذ بلغت نسبتها 41,4%. أما النسبة المتبقية فكانت بين الفئتين المخصصتين

لمساحة حتى ربع عمود بنسبة 25,8% ، ومساحة حتى عمودا واحدا المقدر بثمن صفحة بنسبة 19,5% . أما سائر أنواع المساحات الأخرى فكانت في معدلاتها الدنيا.

أما ثاني صحف العينة الأكثر استعمالا للمساحات بأنواعها فهي صحيفة الشروق اليومي بـ 107 تكرارا، حققت فيها كل مساحات النشر المعدلات الجيدة والمقبولة، ما عدا نوع المساحات المقدر بصفحة فأكثر حيث انعدمت في الجريدة الموضوعات المنشورة على هذه المساحة فكانت نسبتها 0,0% ، أو الموضوعات التي مساحتها قد بلغت نصف عمود أو ما يقاربه فقد كان معدلها 1,9%.

كما تشترك صحيفتي تشرين والرأي العام تقريبا في توزيعهما لأنواع مساحات النشر في صفحتيهما الثقافية، حيث حصلت الأولى على 78 تكرارا بينما حصلت الثانية على 71 تكرارا. وقد وزع القوائم بالاتصال نسبة المائة على أنواع مساحات كل من الجريدتين بصورة متقاربة إلا ما كان من النوع الأخير وهي المساحة المقدر بصفحة فأكثر، حيث انعدمت في الجريدة الموضوعات المنشورة على هذه المساحة فكانت نسبتها في كل من الصحيفتين 0,0%.

وتبقى صحيفة الخبر آخر سلم الترتيب بتكراراته الـ 45، وينسب أنواع مساحاتها المتدنية إلى الحد الذي يظهر فيه الجدول ثلاث نسب صفرية حيث لم تتعد 0,0% وذلك في نوع المساحة: حتى نصف عمود، وحتى ستة (6) أعمدة (4/3 من الصفحة)، وحتى صفحة فأكثر.

النتائج العامة للدراسة

خلال إعداد الباحثة لهذا البحث المكثف تمكن من الوصول إلى عدد من النتائج وهي كالآتي:

قضايا الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية والتي أثارها صحف العينة

لقد حصرت قضايا الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية والتي أثارها صحف العينة في الموضوعات التالية:

1. الدين.
2. الهوية.
3. القيم.
4. اللغة.
5. التربية.
6. التراث.

حجم اهتمام الصحف العربية بالفئات المختلفة لقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها في ظل العولمة

. بلغت الموضوعات الإجمالية للثقافة الإسلامية في صحف الدراسة عدد 477 موضوعاً، توزعت في صحف الدراسة على الشكل التالي:

- نسبة صحيفة الأهرام 30,2%.
- نسبة صحيفة الشروق اليومي 22,4%.
- نسبة جريدة تشرين 20,3%.
- نسبة صحيفة الرأي العام 15,9%.
- نسبة صحيفة الخبر 11,1%.

. كما أسفرت الدراسة على حجم اهتمام الصحف العربية بقضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، وقد جاءت على الترتيب التالي:

1. الهوية.
2. الدين.
3. اللغة.
4. التراث.
5. القيم.
6. التربية.

أولاً: الهوية

. تقدم حجم المادة التحريرية تبعاً لنوع التغطية بالصحف الخمسة الخاصة بمحور الهوية على غيره من محاور الثقافة الأخرى. إذ بلغت نسبة الهوية 28,1% وهي تعد نسبة عالية جداً من درجات الاهتمام والتفات الصحافة العربية حولها، خصوصاً عندما أدركنا أن المتوسط الحسابي لأنواع موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة الست حدد بـ 16,7%، أي تكاد موضوعات الهوية وقضاياها في الصحافة العربية تبلغ الضعفين في سلم العناية والاهتمام.

. تباين نسب موضوعات الهوية متقاربة في كل صحف الدراسة بالنسبة إلى إجمالي اهتمام كل صحيفة بموضوعات الدراسة وذلك على النحو التالي:

- بلغت نسبة صحيفة الأهرام 48,1% وهي تكاد تفوق الجرائد الأخرى بدرجتين ونصف من درجات الاهتمام باعتبار المتوسط الحسابي، وهذه دلالة واضحة على أن الصحيفة تركز في المقام الأول على هذا المحور، وأن سياستها تهتم بإبراز عنصر الهوية على صفحات الجريدة.
- اهتمام صحيفتي الشروق اليومي الجزائرية والرأي العام الكويتية بقضايا الهوية وموضوعاتها مقبولة جداً إذا قيست بالمتوسط الحسابي لدرجات الاهتمام، حيث بلغت في الأولى 20,2% وفي الثانية 21,2%، أي بزيادة درجة واحدة على جريدة الشروق.
- تعد صحيفة تشرين السورية من أضعف الصحف العربية اهتماماً بموضوعات الهوية على صفحات جريدتها، حيث بلغت 6,7% فقط، أي بأقل من 13,3% من مستوى المتوسط الحسابي المقدر بـ 20,0%.
- أما جريدة الخبر الجزائرية فهي الأضعف على الإطلاق من جهة الاهتمام بنشر المواد الإعلامية حول الهوية العربية الإسلامية، ولم تتعد نسبتها 3,7%.

. أوضحت نتائج جداول الدراسة أن هناك ثلاث فئات أساسية بالنسبة لفئات الهوية تقدمت على غيرها من الفئات وهي:

- فئة قضايا " الثقافة والهوية والخصوصية " بنسبة 3,7%.

- وفئة " قضايا الهوية الثقافية بمعنى الثوابت والوصول " بنسبة 3,2 %.
- فئة " قضايا الهوية الثقافية بمعنى الذات " بنسبة 3,8 %.

ثانياً: الدين

. من خلال الأرقام المثبتة في جداول الإحصاء يتضح لنا أن صحف الدراسة قد جعلت من المادة التحريرية لموضوعات الدين في المرتبة الثانية. حيث وردت نسبة موضوعات الدين 20,2 % أي بفارق نسبة 7,9 % عن موضوعات الهوية التي بلغت 28,1 %.

. أما عن نتائج اهتمام صحف الدراسة بهذا المحور فقد توزع على الشكل التالي:

- صحيفة الأهرام: نسبة 56 % . أي ما يفوق اهتمامات باقي الجرائد العربية عينة الدراسة مجتمعة (الشروق اليومي والخبر وتشرين والرأي العام).
- صحيفة الشوق اليومي: تعدت نسبتها 18 %.
- صحيفة الخبر: نسبة 3,4 % .
- صحيفتا تشرين السورية: نسبة 7,0 %.
- الرأي العام الكويتية: نسبة 14,5 %.

. كما نستنتج أن الصحف العربية في محور الدين أولت بالعناية والاهتمام القضايا التالية:

- فئة " الإسلام وواقع الأحداث المعاصرة " حيث بلغت 3,1 % بالنسبة لإجمالي كل قضايا الثقافة الإسلامية التي أثارها الدراسة.
- فئة قضايا " الإسلام والإرهاب كإحدى ردود الفعل على العولمة " بنسبة 1,7 %.
- فئة " الإسلام والعولمة " بنسبة 1,6 %.
- " تجديد الفكر الإسلامي " ونسبتها 4% من مجمل القضايا المثارة في استمارة التحليل، بل هي النسبة الأعلى إطلاقاً حسب الجداول الإحصائية.

ثالثاً: اللغة

. جاءت نتائج بنسبة موضوعات اللغة بـ 16,9 % من إجمالي النسب المثوية، و هذا يدل على عدم تجاوز حدّ الاهتمام والعناية من طرف القارئ بالاتصال من جهة أو التفريط من ناحية أخرى.

. أما عن نتائج اهتمام صحف الدراسة بهذا المحور فقد توزع على الشكل التالي:

- جريدة الشروق اليومي بلغت نسبة عنايتها بهذا العنصر 30,8 % وهي نسبة عالية جداً.

• وتأتي صحيفة الرأي العام الكويتية في المرتبة الثانية من ناحية اهتمامها بموضوعات اللغة في منظومة الثقافة الإسلامية، حيث بلغت بشقيها ؛ اللغة العربية والعمولة، وخدمة اللغة العربية حد 29,6%. وهذا المعدل المرتفع في درجة الاهتمام بحسب سياسة الجريدة والقائم بالاتصال فيها، إذ أدرك طبيعة الصراع الحضاري والثقافي في عصر العمولة.

• كان اهتمام جريدة تشرين السورية 18,2%، ولعل طريقة طرح الجريدة لقضية اللغة العربية في عصر العمولة هو الأمتع والأعمق من سائر طروحات الصحف العربية الأخرى.

• نجد صحيفة الأهرام والتي تصدرت الجرائد الأخرى في كل قضايا الثقافة وعناصرها إلا في محور اللغة، إذ لم تتعد سواء في فئة موضوعات اللغة العربية والعمولة أو فئة موضوعات خدمة اللغة العربية معا 11,0% فقط. وهذه المرة الأولى التي تتقدمها جريدة الشروق اليومي الوطنية.

• نسبة صحيفة الخبر تظل الأقل اهتماما عن سائر الصحف محل الدراسة، إذ بلغت 10,4% لو لم تزد هذه النسبة عن اهتمامها بمحور خدمة اللغة العربية، أي محور الشعر والنشاطات الأدبية. أما الكتابات الجادة حول موضوع اللغة العربية والعمولة فإننا لا نجد من دراسة ذات بال.

كما أولت الصحف العربية عينة الدراسة في محور اللغة بالعناية والاهتمام القضايا التالية:

• فئة " اللغة الوعاء الحامل للثقافة " . بمعدل 2,9%.

• فئة " التكامل بين اللغة والثقافة " . بمعدل 2,7%.

. لم تبحث صحف الدراسة موضوع فئة " اللغة العربية والأبعاد اللغوية للعمولة " إلا بنسبة 1,0% مقابل 5,6% نسبة الفئتين السابقتين كما بين جدول القضايا ذلك.

رابعاً: التراث

. بلغت نسبة محور التراث في عينة الدراسة 15,6%. وهذا يدل على أن المعالجة الصحفية لعنصر التراث في الكتابات العربية ترقى ولاسيما في صحف العينة الثلاث إلى رتبة الجيد والحسن عندما يكون معدل المتوسط الحسابي هو 20,0%.

. كما وردت قضية التراث في عينة الدراسة وفي الصحف الثلاث الأهرام والشروق والرأي العام على الشكل التالي:

• عالجت صحيفة الأهرام التراث في صفحاتها بنسبة 30,5%.

• بينما تعرضت صحيفة الشروق اليومي للتراث على صفحاتها اليومية بنسبة 25,3%.

• وذهبت صحيفة الرأي العام إلى نسبة 24,8%.

• أما صحيفة تشرين السورية فقد كان اهتمامها بقضايا التراث أقل من المتوسط، حيث وردت نسبة 14,9%

فقط، أي بفارق 5,1% عن المعدل، وفي هذا تقصير من القائم بالاتصال في هذه الصحيفة حول قضايا

تراثنا وثقافتنا العربية الإسلامية.

• بينما لم تشارك جريدة الخبر بموادها التحريرية في خضم هذا الجدل الدائر حول التراث في صفحاتها إلا بقدر، حيث لم يرد عن مشاركتها إلا نسبة 4,5% وهذا معدل ضعيف جدا إذ يعقد عن متوسطه بـ 15,5%.

وهذا يعني أن اهتمام الصحيفة لم يركز في المقام الأول على قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة.

. وقد قسمت الباحثة محور التراث إلى فئتين أساسيتين حيث انتهت فيهما إلى النتائج التالية:

• قضايا مركزية التراث: وشمل هذا العنصر " التراث في الوعي العربي والمعاصر "، " مدلول التراث في التصور الإسلامي "، و " التراث المعرفي الإسلامي "، و " قضايا أخرى ". حيث حصلت هذه الفئات في مجموعها على نسبة 7,5% من أصل 15,6%.

• قضايا قراءة التراث في اللحظة الراهنة: ويشمل هذا العنصر " قضايا التاريخ العربي الإسلامي " و " محور العادات والتقاليد " و " محور الفكر العربي والتاريخ " و " محور الآثار العربية والعمران " و " قضايا أخرى ". حيث وردت النسب المتعلقة بالتاريخ أعلى نسب هذا المحور، إذ بلغت في مجموعها 5,0% من مجموع 8,1% الخاصة بهذا القسم الثاني من محور التراث.

خامسا: القيم

. لم تتعرض صحف العينة للقيم بالمواد التحليلية إلا بنسبة 10,0% فقط، وهي نسبة تعد ضعيفة وأقل من المعدل المتوسط بكثير والمقدر بـ 16,7%.

. على مستوى توزيع نسبة القيم في صحف العينة تبقى جريدة الأهرام الأعلى نسبة في هذا العنصر أيضا حيث بلغت 55,7%،

. لم تبلغ سائر الصحف العربية الأخرى نصابها المتوسطي والمحدد بـ 20%.

سادسا: التربية

. ودلت النتائج على التباين الشديد بين صحف الدراسة حول موضوع التربية حيث بلغت نسبة 9,2%.

. أما عن نتائج اهتمام صحف الدراسة بهذا المحور فقد توزع على الشكل التالي:

• جريدة الأهرام قد حصلت على نسبة 37,1% وهي تمثل أعلى نسبة من بين عينة الدراسة، حيث فاقت غيرها بمعدل 17,1% عن المتوسط الحسابي.

• وحصلت الرأي العام على 29,6% وهو معدل جيد أيضا حيث فاق المتوسط الحسابي بـ 9,6%.

• حصلت الشروق اليومي الجزائرية على 21,1% وهي نفسها تقريبا النسبة المتوسطية مما يدل على أن الصحيفة لم تقصر في عنايتها بهذا المحور مقارنة بمثيلاتها.

• أما صحيفة تشرين فقد كان لها معدل 11,3% وهو أقل بكثير من المعدل المتوسطي.

• جريدة الخبر الجزائرية تكاد تنعدم فيها موضوعات التربية على مدار فترة الدراسة. فنسبة 0,9%.

دلالات عملية المقارنة بين نتائج صحف العينة؟

. أظهرت عملية التحليل عدم التوازن في المواد الثقافية المنشورة في الصفحات الثقافية، مع طغيان موضوعات الهوية والدين على بقية الموضوعات الثقافية الأخرى وقضاياها وخاصة قضايا القيم والتربية.

. الاضطراب الشديد في السياسات التحريرية للجرائد العربية في أقسامها الثقافية. حيث برزت صفة التفاوت الشديد في النظر إلى أهمية قضايا الثقافة وموضوعاتها في صحف الدراسة، ومن ثم اختلاف صحف الدراسة في أسلوب العرض والنشر مما يؤثر على المتلقي القارئ إما سلباً أو إيجاباً.

. تباين مستوى المنشور من المواد الثقافية في الصفحات الثقافية للصحف الخمسة من حيث رصانة وموضوعية موادها الثقافية والفكرية. مع ملاحظة تأرجح مستواها الثقافي ما بين الجودة وما دونها، وهذا ما توصلت إليها الدراسة أثناء دراستها وتقييمها لما نُشر، وحددته العينة من خلال تحليل مضامين الصفحات الثقافية للصحف الخمس.

. ازدحام الصفحات الثقافية بالنتائج المحلية، مع ملاحظة الباحثة قلة اهتمامها بالمداد الأجنبية، كما لاحظت انحسار مادة بعض صحف العينة في الصورة الخبرية للحدث دون تحليل للحدث ذاته.

. تباينت الصحف الخمسة في أبوابها الثقافية من حيث موضوعاتها وقوالها الفنية، نتيجة اختلاف الاتجاهات الفكرية والفلسفية لكُتاب تلك الصفحات وتباين السياسات التحريرية لصحف الدراسة.

العلاقات الارتباطية بين متغيرات موضوع الدراسة

. نرجح أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 كان العامل الأكبر في تبني صحف العينة لهذا المحور وهذه الكثافة في المعالجة. إذ من كان يتوقع في بادية القرن الواحد والعشرين أن يتحول يوم 11 سبتمبر الذي التصق بعقول الأمريكيين باعتباره مأساة مروعة ليسجله التاريخ على حد وصف هنري كيسنجر باعتباره نقطة تحول في صياغة النظام العالمي للقرن الجديد.

. بعد أحداث 11 سبتمبر نشأت و تنامت بفضل وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ظاهرة عسكرية الحياة الإنسانية، واختراق الخصوصية بالتنصت والتجسس، والتجاوز على حقوق الإنسان والتسامح في استخدام العنف ضد فئات اجتماعية بحجة الإرهاب. فكل هذه وغيرها من الأسباب دفعت صحف العينة إلى تبني موضوعات تأثيرات أحداث 11 سبتمبر على الحياة الثقافية للشعوب ومنها الثقافة الإسلامية في منطقتنا العربية.

. استمرار الانتفاضة الفلسطينية طول فترة الدراسة كان سبباً آخر قويا وقريبا من أسباب اتساع مساحة المواد التحريرية في عينة الدراسة.

. التفاف الشعوب العربية حول ثقافتها المتنوعة ومحاوله حماية هذه الثقافات من الاندثار من جراء تأثيرات العولمة الثقافية. فقد أسفرت النتائج عن فئة قضايا البعد الثقافي للعولمة أن المادة التحريرية حول قضايا " اندثار الثقافة الوطنية ومحاولات حمايتها " كانت أكبر حجما مقارنة بغيرها من الفئات الأخرى، بل ابتعدت هذه الفئة في حجمها ونسبتها كثيرا عن حجم الفئة الموالية لها وهي فئة قضايا " حوار وصراع الحضارات والثقافات " رغم أهمية هذه الأخيرة في الفكر الفلسفي العالمي المعاصر.

. أظهرت النتائج النسبة العالية لقضايا " حوار وصراع الثقافات "، والتي نالت من الجدل والخصومة بين المفكرين العرب ومثقفهم على صفحات الجرائد الشيء الكثير بين مؤيد ومعارض. فنسبة 19,4 % من أصل النسبة الكلية لكل قضايا الاستمارة الـ 100 % توجي بقوة الجدل الدائر بيننا وبتفوق قوى الثقافة العالمية في إثارة الموضوع بين الحضارتين الإسلامية والغربية. وخصوصا إذا أدركنا أن المتوسط الحسابي لدرجة الاهتمام في هذه الفئة هو 14,2 %، أي بزيادة 5,2 % عن حسابها المتوسطي.

. خلصت الدراسة إلى أن فئة " النقد الذاتي المتكرر الصارم " من فئات تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها، قد ارتفعت نسبة الاهتمام بها إلى 3, 21 %، وسبب ذلك أن البحث عن البدائل للأزمات الحضارية بصورة متكاملة لا يكون في أمة من الأمم إلا بأسلوب المواجهة مع الذات والنقد اللاذع الصارم والابتعاد عن المداهنة والنفاق الاجتماعي. ولذلك قد ناسب كثيرا ورود هذه النسبة لهذه الفئة على تلك الصورة، وإنه لفخر للصحف العربية أن يتخطى فيا هذا الأسلوب الحضاري في البحث عن مستقبل ثقافتها تلك المعدلات الظاهرة على خانات هذه الجداول الدراسية.

حجم الاهتمام بقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها في ظل العولمة

أ. التكرار الكمي لعرض الموضوعات.

أظهرت الدراسة كل التكرارات التي تقوم عليها عملية تحليل وعرض موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة، كما ساندت تلك التكرارات النسب المثوية التي تظهر مقدار حجم اهتمام كل فئة صنف ضمن جدول فئات تحليل المضمون. وقد أسفرت عمليات عرض التكرارات عن إعطاء صورة حقيقية عن واقع الثقافة الإسلامية في صحف العينة.

ب. الموقع المختار للموضوعات في الصحف.

. أظهرت نتائج الدراسة أن نسب المواد التحريرية المنشورة أعلى الصفحة فهي تفوق بقليل فقط المواد المنشورة أسفل الصفحة، حيث وردت نسبة الأولى 35,3 % ، والثانية 29,0 % أي بفارق 6,3 % فقط وهذا طبيعي في نظر الصحيفة والقارئ معا.

. كما أظهرت النتائج أيضا أن النسب المتعلقة بوسط الصفحة فكانت المواد التحريرية المنشورة في أيمن الصفحة أعلى نسبة من غيرها الواقعة في أيسر الصفحة حيث جاءت بمعدل 21,5 % مقابل 14,3 %.

. أما على مستوى صحف الدراسة وبعد تحليل البيانات نلاحظ ما يلي:

• أن صحيفة الأهرام ركزت على عرض موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها بالصحيفة على كل الجهات تقريبا. وهذا التوزيع يعكس اهتماما خاصا من الصحيفة بتوزيع المواد الإعلامية، وما يلاحظ في صحيفة الأهرام أنها تختار موضوعاتها الواقعة في أيمن الصفحة وفي أعلى ووسط وأسفل الصفحة بدقة متناهية حتى يخيل للقارئ أنها كلها تتساوى في قيمتها، وبالتالي في مواقعها. على خلاف الموضوعات الإعلامية الواقعة في أيسر الصفحة وفي أعلى ووسط وأسفل الصفحة التي وردت بنسب أقل بكثير.

• وردت نسب مواقع المواد التحريرية سائر صحف العينة بصورة متقاربة جدا بين الأعلى ووسط وأسفل الصفحة مع الركن الأيمن والأيسر فكلها تكرر مرات يقترب كثيرا بعضها ببعض كما تظهر الجداول ذلك.

ج . العنوان في صحف الدراسة

. من خلال نتائج البحث نستنتج أن عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة قد توزعت بين نوعين رئيسيين هما؛ العنوان الممتد بنسبة 57,0 % . والعنوان العمودي بنسبة 41,1 % . . حيث حصد الأول النسبة الغالبة من عناوين عينة الدراسة. ووجدنا من خلال نتائج البحث أن العنوان الممتد بدوره موزع إلى الأنواع التالية:

- ممتد إلى عمودين وكانت نسبته 9, 29 % .
- ممتد إلى ثلاثة أعمدة وكانت نسبته 7, 16 % .
- ممتد إلى أربعة أعمدة وكانت نسبته 4, 6 % .
- ممتد إلى 5 - 6 - 7 أعمدة وكانت نسبته 0, 4 % .

. على خلاف صحيفة الخبر فقد استعملت باقي صحف الدراسة أشكال العناوين كلها مُعَلَّبة العنوان الممتد على عمودين لأنه الأنسب للمساحات الصغرى والموضوعات المقتضبة إلا ما كان من جريدة الرأي العام التي ظهرت فيها نسبة العنوان الممتد إلى خمسة وستة وسبعة أعمدة عالية حيث بلغت 16,2 %.

. على مستوى صحف الدراسة جاءت نتائج العنوان العمودي على الشكل التالي:

• جريدة الرأي العام تعد أكثر صحف العينة استعمالا لنوع العنوان العمودي حيث بلغت نسبة استعمالها إياه 55,4 %.

- تليها صحيفة الشروق الجزائرية بمعدل 48,1 %.
- ثم الأهرام بنسبة 43,5 %.
- أما صحيفة تشرين فنسبتها تتعدى المتوسط بقليل حيث بلغت 29,2 %،

- م توظف صحيفة الخبر هذا النوع من أشكال العناوين إلا بنسبة متوسطة حيث بلغت 20,4% فقط.
- تغلب الجريدة الكويتية في صفحتها الثقافية طرح الموضوعات الواسعة المساحة والمقالات التحليلية والنقدية مما لا يترك للموضوعات الإخبارية الصغرى مجالاً في صفحته وهذا دأب الصحف العريقة. ولو قارنا وضع
- كما تغلب صحيفة الخبر في استعمالها للعنوان الممتد على عمودين في أكثر المواد التحريرية المقدمة في الصفحة الثقافية، وهذا يعني أن موضوعات الثقافة الإسلامية تمتاز بالاختصاص الشديد وقد يغلب عليها طابع الخبر ، وليس أدل على ذلك من غلبة نسبة 50.0% للعنوان الممتد على عمودين في صحيفة الخبر.

د. مساحة النشر لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة

- . استعملت أكثر صحف الدراسة المساحة المقدرة برقع الصفحة تقريبا أي العمودين أو ما يقاربهما، وتعد تكرارات هذه الفئة الفرعية هي الأكثر على الإطلاق حيث بلغت 138 تكرارا في صحف الدراسة وبنسبة 32,2%.
- . وتلي هذه النسبة المواد التحريرية المنشورة في صفحات عينة الدراسة بمساحة ربع عمود أو ما يقاربه أي بنسبة 23,1% و 99 تكرارا.
- . وقريب جدا من هذه النسبة معدل فئة مساحة أربعة أعمدة أو ما يقاربها أي حتى نصف الصفحة المقدر بـ 22,1%.
- وهذا يعني أن أكثر المواد التحريرية في صحف الدراسة كتبت في مساحة ربع الصفحة أو نصفها أو ما يقاربهما،
- . إذا أضفنا للفئتين السابقتين مساحة الفئة الفرعية الأولى ربع عمود أو ما يقاربه صار مجموع النسبة 77,4% مما يبنى بأن عينة الدراسة اعتمدت موازين المساحات السابقة كمعيار شائع لها في النشر الصحفي.
- . أشارت العينة المختارة من الصحف الخمسة إلى توزيع مساحة المادة التحريرية التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة إلى النتائج التالية:
- حيث حققت صحيفة الأهرام 128 تكرارا. وكانت الموضوعات المنشورة في المساحة المقدرة بعمودين نسبتها 41,4%. أما النسبة المتبقية فكانت بين الفئتين المخصصتين لمساحة حتى ربع عمود بنسبة 25,8%، ومساحة حتى عمودا واحدا المقدر بثمان صفحات بنسبة 19,5% . أما سائر أنواع المساحات الأخرى فكانت في معدلاتها الدنيا.
- أما ثاني صحف العينة الأكثر استعمالا للمساحات بأنواعها فهي صحيفة الشروق اليومي بـ 107 تكرارا، حققت فيها كل مساحات النشر المعدلات الجيدة والمقبولة، ما عدا نوع المساحات المقدر بصفحة فأكثر.
- تشترك صحيفتي تشرين والرأي العام تقريبا في توظيفهما لأنواع مساحات النشر في صفحتيهما الثقافية، حيث حصلت الأولى على 78 تكرارا بينما حصلت الثانية على 71 تكرارا. وقد وزع القائم بالاتصال نسبة المائة على أنواع مساحات كل من الجريدتين بصورة متقاربة.

• وتبقى صحيفة الخبر آخر سلم الترتيب بتكراراته الـ 45، وبنسب أنواع مساحتها المتدنية إلى الحد الذي يظهر فيه الجدول ثلاث نسب صفرية حيث لم تتعد 0,0% وذلك في نوع المساحة: حتى نصف عمود، وحتى ستة (6) أعمدة (4/3 من الصفحة)، وحتى صفحة فأكثر.

الخصائص المميزة لأسلوب المعالجة الصحفية لقضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها في ظل العولمة في صحف الدراسة:

أ. نمط التحرير أو شكل الاتصال.

. جاءت المقالات في المرتبة الأولى من حيث درجة الاهتمام من قبل القارئ بالاتصال نظرا للطبيعة الجدلية لموضوع الدراسة، حيث أن المقالة الصحفية بطبيعتها هي أكثر الأشكال التي تتيح الفرصة لكتّابها للتعبير عن آرائهم ومواقفهم من مفهوم الثقافة الإسلامية ومظاهرها وتوضيح مزايا العولمة وفضح عيوبها. ولأجل هذه الأهمية الكبرى ورد المقال في عينة الدراسة مقدم على غيره من أنواع الفنون الصحفية الأخرى، حيث ورد بنسبة 32,5% وهي نسبة تعد مرتفعة للغاية

. توزع فن المقال الصحفي في عينة الدراسة إلى أنواعه الثلاثة: المقال التحليلي، والنقدي، والعمودي.

• المقال التحليلي: وردت نسبة المقال في عينة الدراسة 18,5% بالنسبة لكل أنواع الفنون الصحفية الأخرى.
• المقال النقدي: أما نسبة المقال النقدي في صحف الدراسة فهي 7,3% بالنسبة لكل أنواع الفنون الصحفية الأخرى.

• العمود الصحفي: ونسبته في صحف الدراسة هي 6,7% بالنسبة لكل أنواع الفنون الصحفية الأخرى.

. غلب على أسلوب عرض موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة تقدم شكل الخبر الصحفي بنسبة عالية أيضا، حيث ورد في المرتبة الثانية بعد المقال في عينة الصحفية بنسبة 28,6%.

. من خلال دراسة الباحثة المواد الثقافية المنشورة في الصفحات الثقافية للصحف الخمسة ضمن العينة المدروسة، يلاحظ غياب الريبورتاج فيها. وكما هو معلوم لدي مسؤولي الصفحات الثقافية ما للريبورتاج الثقافي من أهمية في إطلاع المتلقي على آراء المثقفين والأدباء والمفكرين والأكاديميين، عند قراءتهم للمشهد الثقافي الإسلامي، ورصدهم آخر المستجدات الثقافية التي تقوم بها المراكز والمنتديات، ودور النشر العالمية في دول العالم.

. ندرة الندوات الحوارية الثقافية في الصفحات الثقافية في الصحف الخمسة، مع ضعف أدائها إن وُجدت، وعدم تغطية ما يدور خلال اللقاءات العامة التي تقوم بمناقشة وتحليل العديد من القضايا الثقافية. وقلة عدد الملفات أو المحاور التي تتناول واقع المشهد الثقافي في الدول العربية. مع ملاحظة الباحثة عدم وجود مساحة مخصصة لنشر ردود المتابعين في التعليق كمساهمة غير مباشرة في تلك الندوات والحواريات بحجج عديدة. ومنها عدم كفاية مساحة تلك الصفحات، لنشر ملاحظات متابعي تلك الندوات، واللقاءات في الصفحات الثقافية.

ب. وسائل الإبراز المستخدمة.

. تظهر نتائج البحث أن أنواع الصور المصاحبة لموضوعات الثقافة لإسلامية قد بلغت نسبة 3, 21 % من مجموع النسبة المئوية لهذه الفئة ، وقد توزعت هذه الصور في موضوع الدراسة إلى فئتين أساسيتين:

• صور فوتوغرافية وكان نسبة هذه الصور في عينة الدراسة 5, 16 % من مجموع عوامل الإبراز في موضوعنا. غير أن الصور الفوتوغرافية من ناحية الشكل تنقسم بدورها أيضا في العمل الصحفي إلى قسمين أساسيين أيضا، وقد وردا في عينة الدراسة بنسب متفاوتة، وهي:

صور شخصية: وتسمى " بورتريه " وقد ارتفعت نسبتها إلى 2, 13 % من مجموع عوامل الإبراز في عينة الدراسة، وهي نسبة عالية أيضا توحى بدلالات إيجابية كثيرة.

صور موضوعية: وكانت نسبة الصور الموضوعية في الدراسة قد قدرت بـ 3, 3 %، وهذا المعدل مناسب جدا لطبيعة موضوعات وقضايا الثقافة الإسلامية.

• صور توضيحية وقد كانت نسبة الصور التوضيحية إلى جانب الأشكال الأخرى من الصور 8, 4 %

. إطارات: وقد كانت نسبتها 0, 14 % وهي نسبة مقبولة أيضا توزعت بين كل صحف العينة.

. أرضيات: وقد ظهرت نسبته 9, 14 %.

. فواصل: تعدت أيضا معدلها المتوسطي حيث بلغت نسبتها في جدول عوامل الإبراز 6, 12 % في كل صحف الدراسة مما يوحي بتوجه القائم بالاتصال إلى استخدام هذا العامل لأغراض التوضيح والبيان والفصل بين الموضوعات لإبراز المادة الإعلامية وخاصة في موضوع العولمة والثقافة الإسلامية.

. لا يوجد: وتعني أن الصفحة الثقافية قد خلت من كل عوامل الإبراز الأخرى المشار إليها سلفا، وبلغت نسبة

هذه الفئة في صحف الدراسة 0, 31 %.

ملامح الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة

وتلخص الدراسة هنا ملامح الثقافة الإسلامية في صحف العينة في ظل العولمة كما يلي:

1 . صحيفة الأهرام المصرية: . ما يمكن تسجيله إيجابا للأهرام المصرية وجود أبواب للثقافة الإسلامية وقضاياها

في ظل العولمة، مما بوأها مكانة عالية جدا ضمن الصحف العربية خدمة لهذه الثقافة، وهذا يجعل من الصحيفة مؤثرة في اتجاهات القارئ، وتعطيه فرصة للنقد الذي تخلو منه الجرائد العربية الأخرى.

2 . صحيفة الشروق اليومي الجزائرية: خطت الجريدة مراحل واسعة أثناء معالجتها الصحفية لقضايا الثقافة الإسلامية في ظل العولمة مقارنة بحداتها في مجال الصحافة العربية، حيث فاقت بعض الصحف العربية الأخرى الأكثر عراقية رغم ما تحله من شعارات القومية والعروبة. كما انتهت الدراسة إلى أن هناك تفاوتاً واضحاً في حجم المادة التحريرية تبعاً لنوع التغطية بالصحف وفقاً للتصنيف الذي أعدت الدراسة، ونجد أن صحيفة الشروق اليومي الجزائرية احتلت المرتبة الأولى أثناء معالجتها لقضايا الثقافة الإسلامية بحجم يفوق سائر الصحف الأخرى عدا صحيفة الأهرام المصرية.

3 . صحيفة الرأي العام الكويتية: . ترتيب الصحيفة الثالث ضمن الصحافة العربية في عينة الدراسة يعكس حسن سياسة الصحيفة التحريرية تجاه الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة خلال فترة الدراسة. فالصحيفة حاولت حشد كافة الأنماط التحريرية التي تساعد لتجسيد الثقافة الإسلامية في ذهن القارئ والرأي العام بصفة عامة.

4 . صحيفة تشرين السورية: لم تسجل تشرين أي تقدم في صفحاتها عن الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة خلال فترة الدراسة، وهذا مما يعاب على الجريدة. فمرتبتها ما قبل الأخيرة ضمن صحف العينة، ونسبها التي لا تكاد تلامس واقع الثقافة الإسلامية جعل من أدائها الصحفي لا يقترب من المتلقي العربي، بل هي في تقاطع يكاد يكون مستمراً معه.

5 . صحيفة الخبر الجزائرية: إذا ابتعدنا عن المبالغات اللفظية وبعض العناوين البراقة في الجريدة، وصلنا إلى واقع المعالجة الإعلامية في صحيفة الخبر كنموذج لدراسة الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة كما تعالجها الصحيفة، سنجد أن الأمر لا يعدُّ أن يكون مجرد ملاحظات ولم تدرس المعالجات الصحفية لهذا الموضوع بعد في جريدة الخبر دراسة علمية. بينما جاءت دراسة الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحيفة الخبر في المرتبة الأخيرة بحجم واهتمام أقل بكثير مما يجب أن تكون عليه جريدة مثل الخبر الجزائرية.

فهرس الجداول

رقم الصفحة	اسم الجدول	رقم الجدول
.....	توزيع أيام العينة	جدول رقم (1)
.....	عدد الموضوعات التحريرية في صحف الدراسة	جدول رقم (2)
.....	تكرار توزيع أنواع الموضوعات الرئيسية والمحاور الفرعية والقضايا الخاصة بالثقافة الإسلامية في ظل العولمة.	لجدول رقم (3)
	تكرار توزيع الأنواع الرئيسية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.	جدول رقم (4)
	ترتيب موضوعات الثقافة الإسلامية حسب درجة الاهتمام في صحف الدراسة	الجدول رقم (5)
	فارق الاهتمام بين المتوسط الحسابي ونسب موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة	جدول رقم (6)
	مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور الدين والعولمة	جدول رقم (7)
	ترتيب صحف الدراسة الأكثر عناية بمحور الدين في الثقافة الإسلامية.	جدول رقم (08)
	مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور الهوية	جدول رقم (09)
	يبين مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور القيم	جدول رقم (10)
	مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور اللغة	جدول رقم (11)
	ترتيب صحف الدراسة ومدى اهتمامها بمحور اللغة العربية	جدول رقم (12)
	مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور التربية.	جدول رقم (13)
	ترتيب صحف الدراسة فيما بينها ومدى اهتمامها بقضية التربية	جدول رقم (14)
	مقدار تعرض صحف الدراسة لمحور التراث	جدول رقم (15)

جدول رقم (16)	ترتيب صحف الدراسة فيما بينها ومدى اهتمامها بقضية التراث
جدول رقم (17)	القضايا التي تندرج تحت الموضوعات الفرعية للثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة.
جدول رقم (18)	ترتيب صحف الدراسة حسب تكرارات قضايا الثقافة الإسلامية في ظل العمولة
جدول رقم (19)	توزيع قضايا الهوية الثقافية الثلاثة في صحف الدراسة
جدول رقم (20)	تسجيل قيمة الفارق بين النسب
جدول رقم (21)	البعد الثقافي للعمولة في صحف الدراسة
جدول رقم (22)	تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العمولة في صحف الدراسة
جدول رقم (23)	توزيع حجم المادة التحريرية تبعاً لسياق المضمون في صحف الدراسة
جدول رقم (24)	المفهوم والتعريف في صحف الدراسة
جدول رقم (25)	التوازن في التغطية في صحف الدراسة
جدول رقم (26)	اتجاه المحتوى نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها في صحف الدراسة
جدول رقم (27)	الفاعلون في صحف الدراسة
جدول رقم (28)	المصادر الإعلامية في صحف الدراسة
جدول رقم (29)	منشأ المعلومة الجغرافية ومجال التغطية في صحف الدراسة
جدول رقم (30)	توزيع أنواع (الأشكال) الصحفية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العمولة في صحف الدراسة
جدول رقم (31)	الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في صحف الدراسة
جدول رقم (32)	توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في كل صحيفة على حدا حسب ترتيبها في جدول عوامل الإبراز
جدول رقم (33)	المواقع التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العمولة في صحف الدراسة
جدول رقم (34)	توزيع عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل

	العملة في صحف الدراسة	
	توزيع المساحة التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العملة في صحف الدراسة	جدول رقم (35)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشكال التوضيحية

رقم الصفحة	اسم الشكل	رقم الشكل
	توزيع أنواع الموضوعات الرئيسية في صحف الدراسة	شكل رقم (1)
	محاور موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.	شكل رقم (2)
	القضايا التي تندرج تحت الموضوعات الفرعية للثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة.	شكل رقم (3)
	البعد الثقافي للعولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (4)
	تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في عصر العولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (5)
	سياق المضمون في صحف الدراسة	شكل رقم (6)
	المفهوم والتعريف في صحف الدراسة	شكل رقم (7)
	التوازن في التغطية في صحف الدراسة	شكل رقم (8)
	اتجاه المحتوى نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها في صحف الدراسة	شكل رقم (9)
	الفاعلون في صحف الدراسة	شكل رقم (10)
	المصادر الإعلامية في صحف الدراسة	شكل رقم (11)
	منشأ المعلومة الجغرافي ومجال التغطية في صحف الدراسة	شكل رقم (12)
	توزيع أنواع (الأشكال) الصحفية لموضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (13)
	توزيع أنواع المقال في صحف الدراسة.	شكل رقم (14)
	توزيع الصور والرسومات المصاحبة لموضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (15)

	توزيع المواقع التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (16)
	يوضح توزيع عناوين موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (17)
	توزيع المساحة التي شغلتها موضوعات الثقافة الإسلامية وقضاياها في ظل العولمة في صحف الدراسة	شكل رقم (18)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

جامعة الأمير
عبدالقادر للعلوم الإسلامية

أولاً: الكتب المنشورة

. القرآن الكريم (رواية ورش)

- . ابراهيم حسن، سمير ، « الثقافة العربية بين الخصوصية و الكونية ». دراسات إستراتيجية مركز الدراسات و البحوث الاستراتيجية. العددان 14 و 15 السنة الخامسة، ربيع 2005. 165.
- . ابراهيم حسن، سمير، الثقافة والمجتمع. ط: 1. دمشق: دار الفكر، 2007.
- . أبو الأصعب، صالح خليل، قضايا إعلامية. دبي: منشورات مؤسسة البيان، 1988.
- . أبو الأصعب، صالح، «وسائل الإعلام الغربية والانسلاب الثقافي». شؤون عربية (تونس) جامعة الدول العربية. العدد17، يونيو1982.
- . أبو الحسن، منال، أساسيات علم الاجتماع الإعلامي. النظرية والوظائف والتأثيرات. ط:1. القاهرة: دار النشر للجامعات، 2007.
- . أبو زيد، فاروق، «انهيار النظام الإعلامي الدولي من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد». ط: 1. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1991.
- . أبو زيد، فاروق، فن الكتابة الصحفية. ط: 2 . جدة: دار الشروق. 1403 هـ. 1983م.
- . أبو عرجة، تيسير، الإعلام والثقافة العربية، الموقف والرسالة. عمان: دار مجدلاوي ، 2003.
- . أحمد الخضيرى، محسن، العولمة . مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة. القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000.
- . أحمد مصطفى، السيد ، البحث الإعلامي مفهومه و إجراءاته و مناهجه. ط: 1. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1994.
- . اسماعيل، محمود، مناهج البحث في إعلام الطفل. ط:1. القاهرة: دار النشر للجامعات، 1417 . 1976.
- . أكيناينا، تادى، العولمة والسياسة الاجتماعية في إفريقيا، قضايا واتجاهات. ترجمة: صلاح أبو نار. القاهرة: مركز البحوث العربية، 1999.
- . ألبير، بير، الصحافة. ترجمة: خير الدين عبد الصمد. سوريا: منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، 1976.
- . أمين، جلال، العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة الخولي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 1994.

- . أمين، جلال، العولمة. القاهرة: دار المعارف، 1998.
- . أمين، سمير، « تحديات العولمة » مجلة شؤون الأوسط. العدد 71. أبريل 1998.
- . الببلاوي، حازم، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة. (عالم المعرفة) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000.
- . بجيتن، السيد، الصحافة والانترنت. ط: 1. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2000.
- . بدران وفاروق محفوظ، شبل وأحمد، أسس التربية. ط: 1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000.
- . بدر، أحمد، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية. القاهرة: دار قباء للطباعة، 1998.
- . بدر، أحمد، أصول البحث العلمي و مناهجه. ط: 9. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1995.
- . بدر، أحمد، الإعلام الدولي (دراسات في الاتصال والدعاية الدولية). ط: 4. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 1998.
- . بدوي صادق، حيدر. الثقافة والإعلام والبه التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في دولة الإمارات العربية المتحدة. ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 1995.
- . البدوي الصافي، محمد، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية. الإمارات العربية المتحدة: دار القلم للنشر والتوزيع، 1996.
- . برغوث، الطيب، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي. ط: 2. الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2004.
- . برغوث، عبد العزيز، الأبعاد الإشكالية لمفهوم العالمية في الوعي الحضاري المعاصر. ط: 1. كوالالمبور: الشروق، 2001.
- . برغوث، عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري. ط: 1. سلسلة كتاب الأمة، قطر: مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، العدد: 21، 1995.
- . البشر، بدرية، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض أنموذجا. ط: 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
- . البطريق، نسمة أحمد، التلفزيون والمجتمع والهوية الثقافية، دراسة نقدية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
- . بغداد باي، محمد، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعتها وعلاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي. عالم الأفكار ، 2006.
- . بك، أولريش، ما هي العولمة. ترجمة: أبو العيد دودو. كولونيا، ألمانيا: منشورات الجمل، 1999.
- . بكار عبد الكريم، العولمة: طبيعتها و وسائلها وتحدياتها والتعامل معها. ط: 2. الأردن، عمان: دار الإعلام للنشر والتوزيع.

- البكري، إياد شاكر، تقنيات الاتصال بين زمنين. ط:1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003.
- بلقزيز، عبد الإله، « العولمة و الهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة »، العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
- . بلقزيز، عبد الإله، النظام الإعلامي السمعي البصري العربي والاختراق الثقافي (نحو إستراتيجية جديدة للدفاع الذاتي، إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1977.
- . بنتون، ويليم، الموسوعة البريطانية. 1969.
- . بهادي، منير ، الاستشراق والعولمة الثقافية. ط: بلا . الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع. 2002.
- . بودبوس، رجب، العولمة بين الأنصار والخصوم. بيروت: دار الانتشار العربي، 2002. . بوشيا دامس، أيمانويل، التنمية الثقافية تجارب إقليمية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983.
- . بوعلي، نصير، الإعلام والقيمة قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي. الجزائر: دار الهدى، 2005.
- . بيومي، محمد احمد، القيم وموجهات السلوك الاجتماعي. مصر: دار المعرفة الجامعية، 2006.
- . تمار، يوسف، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعي. ط:1. الجزائر: السيج كوم، 2007.
- . التهامي، مختار ، تحليل مضمون الدعاية بين النظرية والتطبيق. ط: 2. القاهرة: دار المعارف ، 1985.
- . توملينسون، جون، العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان. ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب(الكويت). العدد354. أغسطس 2008.
- . التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش. القاهرة: دار الشروق، 1998.
- . التويجري، عبد العزيز بن عثمان، العالم الإسلامي في عصر العولمة. دار الشروق.
- . جعفر عباس، كمال الدين، الاتصال السياسي في البعد الفكري. ط:1. بيروت: المكتب الإسلامي، 2004.
- . الجمال، راسم محمد، قضايا في الفكر المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
- . الجنحاني، لحبيب، « العولمة والفكر العربي المعاصر». مؤسسة عبد الحميد شومان، ربيع 2000.
- . الجندي، أنور، معلمة الإسلام. بيروت: المكتب الإسلامي 1980. ج 1.
- حارب، سعيد، الثقافة والعولمة. ط: بلا. الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، 2000.
- . حجازي، أحمد مجدي وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة. الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، 1990.
- . حجازي، أحمد مجدي، الثقافة العربية في زمن العولمة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- . الحديثي، مؤيد عبد الجبار، العولمة الإعلامية. ط:1. الأردن، عمان: الهلية للنشر والتوزيع، 2002.
- . حسان محمد الحسن، تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي. الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1998.

- . حسن، مصدق ، مدخل إلى الثقافة الإسلامية. ط:1. دمشق: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
- . الحمد، تركي، الثقافة العربية في عصر العولمة. ط:1. بيروت : دار الساقى، 1999.
- . حمزة، عبد اللطيف، المدخل في فن التحرير الصحفي. ط:3. القاهرة: دار الفكر العربي، 1965.
- . الخالدي، محمود، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية. ط:1. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- . الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989.
- . الخشاب، أحمد، الاجتماع الديني. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1964.
- . الخشاب، أحمد، التفكير الاجتماعي. القاهرة: دار المعارف، 197.
- . خليفة، جلال، الصحافة مقروءة مرئية، مسموعة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976.
- . خليفة ومحمد إسماعيل، عبد الرحمن و فضل الله، في الإيديولوجيا و الحضارة و العولمة. مصر: مكتبة بستان المعرفة ، 2001.
- . خليل، حلمي، دراسات في اللسانيات التطبيقية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2000.
- . الخولي، أسامة أمين، العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
- . الدناني، عبد المالك، البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2006.
- . الديك، اسكندر اليونسكو والصراع الدولي حول الإعلام والثقافة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.
- . رشوان، حسين عبد الحميد احمد، الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي. مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2006.
- . روجي الفيصل، سمير، «الثقافة العربية والقرن الحادي والعشرين». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، حزيران 2000.
- . روجر ويمر وجوزيف دومينيك، مقدمة في أسس البحث العلمي: مناهج البحث الإعلامي. ط: 2. ترجمة: صالح خليل أبو الأصبع. دار: أرام للدراسات والنشر والتوزيع، 1998.
- . رونالد، روبرتسون، العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية. ترجمة: أحمد محمد و نورة أمين. القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- . زريق، قسطنطين، في معركة الحضارة، بيروت: دار العلم للملايين، 1964.
- . زكي حسام الدين، كرم أسس اللغة والثقافة (داسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية. مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

- .زيان عمر، محمد، البحث العلمي مناهجه وتقنياته. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.
- .السامرائي، ابراهيم، فقه اللغة المقارن. ط:4. بيروت: دار المعلم للملايين، 1927.
- و .السامرائي، إيمان فاضل، هيثم الزغبي، نظم المعلومات الإدارية. ط: 1. عمان: دا صفاء للنشر والتوزيع، 2004.
- .السباتين، نجاح يوسف، مفاهيم النهضة الإسلامية. ط: 1. الأردن: دار الإسرائ، 2004.
- سبيلا، محمد، الإيديولوجيا نحو نظرة متكاملة. ط:1. المركز الثقافي العربي، 1992.
- .ستيوارت آلان، ثقافة الأخبار. ترجمة: هدى فؤاد. ط:1. القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2008.
- .السحمراني، أسعد، الإعلام أولا. ط:1. بيروت: دار النفائس، 1994.
- .السحمراني، أسعد، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا. ط:2. بيروت: دار النفائس، 1986.
- .سليمان موسى، عصام، الإعلام والمجتمع في عصر العولمة. الأردن: وزارة الثقافة، 2003.
- .سيد فهمي، محمد، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية. ط: بلا. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006.
- .سيد محمد، محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي المعاصر، 1994.
- .سيد محمد، محمد، المسؤولية الإعلانية في الإسلام. ط: 2. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- .سيموث، شارلوت . سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة: محمد الجوهري وآخرون. سلسلة المشروع القومي للترجمة، 61. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- .شايفر، جون، الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم. واشنطن: مركز بيع الصحافة الوطنية، 2003.
- .الشبيني، محمد، صراع الثقافة العربية الإسلامية. دار العلم للملايين.
- .شرف، عبد العزيز، الإعلام و لغة الحضارة. دمشق: 1976.
- .شرف، عبد العزيز، الصحافة المتخصصة ووحدة المعرفة. ط:1. القاهرة: عالم الكتب، 2003.
- .شرف، عبد العزيز، المدخل إلى وسائل الإعلام. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
- .شرف، عبد العزيز، وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1999.
- .شرف، ليلى، «التغيرات العالمية وانعكاساتها على الدول النامية». مؤسسة عبد الحميد شومان، 2000/04/24.
- .شطاح، محمد، قضايا الإعلام في زمن العولمة بين التكنولوجيا والإيديولوجيا دراسات في الوسائل والرسائل. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

- . شلي، كرم، الخبر الصحفي و ضوابطه الإسلامية. ط:2. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 1988.
- . شومان، محمد، « عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية الفرص والمخاطر ». التكامل بين أجهزة الإعلام و أجهزة الثقافة في الوطن العربي. تأليف نخبة من الباحثين العرب. تونس: إدارة الإعلام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1984.
- . شون ماكبرايد و رفاقه، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا. الجزائر: اليونسكو/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.
- . شيلر، هيربرت، الاتصال والهيمنة الثقافية. ترجمة: وجيه سمعان عبد المسيح. مراجعة: مختار محمد توهامي. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
- . شيلر، هيربرت، المتلاعبون بالعقول. ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة (243)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: مطابع الوطن، 1999.
- . صابر فلحوط وسجاد الغازي، الاتحاد العام للصحفيين العرب: تأسيسه، مؤتمراته، قراراته. بغداد: الاتحاد العام للصحفيين العرب، 1982.
- . صالح خليل أبو الأصعب، تحديات الإعلام العربي العربي. المصادقية، الحرية، التنمية، الهيمنة الثقافية. دراسة في الإعلام. ط:1. عمان. الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع، 1999.
- . الصاوي، أحمد، طباعة الصحف وإخراجها. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1969.
- . الصبان، رفيق، " استهلال " . في التكامل بين أجهزة الإعلام و أجهزة الثقافة. تحرير: توفيق فياض. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم.
- . الطرايشي، مرفت محمد كامل، مدخل إلى صحافة الأطفال. ط1. القاهرة: دار الفكر العربي، 2003.
- . طعيمة، رشدي، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته. القاهرة: دار الفكر العربي، 1987.
- . طه عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 2005.
- . طه، علي حسين ، مجتمعنا بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية بحوث وحلول، ط :1. لبنان: دار الهدى، 2007.
- . ظاهر، مسعود، مواجهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للمشرق العربي. روما: المجلس القومي للثقافة العربية، 1989.

- . عابد الجابري، محمد، «العرب و العولمة: العولمة و الهوية الثقافية ، تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي
«، في العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية،
تحرير أسامة الخولي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- . عابد الجابري، محمد، قضايا في الفكر المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
- . عابد الجابري، محمد، المسألة الثقافية. ط: بلا. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 1994.
- . العالم، محمود أمين، العولمة وخيارات المستقبل. سلسلة كتاب قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999.
- . العايد، حسن عبد الله، أثر العولمة في الثقافة العربية. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية، 2004.
- . عبد الحليم، محي الدين، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980.
- . عبد الحميد، محمد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام. ط: بلا. جدة: دار الشروق، 1983.
- . عبد الرحمن، عواطف، الإعلام المعاصر وتحديات العولمة، (العولمة و الهوية الثقافية). سلسلة أبحاث المؤتمر السابع.
- . عبد الرحمن، عواطف، الإعلام العربي و قضايا العولمة. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1999.
- . عبد الرحمن، عواطف، قضايا التبعية الإعلامية و الثقافية في العالم الثالث. عالم المعرفة (الكويت)، مطابع الرسالة، 1984.
- . عبد الهادي، محمد فتحي، مقدمة في علم المعلومات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.
- عبد الواحد أمين، رضا ، الإعلام والعولمة. ط: 1. القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، 2007.
- . عبيد حسنة، عمر ، الشاكلة الثقافية مساهمة في إعادة البناء. ط: 1. بيروت: المكتب الإسلامي، 1993.
- . عدلي العبد، عاطف، صورة المعلم في وسائل الإعلام. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي، 1417هـ.
- 1997م.
- . عزي، عبد الرحمن، « تعثر الرسالة في عصر الوسيلة ». حوليات جامعة الجزائر. العدد4، خريف 1990.
- . عزي، عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز. ط: 1 . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ديسمبر 2003.
- . عزي عبد الرحمن، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية المعاصرة بعض الأبعاد الحضارية. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1995.
- . علم الدين، محمود، مدخل إلى الفن الصحفي . ط: 3. القاهرة: بلا مطبعة، 2002.
- . علي حوات، محمد، العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل. ط: 2. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002.
- . علي الكبسي، محمد، ثقافة الحوار والتوازنات العالمية. ط: بلا. دار الينابيع. بلا تاريخ.

- . علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، العدد: 276، 2001.
- . علي، نبيل، العرب وعصر المعلومات. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1994.
- علي ياسين، صباح، العالمية والعولمة. ط: بلا. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000 .
- . عمر حمادة، مصطفى، علم الإنسان، مدخل لدراسة المجتمع والثقافة. دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007.
- . عمر، نوال، الإعلام والتنمية. القاهرة: مكتبة الرشيد، 1997.
- . العيفة، جمال، الثقافة الجماهيرية، عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق. عنابة، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، 2003.
- . غايار، فيليب، تقنية الصحافة. ترجمة: فادي الحسيني. ط: 1. بيروت: منشورات عويدات، 1973.
- . الغريب، سعد، الصحافة الإلكترونية والورقية دراسة مقارنة في المفهوم والسمات الأساسية. القاهرة: دار الكتاب العربي، 2000.
- . غليون، برهان، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.
- . غليون وأمين، برهان سمير، ثقافة العولمة و عولمة الثقافة (حوارات لقرن جديد). ط: 2. دمشق، بيروت: در الفكر المعاصر، 2002.
- . فريسان، باسم علي، العولمة والتحدي الثقافي. ط : 1. بيروت : دار الفكر العربي. 2001.
- . الفيتوري، الشاذلي، «اللغة العربية والوعي القومي». بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، ط: 2. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.
- . الفيصل، عبد الأمير، الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي. ط: 1. عمان الأردن. دار الشروق، 2005.
- . القرضاوي، يوسف، الإسلام... حضارة الغد. القاهرة: مكتبة وهبة، 1995.
- . الكتاني، محمد، قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب. الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
- . المتروبوليت بولس يازجي، دور الأديان فب مستقبل الحضارات . أي دين و أي دور . . دمشق : دار الينابيع . 2009 .
- . محمد حسين، سمير، بحوث الإعلام (تطبيقات في مناهج البحث العلمي). ط: 2. القاهرة: عالم الكتب، 1991.
- . محمد حسين، سمير، تحليل المضمون. القاهرة: عالم الكتب، 1983.

- . محمد جابر وأحمد عثمان، سامية ونعمات، الاتصال والإعلام وتكنولوجيا المعلومات. الايكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003.
- . محمد طایل، فوزي، كيف نفكر استراتيجياً. القاهرة: مركز الإعلام العربي، 1997.
- . محمد عمر، نوال، دور الإعلام الديني في تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1984.
- . محمد عمر، نوال، العلاقة بين الثقافة والإعلام المرئي: في الثقافة والإعلام بين الواقع والطموح، دراسات و بحوث مؤتمر أدياء مصر في الأقاليم، الدورة الثانية عشر، الإسكندرية، 1997. إعداد و تقديم عبد العزيز موافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1997.
- . محمود علي، عبد الجبار، التصوير الصحفي. ط: 1. القاهرة: دار المعرفة، 1980.
- . مرتاض، عبد المالك، « أثر العورية في مقاومة العولمة »، أعمال الملتقى الدولي في الجزائر «العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية». منشورات المجلس الإسلامي الأعلى. ماي 2004.
- . مصطفى، عبد الغفار، صحافة الأطفال رؤية في الواقع والمستقبل. ط: 1. القاهرة: دار الأحمدي للنشر، 2007.
- . المصمودي، مصطفى، النظام الإعلامي الجديد. (عالم المعرفة) الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، تشرين الأول 1985.
- . مكاي، حسن عماد، أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة. ط: 4. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2006.
- . مكاي، عماد، تكنولوجيا الاتصال الحديثة. ط: 1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1993.
- . مكاي وحسين السيد، حسن عماد، ليلي. الاتصال و نظرياته المعاصرة. ط: 4. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003.
- . مدن، حسن، الإعلام كحامل للثقافة. ورقة ضمن كتاب: ثقافة الإعلام وإعلام الثقافة. مجموعة باحثين. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 1995.
- . نافعة، حسن، « العرب و اليونسكو ». عالم المعرفة، العدد 135، مارس 1989.
- ابن نبي، مالك، القضايا الكبرى. ط: 1. دمشق: دار الفكر، 1991.
- . ابن نبي، مالك، مشكلة الثقافة. ترجمة: عبد الصبور شاهين. ط: 4. دمشق: دار الفكر، 1984.
- . ابن نبي، مالك، ميلاد مجتمع. شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 2002.
- . النجار، عبد المجيد عمر، عوامل الشهود الحضاري. ط: 1. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.

- . نجيده، سعيد، محاضرات في مناهج البحث العلمي. جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم الإعلام. 2001.
- ابن نعمان، أحمد، هذي هي الثقافة. الجزائر: دار الأمة للنشر و التوزيع، 1996.
- . لبيب، طاهر، تعريف المثقف العربي للعولمة. سلسلة كتاب قضايا فكرية، العدد 29، أكتوبر 1999.
- . لبيب، فخري، صراع الحضارات أم حوار الثقافات. القاهرة: مطبوعات التضامن، 1997.
- . كابرون، الحسابات والاتصالات والانترنت. تعريب: سرور علي إبراهيم سرور وآخرون. ط: بلا. الرياض : دار المريخ للنشر، 2003.
- . كامل بهاء الدين، حسين، الوطنية في عالم بلا هوية . تحديات العولمة. القاهرة: دار المعارف، 2000.
- . هانس وشومان، مارتن وهارالد، فخ العولمة: اعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ترجمة: عدنان عباس علي ورمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت)، العدد 238، 1990.
- . الهرساوي، محمد صالح، مقاربة في إشكالية الهوية. المغرب العربي المعاصر. ط: 1. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 2001.
- . هنتنكتون، صموئيل، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة: طلعت الشليب، القاهرة: دار سطور، 1998.
- . الوفاي، محمد، منهج البحث في الدراسات الاجتماعية و الإعلامية. ط: بلا. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1989. ديسمبر
- . ياسين، السيد، حوار الحضارات في عالم متغير، التقرير الاستراتيجي العربي. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام 1992.
- . ياسين، السيد، الديمقراطية وحوار الثقافات، تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2007.
- . ياسين، السيد، العالمية والعولمة. القاهرة: هُضة مصر، 2000.
- . ياسين، السيد، العولمة والطريق الثالث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
- . 1994.
- . ياسين، السيد، « الحال العربي الراهن ». ضمن كتاب النظام العربي والعولمة. طلال أبو غزالة و آخرون. مراجعة و تقديم علي محافظة. ط: 1. بيروت، عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2004.

ثانياً : الأبحاث والدراسات المنشورة في الدوريات العلمية

- . ابراهيم حسن، سمير، « الثقافة العربية بين الخصوصية و الكونية ». دراسات إستراتيجية مركز الدراسات و البحوث الاستراتيجية. العددان 14 و 15 السنة الخامسة، ربيع 2005.
- . ابراهيم، حيدر، « العالمية والعولمة من منظور مقارني ». عالم الفكر،
. ابراهيم، حيدر، « العولمة وجدل الهوية الثقافية ». مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2 ، أكتوبر . سبتمبر 1999.
- . أبو الأصعب، صالح، « وسائل الإعلام العربية والانساب الثقافي ». شؤون عربية (تونس) جامعة الدول العربية. العدد 17، يونيو 1982.
- . أبو حلاوة، كريم، « الآثار الثقافية للعولمة، حظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة ». عالم الفكر، (الكويت)، العدد 03، 2001.
- . أبو ربيع إبراهيم، « العولمة، هل من رد إسلامي معاصر ». مجلة إسلامية المعرفة، العدد 31، صيف 2000.
. انميرات، عبد العزيز، « هويتنا الثقافية في خضم تحولات العولمة من الاختراق إلى الممانعة » الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
- . أبو زيد، فاروق، « إشكالية العلاقة بين الإعلام والثقافة ». جريدة الحياة. لندن، 1995/5/1.
- . أبو سليمان، عبد الحميد، « الأمة بين شريعتين ». مجلة إسلامية المعرفة، المهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.
- . أحمد الجوهري، عبد الهادي، « دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة ». مجلة المستقبل العربي، السنة 22، العدد 247 ، سبتمبر 1992.
- . أحمد الشايخ، إباد، « أي ثقافة نريد في عصر المعلومات وتحدي العولمة ». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
- . أحمد يوسف، عبد الله، « مستقبل ثقافتنا في ظل المتغيرات العالمية الجديدة ». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
- . اصطيف، عبد النبي، « في لغة الاعلام ». المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الثقافة سورية. العدد: 1509، السنة 44، محرم 1427 . 2006.
- . أمين، سمير، « تحديات العولمة ». مجلة شؤون الأوسط. العدد 71 ، ابريل 1998.

- . الأنصاري، نبيه بن عبد القدوس، « الثقافة والمثقف في ظل العولمة » الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، قبرص.
- . الببلاوي، حازم، « حوار أم صراع الحضارات انطباعات غير متخصصة ». النهج، العدد 50، ربيع 1998،
. بدران، ابراهيم، « الثقافة العربية وعصر المعلومات، مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين ». المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس، 1998.
- . البدوي، عبد المجيد، «العولمة الثقافية و وسائل الاتصال الجماهيري». مجلة الإذاعات العربية. العدد 03، 2001.
- . بسيوني، أمين، « الهوية الثقافية العربية في عصر الفضاء »، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 99، أبريل 2000.
- . البعاج، هشام، « سيناريو ابستمولوجي حول العولمة . أطروحات أساسية»، مجلة المستقبل العربي. السنة 22، العدد 247، سبتمبر 1999.
- . بلقزيز، عبد الإله، « العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ». مجلة المستقبل العربي، العدد 5، 1998/231.
- . بوجللال، عبد الله، « الآثار الاجتماعية و الثقافية للإعلام في ظل العولمة ». المعيار. تصدر عن كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة . الجزائر العدد 6، ربيع الثاني 1424 هـ جوان 2003.
- . بوجللال، عبد الله، « العولمة وأثرها في الخصوصية الثقافية ». المعيار. تصدر عن كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة . الجزائر. ص 155 - 158.
- . ابن تمسك، مصطفى ، « العولمة وصراع الهويات ». مجلة الفكر العربي المعاصر (بيروت، باريس)، العدد 236، صيف 2006.
- . التويجري، عبد العزيز بن عثمان، « ما السبيل لنهوض الثقافة الإسلامية نحو العالمية ». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
- . ثابت، أحمد، « العولمة حدود الاندماج وعوامل الاستبعاد »، شؤون الأوسط، العدد 76، تشرين الأول، 1998.
- . جاسم الموسوي، محسن، « تكنولوجيا وسائل الاتصال وإشكالاتها القيمية»، قضايا عربية. العدد 4، السنة 9، إبريل 1982.

. جمال الدين، هبة، « أولويات الإعلام وعمليات تشكيل الرأي العام »، المجلة الاجتماعية القومية. العدد 2، 3 سبتمبر 1993.

. الجمال، راسم، « كيف يمكن تقديم الصورة الحضارية العربية للمشاهد الأجنبي عبر القنوات الفضائية العربية ». المجلة العربية للثقافة، السنة 16، العدد 33، سبتمبر 1997.

. جميل، سيار، « الثقافة الإسلامية والاختراق الثقافي في ظل العولمة ». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث .

. الجنحاني، لحبيب، « ظاهرة العولمة، الواقع والآفاق ». مجلة عالم الفكر، مج 28، العدد 02، أكتوبر - ديسمبر، 1999.

. الحويلي، نصر، « الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر ». مجلة الهداية. العددان 1 . 2 ، السنة 2000.

- حجازي، محمود فهمي، مجلة الهلال ، القاهرة ، عدد مارس 2001 .

. حرب، علي، « الثقافة والعولمة »، مجلة الشاهد(بيروت)، العدد 159، تشرين الثاني . نوفمبر 1998.

. حسين الأمين، السيد محمد، « شرط المعاصرة في الثقافة الإسلامية للاستفادة من ثورة المعلومات و مواجهة تحديات العولمة ». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

. حسن النقيب، خلدون، « حوار الثقافات و صراعتها: العولمة و الوشائج الجديدة ». مجلة النهج، السنة 15، العدد 50، 1998.

. الحسن، يوسف، « حوار الحضارات ... لماذا؟ ». ضمن كتاب: الإسلام والغرب، صراع في زمن العولمة. مجموعة من الكتاب. ط: 1. الكويت: الناشر مجلة "العربي".

. حمادة، محمد، « العرب قطار العولمة السريع ». مجلة المنتدى. (عمان)، العدد 156. 1998.

. الخطيب، حسام، « أي أفق للثقافة العربية و أدهما في عصر الاتصال و العولمة؟ » مجلة عالم الفكر، مج 28،

العدد 2، أكتوبر /ديسمبر 1999.

. الخطيب، حسام، « العالمية و العولمة من منظور مقارني ». عالم الفكر، المجلد 34، العدد 1، يوليو- سبتمبر 2005.

. خلف الشاذلي، خلاف، « المجتمع العربي بين مخاطر العولمة الثقافية وتحديات ثقافة العولمة ». ملف خاص. شؤون عربية، العدد 107. سبتمبر / أيلول 2001. جمادى الثانية 1422.

. الديريني، سليمان، « ما بعد الحداثة، مجتمع جديد أم خطاب مستجد »، الفكر العربي، السنة 15، العدد 78، خريف 1994.

. ذياب التميمي، عامر، «اتفاقية الجات وأثارها الثقافية». مجلة العربي، العدد 477.

. الراوي، عبد الستار، « العولمة: الفردوس الموعود وجحيم الواقع ». الموقف الثقافي. (بغداد)، السنة 2، العدد 10، 1997.

. رشتي، جيهان، « الآثار الثقافية للاتصال عبر الأقمار الصناعية ». المجلة العربية للثقافة، العدد 194،
سبتمبر 1990

. روهي الفيصل، سمير، « الثقافة العربية والقرن الحادي والعشرين ». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، حزيران
2000.

. روزناو، جيمس، ديناميكية العولمة: نحو صياغة جديدة علمية، قراءات استراتيجية. القاهرة: مركز الدراسات
السياسية والإستراتيجية بالأهرام، 1996. نقلا عن محمد إبراهيم منصور، « العولمة ومستقبل الدولة
القطرية ». مجلة المستقبل العربي، العدد 282.

. زايد، أحمد، « عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية ». عالم الفكر، العدد 1، المجلد 32، يوليو/ سبتمبر،
2003.

. الزبير، عروس، « العولمة و ثقافة السلطة . الجزائر نموذجا ». قضايا فكرية، العدد 29 ، أكتوبر 1999 .

- الزبيدي، المنجي، « ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام » عالم الفكر، العدد 35، سبتمبر 2006 .

. الشريبي، عراقي عبد العزيز، « ندوة :العولمة: ظاهرة العولمة، بعض الأبعاد الاقتصادية ». جمعية الدعوة
الإسلامية. ليبيا، طرابلس، 1998.

. الشريف، ماهر، « ماذا يعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة ». مجلة النهج، السنة 94، العدد 50، ربيع
1998.

. شعبان، بثينة، « المصطلح الإعلامي ودوره السياسي في القضايا العربية الراهنة ». دراسة فكرية . دمشق:
العدد 3. 2004/5/18.

. شوقار، إبراهيم، « العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية ». مجلة التجديد. السنة السابعة. العدد: 14.

. شومان، محمد، «عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي ». عالم الفكر. (الكويت)، العدد 01،
المجلد 35، يوليو . سبتمبر 2006.

. شومان، محمد، «عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية». بحث مقدم في ندوة العولمة وقضايا الهوية الثقافية.
القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، أبريل 1998.

. صالح، سليمان، «مستقبل الصحافة المطبوعة في ضوء تكنولوجيا الاتصال». جامعة القاهرة، كلية الإعلام ،
المجلة المصرية لبحث الإعلام. العدد 13. أيلول 2001.

- صعب، حسن، « الإنسان هو الرأس مال»، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، العدد الرابع، يناير/فبراير/مارس 1972، وزارة الإعلام. الكويت.
- عابد الجابري، محمد، «العولمة والهوية الثقافية»، المستقبل العربي. العدد 228، 1998/2.
- عبد الدائم، عبد الله، في سبيل ثقافة عربية ذاتية. الثقافة العربية والتراث. بيروت: دار الآداب، 1983.
- عبد الدائم، عبد الله، « في سبيل ثقافة عربية مستقبلية، العالم ومستقبل الثقافة العربية ». شؤون عربية، العدد 89، آذار. مارس 1997.
- عبد الرحمن، عواطف، « الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية و الاختراق الثقافي ». الدراسات الإعلامية، العدد 88. يوليو/ سبتمبر، 1997.
- عبد الرحمن، عواطف، « الحق في الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال »، عالم الفكر، ديسمبر 1994.
- عبد السلام، رفيق « كيف يرتقي الخطاب الإسلامي إلى العالمية؟ » الكلمة، مجلة فكرية ثقافية إسلامية تصدر فصليا عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث (بيروت)، بلا عدد ولا سنة.
- عبد الشفيق عيسى، محمد، « التنمية و أوهام خمسة »، السياسة الدولية، السنة 24، العدد 133، تموز / يوليو 1998.
- عبد الله، عبد الخالق، «العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها». عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب(الكويت)، المجلد 28، العدد 02، أكتوبر/ديسمبر، 1999.
- عثمان، محمد، عرض كتاب " وسائل الإعلام. مدخل إلى الاتصال الحديث"، مجلة الدراسات الحديثة الإعلامية. العدد 63 أبريل. يونية 1991.
- عزي، عبد الرحمن، «ثقافة الطلبة والوعي الحضاري ووسائل الاتصال: حالة الجزائر». المستقبل العربي. العدد 164، تشرين الأول/ أكتوبر، 1992.
- علم الدين، محمود، « ثورة المعلومات و وسائل الاتصال: التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال . دراسة وصفية »، السياسة الدولية، يناير، 1996.
- علي الفراء، محمد، «العولمة والحدود». عالم الفكر، المجلد 32، العدد 4، أبريل / يوليو 2004.
- علي عبيد، نايف، « العولمة والعرب »، مجلة المستقبل العربي، العدد 71، مارس 1997.
- عماد مكاوي، حسن، « أبعاد العولمة وإعادة هيكلة وسائل الإعلام». مجلة البحوث و الدراسات العربية، العدد 31. 32، يوليو. ديسمبر.
- العمار، منعم، « العولمة و دورها في تهميش النظام الإقليمي العربي ». مجلة قضايا إستراتيجية، العدد 2، 2000 /06/8.
- عمر التير، مصطفى، « دور الثقافة الفرعية في تجذير التجزئة». مجلة الوحدة. العدد 29 /30، 1987.

- . فرح، أمل: تقرير عن مؤتمر « مستقبل الثقافة العربية»، المستقبل العربي، العدد 222، 176. 171. الذي عقد في: 1997 / 5/14.
- . فهيم يونس، محمد، « حقوق الإنسان في ضوء التحليلات السياسية للعملة: عملة حقوق الإنسان أم عملة الفهم العربي لحقوق الإنسان»، مجلة المستقبل العربي، السنة 21، العدد 235، سبتمبر 1998.
- . كاسلز، ستيفن، « العملة والمجرة بعض التناقضات الصارخة ». المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 156، يونيو 1998.
- . اللاذقي، محي الدين، « تساؤلات كونية في عالم بلا هوية كما وردت في دراسة السيد يسين، العملة وانعكاساتها على الوطن العربي »، قضايا استراتيجية. المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد 17، سبتمبر 1998.
- . ماهر السيد، أحمد، « العملة ودور الثقافة والإعلام ». مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 97. 98، يناير . مارس، 2000.
- . مبارك، زكي، « الثقافة الإسلامية ومخاطر العملة الثقافية ». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.
- . مجدي حجازي، أحمد، « العملة و تهميش الثقافة الوطنية ». مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2، أكتوبر وديسمبر، 1999.
- . محمود، حواس، « العملة الثقافية » المجلة الثقافية، مجلة ثقافية أصلية تصدر عن الجامعة الأردنية، العدد 49، 2000.
- . المرزوقي، أبو يعرب، « حوار الحضارات بين منطق التاريخ الطبيعي ونطق التاريخ الحضاري، محاولة في فهم فلسفة التاريخ القرآنية». ضمن كتاب: ندوة فكرية دولية "حوار الحضارات". مديرية الثقافة في الرقة. ط: 1. دمشق: دار الينابيع، 2009.
- . المرزوقي، أبو يعرب، « العملة والكونية ». مجلة التجديد (الجامعة العالمية ماليزيا)، السنة الثانية، العدد 4، 1998.
- . مصطفى عمر، أحمد، « أعلام العملة و تأثيره على المستهلك ». المستقبل العربي، العدد 256، جوان 2000.
- . مصطفى، هالة، « العملة دور جديد للدولة ». السياسة الدولية ، العدد 134، تشرين الأول/ أكتوبر 1998.
- . مهنا، فريال، « الإعلام الفضائي العربي ووقائع العملة . دراسة نظرية تطبيقية على الشركات الوطنية بمدينة الرياض». المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 7، يناير . يوليو 2000.

. نافعة، حسن، « اليونسكو و قضايا التعددية الثقافية و الحضارية، رؤية عربية»، مجلة السياسة الدولية، العدد 127، يناير 1997.

. النبهان، محمد فاروق، « الثقافة الإسلامية و العولمة من الممانعة إلى الموكبة». الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث

. نبيل على، البرمجيات البعد الثقافي. العربي: مجلة شهرية ثقافية مصورة تصدرها وزارة الإعلام، العدد: 542، يناير 2004

. النقاش، فريدة، «حول التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانيات الخروج منها»، مجلة أدب ونقد. العدد السابع، السنة الأولى، سبتمبر 1984

. النقاش، فريد، « التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانية الخروج منها ». مجلة الآداب ونقد، العدد7، السنة الأولى، 1984.

. همام، محمد، « مستقبل حضارتنا رهين بنائها الداخلي ». الكلمة. تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

. وناس، المنصف، «العولمة الإعلامية والمجتمع العربي». الإذاعة العربية عدد 4. تونس: مجلة، 1998.

- وناس، المنصف، « مضامين العولمة الاتصالية والثقافية ». الإذاعات العربية، مجلة يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية(تونس)، العدد2، 1998.

. ياسين، السيد، « في مفهوم العولمة ». المستقبل العربي، السنة 20، العدد 228، شباط 1998. و هذه الدراسة هي في الأصل ورقة قدمت إلى: العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة الخولي (بيروت: المركز، 1998).

. ياسين، عيسى، « التنمية وأوهام خمسة »، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، العدد 8.

. يفوت، سالم، « هويتنا الثقافية والعولمة ». مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد11، سبتمبر 1998.

ثالثاً: الأوراق البحثية المقدمة في المؤتمرات

. أعمال مؤتمر « الإعلام العربي و تحديات المستقبل» يوم 11/أبريل/ 1999 نظمه معهد البحوث والدراسات العربية. ونشرت أوراقه في مجلة البحوث والدراسات العربية. العدد: 32/31 يوليو - ديسمبر، 1999.

. أعمال المؤتمر الدولي « الأمة و أزمة الثقافة و التنمية» ط:1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع و الترجمة، 2007. والذي عقد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 06 . 09 ديسمبر، 2004.

. حسن، حمدي، « التأثير الاجتماعي لعولمة التلفزيون». ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول آفاق الإعلام الإذاعي والتلفزيوني في القرن الحادي و العشرين المنعقد في كلية الإعلام من 18 . 20 ديسمبر 1996.

. خليل، حامد، « الثقافة العربية و حوار الحضارات». العرب و العولمة. ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر السنوي الثالث للمركز العربي للدراسات الإستراتيجية. مؤتمر الثقافة و الإعلام بين الواقع و الطموح. القاهرة: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1997.

. صدقي الدجاني، أحمد على بحث السيد ياسين: « في مفهوم العولمة »، ورقة بحثية بعنوان: العرب و العولمة، قدمت للمناقشة بالندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير أسامة أمين الخولي. المركز (بيروت)، 1998.

. فكرة، سعيد، « العولمة و انعكاساتها على الثقافة الإسلامية ». أعمال الملتقى الدولي في الجزائر العولمة و أثرها في الثقافة الإسلامية. الجزائر 20، 21، 22 ربيع الأول 1425 هـ . 10 . 11 . 12 ماي 2004. منشورات المجلس الإسلامي الأعلى. 2004.

. ماسايا، جوسطاف، صراع الحضارات أم حوار الحضارات. ورقة قدمت إلى المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات. القاهرة: مطبوعات التضامن، 1979.

. مؤتمر الثقافة و الإعلام بين الواقع و الطموح القاهرة: الهيئة العامة للقصور الثقافية، 1997.

. مؤتمر القمة الإسلامية في دورته السادسة بداسمار المنعقدة في شهر ديسمبر 1991.

. نعمان جمعة، إيمان، «الخطاب الصحفي الأمريكي على تناول الصحافة المصرية لقضايا الهوية القومية، دراسة تطبيقية على مشروع الشرق الأوسط الكبير». المؤتمر العلمي العاشر، الإعلام المعاصر و الهوية العربية. كلية الإعلام. ج1. 06 / 04 / 2004. 2004.

رابعاً: أبحاث ودراسات غير منشورة

. أحمد عرابي، دينا، « دور وسائل الإعلام المحلية و الدولية في تشكيل المعرفة لدى الجمهور في ظل العولمة». (رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف: راسم الجمال. قسم العلاقات العامة و الإعلان، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2002).

- . بصيص، الطاهر، «تجاهات الخطاب الصحفي الجزائري إزاء انتفاضة الأقصى الثانية . دراسة تحليلية مقارنة بين الصحف الحكومية والصحف المستقلة من 2000/09/28 إلى 2003 /04/30» . (رسالة ماجستير، قسم الصحافة كلية الإعلام جامعة القاهرة. إشراف : عواطف عبد الرحمن، 2007).
- . خليل الرفاعي، محمد، «العوامل المؤثرة على إخراج الصحافة السورية: دراسة تطبيقية مقارنة على الجرائد اليوميو السورية؛ البعث، الثورة، تشرين» (رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2010).
- . زعموم، مهدي، «برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري». (أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الإعلام. كلية العلوم السياسية، قسم الإعلام، الجزائر العاصمة).
- . مدبولي وجلال، جلال ومحمد، «التغير الثقافي والسنن الاجتماعية في الريف بالتطبيق على قرية شبرامنت بالحيزة». (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1969).

خامسا: الوثائق غير الحكومية

- . برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية. 2003.
- . المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي إسسكو، الرباط، 1997.
- . المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، الرباط: 1998.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، «الثقافة والإبداع». تونس: مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1992.
- . منظمة اليونسكو، أصوات متعددة و عالم واحد. تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.

سادسا: المعاجم

1. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. لسان العرب. ط: 1. لبنان: دار صادر للطباعة والنشر، 1997.
2. اللغة العربية، المعجم الوسيط. ط: بلا. اسطنبول، تركيا: المكتبة الإسلامية، بلا تاريخ.

سابعا: المصادر الإلكترونية

1. الشامي، ابراهيم، « الأنترنيت تقلب عالم الصحافة رأسا على عقب». جريدة البيان الإماراتية. في www.albayan.com. 1999/11/3

2. «الصحافة والأنترنيت، المستقبل للقراء أم للناشرين». مجموعة بحوث مقدمة إلى المؤتمر العالمي

. [www. Google.com.search](http://www.Google.com.search) للصحافة في زيوريخ في حزيران عام 2003 .

3. - <http://membres.lycos.fr/mimbar/cours/laguage2.htm>.

- <http://www.elkhabar.com>

ثامنا: صحف الدراسة

صحيفة الخبر الجزائرية

. العدد: تاريخ 2001/03/02

. العدد: تاريخ 2001/04/07

. العدد: تاريخ 2001/05/13

. العدد: تاريخ 2001/06/11

. العدد: تاريخ 2001/07/10

. العدد: تاريخ 2001/08/08

. العدد: تاريخ 2001/09/13

. العدد: تاريخ 2001/10/12

. العدد: تاريخ 2001/11/10

. العدد: تاريخ 2001/12/16

. العدد: تاريخ 2002/01/21

. العدد: تاريخ 2002/02/19

. العدد: تاريخ 2002/03/20

صحيفة الشروق اليومي الجزائرية

. العدد: تاريخ 2001/03/02

. العدد: تاريخ 2001/04/07

. العدد: تاريخ 2001/05/13

- . العدد: تاريخ 2001/60/11
. العدد: تاريخ 2001/07/10
. العدد: تاريخ 2001/08/08
. العدد: تاريخ 2001/09/13
. العدد: تاريخ 2001/10/12
. العدد: تاريخ 2001/11/10
. العدد: تاريخ 2001/12/16
. العدد: تاريخ 2002/01/21
. العدد: تاريخ 2002/02/19
. العدد: تاريخ 2002/03/20

صحيفة الأهرام المصرية

- . العدد: تاريخ 2001/03/02
. العدد: تاريخ 2001/04/07
. العدد: تاريخ 2001/05/13
. العدد: تاريخ 2001/60/11
. العدد: تاريخ 2001/07/10
. العدد: تاريخ 2001/08/08
. العدد: تاريخ 2001/09/13
. العدد: تاريخ 2001/10/12
. العدد: تاريخ 2001/11/10
. العدد: تاريخ 2001/12/16
. العدد: تاريخ 2002/01/21
. العدد: تاريخ 2002/02/19
. العدد: تاريخ 2002/03/20

صحيفة تشرين السورية

- . العدد: تاريخ 2001/03/02
. العدد: تاريخ 2001/04/07
. العدد: تاريخ 2001/05/13
. العدد: تاريخ 2001/06/11
. العدد: تاريخ 2001/07/10
. العدد: تاريخ 2001/08/08
. العدد: تاريخ 2001/09/13
. العدد: تاريخ 2001/10/12
. العدد: تاريخ 2001/11/10
. العدد: تاريخ 2001/12/16
. العدد: تاريخ 2002/01/21
. العدد: تاريخ 2002/02/19
. العدد: تاريخ 2002/03/20

صحيفة الرأي العام الكويتية

- . العدد: تاريخ 2001/03/02
. العدد: تاريخ 2001/04/07
. العدد: تاريخ 2001/05/13
. العدد: تاريخ 2001/06/11
. العدد: تاريخ 2001/07/10
. العدد: تاريخ 2001/08/08
. العدد: تاريخ 2001/09/13
. العدد: تاريخ 2001/10/12
. العدد: تاريخ 2001/11/10
. العدد: تاريخ 2001/12/16
. العدد: تاريخ 2002/01/21
. العدد: تاريخ 2002/02/19
. العدد: تاريخ 2002/03/20

فهرس المحتويات

(ترقيم الفهرس بعد المراجعة النهائية)

فهرس	الصفحة
فهرس المحتويات
فهرس جداول الدراسة
فهرس الأشكال التوضيحية
فهرس الملاحق
ملخص الدراسة
مقدمة الدراسة

القسم الأول: الإطار المنهجي والنظري للبحث

الفصل الأول: مشكلة البحث والإطار المنهجي.

المبحث الأول: المشكلة البحثية
أولاً: مشكلة البحث
ثانياً: أهمية الدراسة
ثالثاً: أهداف الدراسة
رابعاً: تساؤلات الدراسة
خامساً: الإطار النظري للدراسة
سادساً: الدراسات السابقة
سابعاً: الدراسة الاستطلاعية
المبحث الثاني: منهج البحث وأدواته وإجراءاته
أولاً: منهج الدراسة

.....	ثانيا: طرق و أدوات جمع البيانات
.....	ثالثا: إجراءات الدراسة التحليلية
.....	. تحديد مجتمع الدراسة
.....	. تحديد عينة الدراسة
.....	. تحديد فئات تحليل المضمون
.....	. تحديد وحدات تحليل المضمون
.....	. إجراءات الصدق و الثبات
.....	. المعالجة الإحصائية للبيانات

الفصل الثاني: العولمة والعولمة الثقافية

المبحث الأول: العولمة في الأدبيات العربية والأجنبية بين العمومية والضبائية

المبحث الثاني: أبعاد العولمة

المبحث الثالث: العولمة في بعدها الثقافي (العولمة الثقافية)

الفصل الثالث: الصحافة العربية المكتوبة بين العولمة الإعلامية والهيمنة الثقافية

المبحث الأول: العولمة الإعلامية: تفجر المعلومات والهيمنة الثقافية

المبحث الثاني: جدلية العلاقة بين الإعلام والثقافة في ظل العولمة.

المبحث الثالث: الدور الوظيفي للصحافة العربية المكتوبة بين الخصوصية وتأثيرات العولمة الثقافية.

الفصل الرابع: الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية وجدل العولمة الثقافية

المبحث الأول: الثقافة العربية والثقافة الإسلامية والمنظومة المعرفية المعاصرة

المبحث الثاني: قضايا الثقافة الإسلامية في الصحافة العربية

المبحث الثالث: الثقافة الإسلامية والصحافة العربية المكتوبة: التحديات والمستقبل

القسم الثاني: نتائج الدراسة التحليلية

الفصل الخامس: النتائج الخاصة بفئات محتوى الاتصال

- المبحث الأول:** الموضوعات والقضايا المتعلقة بالثقافة الإسلامية.....
- المبحث الثاني:** فئة موضوع قضايا البعد الثقافي للعملة.....
- المبحث الثالث:** فئة موضوع تحديات الثقافة الإسلامية ومستقبلها في ظل العملة.....
- المبحث الرابع:** فئة سياق المضمون في الصحف عينة الدراسة.....
- المبحث الخامس:** فئة المفهوم والتعريف.....
- المبحث السادس:** فئة التوازن في التغطية.....
- المبحث السابع:** فئة اتجاه المحتوى نحو الثقافة الإسلامية وقضاياها.....
- المبحث الثامن:** فئة الفاعلون.....
- المبحث التاسع:** المصادر الإعلامية.....
- المبحث العاشر:** فئة المجال في التغطية (منشأ المعلومة الجغرافي).....

الفصل السادس: النتائج الخاصة بفئات شكل الاتصال

- المبحث الأول:** الفنون (الأنواع) الصحفية لموضوعات الثقافة الإسلامية في صحف الدراسة في ظل العملة.....
- المبحث الثاني:** عوامل الإبراز المستخدمة في المواد التحريرية المنشورة عن موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العملة.....
- المبحث الثالث:** مشيرات قيمة محتوى موضوعات الثقافة الإسلامية في ظل العملة في صحف الدراسة.....

النتائج العامة للدراسة

- مراجع الدراسة.....
- ملاحق الدراسة.....
- ملخص باللغة العربية.....

ملخص باللغة الفرنسية

ملخص باللغة الإنجليزية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الدراسة

كثير الحديث حول العولمة والعولمة الثقافية منذ السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وأصبحت الظاهرة من أكثر العناوين والقضايا حضوراً واهتماماً على النطاق العالمي الواسع. وتحولت هذه المفردات محور لكل خطاب، بدءاً من الخطاب السياسي والاقتصادي وانتهاءً بالخطاب الثقافي والديني. وذلك لعمق جوهر العولمة ومفهومها وحقيقتها، إذ هي عملية حضارية متعاضمة ما زالت تأخذ وضعها في الواقع العالمي المعاصر. وهي تشكل واحداً من النظريات الإنسانية المعاصرة ذات الأبعاد العالمية ليس فقط على المستوى الاقتصادي والسياسي والأدبي، ولكن بصورة ملحّة على المستوى الديني والثقافي. هذا مما يجعل مقولات ونظريات العولمة تمس العمق الإنساني للإنسان، وتوجه النقد لحقائقه الثقافية والدينية، ناهيك عن نظمه الاقتصادية والسياسية والتعليمية والاجتماعية.

وما زال مفهوم العولمة إلى غاية اللحظة الراهنة يثير الكثير من الجدل بين الخبراء والمتخصصين في كافة المجالات وعلى كافة المستويات. حيث يرى البعض أن العولمة تعني كل العمليات التي تؤدي إلى إدماج مواطني العالم في مجتمع عالمي موحد، والذي يطلق عليه "المجتمع الكوني" بينما آخرون يعتقدون أن العولمة تشير إلى فكرة أن العالم أصبح أكثر تقارباً وتوحيداً من خلال الأحداث التقنية والتجارية والثقافية الآتية من الغرب، وأن العولمة ترتبط بمفهوم العصرية أو الحداثة. ومن ناحية أخرى يذهب البعض إلى أن العولمة يقصد بها اتجاه النظام أو الأوضاع الدولية نحو التمحور حول قطب واحد أو أقطاب قليلة، تدير العالم وفق فلسفات واستراتيجيات اقتصادية لمصلحة النظام الاقتصادي الرأسمالي، وقيمه وثقافته وتقاليدته.

ومع النمو المتسارع للعولمة والثورة في مجال الاتصال وتعدد وسائلها وتنوعها، أصبحت ما اصطُح عليه بثورة المعلومات المصاحبة للعولمة حقيقة طاغية في مختلف جوانب حياة الإنسان المعاصر، كما أصبحت قوة مثيرة لا يستهان بها في كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. لأن هذه الثورة العلمية التكنولوجية الحديثة ذات خصائص محددة وصفات معينة، فهي ليست مجرد آلات وأجهزة تكنولوجية، وإنما هي عقلية جديدة وتقنيات جديدة كان لها انعكاساتها على ثقافات الشعوب.

وإذا نظرنا إلى الإعلام العربي والعولمة الثقافية الموجهة إلى العالم العربي، فإن كل الدراسات - كما سنرى - تشير إلى أهمية المنطقة العربية كسوق إعلامية خصبة. لهشاشة المنظومة الثقافية العربية بعد الهزائم الحضارية المتتالية. وأن المنطقة تتحول إلى هدف مهم للقنوات التلفزيونية والفضائية الأجنبية والصحافة المكتوبة بأشكالها، مما قد يؤدي إلى ضعف مناعة القيم الثقافية العربية، وانخفاض قدرة الدولة على السيطرة على وسائل الإعلام كأجهزة للثقافة في الدول العربية.

وهنا يبرز موضوع موقع الثقافة الإسلامية في ظل العولمة وثورة المعلومات على سطح الإعلام العربي، بالمفهوم الشامل لمعنى الثقافة. حيث صار الموضوع يشكل محورا استراتيجيا وأهم قضايا الفكر الحديث والدراسات الإعلامية المعاصرة. وإذا نظرنا في موضوع الثقافة الإسلامية دون أن نسقط من اعتبارنا سقف الوعي الحضاري الحالي الذي تتصدره ظاهرة العولمة ومقولاتها وأبعادها الحضارية والثقافية، فإن هذه الثقافة اليوم تجد نفسها في حلبة صراع مميت مع ثقافة أخرى تختلف عنها مظهرها ومضمونها، وتدفعها إلى صراع ليس بعده إلا بقاء أو فناء. فهي عالمية في انتشارها غربية في طبيعتها، اتخذت من الإعلام العالمي أهم وسائلها والعولمة الثقافية أهم شعاراتها.

وفي هذا السياق وعلى وجه التحديد، كانت الدراسة التحليلية لهذه الأطروحة حول موضوع الثقافة الإسلامية كأحد أكبر عناصر منظومة المجتمع في ظل العولمة وثورة المعلومات في الصحافة العربية المكتوبة، التي تعد وجهها بارزا من وجوه الإعلام الحديث، ووسيلة من وسائل الاتصال المعاصر.

إذ كثيرا ما تساهم الصحافة في بناء ثقافة المجتمع من خلال الدور المستمر الذي تؤديه بنشرها للموضوعات التي تدعم تكوين قيم ومعتقدات ومفاهيم ورؤى أفراد المجتمع، ثم سلوكهم اليومي ونظرتهم إلى الحياة. وتنمية اتجاهات وأنماط من السلوك، وهي في المقابل أيضا آلية من أكبر آليات تعميم العولمة الثقافية.

وما تزال الصحافة العربية عندنا تعد من أبرز وسائل الإعلام التي تشكل عاملا هاما في صنع الرأي العام العربي. وقد تحتل المقام الأول من بين وسائل الإعلام كلها في التأثير في الرأي العام، ويرجع ذلك لعدة أسباب، أبرزها أن الصحافة تهتم أكثر من سواها من وسائل الإعلام بالخوض في القضايا السياسية والاجتماعية ومناقشتها بإسهاب، وعرض وجهات النظر المختلفة، وخلفيات الأنباء. ومنه صارت الصحافة المكتوبة اليوم تمثل أهم رهان من رهانات هذه العولمة وآلياتها في تعميم الثقافة الغربية ونشرها مثلها مثل باقي الوسائط الإعلامية الأخرى.

لكننا لم نجد من الباحثين في الوطن العربي من يعالج هذا الموضوع بعناية كافية سواء من علماء الاجتماع أو الإعلام. كما يمكننا رصد النقص الكبير في الأبحاث الثقافية والفكرية التي كان من المفترض أن تتناول قضية الثقافة الإسلامية في ظل ثورة المعلومات وتحديات العولمة في الإعلام العربي عموما، وهذا لا يتناسب مع ما لهذه القضية من أهمية على حاضرنا ومستقبلنا.

ومن ثمة فإن الحديث عن الامبريالية الثقافية في الصحافة العربية وتأثير ذلك على الثقافة العربية والإسلامية يظل في أحسن الأحوال شيئا نشمه، ولكننا لا نستطيع أن نمسك به. وذلك لنقصان الدراسات التي تحلل مضمون صحافتنا العربية، وتكشف مدى ما تقدمه من مادة أصيلة أو مقتبسة ومدى تأثيرها على القارئ وحجم الإنسلا ب الثقافي بين جمهور القراء.